الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de L'enseignement supérieur et de La Recherche Scientifique

جامعة سيـــدي بلعباس
Université de-Sidi- belabes

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculté des Sciences Humaines et Sociales

العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط مابين القرنين

7هـ و9هـ/13 و15م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي

إعداد الطالبة:

رزيـــوي زينـــب

تاريخ المناقشة:

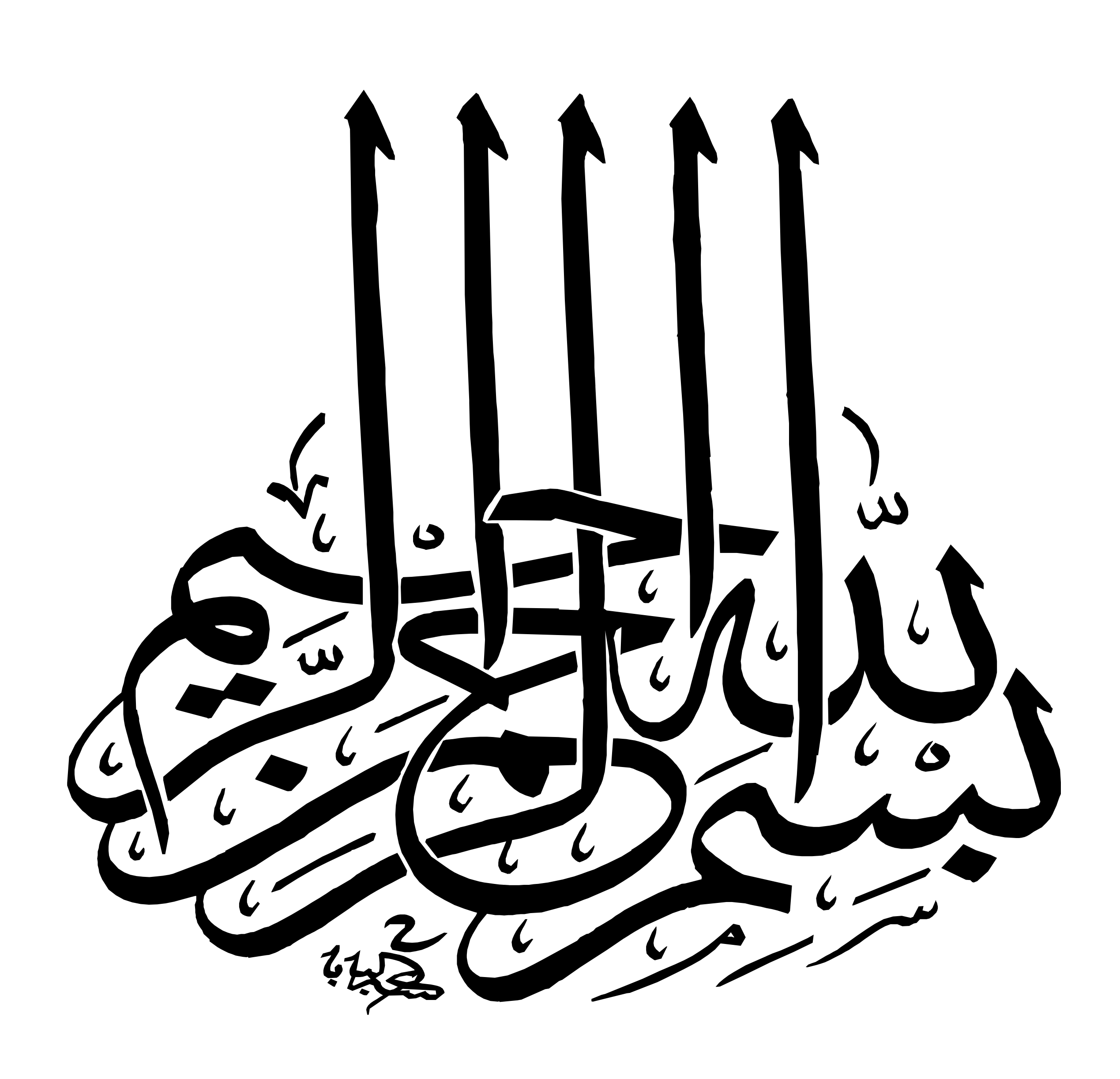
2016-11-22

أعضاء لجنة المناقشة:

أد. محمـــــــــد مكحلــــــي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيســـــا
أد.بلعـــــــربي خالـــــــد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د.سعـــــــدي شخـــــوم	أستاذ محاضر -أ-	جامعة سيدي بلعباس	مناقشـــــا
أد.عبيـــــد بـــــــــوداود	أستاذ التعليم العالي	جامعة معســـــــكر	مناقشـــــا
د. بن داود نصــــر الديـــن	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمســـــان	مناقشـــــا
د.محمد الشريف سيدي موسى	أستاذ محاضر -أ-	جامعة البليـــــــدة	مناقشـــــا

السنـــــة الجامعيـــــة:

1436-1437هـ /2015-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم



سورة المجادلة الآية 11

شكر وعرفان

أولا وقبـــل كـــــل شيء أحمـــد **الله** جلّ وعلـــــــى وأشـــــكره على عظيم نعمته وجليل منته وأسأله من فضله العــــــــظيم أن يـــكون لي عونـــــا على طاعتـــه ومـحبته ومرضــــــاته.

أتوجه بشــكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل الدكتـور: **بلعـربي خالد** بأســمى آيات التقدير وأجل معاني الاحترام وأوفى كلمــات الشكـر، على ما أسداه لي من وافر الاهتمام، وما غمرني به من رعاية كريمــة وما قدمــــــه لي من توجيهات سامية، وملاحظات قيمة ودقيقـــة، أســـــــأل الله عز وجل أن يـــجعله في ميزان حســــــناته.

كذلك شكر وتقدير لأعضاء **اللجنة الموقـرة** التي تحــــملت عنـاء قراءة هذه المذكرة، فلكم مني عاطر الثناء وجمــــــــــيل الذكر.

ولأسرتي وأهلي الذين حرصــــــوا على توفير ســـــــبل النجاح والدعم لإنجاز بحثي، حيـــــــث شاركوني قلقي وأحــــيانا غضبي، فتجاوزوه بالـــصبر وتهـــوين الأمر، خاصــة زوجـــــي العزيـز: **نــور الديــن** وأختـــي: الغالية والمتميـزة **حوريـــــة،** فمعذرة وشكر موصـــول لــهم علـــى تحملــهم وصبرهم وتشجيعاتـهم المتواصلة ودعـواتهم المتكـررة، وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعـيد في انجاز هذا البحث العلمي المـتواضع خاصة عمال المكتبات.

فلكم جميــعا مني التحـية والسلام والشكر والعرفان

والله مـــــن وراء القـــصد.

زينـــب رزيــــوي



الإهداء

إليک أمّــاه طيّب الله ثراك

وإليــك والــدي الغــالي

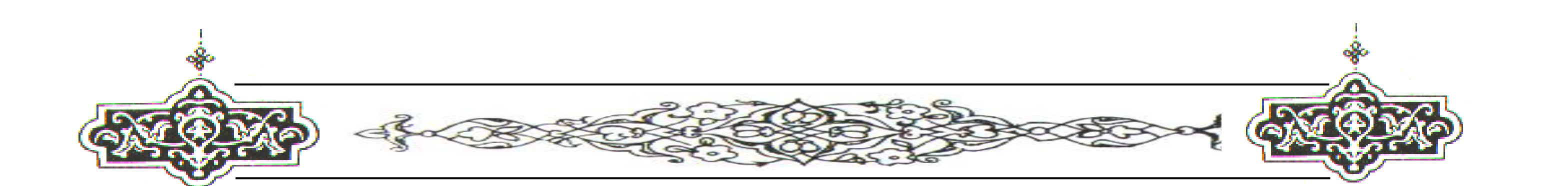
وكل إخوتي وأخواتي

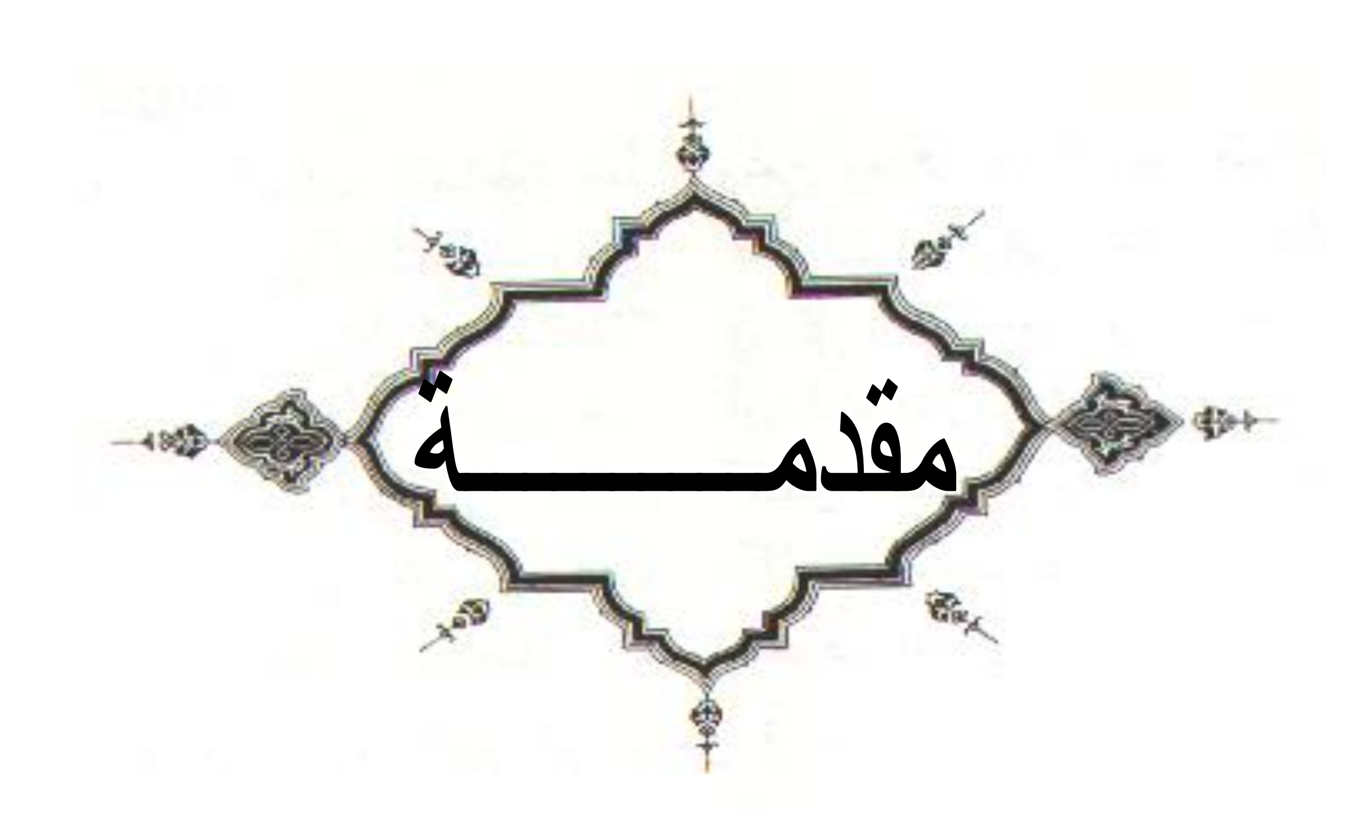
وزوجي العزيز

أهديكم جميعا ثالث

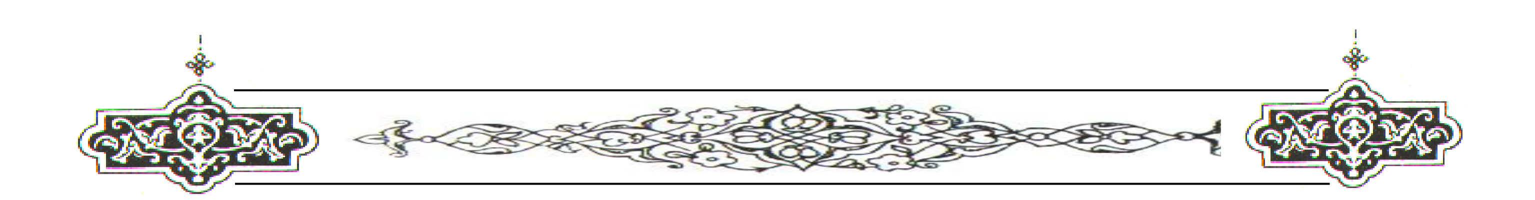
ثمــــرات جهــــودي

رزيــــوي زينــــب





مقدمـــــة



مقدمـــــــــة

لقد شاع في العصر الزياني بالمغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (13-15م) دراسة وتدريس مجموعة كبيرة من العلوم شكلت المحتوى الفعلي للحركة العلمية، وبما أنّ حضارات الأمم تقاس بمقدار تقدمها في ميادين العلوم والفنون وسائر ميادين الفكر المختلفة، لأنها تستمد تقدمها من النظر في تاريخها وتراثها العلمي، الذي لا يظهر ولا يتطور إلا في مجتمع بلغ غاية نضجه ووصل إلى مرحلة متقدمة من التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، لذا كان الأجدى بنا والأجدر أن نهتم بهذا التراث وبتاريخه وفلسفته لا لاجترار وتكرار أسماء رجاله ومآثرهم تكرارا ببغائيا، بل للتمثل به والاقتداء بأصحابه لنصنع لنا تاريخا جديدا يقوم على أنقاضه، فدراسة الماضي تساعد كثيرا مع معرفة الذات وفهم الحاضر وبناء المستقبل، ومن هذا المنطلق توجهت عناية عدد من الدارسين الذين تناولوا موضوع العلوم والمعارف في شكل بحوث مستقلة أو ضمن دراسات عامة وخاصة بلاد المغرب الأوسط في ظل ما عرفه من ازدهار علمي وفكري في مختلف علومه وظهور كوكبة من جهابذة العلماء الذي ساهموا في وضع ذلك وفي إثرائه، خاصة وأن آثارهم بلغت خلال فترة البحث من الكثرة والتنوع والعمق ما يضاعف إعجابنا بهذا التراث النقلي والعقلي، وعلى الرغم مما قدموه من نتاج فكري خلال هذه الفترة إلا انه لم يظفر بعناية جديرة بمنزلته العلمية، ولم يحظ بدراسة أكاديمية منفردة وشاملة باستثناء دراسة محمد بوشقيف تحت عنوان **تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (15-14م)**، لكنه غيب فيها الجزء الشرقي للمغرب الأوسط وبالخصوص بجاية، مركزا على تلمسان ومقتصرا على قرنيين من الزمن (9-8هـ)، في حين أن جل الدراسات التاريخية والثقافية عرجت عليه، وأفرده أصحابها بأبحاثهم وكتبهم ورسائلهم الجامعية، بنوع من الاختصار والشمولية، بعيدا عن التعمق والتحليل ضمن دراسات عامة، وعلى سبيل المثال لا الحصر (دراسة عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزّياني**، وعبدلي الأخضر تحت عنوان: **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (962-633هـ/1236-1555م)**، بالإضافة إلى كتاب "**تاريخ الجزائر الثّقافي من القرن (14-10هـ/16-20م)**" للدكتور أبي القاسم سعد الله، أو ضمن دراسة خلفات مفتاح عن قبيلة زواوة تحت عنوان: **قبيلة زواوة**

بالمغرب الأوسط ما بين القرنيين (9-6هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري،...

إن ما يأخذ على هذه الدراسات، أنها لم تفرد لموضوع العلوم والمعارف دراسة خاصة، وإنما جاءت ضمن دراسات عامة، فكان هذا احد العوامل الرئيسية التي دفعتني إلى الخوض في خضم هذا البحث والكتابة فيه، أما الذي شجعني وفتح لي الباب للتعمق فيه هو محاولة توسيع بحثي الذي بدأته في الماجستير والمتعلق بدراسة "**مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط مابين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)**"، وباعتبار أن هذه المؤسسات التعليمية تشكل القاعدة الأساسية لاحتضان العلوم ورعايتها والمحافظة على استمرارها وتطورها، فمن هذا الباب جاء اختياري لهذا الموضوع، تحدني رغبة ملحة في طرقه والولوج إلى مداخله ومكامنه، ولعلي بهذا العمل أضيف جديدا للمكتبة، وأطمح أن تكون هذه الدراسة حلقة وصل في سلسة البحوث والدراسات المنجزة في التاريخ السياسي والحضاري للمغرب الأوسط.

وبذلك يأخذ موضوع البحث شرعية كإضافة في إماطة اللثام وجمع شمل الدراسات السابقة، تحت موضوع موسوم بعنوان: **العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)**، كان الهدف منه هو دراسة تاريخ علوم هذه الفترة والتعمق في الفكر العلمي، وتحليل مقومات الحضارة والوقوف على أسباب تشربهم للعلم وكيفية هضمه وتمثيله ومن ثم الإبداع فيه والكشف عن عباقرته وبما تفجرت به قرائحهم، وفيما تمثلت مواهبهم، وبالتالي إحياء لتراثنا الأدبي واللغوي والعلمي، حيث أن آثار هؤلاء العلماء بلغت خلال فترة للبحث من الكثرة والتنوع والعمق ما يضاعف إعجابنا بتراثنا النقلي والعقلي، كما أن وراء كل إنتاج عظيم في هذه العلوم أناس مبدعون وأعلام نابهون كانوا مصدر المعرفة الإنسانية، وبالتالي محاولة التعريف برواد حركة التدوين والرواية وطلائع النزعة العلمية وإبراز مساهماتهم.

وعلى هذا الأساس يحاول هذا الموضوع إبراز الصورة العامة لعلوم المغرب الأوسط في ظل ما عرفه من نكسات وتطورات في مختلف الأصعدة مابين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)، وعليه يطرح مجموعة من التساؤلات تكمن فيما يلي:

- ما هو الواقع السياسي الذي ميز المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة؟.
- ما هي العوامل التي ساهمت في قيام وتطور الحركة العلمية والثقافية بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس؟.
- ما هي أهم المؤسسات التعليمية التي حملت على عاتقها تدريس العلوم؟ وما واقعها ببلاد المغرب الأوسط؟.
- ما هي أصناف العلوم والمعارف التي كانت تدرس بها؟.
- ما هي العلوم التي لاقت انتشارا واهتماما من قبل علماء المغرب الأوسط مقارنة ببقية العلوم الأخرى؟ وما عوامل ذلك؟.
- من هم أهم روادها؟ وما هي ابرز إسهاماتهم فيها؟.
- ماذا أضافوا إلى حقل العلوم النقلية والعقلية؟، وكيف صانوا تراثهم القديم؟
- هل كانت علومهم علوم اجتهاد وإبداع أم كانت مجرد اجترار لعلوم السابقين؟.

ولمعالجة هذه الدراسة اتبعت منهجا تاريخيا ركزت فيه على استقاء المادة من المصادر، والحرص على التوثيق رعيا للأمانة العلمية، وأقحمت النص التاريخي نثرا وشعرا في إثبات مختلف الظواهر التي درستها، معتمدة على الاستقراء والإحصاء والوصف والتحليل والمقارنة والمقابلة وتوثيق النصوص واستنباط الأفكار والمعلومات منها.

وقد هُيكل العمل في: مقدمة وفصل تمهيدي وبابين يندرج تحت كل باب أربعة فصول وخاتمة، وذيلته بعدد من الملاحق وضحت العديد من القضايا التي لا يتسع لها المتن، حيث تناولت في **المقدمـــة** التعريف بالموضوع وطرح اشكاليته، وأسباب اختياري للموضوع، مع توضيح المنهج المتبع وشرح للخطة التي رسمت لذلك، واستعرضت فيها أهم المصادر التي اعتمدتها في هذا البحث.

فخصصت **الفصل التمهيدي** لدراسة **الواقع السياسي للمغرب الأوسط خلال القرنيين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)**، بدأته بسقوط الدولة الموحدية التي ظهر على أنقاضها ثلاثة دول مستقلة: الحفصيون والمرينيون والزيانيون، مركزة على دولة بني زيان، مع رصد علاقتها مع جيرانها، مبرزة دور التنافس على العرش ودور القبائل العربية البربرية كلها أسباب ساهمت في ضعف الدول الزيانية التي أنهكت وأصبحت فريسة سهلة للتدخل

الأجنبي، وتدخل الأتراك للذود عن المسلمين، وانتهى الأمر بخلع السلطان الزياني، وطويت بذلك صفحة الدولة الزيانية .

الباب الأول بعنوان: "**المؤسسات التعليمية بالمغرب الأوسط ودورها في الحركة العلمية والمعرفية خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين (15-13م)**": ناقشت في فصله الأول: **العوامل التي ساعدت على تطور العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة،** قسمته إلى عدة عناصر، بدءا بتمهيد وضحت فيه أن من غرائب مجريات الأحداث أن الحركة العلمية خلال الفترة المدروسة كانت عكس الواقع السياسي الذي تم رصده في الفصل التمهيدي، إذ أن التقهقر الفكري لا يرتبط حتما بالتدهور السياسي، فالاشتغال بالحروب والفتن لم يعدم لا السلاطين ولا العلماء ولا المجتمع ككل على الانكباب على الدراسة والتحصيل والتأليف، وكان من الممكن عرض الواقع العلمي خلال هذه الفترة لإثبات ذلك، ولكن ارتأيت أن اعرض مباشرة العوامل التي ساعدت على النهضة العلمية والفكرية والتي تحوي في طياتها مظاهر ذلك في مختلف ميادينه العلمية والعمرانية، ثم تطرقت إلى عناية السلاطين بالحركة العلمية، وعلاقتهم بالعلم وحبهم له وتزيين بلاطهم بمجالس العلم والمناظرة وما أسفر عن ذلك تبوء بعضهم درجات ومناصب سامية وهذه الميزة أضفت بظلالها على الحياة العلمية في الدولة فزادتها توقدا ونشاطا .

ثم عرجت إلى الحديث على نمو العمران وبروز المراكز العلمية كتلمسان وبجاية، موضحة مكانتهما المرموقة وكيف ارتقتا إلى مصاف حواضر التطور والازدهار، والذي ساهم في ذلك هو وجود وتنوع المؤسسات التعليمية بها، ثم تحدثت عن الرحلة العلمية موضحة معناها لغوية واصطلاحا مبرزة دوافعها، مع ذكر أمثلة لروادها ومدى مساهمتهم في بناء ودفع عجلة الحركة العلمية.

ثم عالجت الهجرة الأندلسية مبرزة أسبابها، وإسهامات علمائها في الحركة العلمية والثقافية، والذي غذاها بدرجة أخرى الوراقة وازدهار عملية النسخ كاشفة ما المقصود بالعملية مع ذكر بعض النساخين أو الخطاطين وما قدموه للحركة العلمية.

وختمت الفصل الأول بالأوقاف (الأحباس) لغويا واصطلاحا وموقعها من الشرع الإسلامي، مع ذكر أركانها وشروطها وأصنافها ثم غرضها وأهميتها داخل المجتمع المغرب

الأوسط خاصة في الجانب العلمي مع ذكر نماذج، فكل هذه العوامل ساهمت في تطوير مختلف مجالات الثقافة والفكر، حيث تلاحمت فيها رغبة الحاكمين مع رغبة المحكومين.

أما الفصل الثاني: تحت عنوان: **الكتاتيب والمساجد بالمغرب الأوسط ودورهما في نمو الحركة العلمية والمعرفية خلال هذه الفترة**، يخص الكتاتيب مؤسسة التعليم الأولى، معرفة بها وبنشأتها خاصة بالمغرب الأوسط، وما يتعلق بها من وسائل وتلامذتها وشيوخها وعلاقاتهم بآباء الصبيان، مع توضيح منهجها الدراسي وما يتعلق به من مواد ومواضيع وطرق التدريس...، ثم انتقلت إلى المؤسسة الثانية وهي المساجد موضحة مفهومها ونشأتها وضرورتها داخل المجتمع مع توضيح نماذج عنها.

في حين خصصت **الفصل الثالث:** لدراسة **المدارس بالمغرب الأوسط ودورهما في نمو الحركة العلمية والمعرفية خلال هذه الفترة**، فتطرقت إلى نشأتها بالمشرق وظهورها بالمغرب الأوسط، مع توضيح مفهومها ووظيفتها وتصميمها وتمويلها ثم ركزت على مدارس المغرب الأوسط مبرزة هيكلها البشري (طلبتها وأساتذتها وعمالها)، وكذلك منهجها الدراسي واهم العلوم المدروسة بها، وطرق تدريسها والإجازات التي يتوج بها طالب العلم، وفي حوصلة لهذا الفصل تناولت محاسن المدرسة ومساوئها.

وأخيرا **الفصل الرابع:** للحديث عن باقي المؤسسات التعليمية التي ساهمت في الحياة الثقافية والعلمية وبالخصوص **البيمارستانات وبلاط السلاطين ومنازل العلماء والزوايا**، ثم الحديث عن عصب كل هذه المؤسسات التعليمية وشريانها وهي **المكتبات** بداية بمفهومها وأقسامها ومصادر وطرق جمع الكتب لتزويدها ونظامها، ثم دورها وإسهامها الريادي في المجال العلمي وشريانه.

أما بخصوص **الباب الثاني:** تحت عنوان "**أصناف العلوم والمعارف المتداولة بالمغرب الأوسط خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)**"، قسمته بدوره إلى أربعة فصول: تناولت في **الفصل الأول: العلوم الدينية:** وهي علوم القرآن (القراءات والتفسير) بالإضافة إلي الحديث والفقه وعلم أصول الفقه وعلم الكلام العقائد وعلم التصوف، ولمعالجتها قمت بالتعريف بها لغة واصطلاحا مع التعريج إلى الحديث عن نشأتها وتطورها

وواقعها بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث، وإحصاء أهم الكتب التي كانت تدرس فيها، ثم ذكر أهم روادها وما أنتجوه في هذا الحقل الديني.

أما الفصل الثاني: عالجت فيه **العلوم اللسانية:** وما تشمله من علوم اللغة والصرف والنحو والبيان وعلم العروض والقوافي وعلم الأدب من شعر ونثر وموشحات محاولة التعريف بكل علم مع رصد أهم الكتب، وأهم العلماء واهم آثارهم العلمية في هذا المجال.

في حيث تطرقت في **الفصل الثالث:** إلى **العلوم الاجتماعية** وعلى رأسها علم التاريخ، عالجت مفهومه ونشأته وتطوره، مع رصد لأهم المؤرخين وتراثهم في مختلف فروع علم التاريخ سواء التاريخ السياسي أو الرحلات أو التراجم والسير والطبقات أو السيرة النبوية...

بالإضافة إلى علم السياسة والتي تعد فرعا من فروع العلوم الاجتماعية، موضحة مفهومها لغة واصطلاحا وواقعها في بلاد المغرب الأوسط واهم علمائها وما خلفوه في هذا العلم، وقد حاولت إدراج الجغرافيا دون جدوى لعدم وجود المادة العلمية المعالجة.

وأخيرا **الفصل الرابع:** التي تضمن الحديث عن **العلوم العقلية** المتداولة بالمغرب الأوسط، وهي علوم العدد (الرياضيات) والمنطق والطب والصيدلة والهيئة (الفلك) والفلسفة وكذلك الموسيقى، وكما جرت العادة في هذا الباب قمت بتعريفها وبنشأتها وتطورها وواقعها خلال فترة البحث داخل المغرب الأوسط، مع ذكر لأهم الكتب المتداولة لدراستها واهم علمائها وتراثهم العلمي في ذلك .

أما **الخاتمــة** فقد ضمنتها النتائج التي توصلت إليها، مع الإشارة إلى الآفاق التي يفتحها هذا الموضوع في دراسات مستقبلية، وقد ذيلت دراستي بجملة من الملاحق لها علاقة بموضوع البحث، واردفتها **بفهارس للأعلام والأماكن...، وقائمة للمصادر والمراجع.**

عرض وتحليل لأهم مصادر ومراجع البحث:

لم يعد تدوين التاريخ مقتصرا على نوع محدد من المصادر فكلما اتسعت وتنوعت موارد البحث كلما ازداد ثراء وامتلك صاحبه آليات الفهم العميق والصحيح للحدث التاريخي، ونظرا لطول فترة البحث وتنوع وتشعب علومه وتماشيا مع ذلك، فإن هذه الدراسة تحتاج إلى أصناف متنوعة من المؤلفات تأخذ ترتيبها انطلاقا من أهميتها في الموضوع مع ترتيبها ترتيبا زمنيا، وعليه تم الوقوف على عدد معين وهام من المصادر الأولية والثانوية ومن الدراسات

العربية والأجنبية، رغم أن البحث مدين لأكثر من ذلك، وكلها ساهمت في إثراء هذا الموضوع وتنويعه على هذا النحو.

كتب التراجم والطبقات والمناقب:

شكلت هذه الكتب الدعامة الأساسية التي قام عليها الجزء الأكبر من موضوع البحث، لاسيما الباب الثاني ذلك أن اهتمام أصحاب هذه المصنفات تتركز أساسا حول السيرة العلمية لعدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين ولشيوخ التصوف...، مع ذلك لم تخل هذه التراجم من بعض الإشارات التاريخية ذات الصلة بالجانبين الاقتصادي والاجتماعي، وقد أفادتني كثيرا بالإلمام بتراجم علماء المغرب الأوسط، ودورهم في الحركة الفكرية وإسهاماتهم في مختلف العلوم خلال فترة البحث ولعل أهمها:

*"**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس احمد بن احمد الغبريني الزواوي (ت704هـ/1306م)**: يعد من أهم المصنفات التي رسمت صورة للمشهد الثقافي ومختلف التيارات الفكرية التي عرفتها بجاية خلال القرن (7هـ/13م)، وتظهر أهميته في كونه أقدم كتاب متخصص في ترجمة علماء المغرب الأوسط لا سيما البجائيين منهم، يورد معلومات مستفيضة عنهم، سواء ممن ينتمي إلى بجاية بالأصل أو الإقامة، كما يشير إلى عدد كبير من الزوايا والروابط المشكلة في مدينة بجاية، مع ذكر لمجالس العلم والبرامج الدراسية والكتب المعتمدة.

*"**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**": تأخذ كتابات ابن مرزوق الخطيب أهميتها انطلاقا من كونه من كبار علماء تلمسان ولد ونشأ بها وأمضى فيها شطرا هاما من حياته العلمية والعلمية، وكان لدور أسرته بتلمسان عاملا بارزا في تعزيز مكانته، ولعل أهم كتبه المسند الذي انتهى من تأليفه سنة (772هـ/1370م) تقربا للمرينيين خصصه لوصف حياة ابرز سلاطينهم وهو أبو الحسن، استفدت من هذا الكتاب في إبراز علاقة الدولة بالعلم والعلماء واهتمامها بإنشاء مؤسسات التعليم المختلفة والمحافظة على أداء وظيفتها التعليمية، فهو يقدم مادة معاصرة كشاهد عيان في عهد أبي الحسن الذي دخل في خدمته في الفترة الممتدة مابين (737-749هـ/1336-1348م)، بالإضافة إلى تضمنه مجموعة من علماء تلمسان الذين ترجم لهم.

*"**التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا" لعبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1405م)**" وهو عبارة عن ترجمة لشيوخه وأصحابه ممن ضمهم مجلس أبي الحسن المريني من بينهم جملة من علماء تلمسان على اختلاف تخصصاتهم، وتظهر أهمية الكتاب كونه شاهد على جملة من أحداث عصره، وإن كان لا يخلو من الانطباع الشخصي ومن إيجاز في بعض التراجم، فقد قدم معطيات متنوعة عن هؤلاء العلماء من حيث إسهامهم في المجال الفكري بالإضافة إلى ضبطه لتواريخ تراجمه.

*"**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي (ت902هـ/1496م):** يعد هذا المصنف موسوعة لتراجم القرن التاسع بداية من سنة (898-801هـ/1398-1493م)، يعد من أهم كتب التراجم المشرقية التي استفدت منها في تغطية الباب الثاني بفصوله الأربعة، بالإضافة إلى الكشف عن العلوم المدروسة بالمغرب الأوسط وتنوعها بين المنقول والمعقول، كما كشف عن مستوى علماء المغرب الإسلامي أمام أقرانهم في المشرق الإسلامي.

*"**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لمحمد بن محمد المديوني التلمساني (ت1014هـ/1605م)** ترجم فيه لمائة اثنان وثمانين عالما من تلمسان وأوليائها، والكتاب يميل إلى الإيمان القوي بكرامات الأولياء، لذا جاء كتابه محتويا على كثير من أخبارهم وكرامتهم، استفدت منه في تراجم العلماء وفي نقله في ثنايا ذلك لكثير من النصوص التي تتعلق بطرق التعليم والإجازة والاجتهاد وغيرها من الإشارات.

*"**نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأبي العباس أحمد بابن أحمد التنبكتي (ت1032هـ/1627م)** يعد هذا الكتاب مكملا لكتاب ابن فرحون الديباج المذهب، على أن خصوصية هذا المؤلف مغربيته وَسِعة معارفه جعلته يترجم لعدد ضخم من علماء المغرب والأندلس، خاصة وأن المعلومات التي قدمها حولهم كانت غزيرة من جملة مادة دسمة لنقول ابن مريم في تراجمه حول علماء تلمسان، كما تميزت تراجمه بدقة الوصف والإسهاب في تفاصيل بعض التراجم، استفدت منه كثيرا في ترجمة العلماء وفي النصوص التي أوردها حول مؤسسات التعليم كالمدارس، والإشارات الدقيقة والدفينة المتعلقة بقضايا الاجتهاد والإجازة وغيرها، كما أفادني في إبراز إسهامات علماء المغرب الأوسط في الحركة العلمية العامة وحركة التأليف خاصة.

كتب التعريف بالعلـــوم:

*"**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم" لمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المشهور بابن الأكفاني (ت749هـ/1348م)** يعتبر هذا الكتاب موسوعة في بيان فضل العلم والتعليم والمعلم، بالإضافة إلى الإنتاج الفكري حتى القرن (8هـ/14م)، وقد صنف في موسوعة العلوم والفنون التي كانت مدرسة خلال تلك الحقبة، وهو ما استفاد منه البحث في بابه الثاني في تعريف العلوم وبيان مراقبتها وأهم الكتب المتداول فيها.

*"**مقدمــة" ابن خلدون (ت808هـ/1407م)** دون فيها عصارة علمه وذخيرة خبرته ووفور ذكائه وسعة فطنته ودقيق ملاحظاته وخلاصة استنتاجاته العلمية في العمران البشري، عالجت بواسطتها ما تعلق بترتيب العلوم وتعريفها والكتب المدروسة فيها والاطلاع على مناهج التعليم..، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون صاحبه واحد من علماء المغرب الأوسط الذي ساهم في ازدهار وتطور الحركة العلمية تدريسا وتأليفا خلال فترة البحث.

*"**مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم" لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (ت968هـ/1560م)** أمدنا بمعلومات قيمة عن التعريف بالعلوم والمصنفات المؤلفة حولها ومؤلفيها، يتكون من جزأين: اختص الأول بالعلوم الشرعية والثاني عالج فيه العلوم الخطية واللسانية والتاريخ والعلوم العقلية.

كتب التاريــــــــــــــخ:

حفلت كتب التاريخ على مساحات معرفية متنوعة بإشارات تاريخية مفيدة مكنت الباحث من الإحاطة بموضوع البحث ولعل أبرزها:

*"**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكرياء يحي بن خلدون (ت780هـ/1378م)** يعتبر من أهم المصادر التي عنيت بتاريخ الدولة الزيانية منذ نشأتها إلى أواخر سنة (776هـ/1374م)، ألفه بأمر من السلطان الزياني أبي حمو الذي كان كاتب السر في بلاطه، وقد استوعب هذا الكتاب التاريخ السياسي والعسكري والثقافي والاجتماعي للدولة الزيانية، حيث ضم في قسمه الأول ترجمة ل109عالما، كما خصص مساحة واسعة للحديث عن أبي حمو وما اكتنفه عصره في مختلف المجالات، حيث استفاد منه البحث في مختلف أبوابه وفصوله.

***"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** من أهم مصنفات **عبد الرحمن بن خلدون (ت808/1407م)** يعد من أمهات المصادر التاريخية التي تناولت الأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية للدول والمجتمعات والقبائل... منذ بدء الخليفة إلى عصر المؤلف، استفدت منه كثير في جزئه السادس فيما يتعلق بالأحداث السياسية للدولة الزيانية وعلاقاتهم بجيرانها، وتأتي أهميته كون صاحبه خبير بمنطقة المغرب الإسلامي ويتوفر على مصداقيته لدى الباحثين للنزاهة والموضوعية التي يتحلى بها.

***"نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" لمحمد بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1493م)** ألفه خصيصا للسلطان الزياني المتوكل (866-873هـ/1461-1468م)، وانتهى من تدوينه سنة (868هـ)، أدرج فيه تاريخ دولة بني زيان من يوم بزوغ نجمها إلى عهد محمد المتوكل، ورغم اعتنائه بالتاريخ العسكري لسلاطين بني زيان إلا أنه يحمل في ثناياه جملة من الإشارات المتعلقة بالتعليم ومؤسساته والحركة العلمية التي كانت تتمتع بها تلمسان آنذاك، كما فيه أدبا كثيرا منظوما ومنثورا.

كتـــــب الموسوعـــــات:

***"صبح الأعشى في صناعة الانشا" لأبي العباس احمد بن علي القلقشندي (ت821هـ/1418م)** عبارة عن موسوعة جمع فيها صاحبه مختلف العلوم والمعارف والفنون السائدة في عصره وهذا ما استفاد منه البحث في معالجة الباب الثاني.

***"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" لأبي العباس احمد بن محمد المقري (ت104هـ/1632م)** عبارة عن موسوعة علمية ضخمة عن الأندلس، إلا أنها تتعرض بإسهاب كبير عن تاريخ المغرب وأوضاعه الفكرية والثقافية، استفدت منه في مختلف مراحله خاصة ما تعلق بتراجم بعض العلماء وإسهاماتهم، أنجزه صاحبه بمصر مابين (1037-1039هـ/1627-1629م).

كتب الجغرافيـــا والرحلات:

تتضمن في طياتها معارف متنوعة سياسية واقتصادية واجتماعية دينية ومذهبية وثقافية وجغرافية، وتظهر أهميتها في كونها قامت على المعانية الشخصية والملاحظة المباشرة ولعلهـــــا أهمهـــــا:

*"**رحلة القلصـــادي**" **لأبي الحسن علي القلصادي (ت981هـ)** المسماة كذلك "**بتهميد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**"، والتي بدأها من الأندلس ودخل بلاد المغرب الأوسط سنة (840هـ)، تأتي أهمية هذه الرحلة في الترجمات المستفيضة التي قدمها عن العلماء الذين تتلمذ عليهم خاصة في مدينة تلمسان، بالإضافة إلى العلوم التي تلقاها عنهم، وأسماء الكتب التي درسها مما يعطي صورة متكاملة عن الوضعية الثقافية بتلمسان خلال الفترة التي زارها، لذا يعد وثيقة تاريخية أساسية ومصدرا من أهم المصادر التي عنيت بالتاريخ للحركة العلمية والفكرية والثقافية في القرن (9هـ/15م).

أما كتب الجغرافيا فقد استفدت منها في تحديد بعض المواقع التي وردت في هذه الدراسة أو وصف بعض المدن مثل: "**كتاب القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**" المقتبس من كتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" **لأبي عبد الله الشريف** (ت559هـ/1166م)، و"**الروض المعطار في خبر الأقطار**" **للحميري محمد عبد المنعم** (ت900هـ/1495م)...

قواميـــــــــس اللغـــة:

تظهر أهميتها في البحث عند التعريفات اللغوية ومنح اشتقاقات للمصطلحات سواء كانت مؤسسات تعليمية أو علوم، ولعل أهمها: "**لسان العرب**" **لابن منظور محمد بن مكرم بن علي** (ت711هـ/1211م)، و"**محيط المحيط**" **للبستاني بطرس**، و"**تاج العروس من جواهر القاموس**" **لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي** (ت1205هـ/1790م)، بالإضافة إلى "**تعريفات**" **الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف** (ت816هـ/1413م)...

المراجـــع الحديثــــة:

مكنت العودة إلى المراجع والدراسات التي لها صلة بموضوع البحث من التعمق في بعض فصوله وتفريعها وإضاءة بعض الزوايا منه، ونذكر منها على وجه الخصوص "**تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسة عمرانية اجتماعية وثقافية**" للدكتور **عبد العزيز**

فيلالي بحيث تناول فترة تاريخية واسعة ومجالات متعددة كشفت عن ملامح تلمسان الزيانية، وهو يدخل في ضمن الدراسات التاريخية حول تلمسان، كما هو الحال لكتاب الدكتور **بلعربي خالد** الذي يعالج فيه تلمسان مركزا على فترة مؤسسها يغمراسن بن زيان في مختلف المجالات تحت عنوان "**الدولة الزيانية في عهد السّلطان يغمراسن دراسة تاريخيّة وحضاريّة (633-681هـ/1235-1282م)**"، وكتاب مفتاح خلفات "**قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين (6-9هـ/12-15م): دراسة في دورها السياسي والحضاري**"، استفاد منه البحث فيما يتعلق بالتعريف بعلماء وعلوم بجاية ومساهمتهم في الحركة العلمية وفي العلوم النقلية والعقلية، وكذلك فهرست بشير ضيف بعنوان " **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث: نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**" التي كان لها دور كبير بالتعريف بإنتاج علماء المغرب الأوسط في مختلف العلوم والكشف عن ما هو مطبوع وما هو مغمور في رفوف المكتبات.

بالإضافة إلى مصادر ومراجع أخرى على اختلاف درجة استغلالها على أمل أن تكون مرجعا لمن يريد البحث والتعمق في موضوع العلوم والمعارف ببلاد المغرب الأوسط، ونعتقد أنها من التنوع والثراء ما ييسر الدراسة أمام الباحثين والمهتمين بهذا النوع من المواضيع، إلّا أن ما تجدر الإشارة إليه حولها أنها كانت مستفيضة حول بعض الجوانب، وشحيحة إلى درجة السكوت أحيانا عن بعض الجوانب التي شملتها الدراسة، وبالتالي فلهذا البحث انعكاس حقيقي لذلك إلى حد كبير.

وفيما يخص الصعوبات والعراقيل فقد واجهتني أمور عديدة أصعبها محاولة الإلمام بجميع العلوم والمعارف في مساحة جغرافية واسعة كبلاد المغرب الأوسط على مدار ثلاثة قرون فكان هذا مجازفة مني، وقد تهت في طياته من خلال كثرة الشخصيات الواردة في متن الدراسة مما صعب إيجاد تعاريف لجميعها، فاكتفيت بذكر البعض منها خوفا من تحول هذه الدراسة إلى تراجم، مع تفرق مادة البحث في بطون كتب المصادر المختلفة مثل كتب التاريخ والطبقات والجغرافيا والرحلات والنوازل والحسبة ... وغيرها مما تطلب مني جهدا في جمع هذه المادة العلمية والمتفرقة في جنبات هذه الكتب، ثم ترتيبها وتحليلها وتركيبها على النسق الذي أعطى صورة واضحة حول موضوع الرسالة، وكذلك صعوبة إحصاء علماء هذه

الفترة وإنتاجهم على مدار ثلاثة قرون، وكذلك الإحاطة بكل الكتب التي كانوا يدرسونها، بالإضافة إلى غزارة بعض العلوم على حساب الأخرى خاصة الدينية منها، التي بحكم تنوع وضخامة إنتاجها لم نستطع جمعه كله فاتجهنا نحو الاختصار لكثرة الدراسات عنها، عكس العلوم العقلية التي حاولنا الإسهاب فيها، لكن قلة المادة بسبب قلة الدراسات عنها حالت دون ذلك خاصة ما تعلق بالفلسفة أو الموسيقى، وعلم الجغرافيا الذي لم نجد له أثرا رغم محاولتنا الجادة في ذلك، كما أن الخوض في هذا النوع من الدراسات يتطلب من صاحبه أن يكون له إلمام بجميع أصناف العلوم والفنون حتى يكون الضبط كاملا وصحيحا لكثير من مصطلحاتها العلمية، كما أن تفاوت المادة العلمية من وفرتها إلى ندرتها إلى انعدامها حول محاور البحث معا، ساهم في الإخلال بالتوازن العام بين فصول ومباحث الدراسة.

لكن عزيمة البحث لا تثنيها هذه الصعوبات والفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الله جل وعلى، والى الأستاذ المشرف الدكتور بلعربي خالد على تنبيهاته ونصائحه فله أسمى آيات الشكر والعرفان.

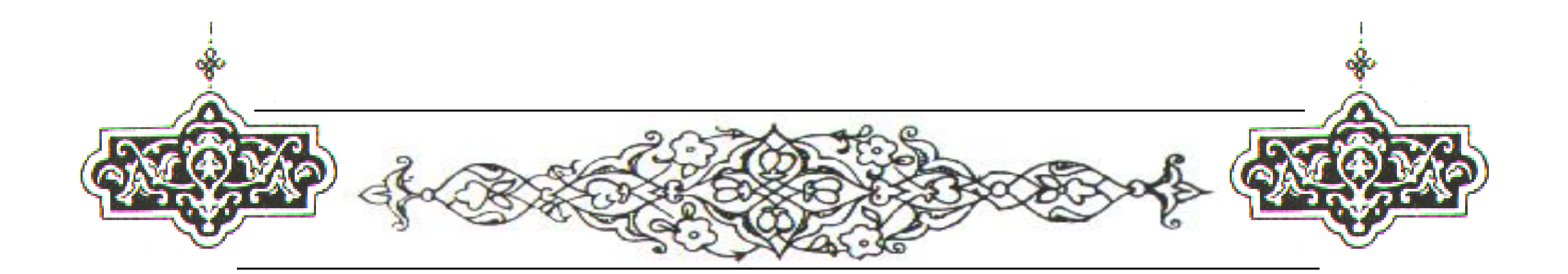
وصفوة القول أن تراثنا العلمي أكبر بكثير من أن نوفيه حقه في هذه الدراسة فهو عمل ضخم موزع في شتات الكتب والمصادر والمكتبات ينتظر من يتصدى للكشف عن دفائنه وخباياه ويخرجه للناس على الوجه الذي يليق بضخامته وأثره في تاريخ الفكر والحضارة، فأعمال التنقيب لا تزال جارية على قدم وساق، وحتى إننا نكتشف كل يوم مخطوطات تضيف إلى معارفنا جديدا فعليه تبقى هذه الدراسة مجرد محاولة في لم شتاته وشمله والتعريف به إسهاما منا في إثراء مكتباتنا وإعطاء صورة لتراثنا العلمي المجيد.

والله ولـــــي التوفيـــــــــق

الجمعة 23 جمادى الثانية 1437هـ/01 أفريل2016م

سفيـــــزف (سيدي بلعبـــاس)





الفصل التمهيدي





الفصل التمهيدي:

الواقع السياسي للمغرب الأوسط مابين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)

1- قيام الدولة الزيانيـــــــــــــــة
2- الصراعات الحفصية الزيانيــة
3- الصراعات المرينية الزيانيــة
4- التنـــــــافس على العـرش
5- دور القبائل العربية والبربرية
6- التدخـــــــــــل الأوروبـي

خضعت بلاد المغرب الإسلامي لحكم الدولة الموحدية[1] التي امتد سلطانها من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود مصر شرقا، ومن البحر المتوسط وبلاد الأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا، ولكن أعمار الدول كأعمار البشر[2] فقد عرفت هذه القوة الكبيرة ابتداء من القرن (7هـ/13م) أفولا لقوتها وتفككا لأوصالها وتنازع ولاتها فتقاسموا أراضيها، وبرزت على انقاضها دول مستقلة وهي: الدولة الحفصية وعاصمتها تونس، التي استقلت بتونس وطرابلس والشرق الجزائري سنة (625هـ/1227م)[3]، والدولة الزيانية التي كان ظهورها بالمغرب

---

[1]– تأسسست سنة (524هـ/1129م) على يد المهدي بن تومرت في شكل دعوة دينية وفكرية روحية، تطورت إلى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي الذي بسط نفوذ دولته على كامل المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، واتخذ من مرّاكش عاصمة له، إلّا أنّ انهزامها في معركة العقاب بالأندلس سنة (609هـ/1269م)، وثورة بني غانية، من الأسباب الّتي عجّلت بسقوطها سنة (688هـ/1269م) في يد المرينيّين. **ينظر حولها:** عبد الواحد المرّاكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق صلاح الدّين الهوّاري، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2006، ص136–؛ إبن أبي الزّرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرّباط، 1973، ص172–؛ أبو بكر علي الصّنهاجي البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق:محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص7–؛ أبي عبد الله محمد الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص 3–؛ شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،ج4، عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، (دت)، ص152–؛ ابن عذارى المراكشي، **المغرب في أخبار الاندلس والمغرب: قسم الموحدين**، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الاسلامي والدار البيضاء، لبنان والمغرب، ط1، 1985، ص15؛ مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979، ص103–؛ Rachid bourouiba, **IbnTumart**, SNED, Alger, 1982, P9.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف ، بيروت، ط1، 2007، ص190.

[3]– **الحفصيون:** نسبة إلى الشّيخ أبي حفص عمر الهنتاتي، من قبيلة هنتانة إحدى بطون المصامدة، ويعد أبي زكرياء يحيى الأوّل مؤسّس الدّولة الحفصيّة سنة (625هـ/1227م)، والّتي استمرّت إلى غاية دخول الأتراك سنة (943هـ/1536م). **ينظر:** محمد الأندلسي الوزير السراج، **الحلل السّندسيّة في الأخبار التّونسيّة**، ج2، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985، ص140–؛ ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص134؛ وأبو عبد الله ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية الكتاب، تونس، 1984، ص 48–؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين**...المصدر السابق، ص23– ؛ محمود مقديش، **نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار**، ج1، تحقيق: علي زواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص541–؛ روبار برنشفيك، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15**، ترجمة: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص29–؛ محمد العروسي المطوي، **السّلطنة الحفصيّة تاريخها السّياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1926، ص85–.

الأوسـط[1] سنة (633هـ/1235م) حدثا سياسيا بارزا أدى إلى تغيير جذري في الأوضاع السياسية بالمنطقة[2]، والدولة المرينية التي بسطت نفودها على المغرب الأقصى سنة (668هـ/1269م) بعدما قضت على ما تبقى من دولة الموحدين نهائيا واتخذت من فاس عاصمـــة لها[3].

1- قيام الدولــــة الزيانيـــــة:

ينتسب الزيانيون إلى قبيـلة بني عبد الواد[4] إحدى بطون زنـــاتة، من أمراء القبائل الرحل الذين كانوا يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثا عن الكلأ والماء المراعي، ثم

1- **المغرب الأوسط:** اسم يطلق على الإقليم الواقع بين إفريقيّة والمغرب الأقصى، من بلاد الزّاب شرقا إلى نهر ملويّة غربا. **ينظر:** يحيى بن خلدون، **بغية الرّوّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، 1980، ص84-؛ مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الامصار**، تحقيق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (دت)، ص176-.

2- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد السّلطان يغمراسن دراسة تاريخيّة وحضاريّة (633-681هـ/1235-1282م)**، مطبعة الرّيان، تلمسان، ط1، 2005، ص43.

3- **المرينيون:** ينتمون إلى بني واسين إحدى بطون زنانة البربرية، أسقطوا مرّاكش عاصمة الموحّدين وأسّسوا دولتهم على أنقاضها في عهد يوسف يعقوب (656-685هـ/1258-1286م). **ينظر حولها:** محمد ابن مرزوق، **المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981، ص107-؛ ابن أبي الزّرع، المصدر السّابق، ص278-؛ إسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة المكتبة، الرباط، ط3، 2003، ص19-؛ الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج3، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء (الرباط)، ص3-؛ ابن ابي الزرع، **روض القرطاس**...المصدر السابق، ص278؛ ابن ابي الزرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دون مكان نشر، الرباط، 1972، ص13؛ محمد بن أحمد ابن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية: دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، المغرب، 1985، ص ص 16-25؛ الحسن السّائح، **الحضارة الإسلاميّة في المغرب**، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ط2، 1986، ص254-؛ ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1978، ص10-.

4- **بنو عبد الواد:** فرع من فروع الطّبقة الثّانية من زناتة من بني واسين، وأصل تسميتهم عائد إلى جدّهم عابد الوادي، وهم من ولد سجيح بن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكريّاء بن ورسيج بن مادغيس الأبتر، وهم عدّة بطون: بنو ياتكتن، بنو وللو، بنو تمومرت،...بنو القاسم الّذي ينتسب إليهم بنو زيّان حكّام الدّولة الزّيانيّة، في حين يرى آخرون أن نسبهم شريف – العلويّين– ولم يعط يغمراسن لذلك اهمية حيث قال: «إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأمّا الدّنيا فنلناها بسيوفنا»، أما ابو حمّو موسى الثّاني (760هـ/1359م) أظهر هذا النّسب ونادى به. **ينظر:** عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السّابق، ج7، ص ص186-191؛ التنسي، **تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيّان**، تحقيق: محمد بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص109-110.

استقروا في السواحل زمن المرابطين، ولما سيطر الموحدون على بلاد المغرب الأوسط كان بنوا عبد الواد من اشد المعارضين لهم ونشبت بينهم معارك كثيرة، لكنها زالت بانضمامهم اليهم فساندوهم واظهروا لهم الطاعة، فمنحوا نتيجة ذلك اقطاعات وفيرة بأحواز تلمسان[1] التي اتخذوها مستقرا لهم، فكانوا من اخلص قبائل زناتة[2] ولاء للدولة الموحدية يمثلون حماتها وأنصارها زمن قوتها[3]، وبضعفها استغل بنو عبد الواد الفرصة وازدادوا قوّة واتسع نفوذهم وزادت سلطتهم واستقلوا عنها سنة (633هـ/1235م)[4]، وأسسوا دولتهم المسماة بالدولة

---

[1] – **تلمسان أو تنمسان:** تقع في الشّمال الغربي من المغرب الأوسط، كلمة امازيغية مركّبة من لفظتين "تلم" ومعناها تجمع و"سن" ومعناها اثنان، أي تجمع بين الصّحراء والتّل أو ما بين البرّ و البحر، لعبت ما بين القرنين (7–9هـ/13–15م) دورا بالغ الأهمّيّة، فكانت العاصمة السّياسيّة والإقتصاديّة والثّقافية لدولة بني زيّان. **ينظر:** ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلميّة، بيروت، (دت)، ص52؛ حسن الوزّان، **وصف إفريقيا**، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ص17–21؛ أبو العبّاس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، المؤسّسة المصريّة العامّة، (دت)، ص ص149–150؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص85؛ عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي)**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص ص135–136؛ مارمول كربخال، **افريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989، ص291؛ مؤلف مجهول، **الاستبصار**...المصدر السابق، ص176–؛ ابي عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، 1977، ص76؛ ابي عبد الله بن ابي بكر الزهري، **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (دت)، ص ص113–114؛ ولأكثر تفاصيل حول تاريخها. **ينظر:** خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية (633–55هـ/675–1235م)**، دار الالمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2011، ص24–.

[2] – **زناتة:** قبيلة مغربية تتكوّن من عدة بطون متشعّبة، ينتشر أغلبها بالمغرب الأوسط، ومن فروعها: ، بني مرين، وبني توجين، جراوة ومغراوة...**ينظر:** عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، ج7، دار الكتاب اللّبناني، (دت)، ص ص3–4؛ الاصطخري، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العالي ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961، ص36؛ الإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق وترجمة: محمد الحاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر، 1983، ص ص111–112؛ ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق:محمد عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، (دت)، ص495. **ينظر كذلك:** محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص18 وما بعدها.

[3] – علي محمد محمد الصلابي، **صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الافريقي: ج5 دولة الموحدين**، دار البيارق، عمان، 1998، 347.

[4] – عثمان الكعاك، **موجز التّاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله و آخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص213.

الزيانيـة[1] بقيادة "يغمـراسن بن زيّان" (633-681هـ/1235-1282م)[2]، الذي اتخذ من تلمســان عاصمة له وصيّرها دارا لملكه[3].

إن ما ميز الحالة العامة للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة خلال فترة البحث غياب الامن والاستقرار السياسيين - في غالب الأحيان- نتيجة طمع كل دولة بالتوسع والزعامة على حساب الدول الأخرى، «من اجل ضمّ التّركة الموحدية بأيّ طريقة من الطّرق، سواء بإدّعاء أنّها تمثّل الشّرعيّة الموحدية ومحاولة استمرارها، وهذا ما رفعت رايته الدولة الحفصيّة، أو رغبة في التّسلّط والزّعامة على الملك وعرش زناتة، كما هو الحال للدولتين المرينية والزيانية»[4]، التي كانت أكثر الدول تضررا ومسرحا للعديد من الصّراعات

---

[1]- يطلق عليها أسماء مختلفة وهي: الدّولة العبد الواديّة نسبة إلى قبيلة بني عبد الواد، ودولة يغمراسن بإعتباره أوّل مؤسّس لها، والدّولة الزّيانيّة نسبة إلى زيّان والد يغمراسن، وأوّل من سمّاها بهذا الإسم أبو حمّو موسى الثّاني(760-791هـ/1359-1382م) عند إحيائه للدّولة من جديد. **ينظر:** عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزّياني**، ج1، موفم للنّشر، الجزائر، 2002، ص30 (هامش رقم11)؛ اسماعيل بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا حتى أواخر القرن التاسع عشر**، ج1، تحقيق: يحى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص159.

[2]- هو **يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد**، ولد سنة 603هـ/1206، أوّل ملوك الدّولة الزّيانيّة، وإمتدّ حكمه من (633-681هـ/1235-1282م). **ينظر:** يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص200؛ عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السابق، ج7، ص162-؛ ابن الاحمر، **تاريخ الدولة الزيانية** ...المصدر السابق، ص59-؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر**، مؤسّسة نويهض للثّقافة، بيروت، ط2، 1980، ص ص354-355؛ ولأكثر تفاصيل حوله. **ينظر:** خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص49 -.

[3]- لاكثر تفاصيل عن الدولة الزيانية. **ينظر:** عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السّابق، ج7، ص162؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص ص115-116؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص204؛ ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2001، ص9-؛ ابن الأحمر، **روضة النسرين**...المصدر السابق، ص54-؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ص13-؛ لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007، ص95-؛ بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة النجاح، فلسطين، 2002، ص59؛ خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ص47-؛ Sid Ahmed Bouali, **les deux grands sièges de Tlemcen**, ENAL , Alger, 1984, P26 ; Barges (l,j ,l)**,complément de l'histoire des BENI-ZEIYAN rois de Tlemcen**, Ernest Leroux libraire éditeur, paris, 1887,p1.

[4]- عبيد بوداود، **ظاهرة التّصوّف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السّابع والتّاسع الهجريّين (13-15م)، دراسة في التّاريخ السّوسيو-ثقافي**، دار الغرب، الجزائر، 2003، ص156. **ينظر كذلك:** Sid Ahmed Bouali, « les démêles Merinides Abdelwadides à la veille du grand sièges de Tlemcen », **Bullet in de la société de la géographie et d'Archéologie d'oran**, l'imprimerie IBN Khaldoun, Tlemcen, 1980, P15.

السّياسية والعسكرية بسبب موقعها الجغرافي الذي جر عليها الويلات والدمار لوقوعها حلقة وصل بين المغربين الأدنى والأقصى، فأضحت وكأنّها بين شقّي رحى محصورة بين دولتين (الحفصية والمرينية) منافستين لها متناحرتين فيما بينها وجهت لها حملات عسكرية ميزتها الكثرة والاستمرارية، فانعكس ذلك على حدودها وسعة مساحتها التي كانت ما بين المد والجزر تبعا لقوة ملوكها أو ضعفهم وحسب قوة جيرانها شرقا وغربا[1]، فامتدت في غالبها من بجـاية[2] وبلاد الزّاب شرقا إلى وادي ملوية غربا، ومن ساحل بحر الرّوم - البحر المتوسّط- شمالا إلى إقليم توّات[3] جنوبا[4]، وعليه يتلخص الواقع السياسي للمغرب الأوسط الذي ساهمت في تشكيله أحداث وعوامل متنوعة وبدرجات متفاوتة الأهمية شكّلت كلّ منها العقبة في سبيل تحقيق وحدته السّياسيّـــة[5] فيما يلي:

2- الصّراعات الحفصية- الزّيانية:

إن الذي أجج نار الصراع مابين الجارتيين الحفصية والزيانية هو اعتبار الحفصيين أنفسهم ورثة الموحدين لذا كانوا أشد الطامعين في سيادة المغرب الاسلامي ولم شمله تحت رايتهم باسم الشرعية الموحديـة[6]، بدءا بمؤسّس الدولـة "أبــي زكريــاء الأوّل" الذي حكم

1- مصطفى أبو ضيف، **أثر القبائل العربيّة في الحياة المغربيّة خلال عصري الموحّدين وبني مرين (524-876هـ /1130-1472م)**، دار النّشر المغربيّة، الدّار البيضاء، ط1، 1982، ص145؛ شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشّماليّة، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1980**، ج2، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، ط2، 1983، ص202.

2- **بجاية:** مدينة ساحلية قديمة بناها الناصر بن علناس الحمادي سنة 460هـ واتخذها عاصمة لدولته، وصارت خلال القرن (8هـ/14م) تابعة للدولة الحفصية، تميزت بشهرتها العلمية والأدبية والثقافية والتجارية.... **ينظر:**حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص50؛ الإدريسي، المصدر السّابق، ص116؛ الحميري، المصدر السابق، ص ص 80-82؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص339؛ ابو الفداء، **تقويم البلدان**، تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، ص137 ؛ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص376.

3- **إقليم توّات:** هو المنطقة الواقعة جنوب المغرب الأوسط على تخوم بلاد السّودان الغربي، واشتهر بقضيّة اليهود الّتي أثارها محمد المغيلي. **ينظر:** حاج أحمد آل المغيلي، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2011، ص41-.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص45.

5- عبيد بوداود، **التّصوّف**...المرجع السّابق، ص156.

6- ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**...المصدر السابق، ص17.

مابين (625هـ-647هـ/1228-1244م)[1]، فكان المغرب الأوسط في صدارة اهتماماته بحكم الجوار فوجه انظاره نحوه للتوسع وإزاحة بني زيان منه[2]، في حين كان "يغمراسن" يدرك حقيقة نواياه لذا وجه انظاره شرقا لتوسيع نفوذ دولته وفق سياسة رسمها وأوصى بها ولي عهده عثمان بتطبيقها من بعده حيث قال له:«حاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عملات الموحدين والحفصيين وممالكهم، يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصيّر بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك»[3]، ما جعل المجابهة بين الطّرفين قويّة، سمتها التّوتّر والصّراع الدائم الّذي بدأ مع مؤسّسَي الدّولتين واستمر بتوارثه جيلا بعد جيل[4]، فكانت أول حملة عسكرية بين الجانبين أواخر سنة 639هـ وبداية 640هـ/1242م عندما اقدم "أبي زكريّاء الأول" على محاصرة تلمسان والسّيطرة عليها، وانتهت الحملة بإبرام الصّلح مع يغمراسن، بشرط تمثيله للسّلطنة الحفصيّة بتلمسان، والحكم باسمهم وتحت وصايتهم[5]، لكنّ هذا الصّلح لم يدم طويلا بين الجانبين فقد قطع أوصاله السّلطان الزّياني "عثمان بن يغمراسن"[6] (681هـ-703هـ/1282-1304م) في أواخر القرن (7هـ/13م)، بتوسّعه شرقا- تنفيذا لوصيّة والده - فتدهورت العلاقات بينهما من جديد، ومن الحملات العسكريّة الحفصيّة الموجّهة نحو تلمسان كانت سنة (827-832-866-870هـ)، ومن نتائجها عدم قدرة السّلطنة الحفصيّة على فرض سيطرتها المطلقة على

1- هو **أبو زكريّاء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص عمر الهنتاني**، مؤسس الدولة الحفصية حيث بويع سنة 625هـ/1228م وإستمرّ حكمه إلى غاية 647هـ/1244م. **ينظر:** محمد الأندلسي الوزير السّراج، المصدر السّابق، ج2، ص ص143-146؛ ابن الشماع، المصدر السابق، ص ص54-60؛ الزركشي، المصدر السابق، ص23- ؛ ابن قنفذ، **الفارسية**...المصدر السابق، ص107.

2- عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (دت)، ص787.

3- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السابق، ج7، ص190.

4- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص109

5- يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص205؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص 117-؛ الزركشي، المصدر السّابق، ص29-؛ محمود مقديش، المصدر السابق، ج1، ص549-؛ ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية**...المصدر السابق، ص109-.

6- هو **أبو سعيد عثمان بن يغمراسن ثاني ملوك بني زيّان**، حكم 21 سنة من 681هـ إلى غاية وفاته في حصار تلمسان سنة 703هـ. **ينظر:** عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**... المصدر السّابق، ج7، ص188-؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص208-؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص-129؛ عادل نويهض، المرجع السّابق، ص 226.

تلمسان[1]، ولنترك صراعات الحفصيّين والزّيانيّين حول تلمسان –لأنّ هذه الأخيرة سوف تعرف صراعا مريرا وعنيفا مع بني مرين– ولنتّجه إلى المدن الشّرقيّة للمغرب الأوسط الّتي كانت إقليم نزاع وصراع بين الطّرفين، فأوّل سيطرة على هذا الإقليم كانت سنة (628هـ/1230م) من قبل السّلطان الحفصي "أبي زكريّاء"، الذي ضم قسنطينة[2] وعنّابة[3] وبسكرة وتُقّرت[4]، بالإضافة الى بجاية التي دخلها دون أدنى مقاومة، وعيّن ابنه "أبو يحيى" أميرا عليها منذ سنة (633هـ/1235م)[5]، فلعبت دورا مهما في تدعيم ومساندة حاضرة الحفصيّين في توسّعاتهم نحو الجهات الغربيّة أو لتأديب المنشقّين عن الطّاعة[6] وأصبحت عاصمة لهذا الإقليم[7]، ومثلت الفترة مابين (675-628هـ) أحسن فترات الأمن والاستقرار للدّولة الحفصيّة[8]، لكن سرعان ما استقلت بنفسها وحكمت المناطق الشّرقيّة للمغرب الأوسط، وذلك بزعامة أبي زكرياء بن أبي إسحاق بن إبراهيم[9] (683-1295-1284/694) سنة (686هـ/1287م) الذي استغل الاوضاع والاضطرابات التي

1– عبيد بوداود، **التّصوّف**...المرجع السّابق، ص158.

2– **قسنطينة:** مدينة قديمة محصّنة ومنيعة ومتحضّرة. **ينظر:** حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص55-60؛ الإدريسي، المصدر السّابق، ص121-؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص349؛ ابو الفداء، المصدر السابق، ص 139؛ مؤلف مجهول، **الاستبصار** ...المصدر السابق، ص165؛ البكري، المصدر السابق، ص63.

3– **عنّابة (بونة):** مدينة ساحليّة على بحر الرّوم، مشهورة ببلد العناب لكثرته بها. **ينظر:** حسن الوزّان المصدر السّابق، ج2، ص61؛ ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1، ص512؛ مؤلف مجهول، **الاستبصار**...المصدر السابق، ص127؛ ابو الفداء، المصدر السابق، 141؛ ابن حوقل، **كتاب صورة الارض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص77-.

4– **بسكرة** من مدن إقليم الزّاب المنطقة السّهليّة الّتي تقع بين جبال أولاد نايل غربا وجبال الأوراس شرقا. **ينظر:** الإدريسي، المصدر السّابق، ص120؛ حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص138، وعن **تُقّرت** المدينة النّوميديّة القديمة والّتي خضعت لملوك تلمسان ثمّ لتونس بشرط دفع الخراج. **ينظر:** حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص ص135-136.

5– الزركشي، **تاريخ الدولتين**...المصدر السابق، ص28؛ ابن قنفذ، **الفارسية**...المصدر السابق، ص109.

6– عبد القادر فكاير، "**الأوضاع السّياسيّة للجزائر خلال القرن (9هـ/15م)**"، **حوليّة المؤرّخ**، الجزائر، العدد2، 2002، ص164؛ Mahfoud Kaddache**, l'Algérie des Algériens de la préhistoire à 1954**, Edition Méditerranée, Paris,2003, P285, P290

7– عبد القادر فكاير، المقال السّابق، ص164.

8– الصّالح إبن أحمد، **بجاية في العهد الحفصي (748-628هـ/1230-1347م)**، دبلوم الدّراسات المعمّقة في التّاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1978، ص11.

9– أمّا القسم الثّاني وعاصمته تونس حكمه أبي حفص عمر أبي زكرياء، وبذلك انقسمت الدّولة الحفصيّة إلى قسمين: شرقي وغربي. ولأكثر تفاصيل ومعرفة الظّروف الّتي أدّت إلى ذلك. **ينظر:** محمد العروسي المطوي، المرجع السّابق، ص227 -؛ الصالح ابن أحمد، المرجع السّابق، ص11-؛M- Kaddache, Op-cit ; P291.

حدثت داخل الاسرة الحفصية الحاكمة بتونس[1]، ونظرا لإستراتيجية هذا الاقليم فقد وجهت اليه الانظار الزيانية والمرينية من اجل السيطرة عليه وإخضاع مدنه، وتعتبر حملة "أبي حمّو موسى الأوّل"[2] الزّياني (707-718هـ/1307-1318م) وابنه "أبي تاشفين الأول"[3] (718-737هـ/1318-1377م) من اهم الحملات العسكرية الزيانية التي بلغت مشارف بجاية وقسنطينة وعنّابة، وزحفت الى تونس عاصمة بني حفص في عهد "أبي تاشفين"، ولكنه تراجع إلى حدود بجاية للتدخّل المريني[4]، الّذي سيطر على كافة ارجاء المغرب الأوسط بعدما اخضع تلمسان لسلطته، «وبالمقابل كانت هذه الحروب المتكررة تشيع حالة اللااستقرار واللاأمن، وتستهلك طاقات وموارد باستمرار مما شكل نزيفا حقيقيا لإمكانات البلدين»[5].

1- محمد العروسي المطوي، المرجع السّابق، ص268؛ عبد القادر فكاير، المقال السّابق، ص164.

2- حكم من 707هـ حتّى 718هـ، كان حازما في سياسته الدّاخليّة والخارجيّة واستطاع إخضاع عدّة أقاليم بالمغرب الأوسط. **ينظر:** يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، 132.

3- تولّى الحكم سنة 718هـ، وقتله أبي الحسن المريني سنة 737هـ، وكان محبّا للعلم وأهله وبناء الدّور وتشييد القصور، **ينظر:** عبد الرّحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السّابق، ج7، ص215 وما بعدها؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص ص215-219؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص ص139-146.

4- التنسي، المصدر نفسه، ص ص136-144؛ عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السابق،ج7، ص220؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص ص213-216.

5- عبيد بوداود، "**تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية**"، **مجلة عصور**، جامعة وهران، العدد6-7، جوان-ديسمبر 2005، ص197.

3- الصّراعات المرينية- الزّيانية:

إن الصراع الزياني المريني قديم منذ أن كانوا في القفر والحرب بينهم قائمة على ساق حول المراعي ومنابع المياه[1]، ولكنه اشتدّ وأنكى بعد تأسيسهما لدولتيهما، ودار على اختلاف بواعثه المعلّقة حول رياسة زناتة، وممّا أجّجه تجاورهما وعدم تمكن احدهما من فرض سيطرته المطلقة على الاخر[2]، لذا مرّت علاقاتهما بمراحل تعاقب فيها الهدوء والتّوتّر والسّلم والحرب والمعاهدات ونقضها والمؤامرات والخيانات والحصارات...، فكان تاريخهما السياسي منذ نشأتهما إلى غاية سقوطهما حافل بالأحداث التاريخية، التي كانت في أغلبها متأزّمة وعدائيّة ولّدت فتنا وحروبا بين الطرفين[3]، خاصة خلال القرن (8هـ/14م) الّذي يعدّ قرن معارك مستمرّة بين الطّرفين[4].

فقد شهد عهد يغمراسن بن زيان العديد من الحملات العسكرية المرينية المتكررة ذاق من خلالها الهزائم النكراء بقيادة السلطان المريني "يعقوب بن عبد الحق" سنة (666هـ و670هـ)[5]، لذا أوصى ولي عهده عثمان بمسالمة المرينيين وعدم التعرض في قوله: «يا بني إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الاعمال الغربية وعلى حاضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا لوفودهم مددهم، ولا يمكننا القعود عن لقائهم...فإياك واعتماد لقائهم وعليك بلياذ بالجدران متى دلفوا اليك[6]»، إلا أن عهده شكل قمة الخلافات الزيانية المرينية حيث وجه اليه السلطان المريني "يوسف بن يعقوب"[7] (685-

---

1- محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزّائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، ج1 وج2، تحقيق: حقّي ممدوح، دار اليقظة العربيّة، ط1، 1964، ص85؛ Sid Ahmed Bouali, **les démêles**…Op.cit, P178.

2- عبيد بوداود، **تلمسان**...المقال السابق، ص197.

3- جلول المكّي، **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من (1263-635هـ/1234-1847م)**، رسالة ماجستير معهد التّاريخ، جامعة الجزائر، 1993، ص58.

4- محمد مبارك الميلي وعبد الله شريط، **مختصر تاريخ الجزائر السّياسي والثّقافي والاجتماعي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985، ص126.

5- ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**...المصدر السابق، ص ص 18-23؛ ابن ابي الزرع، **الذخيرة**...المصدر السابق، ص116؛ ص ص131-132.

6- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**... المصدر السابق، ج7، ص ص 189-190.

7- هو **يوسف بن يعقوب النّاصر لدين الله**، بويع بالحكم سنة 656هـ، واستمر إلى أن قتله خادمه في قصره بالمنصورة وهو محاصر لتلمسان، سنة706هـ. **ينظر**: إبن أبي زرع، **روض القرطاس**...المصدر السّابق، ص ص374-388؛ أبو=

706هـ/1286-1306م)، العديد من الحملات العسكرية في فترات زمنية لا تتعدى تسعة سنوات مابين (689هـ-698هـ /1290-1299م)، انتهت بالحصار الطويل لتلمسان أي حصار الثماني سنوات[1]، فأنشأ بها معسكرا كبيرا لقواته جهّزه بكل ما يحتاجه، ثمّ شرع في بناء مدينة سمّاها **المنصورة**[2] تيمنا بالنّصر[3]، شيّد بها قصرا وجامعا للصّلاة ومؤسّسات دينية وتعليميّة ثمّ تبعه النّاس في بناء الدّور والمساكن[4]، فاتسعت خطتها واستبحر عمرانها وراجت تجارتها[5]، فتحولت في وقت وجيز إلى قوّة اقتصادية وماليّة، واستحوذت على مكانة تلمسان وأصبحت العاصمة السياسيّة والإداريّة والعسكريّة للمغربين الأوسط والأقصى ومنطلقا للجيوش ومكانا لاستقبال الوفود الدبلوماسيّة[6].

لقد استمر حصار تلمسان حوالي ثمانية سنوات وثلاثة أشهر، من (2 شعبان 698هـ – ذي القعدة 706هـ إلى 5ماي1299-10ماي1307)[7]، انتهى بفقدان الدولة الزيانية معظم

=العبّاس أحمد الناصر السلاوي، **الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**، ج3 (الدّولة المرينيّة)، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدّار البيضاء، المغرب، 1954، ص35.

[1]- عبد العزيز فلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص27؛ . Sid Ahmed Bouali, les démêles…Op.cit, P14

[2]- تسمّى **المنصورة** أو **محلّة المنصورة** أو تلمسان الجديدة، تبعد حوالي 5 كلم غربي تلمسان، بنيت في فصل الشّتاء سنة 699هـ/1299م، ثمّ أحيطت بصور سنة 702هـ/1302م.لأكثر تفاصيل حولها. **ينظر:** عبد العزيز محمود لعرج، **مدينة المنصورة بتلمسان دراسة تاريخية وأثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها**، مكتبة زهراء المشرق، القاهرة، ط1، 2006، ص51-؛ شارل أندري جوليان، المرجع السّابق، ص204؛ بالحاج معروف، "**مدينة المنصورة الأثرية: ظروف نشأتها وعمرانها**"، **مجلة عصور الجديدة**، العدد2 عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية2011م/1432هـ، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، 2011، ص313-؛ Attalah Dhina**, le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er,** OPU/ENAL, Alger, P37.

[3]- يحيى بوعزيز "**المراحل والأدوار التّاريخيّة لدولة بني عبد الواد الزّيانيّة 1236-1554**"، **مجلّة الأصالة**، الجزائر، السنة 4، العدد26، 1975، ص10؛ **ينظر كذلك:** يحيى بوعزيز، **مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، دار الغرب، وهران، ط2، 2003، ص35.

[4]- Georges Marçais **, les villes d'art célèbres Tlemcen**, Edition du tell, Algérie, 2003, P52.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السّابق، ج7، ص ص198-199.

[6]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص27؛ عبد الرّحمن بالأعرج، **العلاقات الثّقافيّة بين دولة بني زيّان والمماليك**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التّاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007، ص29.

[7]- **لأكثر تفاصيل** عن الحصار وحيثيّات الصّراع بين الطّرفين. **ينظر:** عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السّابق، ج7، ص194-؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص209-؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص136؛=

مدنها[1] عدا تلمسان، بعد ان نالها التخريب الذي ترك آثارا عميقة لا تزول بانجلاء الحصار طبعا، وأثر مباشرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية سلبا لسكان المنطقة[2]، حيث عاش سكّانها كرب عظيم ومجاعة وأمراض وأوبئة وخسائر بشريّة فادحة، قدّرت بحوالي 120 ألف[3]، وقد وصف عبد الرحمن بن خلدون تفاصيل حال اهل تلمسان حيث قال:«نالهم فيها من الجهد والشدّة ما لم ينل أمّة من الأمم، واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران، حتّى لزعموا أنّهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الأناسي، وخرّبوا السّقف للوقود، وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق، بما تجاوز حدود العوائد، وعجز وجدهم عنه... واستهلك النّاس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم»[4].

وبموت السلطان المريني رُفع الحصار عن تلمسان تولّى حكم تلمسان "أبـــو حمّـو موسى الأوّل" سنة (707هـ/1307م)، الذي عمل على إحياء الدولة الزيانية وانبعاثها من جديد، وتعهّد الزيانيون باحترام المنصـــورة[5]، لكن سرعان ما نقضوا ذلك ودمّروها سنة (707هـ) انتقاما لأنفسهم من بنـــي مرين، وطمسا لمعالم الذلّ والهوان والخسف القائمة بأرضهم وبلادهم[6]، إلا أن بنو مرين أعادوا بناءها وترميمها وحسّنوا معالمها، وشيّدوا فيها أجمل المباني الدينيـــة والتعليمية والمدنيـــة[7]، أثناء حصار السلطان ابي الحسن المرينـي[8] لتلمسان الذي دام سنتين (735- 737هـ) انتهى بقتل سلطانها ابي تاشفين واختفاء معالم

=رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التّاريخ**، ج3، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص369-379؛ جلول المكي، المرجع السّابق، ص ص64-68؛ Sid Ahmed Bouali, Op.cit, P373

[1]- ابن الاحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**...المصدر السّابق، ص27.

[2]- عبيد بوداود، **تلمسان**...المقال السابق، ص197.

[3]- يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص211.

[4]- **العبر**...المصدر السّابق، ج7، ص ص197-198.

[5]- رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التّاريخ**...المرجع السّابق، ج3، ص375؛ (A)-Dhina, Op-cit , P38

[6]- (A)-Dhina, Ibid,P38. ، ويستغيض لذلك إبن مرزوق في قوله: «فالله حسيب من تسبب في خراب ذلك كلّه، وهو مجازيه، فلقد محا رسوما يفخر بها أهل الإسلام، ويعتزّ بها الدّين ما بقية الأيّام». **ينظر**: **المسند**...المصدر السّابق، ص403.

[7]- رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التّاريخ**... المرجع السّابق، ج3، ص389.

[8]- هو **أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني**: حكم من سنة (732-749هـ/1332-1351م). وهو صاحب العديد من الإنجازات من مدارس ومساجد وزوايا بالمغرب الأوسط. **ينظر**: إبن مرزوق، المصدر السّابق، ص125-؛ الناصري، المصدر السابق، ج3، ص191؛ رشيد بورويبة، **الجزائر في التّاريخ**...المرجع السّابق، ج3، ص389؛ Sid Ahmed Bouali, Op-cit, P140

الدولة الزيانية الذي دام احدى عشر سنة[1]، إلى أن تمكن الأخوين الزيانيين "أبي سعيد عثمان" و"أبي ثابت"[2] من إحياء دولتهم وبعثها من جديد سنة (749هـ/1348م)، فاستعادوا نفوذهم على ربوع المغرب الأوسط وخاصّة المناطق الشرقية، فأعادوا للدولة الزيانية هيبتها ومجدها وقوتها[3]، وتحولوا من طور الولاء والتبعية لبني مرين الى طور الاستقلال السياسي وإعادة السيادة لدولتهم إلا ان ذلك دام فقط 4 سنوات (749-753هـ/1348-1352م)، فقد سيّر لهما السّلطان "أبو عنان فارس المريني" (752-759هـ) حملة عسكريّة سنة 753هـ أدّت إلى اندثار وأفول الدولة الزيانية من جديد وخضوع كامل بلاد المغرب الأوسط لسلطته[4]، بما فيها بجاية سنة 754هـ/1354م، وقسنطينة وعنّابة وصولا الى تونس عاصمة الحفصيين[5]، ولم يبق من أسرة بي زيّان إلّا "أبي حمّو موسى الثّاني"[6] الّذي وجد نفسه

1- **لأكثر تفاصيل** حول الحملة. **ينظر:** يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص ص215-219؛ التسني، المصدر السّابق، ص ص139-146؛ عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**... المصدر السّابق، ج7، ص225؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص ص45-47؛ جلول المكي، المرجع السّابق،ص ص68-70؛ الجيلالي شنافة، **العلاقات الخارجيّة للمرينيين منذ قيام الدّولة حتّى نهاية عهد السّلطان أبي الحسن**، رسالة لنيل شهادة الدّراسات المعمّقة في التّاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، (دت)، ص91 وما بعدها.

2- تقلّد أبو سعيد كرسي العرش والخطبة والسكّة، كما تكفّل أبو ثابت بألوية الجيش والحرب. **ينظر:** التسني، المصدر السّابق، ص152؛ **وينظر:** حولهما وأعمالهما، المصدر نفسه، ص ص150-156؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص ص234-237؛ عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**... المصدر السّابق، ج7، ص238-؛ عبد الحميد حاجيات، **أبو حمّو موسى الزّياني:حياته وآثاره**، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1982، ص25 -.

3- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص50.

4- أبو عنان فارس أبي الحسن المريني، بويع سنة 749هـ واستمر حكمه إلى سنة 753هـ، وهو صاحب إنجازات بالمغرب الأوسط الخاصّة بسيدي الحلوي، وحول حملته العسكريّة. **ينظر:** عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**... المصدر السّابق، ج7، ص252-؛ عبد الحميد حاجيات، **أبو حمّو**... المرجع السّابق، ص ص28-34.

5- ابو عبد الله محمد الحسيني التلمساني، **مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول**، تحقيق: محمد علي فركوس، المكتبة المكية ومؤسسة الريان، السعودية ولبنان، ط1، 1998، ص28-29.

6- هو **أبو حمّو موسى الثّاني بن يوسف بن عبد الرّحمن بن يحيى بن يغمراسن**، حكم من سنة 760هـ/1354م إلى غاية 791هـ/1389م، وكان سلطانا ومفكّرا وأديبا. **ينظر:** يحيى بن خلدون، **بغية الرّوّاد**...ج2، تحقيق: بوزيّاني الدراجي، دار الأهل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2007، ص40-؛ ابو حمو موسى الثاني الزياني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: محمود بوترعة، دار النعمان ودار الشيماء للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص8- وداد القاضي، **النظرية السياسية للسلطان ابي حمو موسى الزياني الثاني ومكتنتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها**، ضمن كتاب **مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا**، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، (دت)، ص129-؛ عبد الحميد حاجيات، **أبو حمّو موسى**...المرجع السّابق، ص401-؛ عادل نويهض، المرجع السّابق، ص125؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص ص53-59.

مضطرا لخوض الصراع من اجل الحفاظ على ملك اجداده فأحيا الدولة الزيانية من جديد للمرّة الثانية سنة (760هـ/1359م)[1]، فكانت «أيّامه حافلة بمختلف ألوان النّشاط العسكري والدبلوماسي والفكري والاقتصادي والعمراني، حتّى صارت الدولة الزيانية في عهده تلبس أجمل الحليّ وترتدي أبهى لباس الحضارة والتمدن»[2]، إلا أن ابنه ووليّ عهده "أبي تاشفين الثّاني" (796-791هـ/1390-1394) أزال بريق ولمعان والده أبي حمّو الذي حكم لأكثر من ثلاثين سنة وقتله سنة (791هـ/1390م[3])، بمؤامرة دبّرها له بمساعدة أعدائه المرينيّين وتقلّد الحكم بوصاية مرينيّة[4]، وبالتالي اتبعت السلطة المرينية في سيطرتها على المغرب الأوسط وسيلتين إما بإخضاعها المباشر لتلمسان، أو بتنصيب سلاطين موالين لها، اصطنعتهم لهذا الغرض من أسرة بني عبد الواد[5]، وبمفهوم آخر «حققت هيمنتها على المغرب الأوسط بسواعد زيّانيّة بعدما عجز حكامها تحقيقها عسكريّا»[6].

4- التنـــافس على العـرش:

من العوامل الاخرى للتّدهور السّياسي بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة الصّراعات الدّاخليّة على السّلطة وصولة الحكم، شبهها بوزيان الدراجي[7] في كتابه بالجرثومة عند حديثه عن الدولة الزيانية «إلّا أنّ جرثومة الخلاف والتّآمر سرعان ما فتئت أن تسرّبت إلى هذه الدولة في أواخر عهد أبي حمّو موسى الأول، ممّا أدّى بولده أبي تاشفين عبد الرحمن الأوّل إلى ارتكاب خطيئته الكبرى بقتل والده، وانتصابه على سدّة الحكم، وكانت هذه المؤامرة سابقة خطيرة في الدولة بحيث أصبحت تقليدا متّبعا من قبل كثير من أمراء الدولة فيما بعد»، طمعا في السلطة والتربع على كرسي العرش فخلع الابناء آباءهم ثم تحارب الابناء فيما

1- محمد الامين بلغيث، "**ابو حمو موسى وكتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 3-4، افريل - ماي2011، ص70.

2- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص52.

3- ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، ج9، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الامريكانية، بيروت، 1936، ص243.

4- بوزيّاني الدّراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزّيانيّة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1993، ص35؛ عثمان الكعّاك، المرجع السّابق، ص232؛ **ينظر أيضا**: وداد القاضي، المرجع السابق، ص139.

5- عبيد بوداود، المقال السّابق، ص 199.

6- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص59.

7- بوزيّاني الدّراجي، المرجع السّابق، ص33.

بينهم لتقسيم الملك والاستبداد به سواء في تلمسان أو في بجاية[1]، وممّا ساهم أيضا في «إشاعتها وإذكائها خاصّة خلال القرن (9هـ/15م) التدخّل الحفصي والمريني في ترتيب شؤون البيت الزّياني لما يوافق مصالحهم، وذلك لصالح طرف على حساب طرف آخر لزعزعة أركان الدولة الزيانية»[2]، فكان سببا في انقسام الاسرة الحاكمة إلى طامع للملك ومعارض له، حيث انهمكوا في الدّسائس ونصب الفخاخ وربط المؤامرات بعيدين عن الاشتغال بسياسة الدولة، فكثرت الصّراعات الدّاخليّة والفتن وانتشرت الفوضى وانعدم الاستقرار السّياسي[3]، والمتتبّع لمسار ملوك بني زيان[4] يرى تفشي ظاهرة قتل السلاطين خاصة ما بين (633-833هـ) التي حكم خلالها حوالي 16 سلطانا قتل منهم ثمانية، أمّا فترة ما بعد سنة (833هـ) تميزت بقصر فترة حكم السّلاطين، حيث دام حكم بعضهم بضع أسابيع نتيجة الصراع على السّلطة[5]، حتّى قيل في حقّ تلمسان أنّ «ليس بها لسع العقارب إلّا فيما بين الأقارب... بسبب حبّ الملوك هو مطمعة للملوك»[6].

ونفس الوضع شهدته الدولة الحفصية التي انقسمت إلى قسمين، حكمت بجاية القسم الغربي منها (المناطق الشرقيّة للمغرب الأوسط)[7]، لكن سرعان ما تسربت اليه جرثومة التنافس على الكرسي والعرش فساده الاضطراب واشتد النزاع بين امرائه تأثّرا بالسّلطة الحفصيّة بتونس[8].

1- عبد القادر فكاير، المقال السّابق، ص159.

2- عبيد بوداود، **التصوّف**...المرجع السّابق، ص163.

3- مولاي بلحميسي، "**نهاية دولة بني زيّان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد26، السنة4، 1975، ص31.

4- **ينظر الملحق رقم: 02 (جدول خاص بسلاطين الدولة الزيانية).**

5- عبيد بوداود، **التصوّف**... المرجع السّابق، ص ص164-165؛ عبد القادر فكاير، المقال السّابق، ص161.

6- لسان الدين ابن الخطيب، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص184 .

7- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص268.

8- الصالح ابن أحمد، المرجع السّابق، ص ص11-12.

5- دور القبــائل البربرية والعربية:

ومن العوامل الاخرى الّتي كان لها بصمة في الواقع السّياسي لبلاد المغرب الأوسط خلال العهد المدروس القبائل العربيّة والبربرية، فالبعض منها شكل القاعدة الاساسية في بناء اركان الدولة الزيانية وتوسيع رقعتها واستمرار هيبتها، وترسيخ نفوذها بالمغرب الأوسط فكانوا انصار وحماة الدولة مثل: بني واسين وأولاد منديل وبني يلومي وبني مانو وبني تغرين، هوارة، إزداجة...[1]، والبعض الآخر تآمر ضدّها وكنّ لها العداء وتحالف مع أعدائها للإطاحة بعرشها خاصّة في الأوقات الحرجة[2]، مثل قبيلة مغراوة وتوجين وصنهاجة... وكلها من القبائل البربرية، أمّا القبائل العربيّة فهي الأخرى كان منها المساند أمثال قبيلة: بني عامر وبني يزيد وبني مالك، المعقل وذوي منصور، والمعادي مثل: قبيلة حصين وذوي عبيد الله وسويد والثّعالبة[3]...، ولعل أهمها قبيلة الذواودة[4] التي سكنت الاقليم الشرقي للمغرب الأوسط فقد زعزعت أمنه واستقراره السّياسي، خوفا على نفسها أن تحكم تحت إمرة أحد، أو تحدّ أطماعها ويقضى على امتيازاتها، فكانت تساند الانشقاقات والاضطرابات حسب مصالحها وتفوز بالمقابل على العطايا والإقطاعات، فكانت سببا في انشقاق السّلطة الحفصيّة إلى قسمين[5].

إنّ هذه القبائل على اختلاف نسبها سواء بربري أو عربي قامت بأدوار مختلفة في رسم الأحداث السّياسيّة والعسكريّة وحتّى الاقتصادية، فما ميزها تضارب علاقتها مع حكام المغرب الأوسط حسب مصالحها المشتركة أو المصلحة الذاتية للقبيلة، وبالرغم مما احدثه

1- خالد بلعربي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ص ص231-232.

2- وداد القاضي، المرجع السابق، ص ص141-144.

3- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص ص17-20؛ وعن التّعريف بهذه القبائل ومواطنها وبعض أدوارها. **ينظر**: المرجع نفسه، ج1، ص ص32-34؛ عبد الفتّاح مقلد الغنمي، المرجع السّابق، ص ص145-154؛ خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص ص88-99 (خاصّة في عهد يغمراسن)؛ وعن قبيلتي بني عــامر وبني يزيد العربيّتين المساندتين. **ينظر**: مصطفى أبو ضيف، المرجع السّابق، ص ص148-156؛ أمّا عرب الثّعالبة وذي عبيد الله وحصين وسويد وثوراتهم. **ينظر**: المرجع نفسه، ص ص156-160. وعن مغراوة وتوجين البربريّتين. **ينظر**: مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، تحقيق: محمد الميلي، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط3، 1993، ص ص476-474؛ وعن مغراوة. **ينظر أيضا**: محمد بن عميرة، المرجع السّابق، ص19.

4- من عرب رياح، كانت تملك نواحي قسنطينة وبجاية ومجالات الزاب وريغ ووركلا، وما وراءها من القفار في بلاد القبلة. **ينظر**: الصالح بن أحمد، المرجع السّابق، ص12.

5- المرجع نفسه، ص12-.

البعض منها من مشاكل ساهمت في زعزعة الاستقرار السّياسي وشيوع اللّا أمن والاضطرابات بالمغرب الأوسط إلّا أنّها لم تصبوا إلى أهدافها، لعدم توحدها أو ثبوت موقفها، فكانت تدفعها الأهواء السّياسيّة وتتحكّم فيها المصلحة[1].

6- التدخـل الأوروبــــي:

إنّ صراع دول المغرب الإسلامي وانحطاطها كان مزامنا للتّوحّد والتكتل المسيحي[2]، الذي وجّه حملاته العسكريّة ضده ابتداء من القرن (9هـ/15م)، فسيطر على معظم شواطئه ومدنه الساحلية التي سقطت فريسة سهلة في أيديهم، وفي ظل هذا التّدخّل الأوروبي وضعف الدول في الدفاع عن اراضيها خاصة الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، فتكوّنت إمارات صغيرة حاولت الاضطلاع بهذه المهمّــة، قادها رجال التّصــوّف مثل **إمــــارة الثّعالبــــة**[3]، الّتي بسطت سيطرتها على مدينة الجزائر[4]، والمناطق المجاورة منذ النّصف الثّاني من القرن (9هـ/15م)، ترأسها "عبد الرحمن الثّعالبي" (ت875هـ/1490م)[5]، الذي اصدر رسالته داعيا فيها الناس للجهاد في سبيل الله[6]، ورغم ذلك تمكن الاسبان من احتلال عدة مدن مثل:

1- عبيد بوداود، **التّصوّف**...المرجع السّابق، ص171.

2- عن التّكتّل المسيحي الّذي بدأ في النّصف الأوّل من القرن (8هـ/14م). **ينظر:** عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، **دخول الأتراك العثمانيّين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (دت)، ص ص13-16.

3- ينتسبون إلى ثعلب بن علي من عرب المعقل استوطنت نواحي متيجة، كانت تتعرّض لنفوذ الزّيانيّين تارة وللحفصيّين تارة أخرى، ثمّ استقلت بنفسها في النّصف الثّاني من القرن (9هـ/15م) بعد مقتل السّلطان الزّياني أبي زيّان محمد سنة 842هـ. **ينظر:** عبد الرّزّاق قسّوم، **عبد الرحمن الثّعالبي والتّصوّف**، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1978، ص ص14-15؛ عبد القادر فكاير، المقال السّابق، ص160؛ عبيد بوداود، **التّصوّف**...المرجع السّابق، ص296 (هامش99)، ص ص322-323.

4- **الجزائر:** أو جزائر بني مزغنة وهي مدينة ساحليّة متحضّرة وآهلة بالسّكّان ومزدهرة بتجارتها وزراعتها. **ينظر:** الإدريسي المصدر السّابق، ص114؛ حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص ص51-52، ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص77-78؛ مؤلف مجهول، **الاستبصار**...المصدر السابق، ص132، مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص362-.

5- عبيد بوداود، **التصوّف**...المرجع السّابق، ص176.

6- **ينظر نص الرسالة.** ابو القاسم سعد الله، "**رسالة الثعالبي في الجهاد**" ضمن كتاب: **بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000، ص ص237-249.

وهران[1] والمرسى الكبير وشرشال ومستغانم وجيجل[2]، وعنّابة وبجاية ووهران...، وأمام هذا الوضع الخطير لم يجد السكان مخرجا فأطلقوا صيحات الاستغاثة التي لبت نداءها الدولة العثمانية سنة 1518م[3].

وخلاصة القول أن الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط جعله محط أنظار الجوار مابين المرينيين في الغرب والحفصيين في الشرق، نتج عنه صراع الدول الثلاثة لأكثر من ثلاثة قرون خلف آثارا وخيمة أهمها ضياع الأندلس (الفردوس المفقود)، ثم سقوطها فرائس سهلة في أيدي الاوروبين بعدما انهكتها الحروب وأصبحت غير قادرة على رد هجماتهم العسكرية، ولولا التدخل العثماني في المنطقة لكان هناك تاريخ آخر يكتب؟.

وهكذا انتهى الوجود الزياني بالمنطقة بعد أكثر من ثلاثة قرون[4]، وفي خضم هذه الأحداث قد نتساءل في أنفسنا عن تأثير وانعكاس هذه القلاقل السياسية على الواقع الفكري والعلمي والثقافي وبالخصوص على تطور العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة؟ وهذا ما سنحاول الاجابة عنه في الفصل الأول من الباب الأول.

1- **وهران:** مدينة ساحليّة كبيرة على شاطئ بحر الرّوم، تبعد عن تلمسان بحوالي 140 ميلا. **ينظر:** الإدريسي، المصدر السّابق، ص105؛ حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص ص30-31؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص78-79؛ ابو الفداء، المصدر السابق، ص134؛ مؤلف مجهول، **الاستبصار**...المصدر السابق، ص ص133-134؛ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص329- .

2- **جيجل:** مدينة ساحليّة صغيرة وحصينة وتبعد عن بجاية بنحو 50 أو70 ميلا ولها مرسيان. **ينظر:** حسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص ص51-52؛ مؤلف مجهول، **الاستبصار**... المصدر السابق، ص128؛ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص380- .

3- ابن الشيخ الاعرج طالب، **كتاب المختصر في تاريخ العرب**، منشورات دار الاديب، وهران، 2006، ص136.

4- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005، ص47-50.



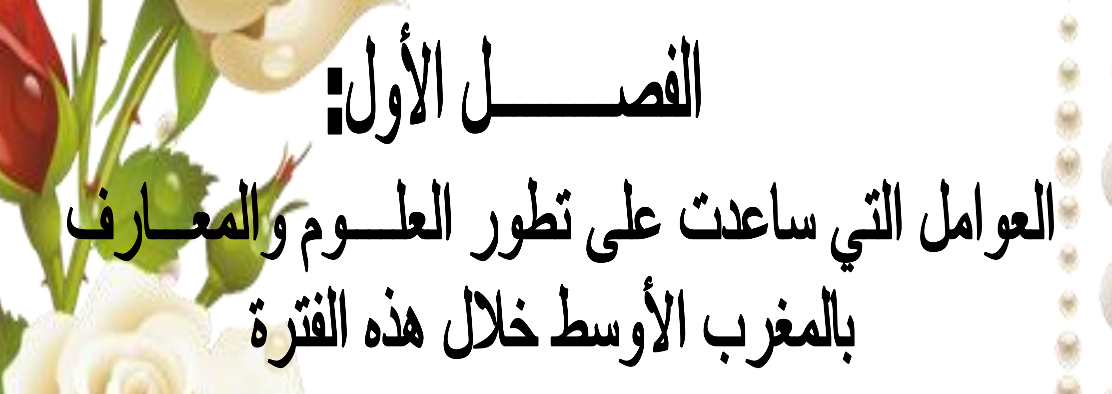


الباب الأول:

المؤسسات التعليمية بالمغرب الأوسط ودورها في الحركة العلمية والمعرفية

مابين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)





الفصل الأول:

العوامل التي ساعدت على تطور العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة

1- عناية السلاطين بالحركة العلمية:

2- تشييد المؤسسات التعليمية:

3- نمو العمران ودور المراكز العلمية:

4- الرحلة العلمية ودورها في الازدهار الفكري:

5- الهجرة الأندلسية وتأثيراتها الثقافية:

6- تطور الوراقة وازدهار فن النسخ:

7- دور الأوقاف في النهضة العلمية:

قد يتبادر إلى الذهن أن الحالة الفكرية والعلميّة قد أخذت نفس منحى الأوضاع السياسية والأمنية التي سبق الحديث عنها، ولكن من المفارقات ومن غرائب مجريات الأحداث أنّ الحركة العلميّة كانت عكس ذلك تماما، إذن فالتّقهقر الفكري لا يرتبط حتما بالتّدهور السّياسي- فالاشتغال بالحروب والفتن لم يعدمهم من شرف تشجيع العلماء على التّدريس والإنتاج والتّأليف-[1]، الّذي لم يكن ليوقف ركب التّقدّم الفكري في بلاد المغرب الأوسط ذي المراكز الثّقافيّة المتعدّدة، وذات الإشعاع النّافذ، فقد استمرّ فيها النّشاط الدّيني والتّعليمي وكان حافلا[2]، لهذا يعتبر العصر المدروس العصر الذهبي الذي بلغت فيه الدولة الزيانية ذروة عزها وأوج مجدها ومنتهى رقيها وازدهارها[3] خاصة القرن (8هـ/14م)، أما قبلها تعتبر فترة تطورات متلاحقة لبلوغ مرحلة الأوج هذه[4]، في حين يعتبر القرن (9هـ/15م) خاتمة لإنتاج فترة امتدت لثلاثة قرون، حيث يعد من أوفر إنتاج المغرب الأوسط الثقافي ومن أخصب عهودها، لنبوغ عدد كبير من رجال العلم والأدب وبروز إنتاج ثقافي غزير[5]، وكل ذلك تضافر في بروزه جملة من العوامل:

1- عنايـــة السلاطيـــــن بالحركـــة العلميـــة:

إنّ المتتبع للحركة الثقافية والعلمية التي ميزت تلمسان يدرك العوامل التي شجعت على ذلك فقد أبدى السلاطين الزيانيين رعاية وعناية للعلم والعلماء وتشجيع المنافسة التي كانت قائمة بين ملوك المغرب الإسلامي في مجال العلوم والآداب، حيث كان البلاط الزياني بداية من يغمراسن وفي عهد خلفائه يرى أنّ «التجاء العلماء إلى دولته إنما هو تشريف لها، وإغناء لثروتها العلمية وسمعتها الأدبية في المغرب الإسلامي خاصة والعام الإسلامي عامة،

---

[1]- محمد مشنان، "**المؤسسات العلميّة الثّقافيّة في تلمسان الزّيانيّة**"، **رسالة المسجد**، العدد صفر، 2003، ص56.

[2]- إبراهيم حركات، "**الصِّلات الفكريّة بين تلمسان والمغرب**"، **مجلّة الأصالة**، الجزائر، السّنة 4، العدد 26، 1975، ص185.

[3]- محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص396.

[4]- خالد بلعربي، "**ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن (8هـ/14م)**"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، العدد2، 2003/2002، ص225.

[5]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثّقافي من القرن (10-14هـ/16-20م)**، ج1، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981، ص29.

حيث أن هذه الرعاية تضفي على شخصه سمعة ومهابة»[1]، فهو يعتبر أول من دشن تشجيع الحركة الفكرية والعلمية بتلمسان فهو لم يكن قائد سياسي فحسب بل كان قائد مركب الحضارة أيضا، وله في ذلك مآثر كثيرة فكان يحب العلماء ويكرمهم حيث رغب رجال العلم في القدوم إلى عاصمة وأغدق عليهم الأموال والهدايا والجرايات وأعلى منزلتهم وشجعهم على التدريس والتأليف[2].

حيث رُوي عنه أنه كان «يجالس الصلحاء... وله في أهل العلم رغبة عالية يبحث عنهم أينما كانوا ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهله»[3]، وما رحلة يغمراسن إلى تنس عند الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (ت680هـ/1280م)[4] خير دليل على ذلك، حيث قال له: «ما جئتك إلاّ راغبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج» فاستقدمه هو وأهله[5].

كما كانت المنافسة بين سلاطين المغرب الإسلامي على أشدها في اختيار كبار الكتاب والأدباء والفقهاء وإدراجهم في المجالس العلمية والدواوين مثلما فعل يغمراسن، حيث

1- محمد مكيوي، **العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-1236م/737هـ-1337م)**، رسالة دكتوراه في الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007، ص120.

2- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص214.

3- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص126.

4- **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي:** فقيه وعالم صالح نشأ بتنس ودرس ببجاية والمشرق، ثم قدم إلى تلمسان بطلب من يغمراسن، أين أكرمه ونصبه للتدريس بالجامع الأعظم، دفن بالعبّاد. **ينظر:** يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114؛ أبو عبد الله ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1908، ص ص66-68؛ شهاب الدين محمد المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ج2، تحقيق: محمد السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940، ص322؛ ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2008، ص 273،274،151؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص38-39؛ الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، مطبعة بيير قوفتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص ص15-16؛ محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص218؛ عادل نويهض، **معجم أعلام**...المرجع السابق، ص84.

5- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص126.

تمكن من استقطاب **أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب المرسي الأندلسي** (ت686هـ/1238م)، «خاتمة أهل الأدب المبرز في عصره على سائر الكتّاب، ومن أبرعهم خطا وأدبا وشعرا ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه فأحسن نزله ومثواه»[1]، واتخذه صاحب القلم الأعلى واستعمله في الكتابة السلطانية للرسائل التي يوجهها لسلاطين وأمراء الدولة آنذاك[2].

ولمكانة هذا الأديب وعظمته طلبه المستنصر أبي عبد الله بن أبي زكرياء الحفصي (647-675هـ/1249-1272م) وبعث إليه أموالا كثيرة حوالي ألف دينار من الذهب مقابل القدوم إليه والكتابة في بلاطه فاعتذر وردّ إليه المال فكان ذلك الحدث «أشق ما مرّ على المستنصر وظهر له علو شأنه (ابن الخطاب) وبعد همته»...كيف لها وقد كان «كاتبا بارعا شاعرا مجيدا...مع نباهة وحسن فهم»[3]، و«بوفاته انقرض علم الكتابة»[4].

أما أبو سعيد عثمان (ت703هـ/1303م) شجع مختلف العلـــوم واحتفظ بمن كـــان في بلاط أبيه، وألحق بهم من توسم فيه النباهة والتميز أمثـــال: الشاعر الصوفـــــي الكاتـــب **أبي عبـــد الله محمـــد بن خميـــس** (ت708هـ/1309م)[5]،

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص227.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص321.

[3]- لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974، ص426-427.

[4]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص128.

[5]- هو **أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس**، ولد بتلمسان سنة (650هـ/1251م) شاعر وأديب صوفي وفيلسوف، عرف بآرائه الفلسفية فاتهم بالزندقة ومات مقتولا بغرناطة سنة (708هـ). **ينظر**: أبو عبد الله محمد العبدري، **رحلة العبدري**، تحقيق: علي إبراهيم الكروي، دار سعد الدين، دمشق، ط2، 2005، ص ص53-62؛ يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص109؛ ابن قنفذ القسنطيني، **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983، ص341؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص225؛ شهاب الدين محمد المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج2، ص297-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص ص366-382؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص528-؛ ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، ج2، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1971، ص27-؛ محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص ص222-241؛ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص ص479-482؛ عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى**...المرجع السابق، ص51-.

الذي كــان لا يجارى في البلاغـــة والشعر[1]، قلده خطة الكتابة ورئاسة ديوان الإنشاء[2].

أما السلطان أبو حمو موسى الأول (ت718هـ/1318م) فقد جعل تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر، من خلال تدشينه لأول مشروع لبناء المدارس في المغرب الأوسط، حيث بنى مدرسة خصصت للأخوين الفقيهين العالميين **ابنـــي الإمــام**[3] التي سميت باسمهما، عند قدومها لتلمسان فأكرم وفادتهما، فكانوا محل اهتمامه ومرجع استشارته[4].

وبنى أبو تاشفين الأول (ت737هـ/1337م)، المدرسة التاشفينية التي طارت شهرتها الآفاق، ونصب للتدريس بها فطاحل العلماء أمثال: الفقيه **أبو موسى عمران المشذالي** (ت745هـ/1345م)[5]، أعرف أهل عصره بمذهب مالك[6]، كما شهدت مجالس هذا العاهل

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (دت)، ص832.

[2]- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص208.

[3]- **ابنا الإمام: أبو زيد عبد الرحمن (ت747هـ) وأخوه أبو موسى عيسى (ت749هـ)** نسبة الى أبيهما أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام إماما مدينة بَرِشك (بين تنس وشرشال) الساحلية، كان عالمين شامخين ومفتيين لهما من التصانيف المفيدة والعلوم النفيسة. **ينظر عنهما:** يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص245-؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص123-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص201-؛ شهاب الدين محمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج5، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ص215؛ ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص265-؛ بدر الدين القرافي، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص128-؛ ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص250؛ محمد مرتاض، **من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية – فنية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص79-؛ عادل نويهض، **معجم أعلام**...المرجع السابق، ص22-؛ بورحلة عبد العزيز، "**ابنا الإمام: أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3-4، افريل – ماي، 2011، ص ص143-147.

[4]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص139؛ يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130.

[5]- **أبو موسى عمران المشذالي:** ولد سنة 670هـ، من كبار الفقهاء، أصله من بجاية التي تركها أثناء حصار الاسبان لها سنة 727هـ، قصد تلمسان ودرّس بها، كان كثير الاتساع في الفقه والجدل، توفي سنة 745هـ. **ينظر:** ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج5، ص223؛ يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص73-؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص350-، محمد مخلوف، المرجع السابق، ص220-؛ عادل نويهض، **معجم أعلام**...المرجع السابق، ص301؛ إبراهيم مقلاتي، **الدلالة في تاريخ علماء أمشدالة**، ط2، الجزائر، 2005، ص10-؛ رابح بونار، "**عبقرية المشذاليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19، السنة 4، 1974، ص ص308-309.

[6]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص ص141-142.

أكبر المناقشات الأدبية والعلمية تبارى فيها خيرة الفقهاء والأدباء والعلماء، ودارت مواضيعها بالدرجة الأولى حول المسائل الفقهية: التقليد والتقييد والاجتهاد وأصول مذهب مالك، بالاضافة الى التفسير والكلام والنقد الأدبي[1]...

أما أبو حمو موسى الثاني (ت791هـ/1389م) فقد «كان سلطانا متفردا أدبا متوقدا شديد البأس واللسان تسنم ذروة المجد بكل جدارة في وقت كان يسطرع فيه المرينيون والزيانيون حول حدود الملك بينهما فمكنه إصراره من إحياء مجد الدولة الزيانية التي ظل على عرشها أكثر من ثلاثين سنة»[2]، تميز بشخصية غلبت عليها السمات الأندلسية التي تجلت في سلوكه وطموحاته فتألق بصفة خاصة كشاعر مفوه وناثر ممتاز وأديب يحب الأدباء ويجير الشعراء، حيث كانت له مجالس خاصة يحضرها كبار العلماء وفحول الشعراء تناقش فيها قضايا العلم والأدب والسيرة، وكان له فيها نقد بناء ورأي محمود[3]، كما حظي العلماء والطلبة بعطفه وتشجيعه، ونال الكتّاب والشعراء من عطائه وكرمه[4]، سنّ للمجتمع التلمساني ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف منذ اعتلائه العرش سنة 760هـ، وأرجعه عيدا سنويا يتبارى فيه الشعراء في شكل مجالس أدبية.

يعتبر أبو حمو فريد عصره أشاد به المؤرخون وأطنبوا، وصفه ابن الأحمر في قوله: «تمسك بالعلم فسما في سماء المعالي وتحلى بالحلم فعلا على المعالي وبرع في نظم القريض»[5]، أما الرحالة ابن عمار الجزائري (ت1202هـ) فقد قال عنه: «أما اعتناؤه بالعلم وأهله فأمر يقصر اللسان عن الإحاطة به» فقد «كان أوحد الملوك في استجماع خصال الفضل علما وأدبا وجودا وشجاعة...أما العلم فقد كان له طالبا له في صغره معتنيا له في

---

[1]– ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج5، ص218–220؛ محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2000، ص398.

[2]– سليم بوزيدي، "**جماليات التوازي في التراكيب الشعرية عند أبي حمو موسى الزياني مقاربة في أسلوبية التركيب الشعري**"، **مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري** ، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013، ص208.

[3]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص323.

[4]– عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص159.

[5]– **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن المعروف بكتاب: نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1987، ص110.

كبره، وكان في أيام دولته مكرما للعلماء مجلا لهم»[1]، وإنّ ما نهله من العلم في صغره أهله ليصبح في كبره سلطانا أديبا وشاعرا «يقرض الشعر ويحب أهله»[2]، «فشعره[3] معين لا ينضب وإن كثر الوارد وجمالياته لا يحيط بعدها النقاد وإن اجتهدوا حيث ذاع صيته في مجال الأدب فنال بجدارة لقب السلطان الأديب»[4].

إن كل هذه الأوصاف والإشادات تعكس مكانة هذا العاهل، التي تجلت أكثر وأكثر في كتابه "**واسطـة السلـوك في سياسة الملـوك**" الذي صنفه لولي عهده أبي تاشفين[5]، يتضمن وصايا حكيمة وسياسية عمليّة علميّة، تختص بالملوك وتنتظم بها أمورهم انتظام السلـوك[6]، ولهذا الكتـاب أهمية علميـــة وتاريخية وأدبية[7]، تعكس الذهن الثاقب لصاحبه وعباراته الطلقة، إذ طالع الكتب واستخرج دررها وأحســن نظمها[8].

ومن صفاته أيضا اعتناؤه بجمع العلماء لمجلسه حيث استقدم **أبا عبــد الله الشـــريف التلمساني** (ت771هـ/1370م)[9]، «فــارس المعقول والمنقول صاحب الفروع

---

[1]– **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب**، مطبعة فونطانة، الجزائر، 1902، ص166.

[2]– المقري، **ازدهار الرياض**...المصدر السابق، ج1، ص249.

[3]– **لمعرفة أشعاره. ينظر**: مؤلف مجهول، **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان (760-764هـ/1359-1363م)**، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، الاصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012، ص212-/298-؛ يحى بن خلدون، المصدر السابق،ج2، ص77/104/151/188/229/264/284/308/324/363/395/423-...؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص164-؛ أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص258-؛ عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص295-.

[4]– سليم بوزيدي، المقال السابق، ص208.

[5]– أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص30 -31.

[6]– وداد القاضي، المرجع السابق، ص 160.

[7]– **ينظر عن ذلك**: أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص39-41؛ وداد القاضي، المرجع نفسه، 162-.

[8]– مريم سكاكو، **مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية يقاس ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012، ص27.

[9]– هو **أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف العلوي** (ت771هـ/1370م) نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان، أخذ العلم عن أولاد الإمام وأبي عبد الله الآبيلي، انتفع الناس به حيا وبتصانيفه ميتا مثل: مفتاح الوصول، شرح جمل الخونجي...، حيث ملأ المغرب معارفا وتلامذة. **ينظر**: الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيّة والأندلس والمغرب**، ج12، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص224-؛ الونشريسي، **وفيات الونشريسي**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، دون مكان النشر والسنة، ص55؛ ابن قنفذ القسنطيني،=

والأصول»[1]، ونصبه للتدريس بمدرسته الجديدة: اليعقوبية التي بناها بتلمسان سنة (765هـ/1363م) وخصها بالأوقاف ورتب فيها الجرايات[2]، كما كانت له جهود لضم العلامة **عبد الرحمن بن خلدون** (808هـ/1406م) إلى بلاطة لاتصافه « بمحاسن اشتملت عليها أوصافكم ومعارف فقتم فيها نظراءكم ورسوخ قدم في الفنون العلمية والآداب العربية»، لتقلد منصب الحجابة سنة (769هـ/1368م) لكنه رفض[3]، وقدم أخاه **يحي أبي زكرياء** (ت780هـ/1378م)، صاحب كتاب "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بن عبد الواد**" الذي خصص الجزء الثاني من كتابه للإشادة بأبي حمو وخصاله وأعماله عرفانا بجميله[4].

أما أبو زيان محمد الثاني (ت801هـ/1399م) فقد أقام في دولته «سوق المعارف على ساقها، وأبدع في نظم مجالسها ... فلم تخل حضرته من مناظرة ولا عمرت إلاّ بمذاكرة ومحاضرة فلاحت للعلم في أيامه شموس، وارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس...»، ساهم في إثراء الحركة الثقافية إما بتآليفه فهو صاحب كتاب: "**الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة**" في التصوف، أو بحبه الشغوف بجمع الكتب فقد كان ناسخا بارعا أوقف بخزانة المسجد الأعظم بتلمسان نسخا من القرآن الكريم وكتاب الشفاء للقاضي عياض، وصحيح البخاري[5]، أما السلطان أبي العباس أحمد العاقل

=**الوفيات**...المصدر السابق، ص368؛ الشريف التلمساني، **مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الأصول**، تحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 1998، ص51-؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج2، ص269؛ إبن مريم، المصدر السابق، ص ص164-؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120؛ عبد الرحمن بن خلدون، **التّعريف**...المصدر السابق، ص856-؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص430-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص106؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ص234؛ ابن عمار الجزائري، المصدر السابق، ص167-؛ محمد مرتاض، المرجع السابق، 97-؛ عادل نويهض، المرجع السابق، 187؛ محمد بوشريط، "**الشريف التلمساني واسهاماته الثقافية**"، **مجلة عصور الجديدة**، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد2 (خاص بتلمسان)، 2011، ص128-137.

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص164.

[2]- ابن عمار الجزائري، المصدر السابق، ص167؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص 180.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف بابن خلدون** ...المصدر السابق، ص 902.

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص32، 53-54.

[5]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص210-2011.

(ت866هـ/1466م)، فهو الآخر كان يجالس العلماء ويشجعهم على التصنيف ويحضر دروسهم حيث كانت له عناية خاصة بالعالم **الحسن بن مخلوف أبركـان**[1].

هذه بعض إسهامات السلاطين الزيانيين لإثراء الحياة الثقافية من أجل إضفاء الهيبة على دولتهم وإعلاء سمعتها وجعلها ترقى إلى مصاف الدول الإسلامية الأخرى، فبسلوكهم هذا شجعوا الاجتهاد وحرروا الأفكار من الركود، وأتاحوا الفرصة للحوار والمناظرة والتعمق في البحث، حتى صارت تلمسان من أهم المراكز العلمية استقطابا لطلاب العلم وأهله[2].

إن هذه الصورة ليست حكرا على سلاطين بني زيان فحتى حكام بني مرين الذين امتد نفوذهم إلى المغرب الأوسط كانت لهم كلمتهم في ذلك، حيث كان البعض منهم على جانب كبير من الثقافة يعقدون المجالس العلمية للمذاكرة والمناظرة، يقدرون رجال العلم ويرفعون مكانتهم[3]، فالسلطان أبي الحسن (ت742هـ/1341م) كان مشجعا للعلم والعلماء، ومجلسه حافلا بهم[4]، حيث «كان أبر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم استخلصهم لنفسه، وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته، وجعله من خواص أهل مجلسه، وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا، فاجتمع بحضرته أعلام ثم ضم لهم من كان في تلمسان وأحوازها حين استلائه عليها ثم استمر هذا العمل في دخوله بلاد افريقية ولم يزل على هذا إلى أن توفي رضي الله عنه»[5]، ولعل من

---

[1]- **الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان** (ت857هـ) والتي تعني بالبربرية الأسود، فقيه مالكي محدث من أهل تلمسان ولد وتعلم بها، أخذ العلم عن إبراهيم المصمودي، ابن مرزوق الحفيد، وأخذ عنه الحافظ التنسي والشيخ السنوسي، له عدة تآليف منها: الغنية والثاقب في لغة ابن الحاجب... **ينظر:** محمد إبن صعد الأنصاري التلمساني، **روضة النسرين في التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بوعزيز، منشورات ANEP ، الجزائر، ط1، 2004، ص125-؛ إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955، ص89؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج2، ص295؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص220؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ص262؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص131-؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص161-؛ القرافي، المصدر السابق، ص168؛ الونشريسي، **الوفيات**...المصدر السابق، ص97؛ عادل نويهض، **معجم أعلام**...المرجع السابق، ص14.

[2]- محمد مكيوي، المرجع السابق، ص121.

[3]- محمد المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص234.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص ص824-825.

[5]- ابن مرزوق، **المسند**... المصدر السابق، ص260.

جملة هؤلاء العلماء: **أبو عبد الله الآبلي** (ت757هـ/1356م)[1]، ومن منجزاته الباقية مدرسة العباد التي بناها سنة (748هـ/1348م)[2]، واقتدى به ابنه أبـي عنان (ت759هـ/1358م) وأنشأ مسجد ومدرسة أبـا عبد الله الحلوي سنة (754هـ/1353م)[3]، فكان الطلبة أعز الناس وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقا[4].

أما السلاطين الحفصيين فقد كان لهم دور في حقل المعرفة في الجهة الشرقية من المغرب الأوسط وبالخصوص بجاية، إذ تمتع البعض منهم بإرادة قوية ورغبة شديدة وجهود وعناية مستمرة بكل حقول المعرفة وروادها فاستقبلوا العلماء والفقهاء من مختلف الحواضر المغربية وخاصة الأندلسية، ووفروا لهم أماكن الاقامة وقدروهم حق قدرهم، ونصبوهم في المهام الحساسة من الدولة، كما تم تكريمهم وتبجيلهم في المجالس العلمية[5]، وأول من دشن ذلك مؤسس الدولة أبي زكرياء يحى الأول (ت647هـ/1249م) حيث اعتنى ببجاية ووسع عمرانها فانتشر بها العلم حتى أصبحت تنافس حاضرة تونس[6]، وفتح أبوابها للمهاجرين حيث

---

[1]– هو **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، المعروف بالآبلي (757-681هـ)**، أندلسي الأصل، نشأ بتلمسان وكان ميالا للعقليات، حيث درس المنطق على يد أبي موسى بان الإمام، يعد من اكبر شيوخ عبد الرحمن بن خلدون. **ينظر:** ابن مريم، المصدر السابق، ص215-؛ عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص825-؛ يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص120؛ ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص266؛ الونشريسي، **الوفيات**...المصدر السابق، ص46، القرافي، المصدر السابق، ص231؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص411؛ ابن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس**، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص304؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج2، ص265؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص244-؛ المقري، **أزهار الرياض**... المصدر السابق، ج5، ص60-؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت)، ص288-؛ عادل نويهض، **معجم أعلام**...المرجع السابق، ص12-؛ سيدي محمد نقادي، **إسهامات الإمام الآبلي في الحياة الفكرية بالمغرب الكبير تلمسان نموذجا**، رسالة دكتوراه في الثقافة الشعبية شعبة الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص93-.

[2]– ابن مرزوق، **المسند**... المصدر السابق ، ص406/403.

[3]– عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص65.

[4]– التنبكتي، المصدر السابق، ص260.

[5]– بوبة مجاني، "**المدارس الحفصية: نظامها ومواردها**"، **مجلة العلوم الانسانية**، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد12، 1999، ص161.

[6]– ناصر الدين سعيدوني، **التجربة الأندلسية بالجزائر: مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الاوسط (ق6-7هـ/12-13م)**، **السجل العلمي لندوة الاندلس: قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الثالث، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996، ص83.

كان يرى أن التجاء العلماء الأندلسيين إلى حاضرته تشريف لها واغناء لثروتها العلمية وسمعتها الأدبية في إفريقية والعالم الإسلامي، لذا استقبل وأكرم الشاعر الفقيه والمؤرخ الأندلسي: **ابن الآبار أبو عبد الله محمد القضاعي** (ت658هـ/1260م)[1]، الذي كان كثير التردد بين بجاية وتونس[2].

أما أبو عبد الله المستنصر (ت675هـ/1249م) فقد كانت له جهود في استقطاب الكاتب **أبو بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب المرسي الأندلسي** (ت686هـ/1238م) كما أشرنا إليه سابقا، أما أبو عبد الله الحفصي (ت761هـ/1360م) فقد استقدم **عبد الرحمن بن خلدون** (ت808هـ/1407م) وأسند إليه الخطابة والتدريس بجامع القصبة سنة (766هـ/1365م)، حيث خصه بالتبجيل وباستقبال حار يليق بعلو شأنه ومكانته العلمية، ودون عبد الرحمن ذلك في كتابه في قوله: «فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدومي، وأركب أهل دولته للقائي، وتهافت أهل البلد عليّ من كل أوب يمسحون أعطافي، ويقبلون يديّ، وكان يوما مشهودا، ثم وصلت الى السلطان فحيّا وفدى، وخلع وحمل، وأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباركة بابي، واستقلت بحمل ملكه، واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه، وقدّمني للخطابة بجامع القصبة وأنا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة لا أنفك عن ذلك»[3].

---

[1] – هو **محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الآبار**، ولد ببلنسية الأندلسية سنة 595هـ، فقيه ومقرئ واديب وكاتب ومؤرخ، له عدة تصانيف مثل: **الحلة السيراء**، عين كاتبا في بلاط ابو عبد الله الحفصي، مات مقتولا سنة 658هـ. **ينظر**: ابن الابار، **الحلة السّيراء**، ج1، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، بيروت، ط2، 1985، ص13-؛ الغبريني، المصدر السابق، ص257-؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين**...المصدر السابق، ص27؛ المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج3، ص205-؛

[2]– عبد الله عنان، "**مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط**"، **مجلة الأصالة**، العدد13، السنة الثالثة، الجزائر، 1974، ص194- 195.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون، **التّعريف**...المصدر السابق، ص ص896-897.

2- تشييـــد المؤسســــات التعليميــــة[1]:

لا يمكن للعلم أن يزدهر إلا حيث تنتشر مراكز التعليم، والمغرب الأوسط كغيره من البلدان الإسلامية تنوعت به المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا ومكتبات...، اختلف مشيدوها من أهالي وحكام وسلاطين سواء بني زيان أو الحفصيين أو بني مرين نظرا لدورها الأساسي في تفعيل وتطوير الحركة الفكرية والثقافية خلال العهد المدروس، باعتبارها ملتقيات فكرية وكعبة يحج إليها طلبة العلم خاصة تلك النظامية منها كالمدارس والمساجد والتي كانت محل اهتمام الأمراء والسلاطين من تشييد وترتيب المرتبات والمنح الشهرية للأساتذة وتخصيص أماكن لإيواء الطلبة وإسناد مهمة التدريس لأبرز العلماء وفطاحل الفقهاء، فكان لها الأثر البالغ في تخريج أجيال كثيرة متشبعة بأنواع العلوم وشتى المعارف ساهموا في تفعيل الساحة العلمية[2].

3- نمو العمـران ودور المراكـــز العلميـــة:

إن الحياة العلمية لا تقتصر على الجانب العلمي فحسب بل تتعداه إلى جوانب أخرى، ولعل أبرزها الجانب العمراني الذي كلما تعاظم دل عظم الحضارة وعظم بانيه، حيث قيل:

هُم المُلُــوك إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا   مِنْ بَعْدِهِـم فَبِأَلْسِن البُنْيَــــانِ
إِنَّ البِنَـاءَ إِذَا تَعَــــاظَمَ قَدْرُه   أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ[3]

إن العمران يعد انعكاسا للتطور الحضاري ولا سيما العلمي، إذ يعتبر عبد الرحمن بن خلدون: «انّ العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة»، لأن العلم من جملة الصنائع[4]، والصنائع تزدهر في المجتمع الحضاري أو في الأمصار العريقة في العمران (التاريخ) الحاصل بفعل طول أمد الدول المتعاقبة على تلك الأمصار، ومن هنا كانت ضرورة الارتحال الى بغداد والكوفة والقاهرة...لاستبحار عمرانها واستحكام حضارتها منذ

1- نظرا لأهمية هذه المؤسسات العلمية خصصنا لها الفصل 2-3-4 من الباب الأول.

2- أبو عبد الله الحسيني التلمساني، المصدر السابق، ص ص32-33.

3- عبد القادر بوحسون، **الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية (635-897هـ/1238-1492م)**، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2012-2013، ص225.

4- **المقدمة**، المصدر السابق، ص470.

آلاف السنين[1]، والمغرب الأوسط كغيره من الأقطار الإسلامية الأخرى عرفت مدنه استبحارا عمرانيا كبيرا رغم الاضطرابات السياسية التي كان يعيشها إلا أن العديد من مدنه: كتلمسان، بجاية، المنصورة، وهران، قسنطينة والجزائر... تنمو بعدد سكّانها وتشعّ بمدارسها ومساجدها، ثقافة يتغذّى منها المجتمع روحيّا وعقليّا[2]، لذا ارتأينا تسليط الضوء على بعض المدن التي كانت فعلا مراكز ثقافية أدت دورا كبيرا وهاما في ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث ولعل أهمها:

أ- تلمســـــان:

التي حظيت في عهد بني زيان بعز وسلطان إذ تبوأت مكانة مرموقة، وأصبحت حاضرة المغرب الأوسط، وارتقت إلى مصافّ حواضر التطور والازدهار، مستفيدة في ذلك من رصيدها الحضاري الإدريسي، والمرابطي، والموحدي[3]، فكان لها الدور السياسي والعسكري في تحديد معالم المغرب الأوسط ونمـــائه الاقتصادي وازدهاره الثقافي والعلمي[4]، حيث ساهم ملوكها خلال فترة الدراسة بدور كبير في شهرتها وتطويرها في مختلف المجالات، فعملوا على تخليد مآثرها وتوسيع عمرانها، الذي عكس نمو الفنون والعلوم والآداب وازدهارها[5]، كما تباروا في تعميرها وإعادة إصلاح ما تهدم منها، وترميم ما كان آيلا للسقوط فيها، بالإضافة إلى تشييد مؤسساتها ومرافقها العامة والخاصة، فامتد نطاقها العمراني واتسعت خطتها وضاقت بسكانها حتى بلغ عدد منازلها في عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن 16 ألف منزل أي مابين (120-90) ألف نسمة[6].

---

[1]- شمس الدين عبد الأمير، **الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الازرق**، الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل، لبنان، ط1، 1991، ص100.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص ص33-34.

[3]- **ينظر**: خالد بلعربي، **تلمسان**...المرجع السابق، ص149-؛ 177-.

[4]- نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م الى القرن 10هـ/16م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص أ.

[5]- عبد العزيز فيلالي، "**تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية 2011**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج (3-4)، 2011، ص9.

[6]- عبد العزيز لعرج، **تلمسان عمرانها**...المقال السابق، ص26.

وقد عرف موقعها دورا أساسيا في ذلك «فلم يزل عمرانها يتزايد وخطتها تتسع ورحل إليها الناس من القاصية لحسن موقعها وعذوبة مائها وطيب هوائها واختطت بها القصور والمنازل العالية وغرست بها الرياض والبساتين وفاحت برحابها الأزهار والرياحين فكانت واسطة سلك وقاعدة ملك»[1]، هذا ما جعلها أحد المراكز العلمية على عهد الحكام الذين تعاقبوا عليها، ويؤكد ذلك جلّ الكتّاب الذين وصفوا هذه المدينة في كتاباتهم حيث قال عنها البكري:«ولم تزل تلمسان دارا للعلم والعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله»[2]، كما وصفها صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار بأنها «مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين»[3]، ليكون القرن (8هـ/14م) الفترة التي بلغت فيها تلمسان أوج قوتها حيث وصفت بأنها أعظم أمصار المغرب سواء في العلم والحضارة أو في العمران والتجارة حيث أصبحت مركزا تجاريا هاما وسوقا عالمية[4]، وعن ذلك يقول عبد بن خلدون:«نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين واجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر بها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية»[5]، كما وصفها القلصادي سنة (840هـ/1437م) أي خلال القرن (9هـ/15م) موضحًا صورتها العلمية في قوله: «تلمسان يا لها من شان ... أدركت فيها كثيرًا من العلماء، والصُلحاء والعبّاد والزهاد، وسوق العلم حينئذٍ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقية، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم، على أكثر الأعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان»[6]، ونفس الصورة أكدها الرحالة عبد الباسط بن خليل المصري

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المقال السابق، ص9.

[2]– **المغرب في ذكر بلاد افريقية**...المصدر السابق، ص77.

[3]– مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (دت)، ص177.

[4]– خالد بلعربي، **ملامح الحركة** ...المقال السابق، ص225.

[5]– **العبر**...المصدر السابق، ج7، ص ص161–162.

[6]– أبو الحسن القلصادي، **رحلة القلصادي المسماة: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص94.

(ت920هـ/1514م) الذي زار تلمسان حوالي سنة (866هـ/1462م) من أجل الاستفادة من علمائها خاصة في مجال الطب وقد لقي بها علماء كبار دونهم في كتابه المسمى الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم[1].

كما أن جمالها وحسن طبيعتها قد آثار كل من سكنها أو حل بها لاسيما الشعراء والأدباء الذين جعلوها منطلق وحيهم ومنبع إلهامهم فتفننوا في وصفها والتغني بها، حيث قال فيها الشاعر الثغـــري:

تَاهَتْ تِلِمْسَـــانُ بِحُسْنِ شَبَابِهَا *** وَبَدَا طِرَازُ الحُسْـنِ فِي شَبَابِـهَا

حَسُنَت بِحُسْنِ مَلِيكِهَا المَوْلَى أَبِي *** حَمُـــو الذِّي يَحْمِي حُمَى أَرْبَابِهَا[2]

وقال عنها لسان الدين بن الخطيب: «تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاج، وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه عبادها يدها، وكهفهـا كفها، وزينتها زيانها، وعينها أعيانها، هواء المقصور بها فريد، وهواؤها الممدود بها صحيح عتيد»[3]، وكل هذا يبرز المكانة الرائدة التي كانت تتمتع بها تلمسان التي أهلتها بأن تكون عاصمة علميّة ممتازة ذات صيت وشهرة ضاهت عواصم العلم المشهورة آنذاك كمصر وغرناطة وتونس وفاس[4].

ب- بجايـــــة:

لا تختلف عن تلمسان فقد عرفت خلال العهد المدروس ازدهارا ثقافيا وفكريا راجت فيها أسواق المعرفة، فكانت قبلة العلماء والشعراء ومركز إشعاع علمي يؤمه مختلف طلاب العلم، ولعل عوامل ذلك ترجع إلى موقعها الساحلي وقربها من معظم ثغور الشرق الأندلسي، كما كانت عاصمة ثانية متفوقة في جميع المجالات بعد حاضرة تونس، إضافة إلى أنها كانت

1- **نقلا عن:** عبد الكريم كريم، **"تلمسان من خلال كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم"، مجلة عصور الجديدة**، العدد2 (خاص بتلمسان)، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، 2011، ص66-.

2- ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج7، ص125.

3- **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص ص183-184.

4- المهدي البوعبدلّي، **"أهم الأحداث الفكريّة بتلمسان عبر التّاريخ ونبذ مجهولة من تاريخ بعض أعلامها"، مجلّة الأصالة**، الجزائر، السّنة 4، العدد 26، 1975، ص124.

منذ البداية قبلة ومقصد العلماء[1]، وصفها حسن الوزان في القرن (10هـ/16م) أنها كانت تتوفر على العديد من المساجد والمدارس والزوايا، التي ساهمت في ازدهار حركة التعليم، والذي دل على ذلك كثرة طلابها وأساتذتها[2]، ولعل ذلك ليس وليد القرن (10هـ/16م)، وإنما هو نتاج تراكم الحضارات ورسوبها بالمنطقة، حيث يعود مرجعها إلى العهد الحمادي، وكما هو معلوم أن المظاهر الحضارية بالمغرب الإسلامي إنما تزداد ازدهارا في كل حقبة بالمدن التي ينمو في أهلها احترام العلم والعلماء[3]، وأول من دشن ذلك ومنحها هذه الصفة هو مؤسسها الناصر بن علناس الحمادي (ت481هـ/1089م) سنة 460هـ واتخذها عاصمة لملكه وسماها الناصرية نسبة له[4]، وتحولت في زمن يسير لحركة علمية ونهضة فكرية، فازدهر عمرانها وراجت تجارتها وأسواق المعرفة فيها[5]، ولاسيما في عهد ابنه المنصور (ت498هـ/1105م) وآخر حكام الدولة يحى بن العزيز (547هـ/1152م) فتبوأت بجاية مكانة عظيمة وأصبحت كعبة الشعراء ومقصد طلاب العلم من كل فج، وسميت "بمكة **الصغيرة**"، ومرد ذلك راجع إلى دور الحكام وبرعايتهم للعلماء وتشجيعهم وإيثارهم، حيث قدموهم في الدولة وجادوا عليهم بالعطايا وأغدقوا عليهم الصلات، ولمؤسس بجاية باع طويل في هذا المضمار[6].

وبعد أفول الدولة الحمادية انتقلت بجاية لحكم الموحدين والتي تواصل في عهدهم إشعاعها الفكري باعتبارهم قد ورثوها في أوج تألقها الحضاري، فالعلماء الذين نبغوا على امتداد القرن (6هـ/12م) كانوا تلاميذ للحضارة الحمادية[7]، أورد منهم الغبريني الذي ترجم

1– عبد الله عنان، المقال السابق، ص195.

2– **وصف افريقيا**...المصدر السابق، ج2، ص50.

3– خالد بلعربي، **ملامح**...المقال السابق، ص225.

4– أبو العباس أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص06.

5– أحمد حماني، "**عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19 (خاص ببجاية)، 1974، ص ص248–249.

6– عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحات رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الشروق، الجزائر، ط1، 1980، ص250؛ 285.

7– المرجع نفسه، ص ص284–285؛ عبد الحميد خالدي، "**الحياة التعلييمة ببجاية الحمادية**"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، السنة24، العدد119، 1999، ص145.

لعلماء المائة السابعة نماذج واعتذر عن ذكر البقية لتقيده بشرط الكتاب في قوله: «وقد بقي خلق كثير من أهل المائة السادسة ممن لهم جلال وكمال ولكن شرط الكتاب منع من ذكرهم»[1]، ضف إلى ذلك تشجيع خلفاء الموحدين للعلم وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي فمن شدة تعلقه بالعلم وأهله حثّ على التأليف ورفع الحضر عن طائفة من الكتب التي كانت ممنوعة زمن المرابطين ككتاب الإحياء للغزالي[2].

أما في العهد الحفصي فقد تبوأت بجاية مكانة هامة وحافظت على رقيها الثقافي وأصبحت العاصمة الثانية بعد تونس، أشادت بها المصادر[3] فاعتبرت «نادرة الدهر وأثيرة النفوس»[4]، وعبر العبدري عن إعجابه بها عند زيارته لها حوالي سنة (680هـ/1281م) في قوله: «مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنية سرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان، رفيعة المباني...بقية قواعد الإسلام ومحل جلة العلماء والأعلام »[5]، وراجت فيها الحركة العلمية، ونبغ فيها أعلام كثيرون والتراجم التي أثبتها صاحب عنوان الدراية وعددها يفوق مائة وخمسة عشر ترجمة (115) أقوى دليل على هذا الازدهار[6]، حيث كان لهم دور هام في تأطير الحياة الفكرية وازدهارها حيث اعتبرت «موطن الفضلاء من أهل العصر الذين طبق ذكرهم تطبيق الغمائم، ونما كما نمت بازدهارها الكمائم، ولهم مآثر يتعاطى الركب حمياها، ويتعاطى نوافع رياها»[7]، كما وصفها الشاعر الحسن بن فكون القسنطيني في القرن (7هـ/13م) في قولــه:

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص85.

[2]- مريم هاشمي، **العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال القرن (9-7هـ/13-15م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص70.

[3]- **ينظر:** مولاي بلحميسي، "**بجاية في حدائق الكتب**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19 (خاص ببجاية)، السنة4، 1974، ص97-؛ رابح بونار، "**بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19 (خاص ببجاية)، السنة4، 1974، ص61-.

[4]- مفتاح خلفات، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنيين (9-6هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص143-144.

[5]- العبدري، المصدر السابق، تحقيق: سعد بوفلاقة، ص49.

[6]- الغبريني، المصدر السابق، ص23؛ 36.

[7]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص223.

دَعْ العِـــرَاق وَبغْدَادَ وَشَامَهُمَـــا *** فَالنَّاصِرِيَـــة مَا أَنْ مِثْلُهَا بَلَـــدُ
بَـــرٌ وَبحْـــرٌ وَمَـــوْجٌ لِلْعُيُـــونِ بِـــهِ *** مَسَـــــارِح بِأَنَّ عَنْهَا الهَـــمٌّ وَالنَكَدُ
حَيْثُ الهَوَى وَالهَوَاءُ الطَّلْقُ مُجْتَمِعٌ *** حَيْثُ الغِنَى وَالمُنَى وَالعِيشَةٌ الرَّغَدُ[1].

إنّ كل هذا الإثناء يضفي على بجاية هيبة ومكانة، ويبرز مدى تفوقها علميا وفكريا، ما جعل أبو عبد الله الشريف التلمساني يقول عنها أثناء زيارته لها: «دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها، وصرت أكتب في كل مسجد سؤالا حتى وصل أمره إلى السلطان»[2].

4- الرحلـة العلميــة ودورهــا في الازدهــار الفكـري:

لقد ارتبطت حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالتنقل الدائم والسعي في أرجاء الأرض طلبا للرزق ثم طلبا للمعرفة، فأصبحت عادة الترحال عادة متأصلة فيه حتى قيل فيه «ولد الإنسان راحلا»[3]، والعرب كغيرهم من الأمم عرفوا الرحلات قبل مجيء الإسلام وكانت لديهم رحلتا الشتاء والصيف ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ(2)**﴾[4] بهدف التجارة وهذا نوع من أنواع الرحلات التي تعددت أوجهها بتنوع دوافعها[5].

1- الغبريني، المصدر السابق، ص280.

2- **نقلا عن:** محمد محمدي، "**المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي**"، **مجلة حوليات التراث**، جامعة مستغانم، العدد13، 2013، ص91.

3- عبد الصمد عزوزي، **أدب الرحالة الجزائريين في الخمسية الهجرية الثانية**، رسالة ماجستير في شعبة الأدب المغربي القديم، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2003، ص01.

4- **سورة قريش (الآية 1-2).**

5- **منها:** الرحلات الحجازية، الاستكشافية، التجارية، الخيالية، العلمية... **ينظر:** احمد رمضان احمد، **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي، جدة، (دت)، ص319-؛ زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، لبنان، 1981، ص ص6-11؛ حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983، ص09؛ عبد الصمد عزوزي، المرجع السابق، ص ص12-16؛ عبد الله بن خضران الحارثي، **الرحلة في طلبالعلم عند بعض المربين المسلمين في العصر العباسي وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430-1431هـ، ص ص 64-81.

أ- مفهـوم الرحلـة لغـــة واصطلاحـــا:

***لغـــــــة:**

أجمعت قواميس اللغة على أنّ الرِّحْلَة مشتقة من: يَرْحَلُ، رَحْلاً، رَحِيلاً، وتِرْحَالاً...، وارْتَحَلَ القوم بمعنى: انتقلوا، والرَّاحِلَةُ هي: الناقلة، الرُّحْلَى بمعنى مركب للبعير، أما الرَّحْلُ ما يصحبه المسافر من زاد للرحلة، والرُّحْلَة هي الجهة التي يقصدها المسافر[1]...

***اصطلاحــــا:**

أما اصطلاحا فهي تعني السفر أي قطع المسافة بنية الانتقال لبلد آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان أو معنويا، أي هي: «حركة ينتج عنها الانتقال من مكان إلى مكان لهدف معين»[2].

ب- الرحلــة العلميـــة ودوافعهـــا:

تعد الرحلة العلمية دررا مرصعة في تاج التراث الإسلامي، لما تشتمل عليه من فوائد في مختلف العلوم والأفهام وشتى العلوم العقلية والنقلية، ومن أخبارها تسمع ما يشرب العقول والأذهان[3]، لذا تعتبر من أهم سمات وخصوصيات الثقافة الإسلامية، ومظهرا من مظــاهر الحركة العلمية، ومهما اختلفت بواعثها وتنوعت دوافعها فإنّ المقصد العلمي كان أقواها وأشملها[4]، امتثالا لما حث عليه الإسلام لطلب العلم وتحصيله وشرف صاحبه، حيث ورد

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب المحيط**،ج11، (مادة رحل)، الدار المصرية، القاهرة، (دت)، ص ص277-279؛ بطرس البستاني، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص ص227-228؛ الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 2005، ص1005؛ احمد بن محمد الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ج1، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت)، ص ص222-223؛ أبي الحسين احمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، (دت)، ص497؛ محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص100؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مطبعة الشروق الدولية، دون مكان نشر، ط4، 2004، ص 334.

[2]- عبد الله بن خضران الحارثي، المرجع السابق، ص ص73-74.

[3]- لامعة زكري، **الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنيين (7-9هـ/13-15م)**، رسالة ماجستير في التاريخ السياسي والثقافي للمغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010، ص27.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص 328.

ذكره في القرآن الكريم في مناسبات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ(122)**﴾[1]، كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة حيث قال: «**اطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ، فَإِنَّ طَلَبَ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[2]، «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلتَمِس فِيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»[3]، «**مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَى يَرْجِع**»[4]، مدعما بالحج الذي شكل المحرك الأساسي لها، حيث كان فرصة ذهبية للقاء العلماء من كل صوب وحدب على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم[5].

لذا كان التجوال في سبيل الدراسة والعلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب الإسلامي[6]، فشد لفيف منهم الرّحال متحملين عناء السفر ومشقاته، قاصدين منابعه الأصلية تحدوهم الرغبة في الارتواء من مشيختها والاستفادة منهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبغداد ودمشق والقاهرة...[7]، لرقيها العلمي وازدهارها الحضاري وعن ذلك يقول عبد الرحمن بن خلدون: «فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم وفي سائر الصنائع، حتى إنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من أهل المغرب، وأنهم أشد نباهة وأعظم كيسا»[8].

كل هذا الإصرار والتحمل والتحمس للرحلة لأنها أصل العلم فبفضلها تترسخ المعارف في ذهن الطالب وينضج فكره، وكلما زاد عدد الشيوخ كلما عظمت فائدة الرحلة، وهذا ما

- **سورة التوبة، الآية 122** .[1]

[2]– أبي حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج1، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص 15.

[3]– الترمذي، **الجامع الكبير**، ج3، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ص385.

[4]– المصدر نفسه، ص386.

[5]– مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص420–421.

[6]– محمد عادل عبد العزيز، **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص30.

[7]– عواطف محمد بوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة**، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص71.

[8]– **المقدمة**... المصدر السابق، ص469.

عناه ابن خلدون في قوله: «الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم» حيث أن «البشر يأخذون معارفهم...تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة...فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها...وتعدد المشايخ يفيده تميز الاصطلاحات...وتصحح معارفه...»[1]، وبما أن العلم كان يحصل أساسا بالمشافهة، والكتب كانت نادرة –حيث أن الدراسة العملية تقوم مقام ما نصنعه اليوم من تتبع المراجع والمؤلفات التي تزخر بها خزانات الكتب العامة والخاصة–[2]، وجب الارتكاز عليها لضرورتها لاكتساب ملكات جديدة، فأضحت من التقاليد المحمودة لكل طالب علم[3].

ج- روادها بالمغرب الأوسط وإسهاماتهم الثقافية:

كانت الرحلة العلمية ومازالت شرفا لكل طالب علم، حيث أن انتصار طالب العلم على شيوخ بلده يقدح في قيمة ما يحمله من علم فهي في رأي ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ) «شرف وفائدة»[4]، لذا شد محبي العلم من بلاد المغرب الأوسط الرحال إلى مختلف الحواضر الإسلامية سواء المغربية (تونس والمغرب الأقصى) أو الأندلسية أو المشرقية (كالقاهرة ودمشق وبغداد والمدينة المنورة ومكة...) تدفعهم الرغبة في الاستزادة من العلم على يد كبار شيوخها بالإضافة إلى نشر معارفهم وعلومهم هناك، فطارت شهرتهم مغربا ومشرقا وتركوا بصماتهم في حقل العلم والمعرفة، وتعتبر فترة البحث من أزهى وأغنى الفترات الثقافية والعلمية التي عاشها المغرب الأوسط، حيث تزايدت فيها نسبة الرحلات العلمية[5]، ولعل ذلك راجع للدوافع التاليـــــــة:

- ✓حرية التنقل بين مختلف حواضر العالم الإسلامي رغم الاضطرابات السياسية.
- ✓الرغبة في تحصيل العلم والتفرغ له.
- ✓بساطة شروط الالتحاق بالمراكز التعليمية وعدم التمييز بين الطلبة.

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**... المصدر السابق، ص578-579.

[2]- زكي محمد حسين، المرجع السابق، ص07.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص342.

[4]- **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003، ص22.

[5]- عمار هلال، "**العلماء الجزائريون في تونس فيما بين القرنيين الرابع والرابع عشر للهجرة والعشرين للميلاد**"، **مجلة الدراسات التاريخية**، جامعة الجزائر، العدد المزدوج، 11-12، 2000، ص ص53-54، ص79.

✓حرية الطلبة في اختيار أساتذتهم والانتقال من شيخ لآخر لإتمام تعليمهم، مع ترحيب الشيوخ لهم[1].

✓من أجل طلب الحديث والبحث عن أسانيده ورواته وأحوالهم...، حيث تعتبر من أهم طرق المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي[2].

✓استقرار الأوضاع السياسية وتحسن ظروف المعيشة والنهضة العلمية التي لاحت معالمها في المشرق في ظل اهتمام الحكام بالعلماء وطلبة العلم مع حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة والاعتناء بهم وتوفير أماكن الإقامة لهم والتكفل بحاجياتهم[3]، حيث أوقفت لهم العديد من دور العلم من مدارس وزوايا ومساجد[4]، وهذا ما أشار إليه الرحالة ابن جبير في قوله: «فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات الكثيرة: فأولها فراغ البال من أمور المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها، فإن كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عذر لمقصر»[5].

كل هذه التسهيلات والمساعدات شجعتهم على البقاء، وفتحت لهم باب التحصيل وتبادل الآراء في مختلف العلوم، ومد جسور العلم والثقافة وتداول المعارف والكتب وتبادل الإجازات، فبرزت كوكبة من الأساتذة والعلماء تميزوا بغزارة التحصيل وقوة التفكير حتى أصبحوا حجة في الفقه والتفسير، وعلم الأصول والنحو والأدب والتاريخ...فكان لهم باع طويل في هذا المجال، وتركوا آثارا علمية وبصمات فكرية وسمعة طيبة أينما حلوا وارتحلوا[6]، وبعودتهم إلى بلادهم ساهموا في بناء صرحها العلمي حيث أثروا تأثيرا ايجابيا على الحركة العلمية بإدخالهم لمؤلفات جديدة أصبحت مقررات دراسية أساسية للطلاب والدارسين، على

---

[1]- إبراهيم بلحسن، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن (9-7هـ/13-15م)**، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005، ص39، ص120؛ محمد الشريف سيدي موسى، "**التّربية والتّعليم بالجزائر في العصر الوسيط (بجاية نموذجا)**"، **حوليّة المؤرّخ**، الجزائر، العدد2، 2002، ص 94.

[2]- أبو بكر أحمد البغدادي، المصدر السابق، ص ص17-18.

[3]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص31.

[4]- **ينظر عن ذلك**: مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص444-.

[5]- **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، (دت)، ص258.

[6]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** .....المرجع السابق، ج2، ص327-328.

سبيل المثال: **عودة ناصر الدين المشذالي** (ت731هـ/1331م)[1] بعلم كثير وتعليم مفيد واستقراره ببجاية أحدث فيها ثورة في فن التدريس حيث غير أسلوب التعليم فيها، من الطريقة التقليدية إلى الطريقة الجديدة المبنية على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل واستغلال الجدل في البحث والمناظرة، كما استحدث دراسة "**مختصر بن الحاجب**" في الأصول والفروع، والذي انتقل إلى تلمسان على يد تلميذه **أبي موسى عمران المشذالي**، الذي سلك نهج معلمه[2]، وقد أدخل الفقيه **محمّد بن الفتوح التّلمساني** (ت898هـ/1493م) "**مختصر خليل بن إسحاق المالكي**" إلى بلاد المغرب، كما أدرجت بعض المصادر الأندلسيّة في حلقات الدُرس منها: "**كتاب الدُار النُّثير كالعذب المنير في شرح كتاب التُّسير لأبي السّداد المالقي**"، وكتاب "**الأماني المعروف بالشُّاطبيّة لأبي القاس بن غيرة الشاُطبي**"، وكتاب "**التجريد لأبي الحسن بن علي بن سليمان القرطبي**"[3]...

ولعل أهم الرحالة[4] على سبيل المثال نذكر: محمد بن إبراهيم الآبلي، وعبد الكريم المغيلي[5]، الذي ارتحل إلى بلاد السودان

---

[1]- هو **منصور بن أحمد بن عبد الحق ناصر الدين المشذالي**: (731-631هـ) فقيه مالكي أحد علماء قبيلة مشذالة ببجاية، ولد ودرس فيها ثم ارتحل الى المشرق، عاد الى بلاده بعلم غزير، برع في علوم كثيرة حيث ملأ أقطار بجاية بالعلوم النظرية والنقلية والعقلية، اهتم بالتدريس وأهمل التأليف، تخرج على يديه كوكبة من العلماء سلكوا منهجه في التدريس أمثال: عمران المشذالي... **ينظر**: الغبريني، المصدر السابق، ص200؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص609؛ ابن قنفذ، **الوفيات**...المصدر السابق، ص344؛ جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج2، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دون مكان نشر، ط1، 1979، ص301؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر**...المصدر السابق، ج4، ص361-؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص302؛ إبراهيم مقلاتي، المرجع السابق، ص7-؛ رابح بونار، **عبقرية المشذاليين**...المقال السابق، ص ص305-308.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص468؛ رابح بونار، المقال نفسه، ص307.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص328، ص363.

[4]- **لأكثر تفاصيل** عن العلماء الذين اتجهوا نحو المغرب الأوسط ومساهماتهم الثقافية: **ينظر دراسة**: رشيد خالدي، **دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنيين (8-7هـ/13-14م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص 57-.

[5]- **محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت909هـ)**: رحالة شهير من أسرة علم وورع، درس على يد شيوخ بلاده ثم ارتحل الى بجاية وتوات، وتبحر في علوم الفقه والحديث واللغة والبيان...اشتهر بقضية اليهود في إقليم توات. **ينظر**: ابن مريم، المصدر السابق، ص223؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص576-؛ محمد بن عسكر الحسني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط 2، 1977، ص 130؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص76-77، عائشة=

الغربـي[1] فركن إلى التدريس والإمامة، فكان له تأثير جد هام في نشر العلم بهذه المنطقة، وكذلك بفضل الرحلات العلمية ازدهرت الحركة العلمية في إقليم توات ليدخل بذلك عهدا جديدا أبدع فيه العلماء التواتيين وأنتجوا مؤلفات لا تزال مخطوطة تشهد عليهم[2].

د- فوائد الرحلة العلميـــــــــة:

إنّ للرحلة العلمية فوائد جليلة، فهي «منة من الله ونحلة تكسب الغليظ الطباع غاية الرقة والانطباع وتعقب من كابد لها نصبا علما غزيرا وأدبا»[3]، كما تعد «أصل جمع العلم»[4]، لذا اعتبرها ابن خلدون ضرورة في قوله: «لا بد من طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[5]، كما وضح أهميتها الشـــــافعي في ديوانـــــه حيث قـــــال :

أَمَا فِي المقَامِ لَذِى عَقْل وَذِي أَدَب *** مِنْ رَاحَـةٍ فَدَعِ الأَوْطَـانِ وَاغْتَـــرِبِ

سَافِر تَجِد عِوَضًـا عَمَن تُفَارِقْـــه *** وَاتْعَـب فَإنَّ لَذِيذَ العَيـشِ فِي التَّعَـب

إِنّي رَأَيْتُ وُقُـوفَ المَاءِ يُفْسِـــدُهُ *** إن سَـــاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجِد لَم يَطِـبِ[6].

=بوشقيف، **الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي لإقليمي توات والسودان الغربي خلال القرن 09هـ/15م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص27- ؛ مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تاسيس الامارة الاسلامية بافريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص27-؛ عبد القادر زبادية، "**التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة4، العدد 26، 1975، ص ص203-215؛

[1]- **السودان الغربي:** هو اقليم يقع في افريقيا الغربية، يحده شرقا تشاد، ووغربا المحيط الاطلسي وجنوبا خليج غانا، وجدت به عدة ممالك اهتمت بالعلم والعلوم مثل: غانا ومالي وسنغاي. **ينظر:** مبخوت بودواية، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005-2006، ص35-؛ وعن أثر المغيلي في هذا الإقليم **ينظر الصفحات:** ص ص249-252.

[2]- زينب سالمي، **الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 8-10هـ**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012، ص ص66-68.

[3]- عبد الصمد عزوزي، المرجع السابق، ص17.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص216.

[5]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص579.

[6]- عبد الصمد عزوزي، المرجع السابق، ص 13

ويمكن إجمال ما توصلنا إليه عن فوائـــــد الرحلـــــة العلميـــــة فيما يلي:

- أتاحت للطالب الاتصال بأعلام الفكر والمعرفة، ومكنتهم من الاحتكاك المباشر بهم والتعرف على طرقهم ومناهجهم التعليمية، ونهل مختلف العلوم والمعارف منهم مباشرة، لأن التلقين المباشر أشد استحكاما[1]، فيكون بذلك تصحيح منهج التفكير وبناؤه على أثبت القواعد خاصة عندما يقع تصحيح المتون المروية ووصل أسانيدها بأصحابها يكون ذلك أساسا صالحا للبحث والدرس وبناء الأحكام عليها إحكاما سليما[2]، بدل أخذها من الكتب والمصنفات والمختصرات التي غابت عنها الرواية وكثر فيها التصحيف[3].
- تساهم في احتكاك الطلاب من مختلف المناطق مع بعضهم البعض، وخلق جو من التنافس والتبادل الثقافي فيما بينهم، فتوسع آفاقهم العلمية، وتتحول رحلتهم العلمية إلى بحث ميداني حقيقي لتثبيت المكتسب واكتساب الجديد ومجالسة العلماء لإثراء معارفهم وتعميق مفاهيمهم من خلال حضور دروسهم ومناظراتهم...وتلخيص مؤلفاتهم وأخذ إجازاتهم في مختلف العلوم لذا تعد وعاء معرفيا[4].
- بها تترسخ المعارف أكثر في ذهن الطالب وتسهم بقدر كبير في نضوج فكره ن وكلما زاد عدد الشيوخ الذين يتلقى بهم الطالب كلما عظمت فائدة الرحلة لذا تعد أصل العلم ومنبع العلوم[5]، لذا قيل: «مذاكرة الرجال تلقح الألباب»[6].
- تعد من منعشات العلم والاستغناء عنها ينتج عنه الركود وجمود الفكر، كما انها بواسطتها تقاس منزلة العالم ودرجته الفكرية[7]، حيث قيل «إذا أردت أن تعرف مقدار شيخك فجالس غيره»[8].

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص578.

[2] - عبد الصمد عزوزي، المرجع السابق، ص17.

[3] - ابن مريم، المصدر السابق، ص216-217.

[4] - اسماعيل زردومي، **فن الرحلة في الأدب المغربي القديم**، رسالة دكتوراه في الأدب القديم، جامعة الحاج الأخضر، باتنة، 2005، ص 19؛ لامعة زكري، المرجع السابق، ص33.

[5] - ابن خلدون، **المقدمة** ..المصدر السابق، ص578.

[6] - إسماعيل زردومي، المرجع السابق، ص19.

[7] - مريم سكاكو، المرجع السابق، ص37- 38

[8] - عبد الصمد عزوزي، المرجع السابق، ص17.

➢تعتبر خير حافز لدعم حركة التصنيف والإنتاج الأدبي والعلمي[1]، حيث قام العديد من الرحالين إلى تدوين رحلاتهم ذهابا وإيابا، فوصفوا ما عاينوه جغرافيا وعمرانيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا...، فنتج عن ذلك ظهور كتب شاملة لمختلف الجوانب التي أغفلها بعض المؤرخين الذين اقتصروا على الجوانب السياسية فقط، فكانت انجازاتهم موسوعات علمية[2]، شكلت مادة تاريخية غنية بالأحداث والوقائع والتجارب اليومية والأزمات السياسية والفتن الداخلية والمعارك الحربية والتدابير الإصلاحية والاجتماعية والاقتصادية[3]، لذا اعتبرت من أهم مصادر التاريخ فكانت عونا للمؤرخ والجغرافي...، في حين اضطر آخرون للاهتمام فقط بالجانب العلمي، فدونوا تراجم العلماء ومصنفاتهم... المعروفين في البلدان التي زاروها، وسميت كتبهم بالبرامج أو الفهارس[4]، فشكلت مادة علمية غزيرة تشير بوضوح إلى الجانب الثقافي والعلمي، مع الكشف عن الأصول والمنافع التي استقى الرحالة علومه منها، فكانت من أهم مصادر الحركة العلمية[5].

ونستنتج من حصاد ما سبق أن للرحلة العلمية فوائد كثيرة والاستغناء عنها يؤدي إلى الجمود الفكري، قام فيها الرحالة دور رسل العلم والمعرفة فكانوا بمثابة حلقة اتصال وتبادل فكري وعلمي رغم بعد المسافة ومشقة السفر وصعوبة المسالك، فساهموا بذلك في مد جسور التواصل الفكري والثقافي بين ضفتي العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، تدفعهم الرغبة وحب العلم فكانت رحلاتهم اختيارية، في حين هناك نوع آخر من الرحلات لكنها اضطرارية لجأ إليها أصحابها مكرهين ومرغمين عليها، ولعل أهمها الهجرة الأندلسية.

---

[1]- القلصادي، المصدر السابق، ص66.

[2]- عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص72-92،73.

[3]- ابن الحاج النميري، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تحقيق: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص44.

[4]- يسميها أهل الأندلس **بالبرنامج**، **وبالثبت** عند أهل المشرق، و**بالفهرست** عند أهل المغرب. **ينظر:** القلصادي، المصدر السابق، ص68.

[5]- عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص72-92،73.

5- الهجـــرة الأندلسيـــة وتأثيراتهـــا الثقافيـــة:

أ- دوافعهـــــــــــــا:

شهد المغرب الإسلامي توافد العديد من الأسر الأندلسية نتيجة التدهور السياسي للأندلس، حيث بدأت منذ سقوط الدولة الأموية وقيام ملوك الطوائف (488-430ه)، وبتواصل المحن والأزمات والتجاوزات والانتهاكات على الأندلس زادت حيث أصبحت تسير بوتيرة متسارعة مع اِشتداد حروب الاسترداد (الريكونكيستا Reconquista)[1]، حيث بلغت أقصاها في العهد الحفصي والزياني ولا سيما بعد أن استولى الاسبان على قواعد البلاد مثل: طليطلة وقرطبة واشبيلية وسرقسطة وبلنسية[2]...، ثم تفاقمت بعد سقوط دولة بني الأحمر[3] بغرناطة[4] سنة (897ه/1492م) آخر معقل للمسلمين في الأندلس، حيث اشتدت وطأة الاسبان على المسلمين وبلغ التكالب أشده وغدا طرد المسلمين من اسبانيا عملا مقدسا تباركه الكنيسة وتجند له رجال الدين، فشكل القرنين (9-8ه/14-15م) أكبر موجة من موجات الهجرة الأندلسية حيث تدفقت أمواج المهاجرين يناشدون الحماية والأمن[5]، لذا أجاز

---

[1]- مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، 2002، ص ص52-103.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** ...المرجع السابق، ج1، ص174.

[3]- **بنو الأحمر أو بنو نصر**: نسبة إلى الشّيخ يوسف بن نصر، حكموا الأندلس من629ه حتّى سقوط غرناطة سنة (897ه/1492م). **ينظر**: لسان الدين بن الخطيب، **تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: ليفي بروفسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956، ص294-، لسان الدين بن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1316ه، ص115-؛ مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص267-؛ يوسف شكري فرحات، **غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)**، دار الجبل، بيروت، ط1، 1993، ص19-؛ محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج4 (**نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997، ص38-؛ عبد القادر بوحسون، **الأندلس**...المرجع السابق، ص24-.

[4]- **غرناطة**: مشتق اسمها من مصدر روماني Granate أي الرمانة، من أهم المدن الأندلسية، تقع في الجنوب الشرقي في شبه الجزيرة الايبيرية، لها تاريخ عريق خاصة في عهد بني الأحمر الذين اتخذوها عاصمة لهم. **ينظر**: لسان الدين بن الخطيب، **معيار الاختيار**...المصدر السابق، ص113-؛ أبو الفداء، المصدر السابق، 177؛ كرد علي، **غابر الأندلس وحاضرها**، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1923، ص110-؛ عبد الحكيم الذنون، **آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي**، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1988، ص32-.

[5]- جمال يحياوي، "**أثار الهجرة الأندلسية على تلمسان**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، 2011، ص91.

الفقهاء بضرورة الهجرة واعتبرت فريضة واجبة على المستطيعين مثل فتوى: أبو العباس الونشريسي (ت914هـ/1508م) المسماة: "**أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**"[1]، كما شجع عليها الشعراء حيث قال احدهم:

يَا أَهْـــــلَ الأَنْدَلُس شُدُّوا رِحَالَكُـم   فَمَـــا مَقَامُكُـم إلاَّ مِن الغَلَـــــــطِ

العَقْدُ يَنْثـُــر مِن أَطْرَافِـــــه وَأَرَى   عَقْدُ الجَزِيــــرَة مَنْثُورًا مِنَ الوَسَـــطِ[2] .

مما دفع السكان من مختلف الفئات الاجتماعية: الصناع والحرفيين والتجار والعلماء والطلبة...للبحث عن ملاذ أكثر أمنا واستقرارا، ففتحت بلاد المغرب الإسلامي ذراعيها لاستقبالهم، فاختار الكثير منهم المغرب الأوسط وفضلوا الاستقرار في وهران ومستغانم وجيجل بجاية وتنس وشرشال والجزائر وتلمسان وبجاية ... لوجود جاليات أندلسية بها منذ القديم، ولتقابل العديد من موانئها للموانئ الأندلسية مثل ألمرية تقابل هنين، ومستغانم تقابل دانية...، بالإضافة إلى وجود علاقات دبلوماسية بين سلاطين المغرب الأوسط وبني الأحمر تبادلوا خلالها الرسائل والمساعدات[3].

ب- هجـــــرة العلمـــاء الأندلسيين وأدوارهم الثقافيـة:

ورغم المأساة الأندلسية فقد كانت خيرا وبركة على بلاد المغرب الأوسط، حيث كان تأثيرها كبير وواضح في جميع الميادين السياسيّة، والإداريّة، والاقتصادية، والاجتماعية[4]، والثقافة خلال فترة البحث، وما يهمنا هو دراسة تأثير هذه الهجرة على الحياة الثقافيّة بصفة خاصّة، «ولا نبالغ إذا قلنا أن التأثير الأندلسي كان أبلغ في الميدان الفكري منه في الميدان

---

[1]- أبو العباس أحمد بن يحى بن محمد التلمساني الونشريسي، "**أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**"، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية**، مدريد، المجلد5، العدد1-2، 1957، ص148-.

[2]- محمد الطاهر ابن عاشور، **أليس الصبح بقريب (التعليم العربي الإسلامي): دراسة تاريخية وآراء إصلاحية**، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006، ص70.

[3]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص130.

[4]- **للتطرق إلى ذلك ينظر**: محمد الطالبي، "**الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين**" ،**مجلة الأصالة**، العدد26، السنة4، 1975، ص ص78-83؛ محمد رزوق، **دراسات في تاريخ المغرب**، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص ص23-31.

السياسي، بحيث أن المد الحضاري الأندلسي كان من القوة بحيث أدخل الكثير من التغيير على الساحة الفكرية»[1]، ففيما تجلى ذلك؟.

إن من جملة الوافدين الأندلسيين: رجال العلم والقلم ومحبي العلم وطلابه الذين حملوا معارفهم وعلومهم، ومعظمهم كانوا ينحدروا من أسر ذات شان كبير عرفت بالعلم وتوارثته منذ القدم، وإذا كان من المستحيل حصر عددهم حسب قول المقري: «اعلم جعلني الله تعالى وإياك ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا يحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام»[2]، إلاّ أن ما عرف عنهم تفوقهم عن سواهم في العلوم بصفة عامة والفنون بصفة خاصة، حيث قيل في حقهم: «إن الإجماع حصل على فضل الأندلسيين، وقد نشأ فيهم الفضلاء والشعراء بها ما اشتهر في الآفاق»[3]، هذا ما جعل سلاطين المغرب الأوسط يعملون لإحضارهم إلى بلاطهم والاستفادة مما يحملونه من حضارة وفنون وفكر وعلوم، فكانت تلمسان وبجاية مقصدهم اعتبارهما أرض خصبة وبيئة مهيأة لدورهما الرائد ونهضتهما الثقافية والعمرانية، وحنكة حكامهما لاعتنائهم بالعلم والعلماء واستقدامهم وإكرامهم وإغداق الصلات عليهم حيث رأوا أن «التجاء هؤلاء العلماء إلى ممالكهم إنما هو تشريف لها واغناء لثروتها العلمية وسمعتها الأدبية، كما أن رعايتهم تضفي على شخصهم بهاء ولمعانا وعلى سمعتهم سناء وفخرا»[4]، ففي عهد يغمراسن على سبيل المثال لا الحصر حظوا عنده بشأن عظيم حيث «بوأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنات ألفافا...وأشاد بماله فيهم من المقاصد الكرام» حيث اصدر في حقهم مرسوما يؤكد على العناية بهم ويضمن لهم حقهم في السكن وتملك الأراضي والتكريم، -لهم ولجميع الأندلسيين الوافدين إلى المملكة الزيانية-[5].

---

[1]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص35.

[2]- **نفح الطيب**... المصدر السابق، ج2، ص39.

[3]- عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008، ص123.

[4]- عبد الله عنان، المقال السابق، ص ص194-195.

[5]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ص ص201-202.

إن قدوم هؤلاء العلماء من أجل الحصول على الأمن والاستقرار والدعم المالي من أجل مواصلة عطائهم العلمي[1]، قدموا حاملين معهم علومهم ومعارفهم، ففتحت لهم الأبواب للاستفادة من معارفهم العلمية والأدبية، ومن خبرتهم الفنية، فأدى ذلك إلى تكوين نشاط علمي وفكري كبير[2]، ولعل خير دليل على ذلك تلك الحركة العلمية الأدبية الجياشة التي قامت على أيديهم، ومنهم جمهرة كبيرة من أساطين الفقه والحديث والأدب واللغة[3]، فأضحت هاته الأقاليم وارثة العلوم الأندلسية[4]، وكان للعنصر الأندلسي فيها دور الريادة والإبداع، فكان نشاطهم الثقافي استمرارا للإسهام الفكري والإنتاج العلمي الأندلسي[5].

❖إسهاماتهم في تلمســــان:

ومن العلماء الأندلسيين الذين دخلوا تلمسان وبرزوا فيها: أبو عبد الله الآبلي الذي يعد من أنبغ رجال عصره وأذكاهم، ظهر نبوغه في الرياضيات والعلوم العقيلة والمنطق، فكان مدرسة لرجال العلم بمساهمته في تكوين جيل من مشاهير العلماء أمثال: عبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحى وأبو عبد الله الشريف، وسعيد العقباني[6]... وكذلك العلامة الوزير لسان الدين بن الخطيب[7]، الذي مكث فيها سنتين ابتداء من سنة (772هـ/1370م)، فأخذ عنه كثير من علماء تلمسان واستفادوا من علمه وأدبه حيث لازمه عبد الرحمن بن خلدون وأخوه

---

[1]- عبد القادر بوباية، "**إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن (7هـ/13م)**"، **مجلة عصور الجديدة**، العدد2 خاص بتلمسان، 2011، ص159.

[2]- محمد رمضان شاوش، المرجع السابق، ص401.

[3]- عبد الله عنان، المقال السابق، ص195.

[4]- محمد الطاهر ابن عاشور، المرجع السابق، ص70.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المقال السابق، ص81.

[6]- عبد الحميد حاجيات، "**العلاقات بين تلمسان وغرناطة**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، 2011، ص ص75-76.

[7]- **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ين علي بن أحمد السلماني الملقب بابن الخطيب والمعروف بلسان الدين:** ولد بمدينة لوشة الأندلسية سنة (713هـ/1313م) في بيت علم وفضل وجاه، فكان فيلسوفا ومؤرخا وشاعرا ووزيرا وسياسيا من أعظم الشخصيات الأندلسية في القرن (8هـ/14م)، توفي سنة (776هـ/1374م). **ينظر**: لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج1، ص20-؛ لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009، ص19-؛ عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص959- .

يحى[1]، وهناك أيضا: أبو عبد الله بن الحداد الوادي آشي، الذي سكن تلمسان بعد سقوط غرناطة وحصلت له مصاهرة مع أعيانها بني مرزوق[2]، فدرّس بتلمسان الحديث والفقه والأصول والنحو والمنطق والجدل والفرائض، وكان كثير الإسماع في الفقه والجدل[3]، دون أن ننسى دور الأديب الشاعر أبو بكر محمد بن الخطاب الغافقي المرسي (ت686هـ) الذي عينه يغمراسن كاتبا للدولة الزيانية حيث كان قدوة للكتّاب في المغرب يحاكون ديباجته في رسائلهم[4]، فساهم بقسط وافر في ازدهار الحياة الأدبية بها، وبوفاته انقرض علم الكتابة[5]، وتبقى الأمثلـة عن ذلك كثيـرة ممن ساهموا في تفعيل الحركة العلمية بتلمسان.

لقد كان لهؤلاء العلماء الأثر البالغ في جعل تلمسان مركز علمي مزدهر، فاستقرارهم كان له دور كبير في نهضتها العلمية حيث قدّموا جل خبراتهم ورصيدهم العلمي في سبيل خدمتها باعتبارها إحدى مراكز العلم والثقافة[6]، فكان أثرهم فعال في تدعيم النشاط الثقافي والفني والمشاركة في تسيير شؤون البلاد، حيث قاموا بتأطير المجالس العلمية والمناظرات في المساجد والمدارس وتنظيم حلقات الدرس، وبفضلهم أصبحت هذه المؤسسات تعج بالمحدثين والفقهاء والأدباء والمقرئين والخطباء كما ساهموا أيضا في دفع حركة التأليف ونسخ الكتب إلى الأمام[7]، وبذلك تكون «ارتسمت ملامح التزاوج الحضاري والتناسق الإبداعي بين الطرفين، وورثت تلمسان مجد قرطبة وغرناطة، فاستحقت بذلك لقب "لؤلؤة المغرب العربي"، وكان للأندلسيين دور بارز في ترصيعها»[8].

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، **العلاقات بين تلمسان وغرناطة**..المقال السابق، ص76.

[2]- المقري التلمساني، **أزهار الرياض**... المصدر السابق، ج3، ص305.

[3]- مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية**، ج2 **(الأحوال الاقتصادية والثقافية)**، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007، ص290.

[4]- محمد الطمار، **الروابط الثقافية**...المرجع السابق، ص210.

[5]- التنسي، المصدر السابق، ص128.

[6]- عبد القادر بوباية، المقال السابق، ص167.

[7]- جمال يحياوي، المقال السابق، ص94.

[8]- المقال نفسه، ص92.

❖إسهاماتهم في بجايـــــة:

أما بجاية فكانت منزلا مفضلا لكثير من العلماء الذين حطوا بها الرحال من مختلف الشخصيات العلمية المرموقة التي تميزت بتفوقها العلمي ومكانتها الأدبية وكلمتها المسموعة لدى الحكام والتي عرفت بمشيخة الأندلس[1]، فكان تأثيرها كبيرا فبفضلهم اكتسبت بجاية طابعا أندلسيا حتى عدت من حواضر الأندلس، فأقاموا فيها مدرسة علمية زاهرة، وبرز فيها كوكبة من العلماء والتلاميذ شاركوا في نهضة علمية زاهرة كان لها أعظم الأثر في إحياء العلوم والآداب بالمغرب الأوسط[2].

لقد احتكر الأندلسيون مجال التعليم باستقدامهم طرائق جديدة كانت لها نتائج ايجابية[3]، حيث أضيف إلى البرامج الدراسية تآليف أندلسية اعتمدها الأساتذة مقررات دراسية، وتهافت الطلبة عليها في المساجد والمدارس، مثل كتاب: "**القراءات**" لأبي عثمان بن سعيد بن زاهر، و"**لامية الشاطبي**" و"**تفسير ابن عطية**" و"**مختصر ابن الحاجب**" في الأصول[4].

كما عملوا على تجديد طرق التدريس وتطوير أساليب تلقي المعلومات، بتجاوز الطريقة المغربية القديمة المبنية على الحفظ إلى طريقة تعتمد على البحث والتفكير والمنافسة والمناقشة والمناظرة، ولعل أهم عالم أندلسي أسهم في ذلك هو **أبو عبد الله الآبلي** (ت757هـ) الذي انتصب للتدريس ببجاية وتلمسان وفاس ورفض أن يكون الطالب وعاء علم يملؤه الأستاذ بالمعلومات، كما شمل التأثير الأندلسي طرق الكتابة ورسم الخط وتأليف الكتب، فكان النموذج الأندلسي المثال المحتذى به في اختيار الألفاظ والمحسنات البديعية، أما الخط فقد اعتمده الناسخون لوضوحه وسهولة كتابته[5]، إذ يذكر ابن خلدون في هذا الصدد:« ونُسِيَ خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما، وصارت خطُوط أهل إفريقيّة كلّها على الرّسم الأندلسي بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس»[6].

1- ناصر الدين سعيدوني، المقال السابق، ص86.

2- عبد الله عنان، المقال السابق، ص195، ص197.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص93.

4- ناصر الدين سعيدوني، المقال السابق، ص87-88؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص68/55.

5- ناصر الدين سعيدوني، المقال السابق، ص86-88.

6- **المقدمة**...المصدر السابق، ص456.

لقد أفاد هؤلاء العلماء بمواهبهم وثقافتهم اللامعة أسواق العلم والأدب والفنون فراجت رواجا لم ير من قبل[1]، ولعل أبرزهم الأديب **أبو بكر محمد بن أحمد الزهري البلنسي المعروف بابن محرز** (ت655هـ/1257م) جلس للتدريس ببجاية، وكان على رأس الجماعة الأندلسية وشيخهم، جعل من منزله مجمع العلماء أمثل: أبو المطرف ابن عميرة[2]، والفقيه والمؤرخ ابن الآبار (ت658هـ/1260م) هو الآخر استوطن بجاية «درّس بها وأقرأ وروى وأسمع وصنف وألف، وله تآليف حسنة ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة»[3]...، إلى غيرهم من العلماء الذين ملئت بهم كتب التراجم، فبفضلهم تبوأت بجاية مكانة مرموقة وظلت إحدى منارات المعرفة ومراكز العلم ببلاد المغرب، وعن طريقها وبواسطتها تم انتقال التراث العلمي الأندلسي المتأخر نحو المشرق[4].

وفي الأخير يمكن القول أنه إذا كان انتقال العلماء وطلبة العلم من المغرب الوسط باتجاه مختلف الحواضر الإسلامية إراديا ويحمل الصبغة العلمية أو الدينية، فإن انتقال علماء الأندلس كان اضطراريا، وبالرغم من تلك المحنة الإنسانية التي ألمت بهم، فإنها كانت خيرا وبركة على مجتمع بلاد المغرب الأوسط.

---

[1]- محمد الطمار، **الروابط الثقافية**...المرجع السابق، ص210.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص ص241-243.

[3]- المصدر نفسه، ص259.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المقال السابق، ص100.

6- تطـــور الوراقـــة[1] وازدهـــار النســـخ:

أ- المفهـــوم والخصوصيـــة:

إذا كانت الحركة العلمية قد استفادت من توجيه السلاطين وتشجيعهم المستمر لها، فإنها قد وجدت أيضا في رعايتهم للفنون والآداب وتدعيم النشاط الثقافي عاملا أخر لا يقل أهمية عن بقية العوامل التي كانت دافعا أساسيا للنمو الثقافي الذي شهده المغرب الأوسط، فقد عرفت هذه الفترة نمو الوراقة وازدهار فن النسخ[2]، الذي قال عنه ابن خلدون: «كثرت التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلهما في الآفاق والأمصار فانتسخت وجلدت، وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران»[3]، فهذه الصناعة دفعت عجلة التطور الحضاري والثقافي من خلال الثروة العلمية الهائلة التي أحدثتها في جميع فروع العلم والمعرفة، إذ أصبحت مرادفة لمصطلح الناشر في عصرنا الحالي[4]، وقد شملت عملية نسخ الكتب مختلف ألوان الفنون والعلوم، حيث شكلت المصاحف وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية حصة الأسد باعتبار أن هذه الصنعة تعد «من أهم الصنائع في الدين إذ بها تصان المصاحف وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية»[5]، فالمصاحف تعتبر من المخطوطات الأولى التي خصها الخطاطون بعناية وجهد خاص، حتى بلغت فيها الكتابة من الكمال وحسن الخط

1- **الوراقة:** هي حرفة انتساخ الكتب وتصحيحها بالمقابلة وتجليدها وبيعها، يسمى المنتسبون اليها بالوراقين أو الخطاطين أو النساخين، ويشكل **الورق** أو **الكاغد** فيها حجر الأساس، انتشرت صناعته في النصف الثاني من القرن 2ه في سمرقند على يد أسرى صينيين ثم انتقل الى بغداد سنة 181ه ثم مصر في القرن 4ه فبلاد المغرب حوالي 494ه، وأوروبا حيث راجت صناعته رواجا كبيرا، وهو عدة أنواع. **ينظر عن موضوع الورق والوراقة:** عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص457؛ محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط الى الفترة المعاصر**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1991، ص11-؛ ربحي مصطفى عليان، **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999، ص56-؛ عصام سليمان موسى، "**الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة**"، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد27، العدد3-4، 2011، ص ص223-239/228؛ أحمد الصديقي، "**صناع الكتب في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط مساهمة في دراسة أوضاعهم الاجتماعية الاقتصادية**"، **دورية كان التاريخية الكترونية**، السنة6، العدد22، 2013، ص170.

2- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** ...المرجع السابق، ج2، ص336.

3- **المقدمة**...المصدر السابق، ص457.

4- عصام سليمان موسى، المقال السابق، ص232.

5- ابن الحاج، **المدخـــــــل**، ج4، مكتبة دار التراث، القاهرة، (دت)، ص87.

ما لم تدركه من قبل، من خلال الاعتناء بصحة نسخها وتطوير أساليب رسمها وحفظها والإتقان في تجليدها[1]، وتجميلها وزخرفتها والعناية بشكلها في أجمل صورة وأبهى حلة ليطابق مظهرها الأنيق الفاخر ما تحتوي بداخلها من علم نفيس[2].

ب- نماذج من النسّاخين – الخطاطين- بالمغرب الأوســــط:

لقد شاعت حركية النسخ بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، شارك فيها العلماء والفقهاء واللغويين والقضاة الطلبة...ولجاذبية هذه الحرفة استهوت أيضا السلاطين والأمراء، نظرا لامتلاكهم وتوفرهم على الأدوات الخاصة من: الورق والأقلام والمحبرة والمداد[3]...، وكذلك اتقان أساسيات الحرفة وأخلاقياتها إذ يعد شرط العلم بالكتابة أساسيا لولوجها، فيشترط في الناسخ جودة الخط ووضوحه وضبطه، والسرعة والمهارة في التوثيق والدّقة في العمل وصحّة النظر، والأمانة في النسخ[4]...تفاديا لتشويه أفكاره وإفساد محتواه، وعن ذلك يقول الإمام محمد السنوسي:

وَلم أَفْسَدَ الرَّاوِي كَلاَمًا بِعَقْلِــــهِ وَكَمْ غَيّرَ المَنْقُول قَوْمٌ وَحَرّفـوُا

وَكَم نَاسِخٍ أَضْحَى لِمَعْنَى مُغَيّرًا وَجَاءَ بِمَعْنَى لَمْ يُرِدْهُ المَصَنِّف[5]

بالإضافة إلى التجليد والترويق والتزويق، وهناك أيضا تذهيب العناوين وتجميل أشكالها وإخراجها في ثوب جميل يليق بمضامينها فهي من الشروط الأساسية في الإقبـــال

1- **التجليد:** صناعة تختص بكسوة الكتاب بالإضافة إلى زخرفته وتزيينه وتلوينه وتذهيبه...، تسمى لدى أهل المغرب **بالتجليد** و**بالتفسير** عند المشرق، **لأكثر تفاصيل ينظر:** بكر بن إبراهيم الاشبيلي، **كتاب التيسير في صناعة التسفير**، تحقيق: عبد الله كنون، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية**، مدريد، المجلدان7-8، 1959و1960، ص9-.

2- سهى محمود بعيون، "**كتابة المصاحف في الأندلس**"، **مجلة البحوث والدراسات القرآنية**، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السنة4، العدد7، 1432هـ/2011م، ص ص150-154.

3- **للتعرف على أدوات الناسخ ينظر:** بكر بن إبراهيم الاشبيلي، المصدر السابق، ص10-؛ أحمد شوحان، **رحلة الخط المغربي من المسند الى الحديث-دراسة-**، من منشورات الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص ص70-84؛ ربحي مصطفى عليان، المرجع السابق، ص ص73-74.

4- ابن الحاج، المصدر السابق، ج4، ص83-؛ تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1993، ص131-؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص291؛

5- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج12، ص398.

وكثرة الطلب على منتسخات الوراق[1].

وإذا رجعنا إلى أهم الناساخين فنجد منهم من استهوته هذه الحرفة واتخذها لكسب الأجر والثواب من خلال الحرص على جمع الكتب ونسخها ووقفها على المساجد والمكتبات، فنسخها بيديه أو كلف من ينسخها عنه[2]، والبعض الآخر احترفوا هذه المهنة واعتمدوا عليها في تأمين معاشهم ورزقهم فكانوا يبيعون ما ينسخونه، ويكسبون أجره لضمان لقمة العيش، فتباينت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية تبعا لذلك[3]، فمهما اختلفت النية والقصد من وراء عملية النسخ إلا أنّ أهميتها واحدة فهي «تعد من أحسن الحرف والأشغال، لما فيها من نشر العلم وتخليده»[4]، كما تعتبر مهنة الفضلاء والصلحاء الذين يريدون كسب رزقهم بالحلال وكسب الأجر والثواب على الرغم من تعبها والنتائج المترتبة عنها[5].

ولعل أبرز الناساخين السلطان الزياني **أبو زيان محمد الثاني** (ت801هـ) حيث كان له اهتمام عظيم وشغف شديد بجمع الكتب ونسخها بخطه، فنال بذلك مدح الشاعر محمد بن يوسف الثغري[6] في أبيات شعرية جاء فيها:

لَئِن كَان بحراً في العُلـومِ فإنَ في ... بنــانِ يَديهِ للنـــدى أبحرًا عشرَا

لَــه بكِتــابِ الله أعني عنايـــةٍ ... وبالسنةِ الغرا هُو المغـــرمَ المغرَي

فمـا هَمَــهُ إلاّ كتــابُ وسنـــــةُ ... بنسخِها قد أحرزَ الفخــرَ والأجرَا

فنَسخ كتـــابِ الله جلَّ جلاَلُـــهُ ... ونسخ البخاري ضَامِنَان لَهُ النصْرَا

ومَن كَانَ يَعتَدْ الشِفَـــاءَ شِفَاءَه ... فَمِن عِلَلِ الأَوزَارِ في نَسخِـه يَبرَا

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** ...المرجع السابق، ج2، ص336.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص291.

[3]- احمد الصديقي، المقال السابق، ص ص170-172.

[4]- محمد المنوني، **تاريخ الوراقة**...المرجع السابق، ص12.

[5]- **حيث قيل عنها: أَمَّا الوِرَاقَــةَ فَهِيَ أَنكَــدُ حِـــرْفَةٍ ... أَوْرَاقُهَـــا وَثِمَارُهَـــا الحِرمَـــانِ**

شُبِهَت صَاحِبهَـا بِصَاحِبِ إبـــرة ... تَكْسُـوا العُـرَاةَ وَجِسْمهَـــا عِريَـــان

ينظر: ربحي مصطفى عليان، المرجع السابق، ص88.

[6]- هو **أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري**، ولد ونشأ بتلمسان، ودرس على يد أبي عبد الله الشريف، ونبغ في فنون الأدب، فنظم العديد من القصائد وألف العديد منها في المناسبات الّتي يقيمها أبو حمو موسى الثاني، اشتغل شاهدا في بيت المال، ولعله توفي في أوائل القرن التاسع الهجري. **ينظر:** عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية**... المقال السابق، ص150؛ محمد الطمار، **تاريخ الأدب**... المرجع السابق، ص ص275-284.

تَضَـــــوعَ طَيِّبًا حِبرَه وكِتَابــه فَزَادَ البُخَــارِي مِن مَبَاخِرِه عِطرًا

فَلَمْ أَدرِ والأَورَاقُ رَاقَتْ بِخَطِّــه أَمسَكًا عَلَى الكَافُورِ يَنثُرُ أَم حِبرًا[1].

ومن خلال قراءتنا لهذه الأبيات نستنتج انه اهتم بنسخ القران الكريم وبعض الكتب الدين، وضحها التنسي في قوله: «نسخ رضي الله عنه بيده الكريمة نسخا من القرآن وحبّسها، ونسخة من صحيح البخاري ونسخة من الشفاء لأبي الفضل عياض حبّسها كلها بخزانته الّتي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان المحروسة»[2].

وكذلك **أبو عبد الله محمد الأكبر بن مرزوق** (ت781هـ) الّذي اشتغل بالقراءة وغلبت عليه علوم القرآن وكتابة المصاحف داخل دكانه بالقيصرية الّذي كان يبيع فيه السلع، وكانت غاية الحسن خطا وضبطا على طريقة أهل الأندلس[3]، وكذلك الإمام القاضي **أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن اللحام**، الذي كان يتقن عمله في النسخ ببراعة الخط وجودته، **وأبو عبد الله بن الملك** الّذي كان يعيش من أجر نسخ الكتب[4]، وأيضا الفقيه الأديب **أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي الأندلسي** الذي استقر بتلمسان واحترف مهنة النسخ، حيث نسخ بخطه في تلمسان حوالي مئة سفر منها عشرون نسخة من توضيح خليل، وبمدينة فاس حوالي ثمانمائة سفر[5]، حيث وصفه المقري بأنه «حائز قصب السبق في كثرة النسخ والكتابة»[6]، وحتى الطلبة كان لهم نصيب فقد نسخ **محمد بن يوسف السنوسي** (ت895هـ)[7] ثلاثين كتابا بتكليف من أحد أساتذته، مستغرقا أياما قليلة، فأشـــاد به شيخه

---

[1]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص219.

[2]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص211.

[3]- حفيظة بلميهوب،"**العلماء المرازقة**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، افريل-ماي2011، ص161.

[4]- عبد عزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص ص337-338.

[5]- المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج3، ص308.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص71.

[7]- **أبو عبد الله محمد بن يوسف عمر بن شعيب السنوسي** ولد بتلمسان سنة (832هـ/1429م) وتوفي بها سنة (895هـ/1490م)، من كبار العلماء له التصانيف الكثيرة. **ينظر**: ابن مريم، المصدر السابق، ص237-؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ص141؛ بدر الدين القرافي، المصدر السابق، ص222؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص563-؛ محمد بن احمد الحضيكي، **طبقات الحضيكي**، ج1، تحقيق: أحمد بومزكر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص234-؛ محمد بن عسكر الحسني، المصدر السابق، ص121-؛ أبي جعفر أحمد بن=

لسرعته حيث قال عنه: «لو كان إنسان ينسخ مثل هذا في كل يوم لظفر بأسفار عديدة»[1].

ج- انعكاسات النسخ والوراقة على الحركة العلمية:

لقد أفرز تطور الوراقة والنسخ ثمارا ايجابية فازدهارها كان سببا في بلوغ الحركة العلمية غايتها من النهضة الواسعة حيث:

- شاع العلم وانتشرت المعرفة وتقدمت العلوم.
- خُلق جو من التنافس في الأوساط العلمية والأدبية، صاحبها إبداعات فكرية وأدبية وعلمية.
- انتشرت حركة التأليف والترجمة وظهرت المصنفات والفهارس.
- ظهور خزائن الكتب والمكتبات الخاصة والعامة وانتشارها في المساجد والمدارس...
- ظهور طبقة الوراقين ساهموا بجهدهم في توفير ونشر الكتب في المكتبات والسوق، فكانوا بمثابة دور النشر في عالمنا هذا[2].
- ظهور حوانيت الوراقين التي وصفت بالمعاهد العلمية، حيث أرست دعائم الحركة الثقافية، باعتبارها منبعا غزيرا للثقافة فكانت مقصد طلاب العلم والمعرفة، ومجالا واسعا للمناظرات الأدبية والحوار العلمي، يؤمها المثقفون والأدباء يتخذونها ملتقى لهم ومكانا لعرض أبحاثهم وإقامة مناظراتهم[3].

=علي البلوي الوادي آشي، **ثبت الوادي آشي**، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص436-؛ إسماعيل باشا البغدادي، المصدر السابق، ص216؛ محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1، ص176-؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص180-؛ عبد العزيز الصغير دخان، **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف**، دار كردادة، الجزائر، ط1، 2010-2011، ص74؛ محمد بسكر، "**الحركة الفكرية في تلمسان أواخر القرن التاسع محمد بن يوسف السنوسي أنموذجا**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 4/3، افريل/ماي2011، ص117-121؛ عبد القادر أحمد عبد القادر، "**السنوسي التلمساني الجامع بين علوم الباطن والظاهر: مصنفاته المخطوطة وأماكن وجودها**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، الإمارات العربية المتحدة، السنة السادسة، العدد22-23، 1998، ص ص137-154؛ جمال الدين بوقلي حسن، "**تشخيص مهمة ابن يوسف السنوسي كمدخل الى فكره**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 4/3، افريل/ماي، 2011، ص110-115؛ Ch. bosselard, **cheikh Mohamed Ben Youssef ES-Senouci (15é siècle), dans Tlemcen dans les textes**… Op-cit, pp197-213.

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص 243.

2- عصام سليمان الموسى، المقال السابق، ص ص231-243.

3- ربحي مصطفى عليان، المرجع السابق، ص85.

➢انتعاش الخط المغربي- الخاص بالمغرب الإسلامي- خاصة خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)، حيث طغى على سائر الخطوط الأخرى[1]، على الرغم من قساوة ابن خلدون عليه حيث وصفه بالرداءة وابتعاده عن الجودة، فعلى زعمه صارت الكتب المنسوخة بلا فائدة، لا يجني منها القارئ سوى العناء والمشقة لرداءة الخط وفساده وكثرة التصحيف[2]، وهذا الحكم نقضه ابن الخطيب المعاصر لابن خلدون حيث كان خطه المغربي حسن ورائق، والمخطوطات التي كتبت بعده بعشرات السنين مثل "نظم الدر" للتنسي تدحض قوله[3].

7- دور الأوقـــــاف في النهضــة العلميــة:

لقد اهتم علماء المسلمين بالأوقاف (الأحباس) منذ القدم، فقاموا بتحديد معناه لغة وشرعـــا، وأبرزوا أدلة مشروعيته ووضعوا القواعد والأصول المؤسسة له، واهتموا به وشجعوا على القيام به لما له من فوائد جمة في مختلف المجالات خاصة الثقافية منها، حيث يعد بؤرة النهضة العلمية والفكرية وركن أساسي في إرساء دعائم الثقافة ودفع عجلة الحركة العلمية، فما الدور الذي لعبته الأوقاف لتحقيق لذلك؟.

أ-مفهــوم الوقف وخصوصيــاته:

❖ **الوقف لغـــــة:**

الوقف مصدر للفعل الثلاثي وقّف بمعنى الحُبُسْ[4] والمنع، يقال: وقف الشيء وأحبسه وسبّله ويقال: وقفت الدابة وقفا أي حبستها في سبيل الله تعالى... والوقف والتحبيس والتسبيل

1- أحمد شوحان، المرجع السابق، ص66، **ولمعرفة أنواع الخطوط وتطوراتها ينظر الصفحات**: ص ص19-66.

2- **المقدمة**...المصدر السابق، ص458.

3- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص337؛ محمود بوعياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982، ص85.

4- إنّ لفظة **الحبس** مصطلح مغربي، أما **الوقف** مصطلح مشرقي شاع عندهم، والألفاظ الدّالة على الوقف أو الحبس فهي عديدة: تحبيس، تسبيل، تحريم، الصدقة، وهناك لفظة: الصدقة المحرّمة...**ينظر**: عبيد بوداود، **انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)، ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2005-2006، ص05.

معنى واحد[1] يعني المنع، أي «إمساك عن الاستهلاك، أو البيع أو سائر التصرفات، وهو أيضا إمساك المنافع والفوائد ومنعها عن كل أحد أو عرض غير ما أمسكت أو وقفت عليه»[2].

❖ **الوقف شرعــا:**

لقد اختلف الفقهاء في بيان معناه شرعا، حيث عرفوه بتعاريف مختلفة تبعا لاختلاف مذاهبهم[3]، ولعل أقربها إلى الشمول هو تعريف الحنابلة فهو عندهم «تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة»[4]، اقتباسا من قول المصطفى عليه السلام **«إِنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»**[5]، فالصدقة الجارية هي الوقف الذي حبَّس أصله وسبَّل منفعته حيث «لا يباع ولا يوهب ولا يورث»[6].

❖ **مشروعيـــته:**

لقد شرع الله الوقف وجعله من الأمور المستحبة باعتباره من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إليه، وطريق من طرق إدرار الخير، وجاءت مشروعيته من نصوص عامة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة مثل قوله تعـالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**

---

[1]- **ينظر اشتقاقات الكلمات ومعانيها:** ابن منظور، المصدر السابق، ج1 (مادة وقف)، ص359، ج6 (مادة حبس)، ص ص44-46؛ بطرس البستاني، المصدر السابق، ص982؛ الفيومي، المصدر السابق، ص669؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص1051.

[2]- محمد مصطفى شلبي، **أحكام الوصايا والأوقاف**، الدّار الجامعية، بيروت، ط4، ص1982، ص302-؛ منذر قحف، **الوقف الإسلامي: تطوره إدارته تنميته**، دار الفكر، دمشق، ط2، 2006، ص55.

[3]- **ينظر عن ذلك:** منذر قحف، المرجع نفسه، ص ص56-58؛ راغب السرجاني، **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2010، ص ص32-33؛ معتز محمد مصبح، **دور الوقف الخيري في التنمية الاقتصادية (دراسة تطبيقية لقطاع غزة)**، رسالة ماجستير في اقتصاديات التنمية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013، ص ص17-19.

[4]- محمد طاهر حكيم، "**دور الوقف في تعزيز التقدم الفكري**"، **المؤتمر الثالث للأوقاف: الوقف الإسلامي" اقتصاد وإدارة وبناء حضارة**"، بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، 2009، ص ص760-761، معتز محمد مصبح، المرجع السابق، ص18.

[5]- أبو عبد الله البخاري، **صحيح البخـــاري**، ج2 **(باب الشروط)**، تحقيق: محمد الدين الخطيب وآخرون، المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة، ط1، 1400هـ، ص285.

[6]- البرهان الطرابلسي، **الإسعاف في أحكام الأوقاف**، مطبعة هندية، مصر، ط2، 1902، ص 05.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)﴾[1]، وأخرى مفصلة من السنة كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « **إذَا مَاتَ الإِنْسَان انْقَطَعَ عَمَلُه إلاَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَشْيَاء: صَدَقَة جَارِيَة أَوْ عِلْم يُنْتَفَعُ بِه، أَو وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ**»[2]، بالإضافة إلى أقوال وأفعال سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين[3].

❖ **أركانه وشروطه وأصنافه:**

تتألّف العمليّة الوقفية من أربعة أركان تكمن في: الواقف وهو الشخص الذي يقوم بالوقف حيث يشترط فيه: العقل والبلوغ والرشد والاختيار والحرية...والموقوف: وهو الشيء الذي يقِفُه الواقف من عقّارات وأشجار وكتب ومال... للموْقُوف عليه، وهم المستفيدون من ذلك، ويكون شخصا واحدا أو مجموعة أو مؤسّسة دينيّة أو تعليميّة، ولا تتمّ العمليّة إلّا بوجود صيغة الوقف وهي اللفظ الدال على إرادة الوقف كأن يقول: وقفت وحبست، وهي عبارات صريحة دالّة على ذلك أو مجازيّة كأن يقول جعلت أرضي للفقراء صدقة موقوفة[4].

إن الوقف يقوم على مبدأ شرعي، وعلى صيغة قضائية ملزمة، ويتولّى ذلك القاضي بحضور الواقف والشهود، فيتم تحديد قيمة الوقف وتعيين أغراضه، وكيفية الاستفادة منه وانتقاله، وعوامل نموّه وتخصيص المشرفين عليه وشروطه، مع الحرص على تسجيل تاريخ

1- **سورة آل عمران الآية 92.**

2- أبو الحسين مسلم، **صحيح مسلم**، ج2، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، 1426هـ، ص770.

3- **ينظر**: عبيد بوداود، **الأوقاف**... المرجع السّابق، ص07؛ محمد مصطفى شلبي، المرجع السّابق، ص312 -؛ سليمان بن عبد الله أبا الخيل، **الوقف في الشريعة الإسلامية: حكمه وحكمته وأبعاده الدينية والاجتماعية**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2008، ص ص14-24؛ معتز محمد مصبح، المرجع السابق، ص ص22-24.

4- **لأكثر تفاصيل ينظر**: البرهان الطرابلسي، المصدر السابق، ص 10-؛ مشهور بن دخيل بن داخل الحساني، **كتاب الوقف للإمام يوسف بن حسين الكرماستي الحنفي المتوفى سنة 906هـ دراسة وتحقيقا**، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ، ص 155 -؛ احمد بن عبد العزيز حداد، **من فقه الوقف**، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، ط1، 2009، ص ص23-29؛ معتز محمد مصبح، المرجع السابق،= =ص ص 25-28؛ عبيد بوداود، **الأوقاف**...المرجع السابق، ص ص19-21؛ محمد مصطفى شلبي، المرجع السّابق، ص ص 345-356.

الوقف وتوقيع الحاضرين والقاضي، وتسمى بالوثيقة الشرعيّة التي يستند عليها، ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون منه وحتّى السّلطة[1].

وقد خصص صاحب كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف فصلا يحدد فيه ما يجوز وقفه وما لا يجوز وعموما تتمثل هذه الأوقاف عادة في الدّكاكين، والبيوت، والحمّامات، والطّواحن، والأفران، وأشجار الزّيتون والنخيل ، والأراضي الزراعيّة والأموال والحيوانات[2]...، وهي ما كان معمولا به في جميع العالم الإسلامي وكذا المغرب الأوسط خلال فترة البحث.

أمّا بالرّجوع إلى مصدر هذه الأوقاف وأصنافها، فقد ساهم فيها الحكام والسلاطين على شكل أوقاف رسمية، كانت حكرا بالدرجة الأولى على المدارس والمساجد الكبرى[3]، أما النوع الثاني فقد ساهم فيه الأفراد بتحبيس جزءِ من أملاكهم أو في شكل إحسانات يقدمونها خدمة لبعض القطاعات الدّينيّة أو التّعليميّة[4].

ب- مؤسســـة الأوقـــاف بالمغرب الأوسط:

❖ الغــرض والأهمّيــــــة:

إن البعد الأصلي الذي انبنى عليه الوقف هو التقرب إلى الله وابتغاء مرضاته، عن طريق أعمال خيرية متنوعة كتوفير الرّعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى وأبناء السّبيل، ومساعدتهم والتخفيف من معاناتهم[5]، دون إغفال دوره في الجانب الثقافي، فقد شكل على مدار التاريخ الإسلامي العريق أهم مؤسسة كان لها الدور الرائد والفعّال والمتميز في إرساء دعائم الحركة العلمية والثقافية والمعرفية في أنحاء العالم الإسلامي عامة والمغرب

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص224؛ أحمد بن عبد العزيز حداد، المرجع السابق، ص ص23-24.

[2]- البرهان الطرابلسي، المصدر السابق، ص19-؛ **ولأكثر تفاصيل ينظر:** الونشريسي، **المعيار**...المصدر السّابق، ج7، ص151؛ مشهور بن دخيل الله الحساني، المرجع السابق، ص167-؛ صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007، ص157 .

[3]- إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص99.

[4]- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص ص 156-157.

[5]- كمال السّيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدّينيّة والعلميّة في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندريّة للكتاب، الإسكندريّة، 1996، ص ص26-27.

الأوسط خاصة، حيث أسهم إسهاماً واضحاً في العناية والتعزيز المعرفي والازدهار العلمي للمؤسسات العلمية: كالمساجد والمدارس والمكتبات والزوايا... حيث رعتْ الأموال الوقفية عملية التعليم[1]، فمنحت الأجور للقيمين على المؤسسات كالمؤذن والإمام والبوّاب والنّاظر[2]...، بالإضافة إلى العلماء والطّلبة لان «اشتغالهم بالعلم يقطع عنهم الكسب فيغلب فيهم الفقر»[3].

فشكل بذلك مصدر العيش للزّوايا ومصدر الحياة والنّمو للمساجد والمدارس والكتاتيب...فاعتبر الحاضن الأكبر والمورد الرئيسي لأغلب الانجازات العلمية والحضارية، كما يعد المسؤول عن استمرارية حركيتها من عدمه، فانتعشت بعض المؤسسات بسبب ضخامة أوقافها كما هو الحال لمركّب أبي مدين بالعبّاد[4]، في حين عانت أخرى نتيجة ضآلة دخلها أو إهمال الوكلاء لها فتسيبت أوقافها[5]، كما حدث للمدرسة التّاشفينيّة التي سادها الانحطاط العلمي بسب اندثار أوقافها أيّام ضعف الدّولة الزّيانيّة[6].

وبالتّالي فالوقف ضروري في حياة المؤسّسات الثّقافيّة، وهي تختلف باختلاف هذه المؤسّسات، وتكثر أو تقل تبعا لأهمّيتها، وتتأكّد أهمّية الوقف من خلال قول حسن الوزّان: «لم يبقى اليوم سوى دخل بسيط مكّن من الاحتفاظ بالأساتذة الّذين يتقاضى بعضهم مائتي مثقال وبعضهم مئة وبعضهم أقلّ من ذلك، ولعلّ هذا أحد الأسباب الّتي أدّت إلى انخفاض القيمة الفكريّة ليس في فاس وحدها بل في جميع مدن إفريقية»[7].

---

[1]– محمد طاهر حكيم، المقال السابق، ص 772.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص228.

[3]– البرهان الطرابلسي، المصدر السابق، ص13.

[4]– محمد بن رمضان الشّاوش، المرجع السّابق، ص ص298–302.

[5]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ج1، ص228.

[6]– صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص158.

[7]– **وصف إفريقيا**... المصدر السّابق، ج1، ص227.

ولتفادي ذلك والنهوض بقطاع الأوقاف أعاد العديد من الفقهاء والعلماء النّظر في وضعيتها باعتبارها مؤسسة التمويل الثقافي، والّتي ضاعت بسبب الإهمال نتيجة عدم مراعاة الالتزام بالأحكام الشّرعيّة كالمحاسبة، فقد حرصوا على أن تطبّق وتحدّد كلّ شروطها[1].

وهذا إن دل على شيء دل على أهمية الأوقاف ودورها الريادي في النهوض بالازدهار العلمي والتقدم المعرفي، لذلك يمكن أن نعتبرها أسمى» الأنظمة الاقتصادية التي ساهمت في بناء المجتمع، ولبنة أساسية في بناء الحضارة الإسلامية، ومن أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والمعرفي والثقافي، وأنجح وسيلة لاستمرار المؤسسات العلمية والثقافية في أداء وظيفتها ورسالتها، والسبب الرئيسي لأغلب الانجازات العلمية والحضارية المختلفة»[2].

❖ نماذج من أوقاف المغرب الأوسط وأدوارها في خدمة التعليم:

لا شك أن حكام المغرب الأوسط قد أعطوا مثالا واضحا عن العناية الفائقة لهذا القطاع وتمويله، فما مؤسّسة دينية وثقافية وتعليمية أُنشأت، إلّا وحبست عليها الأوقاف، وحدّدت لها مداخيل الصّرف ودوّنت شروط صرفها والمبالغ المحدّدة لها، في لوحات جبسية معلقة لا يزال البعض منها موجودا حتى اليوم يشهد على ذلك[3].

✓أوقـــاف المســـاجد:

كان الوقف وما يزال المصدر الأول والرئيسي في بناء المساجد التي تعتبر في حد ذاتها وقفا، لأنها بيوت الله وليست ملكا لأحد، لذا حظيت بعناية الواقفين عليها، الذين سعوا إلى تعميرها وتشييدها وتزويدها باحتياجاتها من الفرش والبسط والصرف على العاملين فيها للقيام بوظائفها الدينية[4]، وكذلك تهيئة الظروف للقيام بوظائفها التعليمية بتوفير متطلبات

---

[1]– صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص159، وللتعرف على الاحكام المطبقة على على نظام الاوقاف خاصة لناظر الوقف ينظر: الونشريسي، **المعيار**... المصدر السّابق، ج7، ص65-92-92-123-140-145-215-217-348...

[2]– محمد طاهر حكيم، المقال السابق، ص758؛ ص772.

[3]– صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص157.

[4]– معتز محمد مصبح، المرجع السّابق، ص47.

الطلبة من أساتذة وخزائن كتب، فأعانت تلك الأوقاف في أن تحفظ للمساجد شهرتها العلمية واستمرارها كمراكز ومنارات علم وتعلم رغم ظهور المدارس[1].

وتقريبا كل مساجد[2] المغرب الأوسط ساهم في بنائها سواء الحكام أو المحكومين، وكان الإقبال على بنائها كبيرا جدّا وأغلب هذه المساجد استأثرت بأغلب الموقوفات[3]، لأنها لم تكن دور عبادة فحسب بل كانت « منارات علم وتعلم ومشاعل نور وهداية ومراكز فقه وتفقيه، ودار فتوى وقضاء ودورًا للتربية ومدارسة العلم وتحفيظ القرآن الكريم»[4].

ويعتبر يغمراسن أول من بدأ عملية الوقف في بلاد المغرب الأوسط من خلال ببنائه صومعتي الجامعين الأعظمين في تاجـرارت وأغادير والّذي رفض أن يكتب اسمه عليهما[5]، فهذا الرّفض دليل على تقواه وورعه[6]، أمّا خليفته أبو سعيد فقد بنى مسجد سيدي أبي الحسن، وجعله يستفيد من مداخيل عشرين دكان موقف عليه[7].

أما مسجد أبي مدين بالعبّاد والمنجز معه مدرسة وزاوية ضمن مركب أنشأه السّلطان المريني أبو الحسن سنة (739هـ/1338م)، فقد خصه بأوقاف كثيرة ومتنوّعة، عززها السّلطان الزّيـــاني الثّابتي (ت909هـ/1503م) سنة (904هـ/1499م) بأوقاف أخرى[8]، صرفت لخدمة وإصلاح المركب، ودفع أجور القيمين عليه، بالإضافة إلـى الطلبة ومتطلباتهم...[9]، وعلـــى العموم كـــانت ضخمـــة لمكانـــة الولــــــيّ

---

[1]– يحيى محمود ساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط2، 1996، ص20.

[2] – **ينظر عنها الفصل الثاني من الباب الأول**

[3]– عبيد بوداود، **الأوقاف**... المرجع السّابق، ص206.

[4]– محمد طاهر حكيم، المقال السابق، ص773.

[5]– التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص125؛ يحيى بن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص207.

[6]– عبيد بوداود، **الأوقاف**... المرجع السّابق، ص81.

[7]– Georges Marçais, **les villes d'art**…Op-cit, p44.

[8]– محمد بن رمضان الشّاوش، المرجع السّابق، ص ص298–299/ 301–302.

[9]– ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السّابق، ص106.

الصّالح **أبي مدين شعيب** (ت 594هـ)[1] في نفوس السلاطين وعامّة النّاس[2].

أما مسجد مستغانم[3] الذي بناه السلطان أبي الحسن المريني سنة 742هـ فقد وجدت به لوحة تحبيسية مثبتة على أحد جدرانه[4] تبرز أهم موقوفاته من حانوتين وجرّار من الزّيت للإضاءة، يستفيد منها الإمام وقرّاة الحزب والمؤذّنين، ويتولى صرفها القاضي والإمام الخطيب[5].

وكذلك مسجد سيدي الحلوي استفاد هو الآخر من جملة من الأوقاف على شكل دكاكين حبسها عليه منشؤه السّلطان المريني أبو عنان سنة (754هـ/1353م)، ليتسنى له

---

[1]- هو **أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي** (594-520هـ) شيخ المشايخ، من أعلم العلماء وحفاظ الحديث، وشيخ أهل المغرب في التصوف، اشتهر ببجاية وكثر تلاميذه وأقبل الناس عليه التماسا لعلمه وإقتداء بطريقته، توفي في العبّاد ودفن بها. **ينظر:** التنبكتي، المصدر السابق، ص193-؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص108-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص176-؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص125-؛ ابن الزيات التادلي، **التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي**، تحقيق: احمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997، ص319-؛ الناصري، المصدر السابق، ج2، ص189؛ الغبريني، المصدر السابق، ص55-؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ص164؛ إلياس غربي سقال، **الولي الصالح سيدي أبي مدين**، منشورات سقال، تلمسان، 1993، ص8- ؛ عبد الحليم محمود، **أبو مدين الغوث: حياته ومعراجه إلى الله**، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص23-؛ عيسى ميقاري، "**سيد العارفين شيخ المشايخ: أبو مدين شعيب بن الحسن**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، افريل- ماي، 2011، ص140-؛ عبد القادر خلادي، "**أبو مدين غوث دفين تلمسان 520-594هـ/ 1126-1197**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد 26، السنة 4، 1975، ص284- Ch Brosselard, **Sidi Abou Madyan un pole du soufisme maghirébin saint-savant (1126-1197)**, dansTelemcen dans les textes …Op-cit, = =pp225-230 ; Bénali El Hassar, **Abou Madyan Choaib Al Ansari, un mystique andalou du 12 em siécle**, in livre Telemcen dans les textes …Op-cit, pp231-234

[2]- عبيد بوداود، **الأوقاف**... المرجع السّابق، ص89.

[3]- **مستغانم:** مدينة ساحلية بناها الأفارقة، وكانت موضع مضايقة من الأعراب خاصة بعد ضعف الزيانيين، سكانها يشتغلون بصناعة الأقمشة والفلاحة، ولها ميناء صغير. **ينظر:** حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص32؛ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص350- ؛ **ينظر كذلك:** Molay Belhamissi, **Histoire du Mostaganem des origines à l'occupation française**, Alger, 1976, p09.

[4]- **ينظر: الملحق رقم:3 (وثيقة التحبيس على المسجد الكبير بمدينة مستغانم)**

[5]- مولاي بلحميسي، "**في تاريخ جامع مستغانم العتيق**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة 3، العدد12، 1973، ص134.

القيام بمهمّته والتّكفّل بجميع متطلّباته[1]، أما السّلطان الحفصي أبا يحيى بن أبي زكريّاء فقد اهتم بالجامعين الأعظمين بقسنطينة، وحبس عليهما أراضي ودكاكين وحمّامات[2]...

✓ **أوقـــــاف المدارس:**

لقد حظيت المدارس هي الأخرى بحظّ وافر من أوقاف السّلاطين وأفراد الرّعيّة المياسير إعلاء منهم لشأن العلم، فعلى سبيل المثال لا الحصر المدرسة اليعقوبيّة، التي أقامها أبو حمّو موسى الثّاني، ذكرها مؤلف مجهول حيث قال عنها: «أوقف لها الكثير من الأوقاف، وأجرى للطلبة فيها المرتب على أصناف»[3]، كما ذكرها صاحب كتاب نظم الدر «فلمّا كملت المدرسة...احتفل بها وأكثر عليها الأوقاف، ورتّب فيها الجرايات وقدم للتّدريس بها الشريف أبا عبد الله المذكور، وحضر مجلس إقرائه جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له، فلمّا انقضى المجلس أشهد بتلك الأوقاف وكسا طلبتها كلّهم وأطعم النّاس»[4]، حيث كانت كبيرة جدّا ومتنوّعة منها ما هو داخل تلمسان كالحوانيت وكوشة وطاحونة، وفرن وفندق وحمّام، وبعضها خارج المدينة وشمل أراضي زراعيّة وأشجار الزّيتون ومعصرة ورحاها، حسب ما أشارت إليه وثيقة التّحبيس الّتي كتبت سنة (765هـ/1361م)[5]، كما حددت وفئة وقيمة المستفيدين منها، وهم المعلّمين والإمام والمؤذّن والطّلبة[6]، الذين كانوا اوفر حظا وهذا لعدة اعتبارات، أولها المعاملة الحسنة لمدرسهم أبو عبد الله الشّريف، حيث كانوا أعزّ النّاس في أيّامه وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقا وانتفاعا[7]، ومن جهة أخرى دور السّلطان أبو حمو موسى وعنايته بالعلم والعلماء والّذي أنفق عليهم الأموال والجرايات وأمدّهم بالعطايا، حتى انه تعفّف من أخذ أموال الأوقاف ولم يجرؤ على استعمالها في غير ما وقفت عليه، رغم

---

[1]– صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص158.

[2]– مختار حسّاني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية: مدن الشرق**، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص ص 92-93.

[3]– **زهر البستان**...المصدر السابق، ص212 .

[4]– التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص180.

[5]– **ينظر وثيقة التّحبيس:** (Ch)-Brosselard, **Mosquée ouled El Imam**, in Revue Africaine, 3ème année, N°13, Octobre1858, pp169-170.

[6]– Ibid, 169-170.

[7]– ابن مريم، المصدر السّابق، ص170.

حاجته المّاسّة لها لإعادة بناء الدّولة نتيجة الظّروف السّياسيّة والعسكريّة القاهرة الّتي لحقت بها[1]، وعن ذلك يقول يحيى بن خلدون: «...وفتح بين يديه الكريمتين أعلى الله مقامه، صندوق الأوقاف المنوّعة مفعما ذهبا وفضّة، فلم تغره صفراؤه ولا بيضاؤه شنشنة نعرفها من أحزم ولا سنة علوية عليه»[2].

أمّا المدرسة التّاشفينيّة التي غابت عنها حقائق كثيرة لعدم وجود وثائق التحبيس عنها[3]، إلا أن ذلك لا يعني انعدامها، فمؤسسها أبي تاشفين قد أحاطها بجملة من الأوقاف تتغذى منها لتؤدّي رسالتها التّعليميّة والعلميّة[4]، ولكنها اندثرت واختفت بعد ذلك، إلى أن أحياها "أبو العبّاس أحمد العاقل" ما بين سنتي (834-866هـ)، كما ذكره التنسي: «ووجد كثيرا من ربع الأحباس قد دثر، والوظائف الّتي بها قد انقطعت فأحيى رسمها، وجرد ما دثر، وأجرى الوظائف على أزيد ممّا كانت عليه قبل»[5].

ح- الوقــف على المكتبـــات[6]:

تعتبر المكتبات - العامة- من أهم دعائم الحضارة فهي تقوم بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وإتاحتها للجميع، كما تعد من أهم المظاهر التي يتجلى فيها البعد العلمي للوقف، إذ يعكس حب المسلمين للعلم ويبرز حرصهم على نشره، لذا سارع السلاطين على إنشائها وجمع آلاف الكتب وتحبيسها على طلبة العلم، كما خصوها بالأوقاف من أجل ترميمها ودفع مرتبات موظفيها، وتعتبر مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها أنواع المكتبات الأخرى، التي انتشرت في جميع المؤسسات التعليمية، فبالإضافة إلى مكتبات المساجد هناك مكتبات المدارس والزوايا والبيمارستانات[7]...

1- عبيد بوداود، **الأوقاف**... المرجع السّابق، ص84.

2- **بغية الرواد**... المصدر السّابق، ج2، ص96.

3- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص146.

4- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص141.

5- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص ص248-249.

6- **لأكثر تفاصيل حول المكتبات ينظر: الفصل الرابع من الباب الأول.**

7- أنور محمود زناتي، "**الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية ودوره في النهضة العلمية – الأندلس نموذجا-**"، **دورية كان التاريخية**، مجلة رقمية الكترونية، السنة 5، العدد16، 2012، ص40-42.

ويعتبر الكتاب جوهر المكتبة وأساسها، فقد أدرك مشيدو المكتبات أنّ الاقتصار على بنائها وتوفير جهاز للتدريس غير كاف، فاهتموا بوقف الكتب باعتبارها وسيلة ميسرة للتحصيل والمراجعة، حيث توفر مادة علمية يستند عليها المعلم والمتعلم في آن واحد، وقد شملت وقف الكتب مختلف أنواع فروع المعرفة وبنسبة كبيرة كتب الدين وعلى رأسها المصاحف التي استحوذت على اهتمام الواقفين بحيث شكلت نواة المكتبات فاختطوها وحبسوها عليها[1]، ولعل أول المساهمين في هذا النوع هم السلاطين والحكام والأغنياء لتوفر المال لديهم، ولعل أصدق مثال عن ذلك السلطان الزياني أبي زيان محمد الثّاني (796-801هـ) وقف بمكتبة الجامع الأعظم بتلمسان مصاحف وكتب منسوخة بيده بالإضافة إلى كتاب من تآليفه حيث تعتبر «من مآثره الشّريفة المخلّدة من ذكره الجميل ما سرت به الرّكبان، لمّا أوقف عليها من الأوقاف الموجبة للوصف بجميل الأوصاف»[2]، وكذلك السلطان المريني أبو الحسن الذي حبس على مركب أبي مدين بالعباد الكتب النفيسة والمصنّفات المفيدة من اجل أن ترتقي حركته العليمة، فكان سببا في تكاثر الطّلبة الوافدين على المركب[3]، ولم تقتصر هذه المبادرة الهامّة على السّلاطين فحسب، بل شارك فيها الأفراد وحبسوا مكتباتهم، أو الكتب الّتي كانوا يملكونها خدمة للعلم وأهله.

وخلاصة القول أن هذه المكتبات الوقفية قد شكلت منهلا صافيا لطلاب العلم، حيث أتيحت الاستعارة للجميع للاطلاع على الكتب والعلوم جديدة التي لم تكن متاحة لنفر كثير منهم، بسبب ندرتها أو غلاء أثمانها أو المفقودة منها في زمن لم يكن هينا فيه الحصول عليها، فكانت سببا في نشر العلم وازدهار التأليف والنسخ[4].

---

[1]- يحى محمود ساعاتي، المرجع السابق، ص ص21-22، ص66.

[2]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص211.

[3]- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السّابق، ص407.

[4]- عبيد بوداود، **الأوقاف**...المرجع السّابق، ص230؛ أنور محمود زناتي، المقال السابق، ص41.

✓ **أوقـــاف الزّوايـــــــــــا**[1]:

إنّ الزّوايا هي الأخرى شملها نظام الأوقاف، واستفادت منه في إنشائها وتعميرها والنّظر في مصالحها لتسييرها والقيام بمختلف مهامها، لدورها الهام في الحياة الاجتماعية وخاصة العلميّة[2]، فقد كانت تتكفل وتأوي الفقراء والغرباء والطلاب، ولا يستبعد أنها كانت مسرحا لنشاط علمي مكثف، فقد استغل بعضها في التعليم وإقامة حلقات الدرس نظرا لمجاورة عدد كبير منها لمجموعة من المساجد والمدارس إضافة احتوائها على خزائن الكتب، ولتحقيق ذلك اعتمدت اعتمادا كليا على الوقف[3] الذي خصها بها السّلاطين والعلماء والأفراد وأحاطوها بإيراداتهم وإحساناتهم، وعلى الرغم من اختلاف الزوايا إلا أنها تشابهت وظائفها سواء زوايا الريف التي حظيت بعناية سكانها الذين أوقفوا الذين فضل بعضهم تحبيس أراضيه الزراعية، والبعض الأخر اكتفى بتقديم المحصول عينا[4]، أو زوايا المدن وهي الزوايا الرسمية التابعة للسلاطين كزاوية أبي مدين بمركب العباد - أشرنا إليه سابقا - ذات المداخيل الضخمة، وزّاوية السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني بتلمسان التي أنشأها رفقة المدرسة وسمّيت بالمدرسة اليعقوبيّة، فقد أنفق عليها الأموال الجليلة والجرايات لصيانتها والقيام بدورها هي والمدرسة[5]، أو زوايا العلماء ولعل أكثرها شهرة زاوية إبراهيم التّازي (ت860هـ)[6] بوهران، التي حبس عليها الأوقاف الكثيرة استغلت للتكفل بمختلف الفئات الاجتماعية ومستلزماتهم الضرورية من مأوى ومأكل ومشرب، خاصة الخدمات التعليمية في

---

[1]- **لأكثر تفاصيل حول الزوايا ينظر الفصل الرابع من الباب الأول.**

[2]- كمال السّيد أبو مصطفى، المرجع السّابق، ص 110.

[3] - يحى محمود ساعاتي، المرجع السابق، ص21.

[4]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص ص265-266.

[5]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص179.

[6]- هو **إبراهيم بن محمد بن علي التازي أبو إسحاق:** عالم أديب وصوفي كبير، نزيل وهران وتلميذ الشيخ محمد بن عمر الهواري، فكان عالما بالقرآن والحديث والفقه والأصول...، توفي بوهران ودفن بزاويته سنة860هـ. **ينظر:** السخاوي، المصدر السابق، ص187؛ محمد بلحاج، **مخطوط النجم الثّاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، ج1، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008، ص99-؛ ابن صعد الأنصاري، المصدر السابق، ص143-؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص59-؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص58-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص7-؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ص263؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج1، ص194؛ عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص ص287-296.

مختلف العلوم[1]، ولتعميم العلم ونشره حبس عليها صاحبها مكتبة مملوءة بالكتب النفيسة التي وجد فيها طلاب العلم ضالتهم[2].

ومما سبق من تلك النماذج نستنتج أن الأوقاف كان لها الدّور الرّائد في النّهضة العمرانيّة والثّقافيّة الّتي عرفها المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، حيث اعتبرت المصدر الأساسي لتغطية مختلف نفقات المؤسسات الثقافية المتمثلة فـــــي:

- منح أجور الطواقم الساهرة على خدمة المؤسسات:كالمدرسين والحراس والبوابين...
- التكفل بطلاب العلم والعلماء ومختلف الفئات الاجتماعية: كعابري السبيل والمحتاجين والفقراء...
- إنشاء وإصلاح وترميم المؤسّسات وتزويدها بمختلف التّجهيزات الضّروريّة من: حصير وأفرشه وزيت للوقود والإضاءة، بالإضافة إلى توفير الكتب في مختلف الفنون.
- إنّ الوقف كان ومازال بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية الإسلامية على مدار القرون، حيث أسهم الواقفون من حكام ومحكومين وعلماء في مساندة المسيرة العلمية، وبالتالي إتاحة المعرفة لكافة الفئات الاجتماعية دون أدنى تمييز.

وصفوة القول لقد شكلت كل العوامل السابقة الذكر أهم الأسباب الرئيسية التي ساهمت في تطوير مختلف مجالات الثقافة والفكر حيث تلاحمت فيها رغبة الحاكمين مع رغبة المحكومين، فدفعوا بالحركة العلمية التي تجسدت مظاهرها بوضوح في المغرب الأوسط خلال فترة البحث.

---

[1]- عبيد بوداود، المرجع السابق، ص293

[2]- محمد بلحاج، المرجع السّابق، ص118.



الفصل الثاني:

الكتاتيب والمساجد بالمغرب الأوسط ودورهما في نمو الحركة العلمية والمعرفية خلال هذه الفترة

أولا:الكتـــــاتيب مؤسسـة التّعليـم الأولـــى.

1- التعـريف بالكتـــــاب

2- نشأتـــــــــــــه

3- ظهوره بالمغرب الأوسـط

4- وسائلـــه ومستلزماتـــه

5- تلاميـــــــــــذه:

6- معلمـو الكتـــــاب:

7- منهجيـــة التدريــــس:

8- أغراض تعليم الصبيان داخل الكتاب.

ثانيا:المســـاجد بالمغـــرب الأوســـط.

1- تعريـــــف المسجـــد:

2- نشأته ودوره في المجتمع .

3- الدور التعليمي للمســاجد.

4- مساجد المغرب الأوسط وأدوارها الثقافية:

ترتبط نشأة التعليم الاسلامي ارتباطا وثيقا بظهور الاسلام والاهتمام بدراسة القرآن الكريم كمصدر أساسي للمعرفة والتشريع الإسلامي، ولهذا الغرض ظهر منذ بداية العصر الاسلامي مؤسستين أساسيتين اخذت على عاتقهما تدريس القرآن ومختلف العلوم وهما: الكتاتيب والمساجد[1].

أولا- الكتّــاب مؤسسة التّعليم الأولى:

1- تعريـــف الكتّاب:

الكتّاب (بضم الكاف وتشديد التاء) شبيه بالمدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر[2]، ارتبط ارتباطا وثيقا بالتربية الإسلامية منذ نشأته الاولى[3]، عبارة عن موضع لتعليم القرآن للصبيان، مشتق اسمه من التكتيب وتعلم الكتابة وهي المهمة التي اضطلع بها[4]، وهي اقتصادية لا تتطلب تكاليف مادية كبيرة وإنما غرفة بسيطة التأثيث تجمع المعلم بالصبيان، متوفرة على المستلزمات التعليمية كالدواة والقلم واللوح... مستنبطة من البيئة المحلية وسهل الحصول عليها[5]، لذا عرف الكتّاب انتشارا واسعا وإقبالا كبيرا في جميع الأقطار الإسلامية وكذلك المغرب الأوسط مابين القرنين (7-9هـ/13-15م)، حيث ساهم في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية، فهو يعد القاعدة العريضة التي تعلم فيها العديد من العلماء ومن رحابه تخرجوا[6].

1- عبد الطيف عبد الله بن دهيش، **الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما**، مكتبة ليدن، هولندا، 1986، ص 09.

2- مصطفى السباعي، **من روائع حضارتنا**، دار الوراق ودار السلام، القاهرة، ط1، 1998، ص90.

3- محمد أسعد طلس، **التربية والتّعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1957، ص 66.

4- الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص 128-129؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص 699؛ بطرس البستاني، المصدر السابق، ص769؛ ابراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص 775.

5- مصطفى زايد، "**من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، الكُتّاب: دراسة سوسيو- أنثروبولوجية**"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، السنة 16، العدد 93، 1986، ص ص 130-131.

6- محمد منير مرسي، **التّربية الإسلاميّة أصولها وتطوّرها في البلاد العربيّة**، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص ص288-289.

2- نشأتـــــــه:

يعد الكتّاب من اقدم المؤسسات التعليمية الاولى عند المسلمين، قيل بان العرب عرفوه قبل الاسلام ولكن على نطاق محدود جدا، أما البعض الآخر فقد ربط نشأته بنشأة المساجد[1]، حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزيهها عن الصبيان حيث قال: «**جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُم صِبْيَانَكُم وَمَجَانِينَكُم**»[2]، لذا أفتى الامام مالك (ت179هـ/779م) بعدم جواز ذلك حيث قال «لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة» كما يسودون حيطانها[3]، «ولعل أن أول من جمع الصبيان في الكتّاب هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث امر عامر بن عبد الله الخزاعي بتعليم الصبيان في الكتّاب فيكتب للبليد في اللوح ويلقن الفهيم من غير كتابة يشترك فيه الغني والفقير على سواء»[4]، ثم عرفت الكتاتيب انتشارا واسعا ولعل أسباب ذلك ترجع الى الفتوحات الاسلامية وكثرتها واتساع رقعة الدولة الاسلامية وتحمس الناس الشديد للقرآن الكريم[5]، حيث اعتبر بناؤه عملا من أجلّ الاعمال وأكرمها عند الله يتنافس فيها المتنافسون من عباد الله الصالحين في مختلف بقاع العام الاسلامي عامة[6].

3- ظهوره بالمغرب الاوسط:

ان الكتّاب كمؤسسة تعليمية وتربوية أدت دورها في جميع العصور ولعل ظهورها بالمغرب الاسلامي عامة والمغرب الاوسط خاصة كان مصاحبا لجيوش الفتح الاسلامي الذين قدموا بأسرهم منتصف القرن الاول للهجرة، فكان في البداية عبارة عن خيمة قبل

---

[1]- اسماعيل سامعي، **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص299؛ طرفة عبد العزيز العبيكان، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين 7-8 هـ**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص63.

[2]- ابن ماجة، سنن، ج1، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار احياء الكتب العربية، (دت)، ص247.

[3]- أبو الحسن علي القابسي، **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تحقيق: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص145؛ محمد عبد السلام ابن سحنون، **كتاب آداب المعلّمين**، تحقيق: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص64.

[4]- عبد اللطيف بن دهيش، المرجع السابق، ص15.

[5]- محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص ص66-68.

[6]- احمد سالك معلوم، **الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي**، مكتبة لينة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1993، ص54.

تمصير الأمصار يصاحب العرب الفاتحين في حلهم وترحالهم، الذين حرصوا كل الحرص على تعليم اولادهم وأبناء المسلمين من أهل المغرب فاتخذوا لذلك كتّابا بسيطا[1]، ولعل أوّل نص يعطينا صورة واضحة عن بداية التّعليم في الكتّاب ببلاد المغرب، ما أورده صاحب كتاب معالم الإيمان[2] في قوله: «حكى غيّاث بن أبي شعيب قال: كان سفيان بن وهب صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم يمرّ علينا ونحن غلمة بالقيروان فيسلّم علينا في الكُتّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه»، واستمرت الكتاتيب تؤدي وظيفتها التعليمية والتربوية إلى العهد الزياني وما بعده ممثلة في غرف يستأجرها المعلمون لتعليم الصبيان، أو يتولى تشييدها ميسورو الحال من أولياء الأطفال إدراكا منهم لأهمية تعليم أبنائهم، وكثيرا ما كان يتكفل ببنائها وتمويلها أهل الخير تطوعا منهم واحتسابا لوجه الله[3].

4- وسائله ومستلزماته:

عرف الكتّاب بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة انتشارا واسعا، وإذا حاولنا إيجاد بعض الفرضيات للوقوف على نسبة التوزيع الجغرافي له، فإن الوثائق والكتابات التاريخية لا تسعفنا للتعرف عليه، لكن رغم ذلك يبقى لنا حق افتراض أن التعليم كان يشمل القرى والمدن على حد سواء لما له من أهمية بالغة، حيث لا يخلو حي إلاّ وجد به كتّاب[4]، وذلك راجع إلى بساطة بنائه وتجهيزه، ففي الصحراء على شكل خيمة مصنوعة من الوبر ينقلها البدو الرحل من مكان إلى آخر[5]، أما في المدن عبارة عن غرف مختلفة الأحجام وعادة ما تكون غرفة واحدة إما تابعة إلى المسجد أو منفصلة عنه، يستأجرها المعلمون أو يبنيها الخواص وميسوري الحال أو جماعة من أهل الخير احتسابا لوجه الله وطلب الأجر في الآخرة[6]، مكسوة بأثاث بسيط مكون من حصير مصنوع من الحلفاء أو الدوم مهيأ للجلوس عليه،

---

[1]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 160-161؛ بشير رمضان التليسي، **الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م)**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 2003، ص366.

[2]- عبد الرحمن بن محمد الدّباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج1، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ص120؛ **ينظر كذلك:** المالكي، **كتاب رياض النّفوس**، ج1، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، ط1، 1851، ص91.

[3]- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج8، ص156.

[4]- محمد بوشقيق، **العلوم الدّينيّة في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (9هـ/15م)**، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلّية العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلاميّة، قسم التّاريخ، جامعة وهران، 2003-2004، ص42.

[5]- مصطفى زايد، المقال السابق، ص118.

[6]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**... المرجع السابق، ص228.

وألواح خشبية وأقلام من القصب وقطع من الصلصال ودواة من الصمغ والصوف وجرار ماء من أجل الكتابة والمحو[1]، إلاّ أنه شهد في القرن (8هـ/14م) تطورا في هندسته وتجهيزه حيث تحولت الغرفة البسيطة إلى قاعة واسعة مزودة بمدرجات أو مصطبات تستعمل كمقاعد للأطفال مثل كتّاب مرسى الطلبة بتلمسان[2] مقر تدريس المعلم أبي عبد الله بن أبي بن مرزوق[3] .

5- تلاميــــذ الكتّاب:

أ- ســن التعلـــم:

أشار الزرنوخي أن الحركة التعلمية داخل الكتّاب تتوقف على توفر ثلاثة ركائز أساسية وهي: المعلم والأب (الاسرة) والمتعلم[4]، الذي يعتبر محور الحركة التربوية تكون انطلاقة تعليمه بالكتّاب مابين سن الخامسة والسابعة[5]، فيقضي في رحابه خمسة أو ستة سنوات وبتخرجه يكون عمره على الاكثر مابين العاشرة أو الحادي عشر[6]، أما إذا أردنا التطرق إلى إحصاء مضبوط للتلاميذ الذين كانوا يلجون هذه المؤسسة، فإنه من الصعب تحقيق ذلك نظرا لعدم وجود وثائق إحصائية في الموضوع، ونظرا لتعدد الفئات الاجتماعية التي كانت تحرص على إرسال أبنائها إلى الكتّاب، الأمر الذي يوحي بكثرتها وانتشارها في كل مناطق المغرب الأوسط، لمكانته ووظيفته التي كانت محترمة ومقدرة من طرف الجميع.

ب-آداب وأخلاق المتعلم:

إنّ للمتعلم بشكل عام ومتعلمي الكتّاب بشكل خاص آداب لطلب العلم وسلوك سواء في تعامله مع رفاقه أو مع معلميه، قائمة على اساس المحبة والاحترام والثقة المتبادلة،

---

[1]- أحمد الأزرق، **الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها**، دار الغرب، وهران، 2002، ص ص32-37؛ محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، دمشق، الجزائر، (دت)، ص 19.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص345.

[3]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ص229.

[4] – برهان الاسلام الزرنوخي، **تعليم المتعلم طريق التعلم**، الدار السودانية للكتب، السودان، ط1، 2004، ص34-35.

[5]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 63.

[6]- محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص 93.

والآداب والأخلاق فصلتها كتب التربية والتعليم[1] لخصناها في مايلي: «أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب متربعا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع، ويصغي إلى الشيخ ناظرا إليه متعقلا لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ولا يسر عن ذراعيه ولا يعبث بيديه أو رجليه، ولا يضع يديه على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه، ولا يفتح فاه ولا يقرع سنه، ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه، ولا يشبك بيده ولا يعبث بأزراره، ولا يسند بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدة ...، ولا يعطي الشيخ جنبه أو ظهره...، ولا يكثر كلامه من غير حاجة ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب ولا يضحك لغير عجب ولا يضحك دون الشيخ فإن غلبه تبسم تبسما، حتى تعم الفائدة ويستفيد من علم وأخلاق معلمه».

ج- تعلـــيم المرأة:

إن التعليم بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة لم يكن حكرا على الرجل فقط فحتى الإناث كان لزاما عليهن التعلم ونلن حقهن منه، لكنّ عددهن كان قليلا مقارنة بالذكور ونصيبهن في التعلم محدود[2]، ولعل ذلك مرده إلى الصعوبات التي تواجه طالب العلم خاصة الرحلة العلمية ومصاعبها والتي تستعصي حتى على الرجل[3]، لذا توقفن على الدراسة في وقت مبكرة وانشغلن بأمور البيت وهي ميزة السواد الأعظم من الرعية، عكس بنات الحكام والفقهاء والعلماء فكان يواصلن دراستهن في البيوت بحضور أساتذة خصوصيين، فكان

---

[1]- ابي زكرياء بن شرف النووي، **التبيان في آداب حملة القرآن**، تحقيق: محمد حجار، دار ابن حزم، بيروت، ط4، 1996، ص 45-؛ النووي، **آداب العالم والمتعلم والمفتى والمستفتى وفضل طالب العلم**، تحقيق: أحمد جلول بدوي ورابح بونار، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1987، ص 44-؛ علي بن عبد الحسني السمهودي، **جواهر العقدين في فضل الشرفين: شرف العلم الجلي والنسب العلي**، تحقيق: موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1984، ص297-؛ أبي حامد الغزالي، **الاحياء**...المصدر السابق، ج1، ص49- ؛ الزرنوخي، المصدر السابق، ص14-؛ ابن جماعة، **تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم**، تحقيق: عبد السلام عمر علي، دار الاثار للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2005، ص167؛ ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، ج1، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي ودار الحرمين للطباعة، القاهرة، (دت)، ص501.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص 355.

[3]- الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان في عهد بني زيان**، أطروحة شهادة التّعمق في البحث(مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1986، ص193.

بروزهن في حقل المعرفة بالمغرب الأوسط قليل أمثال: السيدة فاطمة بنت أبي زيد النجار، وزوجة أبي عبد الله بن مرزوق الجد الأكبر للخطيب[1]، وعائشة بنت الفقيه سيدي ابن الاكحل وهي من أبرز المثقفات، وهناك أيضا المرأة الصالحة المتصوفة الشهيرة بالمؤمنة التلمسانية التي انتقلت الى فاس للاعتكاف وقراءة القرآن ومجالسة ومجادلة كبار الفقهاء[2]، وعائشة بنت الفقيه الحسن المديوني التي الفت مجموعة من الادعية والأشعار وكانت لها موهبة بتعبير الرؤيا نظرا لشغفها بالمطالعة[3]...، وتبقى الأمثلة كثيرة للتعريف بهن وبأدوارهن التعليمية، وهنا نتساءل في انفسنا لماذا سكتت المصادر وأغفلت جزءا كبيرا عن حقائقهن التعليمية، ولعل الزمن كفيل بذلك في ظل العثور عن مخطوطات جديدة تنفض عنهن الغبار.

وما يمكن توضيحه أيضا أن تعليم المرأة بالكتّاب أحاطه الفقهاء بسياج من الأخلاق حيث اشترطوا عدم مخالطتهم مع الذكور «فمن صلاحهن ومن حسن النظر لهن ألا يخلط بين الذكران والإناث»[4]، تجنبا لفسادهن حسب ابن سحنون: «أكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن»[5].

1- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**..المرجع السابق، ج2، ص355.

2- **ينظر حولها**: ابن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي وأودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص ص80-82.

3- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** ...المقال السابق، ص12.

4- القابسي، المصدر السابق، ص 131.

5- **آداب المعلمين**...المصدر السابق، ص 89.

6- معلمــو الكتّـــاب:

أ- أهمية المعـــلم:

يعتبر المعلم أو الأستاذ أو الشيخ العنصر الفعّال في العملية التربوية والتعليمية، «من لا شيخ له فلا دين له ومن لم يكن له استاذ فأمامه الشيطان»[1]، لذا اوصى المربون على أن يؤخذ العلم من شيخ لا من كتاب حتى لا يقع المتعلم في التصحيف ويكثر منه الغلط والتحريف[2]، أما قيمته في المجتمع فهي أعظم: «لابد للناس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل الناس بعضهم بعضا، ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذالك لقل كتاب الله، ولا بد للناس من معلم يعلم اولادهم ويأخذ على ذلك اجرا ولولا ذلك لكان الناس أميين»[3]، لذا حظي المعلم بالتبجيل والتكريم من الخاصة والعامة لأنه صاحب رسالة عظيمة.

ب- صفات وشروط المعلم:

يتولى التعليم في الكتّاب المعلم أو المؤدّب يفيد بعلمه كما يفيد بأدبه لذا اشترط فيه علماء التربية والفقهاء شروطا قسموها إلى آداب في نفسه وهي الصفات الدينية والأخلاقية، ومع طلابه وهي ادبية ومهنية، وفي الدرس صفات مهنية وفنية[4]، وقد اجملناها في مايلي: «فينبغي حسن سلوكه وعقله وتدينه وعلمه، وحسن عقيدته وعلى الآباء الفحص عنها قبل البحث عن دينه في الفروع»[5]، وان «يتخلق بالمحاسن والخصال الحميدة والشيم المرضية، والسخاء والجود ومكارم الاخلاق وطلاقة الوجه والحلم والصبر والورع والسكينة والتواضع»[6]...، كما يكون حافظا للقرآن الكريم ملما بعلومه «مجتهدا في الاشتغال بالعلم قراءة وإقراء ومطالعة وتعليقا ومباحثة ومذاكرة وتصنيفا»[7]، وان «يساوي بين التلاميذ الفقراء والأغنياء حريصا على تعليمهم، معتنيا بمصالحهم حيث يراقب غدوّهم ورواحهم ويتفقد

---

[1]- عبد الله الدائم، **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن 20**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984، ص165.

[2]- النووي، **آداب العالم**...المصدر السابق، ص46.

- ابن سحنون، المصدر السابق، ص73.[3]

- اسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص307. [4]

[5]- تاج الدين السبكي، المصدر السابق، ص 130.

- النووي، **التبيان**...المصدر السابق، ص 37. [6]

- النووي، **آداب العالم**...المصدر السابق، ص ص 31-46.[7]

أحوالهم، ويُعلم أولياءهم عن غيابهم غير المبرر، وأن يتفرغ للتّعليم دون سواه، ويتجنب عيادة المرضى وتشييع الجنائز أثناء عمله، وأن يحفّظهم القرآن الكريم ويعلمهم الوضوء والصلوات الخمسة وصلوات الأعياد وكيفية الدعاء والزكاة والصوم والحج والجنائز والتيمّم والغسل... وان يؤدبهم على الكذب والسب والهرب من المسجد والمعاملة بالربا، كما يعلمهم الشجاعة والكرم... وبالتالي فهو كالطبيب لا يدع الدواء إلاّ في موضع الداء، وان يكون عاقلا ذا دين، بصيرا برياضة الأخلاق حاذقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا بعيدا عن الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، كما يجب أن ينفع متعلِّميه وأن يتحمل أخلاقهم بالصبر، وأن لايدرِّسهم وقت جوعه أو عطشه أو غضبه أو قلقه واضطرابه، فلا يدرسهم إلا وهو راض، وبصحة جيدة، وأن يعلمهم حسب فهمهم وطاقة اكتسابهم، وكل يخاطبه حسب قدراته الفكرية، وأن يكون لهم قدوة في نظافته وأخلاقه»...الى غير ذلك مما وضعه علماء التربية[1].

وعمومًا فإن المعلمين حرصوا على تلقين الأطفال قواعد السلوك الجيد والأخلاق الفاضلة وإسداء النصائح لهم وحضهم على طلب العلم وتقريب فهمهم من المسائل المستعصية، وتشجيعهم وتنمية روح الطموح في نفوسهم، واختبار ذكائهم وترويضه وتكوين ملكة الحفظ والفهم لديهم...ومن نماذجهم بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة أبو عبد الله بن أبي مرزوق (ت681هـ)[2]، الذي كان يعلم الصبيان في كتاب مرسى الطلبة بتلمسان، وكان يغمراسن بن زيان – مؤسس الدولة الزيانية – كثير التردد عليه للانتفاع بعلمه[3]، لكن هذا النموذج غير كاف لتسليط الضوء أكثر على هؤلاء المعلمين، ولا ندري أسباب سكوت مصادر هذه الفترة عن تزويدنا بنماذج أخرى فهذا الإغفال حجب عنا حقائق عديدة.

---

[1]– ابن جماعة، المصدر السابق، ص137-؛ السمهودي، المصدر السابق، ص297-؛ النووي، **التبيان** ...المصدر السابق، ص38-؛ النووي، **آداب العالم** ...المصدر السابق، ص29-؛ المغراوي، المصدر السابق، ص47-؛ ابن سحنون، المصدر السابق، ص74-؛ ابن الحاج، المصدر السابق، ج2، ص313-؛ ابن عبد البر، المصدر السابق، ص501-؛ القابسي، المصدر السابق، ص140-؛ الغزالي، **الاحياء**...المصدر السابق، ج1، ص55-؛...

[2]– فقيه متصوف وزاهد وولي صالح ولد سنة 629هـ، أخذ العلم عن أبو إسحاق بن يخلف التنسي، وأبو عبد الله الكفيف... توفي سنة 681هـ. **ينظر**: يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص114-115؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص226؛ ابن مرزوق، **المناقب**...المصدر السابق، ص149-.

[3]– خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق ، ص229 .

ج- أجرة المعلم وعلاقته بآباء الصبيان:

لم يكن التعليم عند المسلمين في البداية مهنة مقابل أجر مادي وإنما احتسابا لوجه الله، لكن بتزايد الاقبال على العلم وتنوع مواضيعه ظهرت فئة احترفت التعليم وتفرغت له فكان من الضروري تشجيع مهنة التعليم، التي بدأت تنتشر وتتأصل مع توالي القرون حتى اصبح الدفع ضروريا للمدرس وأضحت مهمة المعلم مهنة مأجورة[1]، لأنها تمثل معاشه من مأكل ومشرب وملبس ومأوى... فكانت نفقاتها على عاتق الأولياء لعدم تدخل الدولة في شؤون التعليم[2]، رفضها البعض واكتفى البعض الآخر بأخذها من الأوليـاء الميسوري الحال[3]، على أن تمنح إما نقدية أو عينية مثل: (زيوت، شمع، حبوب، بقول، فواكه...)[4]، بواسطة عقد بين المعلم والأولياء يحدد فيه شروط وكيفية دفعها إما فرديا أو جماعيا عبر مدار شهر أو سنة بحفظ جزء معين من القرآن أو مبادئ مادة معينة[5]، بالإضافة إلى تأجير المكان المخصص للتعليم، مع مراعاة الأوضاع المادية لولي الصبي وعدد أطفاله[6]، كما ينال المعلم نصيبه من الهدايا التي تكون إلاّ بإذن من الآباء دون اجبار الصبي على احضارها[7]، تقدم في المواسم والأفراح كالمولد النبوي الشريف حيث كان يجمع كمية معتبرة من الشموع ثم يبيعها[8].

وخلاصة القول أن نفقة التعليم في الكتّاب بالمغرب الأوسط قبل وبعد القرن (7هـ/13م) كانت على عاتق الأولياء وذلك راجع لعدم تدخل الدولة في شؤون التّعليم بالكُتّاب واكتفت فقط بالمراقبة التي يقوم بها المحتسب الّذي كان يراقب معاملة المعلمين

1- خوليان ريبيرا، **التربية الاسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة: طاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص 34

2- الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص201.

3- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج8، ص ص 236-237، 252.

4- محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص 93.

5- ابن سحنون، المصدر السابق، 94؛ القابسي، المصدر السابق، ص139.

6- ابن سحنون، المصدر نفسه، 95؛ القابسي، المصدر نفسه، ص144؛ **ينظر أيضا**: محمد فؤاد الأهواني، **التربية في الإسلام**، دار المعارف، مصر، ط2، 1975، ص 282 .

7- ابن سحنون، المصدر نفسه، ص79؛ القابسي، المصدر نفسه، ص139.

8- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج12، ص 254؛ وطبيعة هذه الشموع هي شموع جميلة مزخرفة قد يزن بعضها ثلاثين رطلا أو أكثر أو أقل من ذلك، يجمعها المعلم ويبيعها بقيمة مائة مثقال أو أكثر بحسب عدد التلاميذ. **ينظر**: حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص261-262.

للصبيان وسلوكهم معهم، والقاضي الّذي يسهر على تعليم اليتامى، لكن بدءا من القرن (8هـ/14م) بدأت الأحباس (الأوقاف) تتكفل بنفقات تعليم الصبيان[1]، وبالتالي يمكن القول أن الكتّاب «مؤسسة صغيرة تعتمد على أولياء أمور التلاميذ فتحددت مكانة معلميها وفقا لذلك الأساس»[2].

7- منهجية التدريس بالكتّــاب:

أ- المواد المدروســة:

ارتكزت الدراسة بالكتّاب على القرآن الكريم لأنه أصل التعليم ومنبع الدين والعلوم[3]، امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه**»[4]، وهو مادة اجبارية يدرّس للطفل منذ الصغر لأنه أكثر رسوخا، حفظا وكتابة دون سواه من العلوم الأخرى كما كان شائعا في بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة وهذا ما أكد عليه عبد الرحمن بن خلدون[5]: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه»، لكنه انتقدها كثيرا حيث قال: «ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أوامره يقرأ ما لا يفهم»[6]، والسبب في ذلك ان القرآن يحتاج الى الفهم وكي يتمكن الطفل من ذلك لا بد له من علوم اخرى تساعده كالقواعد والشعر والخط والحديث والقراءات وهو ما كان متداولا في المشرق والأندلس وإفريقية حيث كانوا متقدمين على بلاد المغرب في هذا المجال[7]، لكن مع مطلع القرن (8هـ/14م) استحدثت هذه المواد في كل من تلمسان وبجاية تأثرا بعلماء الأندلس الوافدين وعودة العديد

1- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص344.

2- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ص229.

3- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص575.

4- **صحيح البخـــــاري**، ج3، ص346.

5- **المقدمة**، المصدر السابق، ص 575.

6- المصدر نفسه، ص 577.

7- نفسه، ص575-576.

من المشايخ إلى ديارهم أمثال أولاد الإمام وعمران المشذالي، فانعكس ذلك إيجابا على المستوى التّعليمي لتلاميذ الكتّاب[1].

ب- طريقـــة التدريس:

نظرا لان القرآن هو محور الارتكاز الذي تدور حوله الدراسة في الكتّاب فقد غدت طريقة الحفظ والاستظهار هي المفضلة بالإضافة الى طريقة التلقين والتكرار[2]، وهذه الطرق كانت محل جدال ونقاش فهي لا تنمي في المتعلم ملكة الاجتهاد ولا القدرة على التفكير[3]، وإنما تجعله بمثابة وعاء يملؤه المعلم بمختلف المعلومات دون أن يكون للتلميذ فرصة النقاش أو التحليل وطرح الأسئلة أو الاعتراض[4].

ومهما يكن فإنّ طبيعة التدريس في الكتّاب كانت تتم جماعيا، وهي مستحسنة على التعليم الفردي الذي يسبب للطفل والمعلم الضجر والملل، كما انه يحرم الطفل من الاستفادة الناتجة عن مخالطة الرفاق، كما يساعده في نمو شخصيته واكتسابه للتجارب والخبرات والثقة بالنفس[5].

وتبدأ الحصة الدراسية بالكتّاب صباحا حيث يجلس المعلم ساندا ظهره إلى الجدار حاملا بيده عصى طويلة تسمى الفلقة، والصبيان متحلقين حوله حاملين بأيديهم أقلام ودواة يسجلون ما يمليه عليهم في ألواحهم الخشبية المصقولة، فيخصص الوجه الأول لدرس الأمس والوجه الثاني لدرس اليوم، وبعد حفظ درس الأمس واستظهاره على المعلم يمسح ويكتب الدرس الجديد وهكذا دواليك[6]، متبعين طريقة المحو المتوارثة منذ عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ويبدو أنها ظلت سارية المفعول بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة - ولا تزال متبعة حتى اليوم - حيث كان للمؤدب إجانة وهي إناء مصنوع من الفخار، يوضع فيه ماء طاهر، فيمحو به الصبيان ألواحهم ثم يحفرون حفرة في الأرض، ويصبون ذلك الماء فينشف، ويحذر في هذه العملية عدم استعمال الأرجل، حيث يقول الإمام مالك:

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص346؛ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 163.

- أحمد معلوم سالك، المرجع السابق، ص56.[2]

[3]- الزبير مهداد، "**ابن العربي رائدا للتربية المقارنة**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، الإمارات العربية المتحدة، السنة 4، العدد 25-26، يوليو 1999، ص 86.

[4]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 223.

[5]- احمد معلوم سالك، المرجع السابق، ص 52.

[6]- الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص194؛ خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص37.

«إذا محت صبية الكتاب تنزيل من رب العالمين من ألواحهم بأرجلهم، نبذ المعلم إسلامه وراء ظهره، ثم لم يبال حين يلقى الله على ما يلقاه عليه»[1]، ومن الامور المباحة والجائزة لتعليم الصبيان في الكتّاب تزويق ألواحهم في الاعياد او في الختمة الجزئية أو التامة للقرآن، وهذا الامر مستحب لأنه مدعاة السرور للصبيان وسببا لتنشيطهم وتحفيزهم على الاعتناء والمواظبة على القراءة والتعلم[2]، وهكذا دواليك حتى يتم الصبي حفظ كتاب الله، وبعدها يخيّر بين الحياة العملية أو مواصلة المشوار الدراسي في مؤسسات تعليمية أخرى كالمساجد والمدارس[3].

والظاهر أن عدد الأطفال في الكتّاب كان كبيرا لذا سهر على تعليمهم نوعين من المعلمين: يسمى الأول بالمعلم الملقن: المكلف بتعليم القرآن وتحفيظه دون كتابته على الألواح، والثاني المعلم المكتب: مكلف بتعليم الخط، ولعل هذه الطريقة كانت سائدة في بلاد المشرق ووصلت متأخرة إلى بلاد المغرب الأوسط[4].

ج- أوقات الدراسة والعطل:

حددت أيام التدريس بالكتّاب طيلة أيام الأسبوع من السبت إلى الخميس ضمن مواقيت تتخللها أوقات للراحة[5]، فقسم اليوم الدراسي إلى مرحلتين: تبدأ الأولى من بعد صلاة الفجر إلى غاية صلاة الظهر، لحفظ القرآن الكريم ودراسة المواد الصعبة، ثم يركن الأطفال للراحة وتناول الغذاء، في حين تخصص الفترة المسائية لاستظهار ما حفظوه على معلميهم[6]، وتستمر الدراسة وفق هذا النظام طوال السنة عدا مساء الخميس والجمعة وأيام العطل والمناسبات الدينية كعيد الفطر والأضحى ويوم ختم القرآن الكريم[7]، وعطلة المولد النبوي الشريف التي ظهرت بتلمسان في القرن (8هـ/14م)[8].

---

[1]- ابن سحنون، المصدر السابق ، ص ص 74-75؛ القابسي، المصدر السابق، ص134.

- ابن الحاج، المصدر السابق، ج2، ص321. [2]

[3]- خالد بلعربي، **ملامح الحركة التّعليمية**...المقال السابق، ص227.

[4]- عبد العزيز فيلالي ، **تلمسان**...المرجع السابق ، ج2، ص346 .

[5]- محمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص156.

[6]- المغراوي، المصدر السابق، ص ص50-53؛ القابسي، المصدر السابق، ص135.

[7]- القابسي، المصدر نفسه، ص ص 135-136؛ ابن سحنون، المصدر السابق، ص80.

[8]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص347.

د- العقــاب داخل الكتّاب:

إنّ العقوبة أمر مباح شرّعها الاسلام وبين انواعها واعتبرها وسيلة للتربية والتعليم لذا اهتم المربون المسلمون بتربية الاطفال وتأديبهم وعقابهم منذ فترة مبكرة وحرصوا على دراسة الطرق الناجعة لذلك، ايخذونهم بالشدة او يعاملونهم باللين؟[1]، فوضعوا لها حدودا وقيودا وأنواعا:عقاب روحي (ادبي) وبدني (مادي)، على أن يتدرج المعلم من العقاب الروحي كالعبوس واللوم والإهانة إلى العقاب الجسدي بالضرب كمرحلة اخيرة باختلاف طبائع الصبيان[2]، واعتبر ابن سحنون أنّ «ضرب الصبيان على منافعهم»[3]، هو حافز على التعليم حسب القابسي[4]، أما المغراوي فانشد في قوله:

وَلَا تَندَمَنَّ عَلى الصِّبيَانِ إن ضُرِبُوا *** فَالضَربُ يَبرَأَ يَبقَى العِلمُ وَالأَدَب[5].

لكنهم احاطوها بسياج من الضوابط والشروط فينبغي ان يقع الضرب إلاّ على ذنب مرتكب وبقدر الجرم يكون الضرب رقيقا قصيرا فثلاثة اسواط على الحفظ وسبعة على السب وعشرة على اللعب واللهو والهروب من المسجد، وإذا زاد عن ذلك فلابد من استئذان ولي الصبي، أما نوعيته فهو المباح «ما يؤلم ولا يتعدى الالم الى التأثير المشنع او الوهن المضر»، باستعمال الدرة والفلقة لا العصا واللوح يتولاها المعلم بنفسه موضعها الرجلين مع تجنب الرأس والوجه[6].

ومع كل هذه الضوابط التي احدثها وأوصى بها الفقهاء والمربون ورغم تحذيرهم من الاسراف والتفنن في ضرب الاطفال او معاملتهم معاملة قاسية، إلاّ أن ابن الحاج ابو عبد الله محمد المالكي الفاسي (ت 737هـ) وصف لنا مشهدا اخر لبعض معلمي الكتّاب في القرن الثامن هجري حيث قال: «وليحذر الحذر الكلي من فعل بعض المؤدبين في هذا الزمان وهو انهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد المشرح والاسواط النوبية والفلقة وما اشبه ذلك مما احدثوه وهو كثير ولا يليق هذا بمن ينسب

---

[1]- القابسي، المصدر السابق، ص29.

[2]- محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص ص 87-89؛ عبد الرحمن التيجاني، **الكتاتيب القرآنية بندرومة من** (1900-1977)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 27-29.

[3]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص76.

[4]- القابسي، المصدر السابق، ص32.

[5]- المغراوي، المصدر السابق، ص42.

[6]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 76؛ القابسي، المصدر السابق، ص129-130.

الى حمل الكتاب العزيز اذ ان حاله كما ورد في الحديث "من حفظ القرآن فكأنما ادرجت النبوة بين كتفيه غير انه لا يوحى إليه»[1]، هذا ما حذر منه عبد الرحمـن بن خلدون بأن الشدة على المتعلمين مضرة بهم[2]، وما نهى عنه أيضا محمد بن يوسـف السنوسـي (ت895هـ/1490م)، حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب، وتفاديا لانعكاساتها السلبية على تحصيل الصبيان والنفور من الدراسة[3].

لذلك رجح القدامى كفة اللين على كفة الشدة التي وجب استعمالها كلما تحتمت الامور في حدود مباحة بلا ضرر، لذا يعتبر أحسن مذهب في التعليم ما وصى به الرشيد للأحمر معلم ولده محمد الامين في قوله: «يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصيّر يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، وكن له بحيث وضعك امير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته،...ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فستجلي الفراغ ويألفه، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة»[4]، كما لا يمكن ان نغفل ايضا قول السمهودي في تحبيب سياسة الترغيب على الضرب والترهيب لمعلم الكتّاب الذي عليه ان يصبر لسوء ادب الصبي «بنصح وتلطف لا بتعنيف وتعسف قاصدا بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه وإصلاح شأنه، فان عرف ذلك بذكائه بالإشارة فلا حاجة الى تصريح العبارة، وان لم يفهم ذلك لا بصريحها اتى به وراعى التدريج في التلطف ويؤدبه بالآداب السنية ويحرضه على الأخلاق المرضية ويوصيه بالأمور العرفية الموافقة للأمور الشرعية»[5].

وليس فقط الصبي من يخطئ ويعاقب فحتى المعلم المقصر الفاشل في مهنته وجب عقابه، لومه ثم تأنيبه فمنعه عن اخذ أجرته ثم الاعتزال والطرد من وظيفته إن ثبتت عدم صلاحيته[6].

---

1 - **المدخل**...المصدر السابق، ج2، ص117.

2- **المقدمة**...المصدر السابق، ص577.

3- محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص ص87- 89؛ عبد الرحمن التّيجاني، المرجع السابق، ص ص27-29.

4- **المقدمة**...المصدر السابق، ص 578.

5- السمهودي، المصدر السابق، ص300.

6- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 93؛ **ينظر أيضا**: الغزالي، **الاحياء**...المصدر السابق، ج1، ص58.

8- أغراض تعليم الصبيان بالكتّاب:

لقد تنبه المربون أن تعليم الصبي في الصغر أكثر رسوخا لذا حرصوا على أهمية السنوات الأولى من حياته، وأهميتها في تقويم نشأته واكتسابه العلوم والمعارف بالإضافة إلى العادات والصفات الحميدة، وكل هذا يكسبه داخل الكتّاب باعتباره المرحلة الاولى من التعليم[1]، لذا تهدف هذه الدراسة تحقيق غرضين أساسين وهما:

❖ **غرض علمي:** أساسه تعليم الصبيان العديد من المواد بدءا بالقرآن الكريم والكتابة ومبادئ اللغة العربية والحساب...، ثم يؤهل إلى المرحلة الثانية بالمساجد والمدارس...

❖ **غرض خلقي:** يكتسب الصبي جملة من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة، بالإضافة إلى التقوى وتعلم الصلاة والصوم وحب الآخرة[2]... كل هذا يكسب الصبي الاعتماد على النفس[3]، بترقية نفسه وتنمية قدراته العقلية وتشكيل سماته الشخصية ورسم معالمها، وتزويده بمعايير ثابتة للتمييز بين الصالح والفاسد وبالتالي إعداده خلقيا[4].

ختاما يتضح لنا من هذه الدراسة أن الكتاتيب كانت موجودة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث، باعتبارها ضرورة حتمية ونتاج مبادرات شعبية نابعة من حاجات المجتمع، فلا يخلو حي في المدينة أو الريف إلا ووجد به كتّاب، وتعليمه اقتصادي وبسيط لا يتطلب تكاليف مادية كبيرة، لا من حيث التجهيز أو الوسائل التّربوية المستعملة، مستنبطة من البيئة المحلية وسهل الحصول عليها، ساوى بين كل الفئات الاجتماعية: فقراء وأغنياء، ذكورا وإناثا، يدرسون فيه القرآن الكريم الى جانب مواد أخرى في سن مبكرة لأنها اكثر رسوخا وتثبيتا حتى اتمام المرحلة الأولى من التعليم، ثم يتجهون إلى المساجد والمدارس.

إنّ هذه المؤسسة البسيطة لا تزال حتى اليوم قائمة محافظة على كيانها ومهمتها، ولا يزال الأولياء حريصين على تعليم أبنائهم برحابها رغم تعدد المؤسسات التعليمية وتطور الوسائل، وذلك لارتباطها الوثيق بالتربية الإسلامية وبالرسول عليه الصلاة والسلام.

---

[1]- عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق، ص 202.

[2]- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص376.

[3]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص53.

[4]- الزبير مهداد، المقال السابق، ص 85.

ثانيا- المساجـــد بالمغرب الأوسط:

يعتبر المسجد أعظم بيوت الله على وجه الأرض اصطفاه لنفسه وشرفه بالانتساب إليه نظرا لمكانته وفضله، ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة[1]، حيث قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (18)**﴾[2]، كما روى رسول الله عليه السلام أحاديث جليلة جعلت منه «**أَحَبُّ البِلاَدِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا**»[3]، **وقال:** «**المَسَاجِد بُيُوتُ الله تُضِيئُ لِأَهْلِ السَّمَاء كَمَا تُضِيئُ النُّجُومُ لأَهلِ الأَرْضِ**»[4].

1- تعريـــف المسجـــــد:

المسجِد اصطلاحا اسم لمكان السجود، أما شرعا فهو الموضع الذي يسجد فيه، والسجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه لذا اشتق اسم المكان منه، فقيل:"مسجد" ولم يقال "مركع" على المكان الذي تؤدي فيه الصلوات، وهي الوظيفة التي ميزته دون غيره من المؤسسات التعليمية الأخرى[5]، ولا فرق بين المسجد والجامع إلا من حيث الحجم، فالجامع يطلق على المسجد الكبير[6]، فإن اختلفا في الاسم فالوظيفة واحدة: تقام فيه الصلاة.

2-نشأته ودوره في المجتمـع:

يعتبر المسجد من أقدم المؤسسات التعليمية انشاء في الدولة الإسلامية، حيث تزامن ظهوره بظهور الإسلام، فأول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة إلى المدينة بناؤه للمسجد النبوي الشريف، وحرص على بنائه لتنتشر المساجد بعد ذلك في

1- **ينظر:**حسين مؤنس، **المساجد**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص13-؛ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **المساجد: مفهوم وفضائل وأحكام وحقوق وآداب في ضوء الكتاب والسنة**، مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان، الرياض، (دت)، ص7-.

2- **سورة الجن، الآية 18.**

3- **صحيح مسلم**، ج2، (كتاب المساجد ومواضع الصلاة)، ص301.

4- ينظر عنه: محمد بن عبد الله الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، تحقيق: ابو الوفا مصطفى المراغي، مطابع الاهرام التجارية، مصر، ط5، 1999، ص36- ص39.

5- المصدر نفسه، ص ص26-28؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص ص204-205.

6- بلحاج معروف، **العمارة الإسلامية مساجد مزاب مصلياته الجنائزية**، دار قرطبة ، ط1، 2007، ص 184؛ علي محمد مختار، "**دور المسجد في الإسلام**"، **مجلة دعوة الحق**، السنة2، العدد14، 1402هـ، ص ص6-7.

كل ارض اعتنق اهلها الاسلام[1]، فلم تقتصر رسالته على أداء الصلوات فحسب بل كان له دور ايجابي أهداف سامية تخدم المجتمع الإسلامي، فاتخذ مكانا للعبادة والاعتكاف وموطن علم وتهذيب ومجلس صلح وقضاء وملتقى تعاون وتكافل وتشاور وتوجيه ديني وأخلاقي واجتماعي، كما تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة وتعقد فيه عقود الزواج والتجارة...كما يعد مكانا لطلب العلم حيث أدى دور الجامعة تلقى فيه دروس الوعظ والإرشاد والإفتاء، تعقد فيه حلقات البحث وتنظم فيه المناظرات العلمية...[2]، فهو كما يقول عنه ابو القاسم سعد الله: «منشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب، وهو الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي لأنهم يشتركون جميعا في بنائه، كما كانوا جميعا يشتركون في أداء الوظائف فيه »[3].

والمغرب الاوسط كغيره من البلدان الاسلامية عرف هذه المؤسسة الدينية والتعليمية منذ الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب الاسلامي في النصف الثاني من القرن (1هـ/7م) ثم شهد نموا للحركة المعمارية بشكل كبير مابين القرنيين (9-7هـ/13-15م) وتجلى في اروع وأبدع ما انتجه الفن المعماري في العصر الوسيط خاصة جوامع المدن الكبرى بتلمسان[4].

3-الدور التعليمي للمســاجد:

لقد ارتبط تاريخ الأمة الاسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا حيث تركزت فيه معظم أنشطة الدولة، فكان بمثابة المصدر الذي تفرعت منه مختلف المؤسسات بعد أن تعقدت القضايا التي واجهت الدولة الاسلامية، فتطلب تخفيف العبء عن كاهله كي لا يطغى ذلك على مهمته الأساسية التي بني من اجلها وهي الصلاة، فأخذت تستقل عنه المهام السياسية والحضارية تدريجيا في مؤسسات مستقلة بذاتها، مثل التعليم داخل المدارس، الا ان ذلك لم يمنع المسجد من أن يكون مركزا للتربية والتعليم، وظل محتفظا بصدارته الاولى عند

1- حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، ج4، دار الجبل ومكتبة النهضة المصرية، بيروت، تونس والقاهرة، ط15، 2001، ص ص 425-426.

2- رابح تركي، **دراسات في التربية الإسلامية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1987، ص ص88-90؛ علي محمد مختار، المقال السابق، ص47-؛ **ينظر كذلك:** عبد القادر الزبير، المقال السابق، ص ص13-17.

3- **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج3، ص 244.

4- محمد بوشقيق، **العلوم الدينية**...المرجع السابق، ص44.

المسلمين[1]، لمزاياه التي لا توجد في المؤسسات التعليمية الاخرى كالمدارس مثلا[2]، فتفضيل المسلمين له في ميدان التعلم كان اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي استحب عقد الحلقات العلمية به في قوله: «**مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا لِيُعَلِمَ خَيْرًا أَوْ لِيتَعَلَمَ كَانَ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[3]، أو في قوله: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمُ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَت عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ**»[4]، فانعكس ذلك على قيمته التعليمية الى الحد الذي اعتبر اشمل واعم واقنع عن سواه من تلك المؤسسات الأخرى[5]، ونصب معهدا للتربية والتعليم بامتياز اقيمت به حلقات الدرس منذ نشأته واستمر على ممر السنين وقد لا نغال كثيرا اذا ما اعتبرناه مدرسة ثانوية وجامعة بمفهومها اليوم قبل بناء المدارس في القرن (5هـ/11م)[6]، تدرّس فيه مختلف العلوم الإسلامية نشأت فيه ومنه تطورت وتفرعت، وهي ما بين شرعية ولغوية وفلسفية...، قبل أن تظهر الكتاتيب والمدارس والرباطات والمكتبات...، وهذه المعاهد ذات المغزى والمنحى التّعليمي والتربوي تفرعت عنه ومن رِحابه تخرج كبار الفقهاء والعلماء[7].

ومساجد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة كغيرها من المساجد لم تحد عن هذه الوظائف، تبدأ الدراسة فيها مباشرة بعد الانتهاء من الدراسة في الكتّاب بمزيد من التعمق والتفصيل بمساعدة اساتذة متخصصين في المواد كما هو الحال في زمننا اليوم في الجامعات[8]، دون التقيد بمقررات دراسية يختار منها الطلاب ما يناسب ميولاتهم ورغباتهم وإمكانياتهم الفكرية ويتدارسونها مما اختاروه من اساتذة يثقون في كفائاتهم العلمية على ان

1- ايمن شاهين سلام، **المدارس الاسلامية في مصر في العصر الايوبي ودورها في نشر المذهب السني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة طانطا، مصر، 1999، ص ص22-23.

2- **عن ذلك ينظر:** خالد بن حامد الحازمي، **اصول التربية الاسلامية**، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000، ص300-301.

3- الزركشي، **اعلام الساجد**...المصدر السابق، ص328.

4- **صحيح مسلم**، ج2 (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، ص1242.

5- ايمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص23.

6- عبد الله العمري، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار محمد الهادي للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1990، ص ص24-25.

7- رابح تركي، المرجع السابق، ص94.

8- الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص194.

تكون الدروس الملقاة في شكل حلقات مسجدية يديرها الشيخ إما جالسا على الحصير أو الوسادة أو على الكرسي[1][*].

4- مساجد المغرب الأوسط وأدوارها الثقافية:

إن مساجد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة كان لها وزنها ودورها في المجتمع فقد كانت مراكز إشعاع علمي وثقافي ساهمت في ازدهار الحركة التعليمية وتطوير العلوم وتخريج العلماء[2]، واختلفت مابين الكبيرة والصغيرة وما هو قديم توارثته الأجيال وما هو حديث العهد بهذه الفترة، وهي نوعـــــــــــان:

***المساجد الجامعة:** التي يقوم بانشائها والانفاق عليها الحكام والسلاطين والولاة كجزء من عملهم الوظيفــي لخدمة المجتمع، فاولوها عناية خاصة واهتماما كبيرا لتؤدي رسالتها الدينية والتعليمية[3].

***مساجد الاحياء:** ويقصد بها مساجد الصلوات الخمسة، غير تابعة للدولة يبنيها أهل الشوارع والقبائل في شوارعهم وقبائلهم، وامر هذه المساجد راجع الى جيرانها من السكان، وهي لا تحتاج الى نظر الخليفة أو السلطان، وهذا النوع كثير الانتشار[4]، وعموما يمكن تقسيم مساجد المغرب الاوسط خلال هذه الفترة إلى:

أ- مساجـد حاضـرة تلمسـان:

اشتهرت تلمسان على غرار مدن المغرب الأوسط بمساجدها وجوامعها الكثيرة والتي كانت تربو عن الستين (60) مسجدا[5]، وهذا الكم الهائل ذكرته متون المصادر القديمة والمراجع الحديثة فالكثير منها اندثر بسبب الحروب والكوارث الطبيعية او بسبب التوسعات

1- محمد منير مرسي، المرجع السابق، ص 286.

*- وسوف نفصل في هذا الموضوع في إطار الحديث عن الدور التّعليمي والمنهجي للمدارس بالمغرب الأوسط باعتبار أنهما مشتركان في ذلك لتجنب التكرار والإعادة.

2- محمد بوشقيق، **العلوم الدينية**...المرجع السابق، ص44.

3- محمد محمدي، المقال السابق، ص ص90-91.

4- عبد العزيز لعرج، "**تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، 2011، ص34.

5- (Ch)-brosselard, **"les inscriptions de Tlemcen"**, in **Revue Africaine**, 3ème année, n14, 1858, p83

العمرانية، لكن البعض منها لا يزال قائما شامخا يحكي تاريخه ويمجد دوره الثقافي والعلمي ولعل الامثلة كثير ومن أشهرها:

❖ **مسجـد أغاديـــــــــر:**

اقدم جامع في تلمسان أسسه "ادريس بن ادريس" سنة (174هـ/ 790م)[1]، حيث أقام له له منبرا نقش عليه اسمه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة اربع وسبعين ومائة»[2]، ثم جدد على يد ولده "ادريس الثاني" (213هـ/177م) حيث أقام له منبرا آخر سنة 199هـ[3]،

وقد حظي هذا الجامع بمكانة واهتمام خاص حيث كان قبلة صلاة "يغمراسن بن زيان" الذي شيد له مئذنة[4]، كما كان مقصد الكثير من الفقهاء والعلماء أمثال: **أبو عبد الله محمد بن مرزوق الجد** (ت681هـ/1282م)، والشيخ **الحسن بن مخلوف أبركان** (ت868هـ/1464م)[5]، ولم يبق منه اليوم إلا مئذنته بعدما هدمته السلطات الفرنسية سنة (1261هـ/1845م)[6].

1– هو مؤسس دولة الادارسة بالمغرب الاقصى سنة (172هـ/788م)، واتخذ من فاس عاصمة لها، واستمرت الى غاية (375هـ)، وسقطت على يد الفاطميين. **ينظر:** إبن أبي الزرع، **روض القرطاس**...المصدر السابق، ص ص22–21 وحتّى ص95؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص35–؛ الناصري، المرجع السابق، ج1، ص ص143–155؛ إسماعيل محمود، **الادارسة (375–172هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991، ص55– ؛ Rachid benblal **, histoire des Idrissides (172-337h/788-948m)** ,editions dar el gharb ,oran,2004, p53; R.p.g thèry,o.p, **Tlemcen capitale musulmane l'Idrissisme**, dans : Tlemcen dans les textes, ENAG editions , Alger , 2011, p p171-175.

2– ابن أبي الزرع، **روض القرطاس**...المصدر السابق، ص21.

3– المصدر نفسه، ص50؛ ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**...المصدر السابق، ج1، ص40.

4– التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص123، ص284؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207.

5– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** المرجع السابق، ج1، ص 109؛ خالد بلعربي، **الدولة الزيانية** المرجع السابق، ص251.

6– محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص30.

❖ **الجـامع الأعظـم بتاجـرارت:**

يعد واحد من أجمل معالم الفن الإسلامي بالمغرب الأوسط شيد بقلب المدينة في عهد المرابطين[1]، على يد مؤسسها "يوسف بن تاشفين" (453-500هـ) سنة (473هـ/1080م)[2]، ثم رمّمه ابنه "علي بن يوسف بن تاشفين" (500هـ/537م) سنة 530هـ[3]، أما في العهد الزياني فقد كان يغمراسن شديد الاهتمام به حيث أضاف له القسم الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة التي رفض أن يكتب عليها اسمه لورعه وتقواه[4]، مواظبا على أداء الصلاة فيه، وحضور دروسه التي كان يلقيها كبار الفقهاء مثل: **أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي المطماطي** (ت680هـ/1280م)، فاتخذ منذ ذلك الوقت مركزا للتدريس فذاعت شهرته وأصبح مقصد العلماء وقبلة طلاب العلم يفدون إليه من كل حدب وصوب، وينهلون من مشيخته مختلف العلوم، واستمر طيلة العهد الزياني لعنايتهم الفائقة به[5]، ومازاد من قيمته خزانة الكتب التي اضافها له السلطان "ابو حمو موسى الثاني" سنة (760هـ/1360م)[6]، كل هذا الاهتمام والعناية جعلته شبه جامعة كجامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس[7]، ولا يزال حتى اليوم قائما محافظا على فنه ومعماره[8].

1- نسبة إلى الرباط الّذي أسسه داعيتها الديني أبو عبد الله بن ياسين الجازولي، أما مؤسسها الحقيقي هو يوسف بن تاشفين، وقد اتخذ من مراكش عاصمة له واستمرت من سنة (453-541هـ). **ينظر:** إبن أبي الزرع، **روض القرطاس**...المصدر السابق، ص ص119-189؛ عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السابق، ج6، ص ص373-389؛ النويري، **نهاية الارب**...المصدر السابق، ص139؛ عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي من اقدم العصور الى اليوم، المجلد 5: (المرابطون)**، مطابع فضالة، المحمدية، 1987، ص7-؛ حسن علي حسن، **الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مطبعة الخانجي، مصر، ط1، 1980، ص18-؛

2- George Marçais, **les villes**…Op-cit , p27.

3- (G)- Marçais, **"sur la grande Mosquée de Tlemcen" , in Anales des études orientales . T.VII**, 1949-1950, p270- , **(G) Marçais et William , Les monuments arabes de Tlemcen , Fontemoing , Paris , 1905 , P 162 – P 169**

4- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص 125؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207.

5- خالد بلعربي، "**تطور الحركة الفكرية بتلمسان في عهد يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)**"، **مجلة الحوار الفكري**، الجزائر، السنة 5، العدد 7، 2005، ص135.

6- عبد العزيز لعرج، **تلمسان عمرانها**...المقال السابق، ص33.

7- الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص 194.

8- (G)- marçais, **les villes**…Op-cit, pp37-38.

❖ مسجد سيدي أبي الحسن:

أسس سنة (696هـ/1296م) في عهد السلطان "ابو سعيد عثمان يغمراسن" تكريما لذكرى اخيه "أبي عامر ابراهيم"[1]، لكنه لم يحمل اسمه وانما تسمى باسم احد مشاهير علماء تلمسان وهو الفقيه **أبي الحسن بن يخلف التنسي**[2] (ت703هـ/1330م)[3]، الذي استقر بتلمسان وذاع صيته بفضل الدروس التي كان يلقيها وبالتالي «تفوقت شهرة العلماء على شهرة الأمراء»[4]، ويقع هذا المسجد بجوار الجامع الكبير الاعظم، يمتاز بصغر حجمه وفخامته إذ يعد آية من آيات الذوق والابتكار ولكنه انقطع عن وظيفته الدينية عندما حولته فرنسا الى متحف[5].

❖ مسجد أولاد الإمام:

يقع وسط المدينة بالقرب من مسجدي أبي الحسن وإبراهيم المصمودي، شيد خصيصا للعالمين الفقيهين: **أبو زيد عبد الرحمن** (ت747هـ) وأخوه **أبو موسى عيسى** (ت749هـ) أولاد الامام[6] البرشكي، من قبل السلطان الزياني "ابي حمو موسى الاول" (707-718هـ/1307-1318م) سنة (710هـ/1310م) ليكون ملحقا بالمدرسة التي بنيت من قبل هذا العاهل التي اتخذت من قبل الاخوين مقرا للتدريس رفقة المسجد[7]، الذي تميز ببساطة

---

1 – Rachid Bourouiba, **l'art religieux musulman en Algérie**, SNED , Alger, 2eme edition, 1983, p171.

2 – من كبار العلماء إشتهر بورعه الشديد، معظّم عند العامة والملوك، توفي سنة 703هـ بالعبّاد. **ينظر**: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114.

3 – (Ch)- Brosselard, **"les inscriptions arabes de Tlemcen : Mosquée Abou l'-Hacen ou bel H'acen "**, **in Revue Africaine**, 3ème Année, N15, Fevrier 1859, p162-16

4 – سلسلة الفن والثقافة، **تلمسان**، منشورات وزارة الأخبار، إسبانيا، 1975، ص37؛ **ينظر كذلك**: (G)- Marçais, **les villes**…Op-cit, p46.

5 – عبد العزيز لعرج، **تلمسان عمرانها**...المقال السابق، ص 33؛ Rachid Bourouiba, Op-ci.p171.

6 – يحي بوعزيز، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، منشورات، ANEP، الجزائر، ط1، 2004، ص154؛ (A)- Dhina, Op-ci. p34.

7 – G.Brosselard, **les inscription arabes de Tlemcen, mosquée ouled el Imam, in Revue Africaine**, Alger, n13, 3iem A, octobre, 1858, p55.

بنائه وخلوه من الزخرفة مقارنة بالمساجد التي شيدها بنوزيان ولم يبق منه اليوم إلاّ القبة وبعض القطع الاثرية بالمتحف البلدي بتلمسان[1].

❖ **مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:**

شيده السلطان الزياني "أبو حمو موسى الثاني" (760-791هـ/1382-1395م) رفقة مدرسة وقبة وزاوية تكريما لوالده "أبـــي يعقوب"[2] سنة (765هـ/1363م)، والتي حملت اسمه وسميت "بالمدرسـة اليعقوبية"[3]، والظاهر حسب "شـارل بروسلارد" «أن هذا المسجد لم يكن في منظور مؤسسه موجها لعامة الناس، وإنما كان مجرد ملحقة ثانوية تابعة للمدرسة المذكورة، مسخرًا لخدمة أساتذتها والطلبة المترددين عليها»[4]، ومهما يكن فان اشتراكه مع المدرسة اليعقوبية وقربه من المساجد الاخرى دليل واضح على مكانته العلمية والفكرية، ومساهمته في نشر العلوم والثقافة وتكوين الأطر من العلمـاء والقضـاة والمدرسين[5]، ولعل أشهرهم العالـم الجليل **ابـراهيم المصمودي**[6] الذي ذاع صيته وسمي به المسجد عرفانا بمكانته العلمية، حيث كان مبجلا من قبل الاهالي مما رسخ وجوده دون الامراء[7]، لكن

---

[1]– أم الخير مطروح، **تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين: دراسة تاريخية وأثرية**، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1993/1994، ص100؛ رشيد بورويبة، "**جولة عبر مساجد تلمسان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة 4، العدد 26، 1975، ص172.

[2]– هو **يعقوب بن يوسف والد أبو حمو موسى الثاني (689-763هـ)**، توفي بالجزائر وحمله ولده إلى تلمسان، ودفنه قرب باب إيلان، ثم نقل جثمان عميه "أبو سعيد وأبو ثابت" ودفنها بالقرب من قبر والده. **ينظر:** عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**... المرجع السابق، ص ص70-71، 105، 182.

[3] – رشيد بورويبة، **جولة**...المقال السابق، ص176.

[4]– **كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان**، ترجمة: الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص25.

[5] – صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص154.

[6]– **ابراهيم بن موسى المصمودي:** عالم صالح وزاهد، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، بها ولد ونشأ، درس على يد كبار العلماء بفاس كالعبدوسي والآبلي، وبتلمسان على يد أبو عبد الله الشريف في المدرسة اليعقوبية، والعقباني بالمدرسة التاشفينية، كان عالما صالحا ووليا زاهدا ذو كرامات، توفي سنة 804هـ وقيل سنة 805هـ، حضر جنازته السلطان الزياني الواثق ماشيا، ودفن بروضة آل زيان. **ينظر:** إبن مريم، المصدر السابق، ص ص64- 66؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص67-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص12-؛ أبو عبد الله محمد المجاري الاندلسي، **برنامج المجاري**، تحقيق: محمد ابو الاجفان، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1982، ص ص132-133؛ محمد مرتاض، المرجع السابق، ص193.

[7]– شارل بروسلارد، المرجع السابق، ص 26، **ينظر ايضا:** يحى بوعزيز، **المساجد**...المرجع السابق، ص130.

للأسف فان هذا المجمع الكبير اندثر ولم يبق منه سوى المسجد والقبة وتعمل الدولة جاهدة على ترميمهما حتى لا يزول هذا الاثر التاريخي[1].

❖ **جامع أبي مدين بالعبّاد[2]:**

من أهم المنجزات المرينية بالمغرب الأوسط شيده السلطان المريني "أبي الحسن علي بن عثمان بن عبد الحق" سنة (739هـ/ 1339م) عند استلائه على تلمسان وفقا لما نصت عليه اللوحة التأسيسية للمسجد، وقد نسب إلى الولي الصالح **سيدي أبي مديـــن شعيـب** (ت594هـ/1198م) الذي دفن بالقرب منه[3]، ومازال هذا الجامع قائما حتى اليوم محتفظا بأصالته وفنه فقد ولاه مؤسسه عناية خاصة، فكان غاية في الحسن والإتقان ووصفه ابن مرزوق احسن وصف[4].

❖ **مسجد سيدي الحلوي:**

تم تأسيس هذا المسجد بأمر من السلطان أبي عنان المريني سنة (754هـ/1353م)، وقد شيده تخليدا لذكرى وفاة العالم الشهير الولي الصالح **أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي**[5] نزيل تلمسان المتوفى سنة (737 هـ/ 1337م)[6]، ومازال هذا المسجد قائما وهو كثير الشبه بمسجد ابي مدين من حيث الهندسة والزخرفة[7]، وصفه ابن الحاج النميري كاتب السلطان "أبي عنان فارس" قائلا : «وكم أبقى (يقصد أبي عنان) بتلمسان من آثار حسان ومصانع يعجز عن وصفها كل لسان ... ولا كجامع الخطبة الاعظم الذي امر

---

[1]- عبد العزيز لعرج، **تلمسان عمرانها**...المقال السابق، ص 34.

[2]- **العبّاد:** مدينة صغيرة تقع على الجبل جنوب تلمسان بنحو ميل. **ينظر:** حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24؛ العبدري، المصدر السابق، ص28-

[3] – (Ch)- Brosselard, **"les inscriptions arabes de Tlemcen : Mosquée et medersa de sidi boumedin"**, **in Revue Africaine**, 3ème Année, N18, Aout 1859, p401.

[4]- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق ، ص ص402-403 .

[5]- **سيدي الحلوي:** هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي (ت737هـ/1337م)، كان قاضيا في إشبيليا، وهو نزيل تلمسان، ومن كبار العارفين بها، سمي بالحلوي لأنه كان يصنع الحلوى ويبيعها وقيل هي هبة من الله. **ينظر:** يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص127-128؛ إبن مريم، المصدر السابق، ص ص68-70.

[6]- رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التاريخ** ... المرجع السابق، ج3، ص 503؛ (Ch)- Brosselard, **"les inscriptions … Mosquée et Tombeau de Sidi el- Haloui"**, **in Revue Africaine**, 4ème Année, N21, Fevrier 1860, p161-174.

[7]- محمد بوشقيق، **العلوم الدينية**...المرجع السابق، 48.

باختطاطه في حضيض البيت الذي فيه ضريح الشيخ الصالح ابي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي ...وهو من اجمل الجوامع، قد أحكمت فيه أنواع الصنائع، وأبدى الإحتفال به ما شاء من البدائع...»[1].

❖ الجامع الكبير بندرومة[2]:

يعود بناؤه الى القرن (5هـ/11م) في عهد المرابطين على يد "يوسف بن تاشفين" تزامنا مع بناء المسجد الكبير بتلمسان[3]، اما مئذنته فشيدت في العهد الزياني من قبل سكان ندرومة سنة (749هـ/1348م)[4]، وهو كثير الشبه بالجامع الكبير بالجزائر شكلا وهندسة لكنه صغير المساحة[5]، ومع هذا كان مقصدا للعلماء والفقهاء امثال الشيخ سيدي احمد بن الحسن الغماري (ت874هـ)[6] الذي قضى حياته في القراءة والعبادة واتخذ من هذا المسجد مقرا للخلوة بنفسه والتعبد خاصة في شهر رمضان حيث كان يختم فيه القرآن الكريم[7].

1- **فيض العباب**...المصدر السابق، ص488.

2- **ندرومة:** تقع شمال غرب تلمسان، مدينة رومانية قديمة تبعد عن بحر الروم بحوالي 12 ميل. **ينظر:** حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص13-14؛ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص295.

3 -(G)- Marçais, **les villes**…Op-cit, p19.

4- صالح بن قربة، "**العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر**"، **مجلة سيرتا**، قسنطينة، السنة 2، العدد 3، 1980، ص57؛ صالح بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص86.

5- عبد الرحمن الجيلالي، "**الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا**"، **مجلة الأصالة**، السنة 2، العدد 8، 1972، ص115؛ عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، المدية، مليانة**، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007، ص30.

6- هو **ابو العباس احمد بن الحسن الغماري**، ندرومي الاصل قضى حياته في اكتساب العلم والتعبد. **ينظر**:الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص54؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص121؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص31-38؛ عادل نويهض، **معجم الاعلام**...المرجع السابق، ص65.

7- ابن مريم، المصدر السابق، ص31؛ **لاكثر تفاصيل حوله ينظر**: محمد الزين، **العمارة الدينية الاسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين: الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر (دراسة تاريخية وفنية)**، رسالة ماجستير من قسم الثقافة الشعبية فرع الفنون الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2002-2003، ص50-.

❖**مسجد المشور:**

بني داخل قصر المشور[1] في عهد السلطان الزياني "أبي حمو موسى الأول" سنة (717هـ/1317م)[2]، خصصه للأمراء ورجال الدولة والأعيان لأداء صلاة الجمعة والصلوات الخمسة، يشمل قاعة للصلاة وصومعته تشبه صومعة مسجد أولاد الإمام، مزينة بكتابات أندلسية[3].

❖**مسجد سيدي الحسن بن مخلوف الراشدي:**

يحتمل أن يرجع بناءه إلى السلطان الزياني "أبو العباس أحمد المشهور بالعاقل" (834-866هـ/ 1431-1462م)، تكريما للشيخ سيدي **أبي الحسن بن مخلوف الراشدي** (ت853هـ/1453م)، ولم يبق منه اليوم سوى مئذنته[4].

❖**مسجد سيدي البنّاء :**

منسوب إلى الشاعر الأديب العالم **سيدي محمد البناء** (توفي في القرن 8هـ/14م)[5]، يقع في رحبة الزرع عند فندق المجاري كان يتردد عليه الشيخ **سيدي محمد ابن الغليظ المديوني** الولي[6]، وهذا المسجد يزال حتى اليوم قائما يشبه في هندسته جوامع تلمسان الكبرى[7].

---

[1]- **قصر المشور**: هو على شكل قلعة محصنة مستطيلة الشكل، تقع جنوب المدينة، طول ضلعها 490م وعرضه280م، بناه يغمراسن بن زيان سنة 650/ 1145، وسماه مشورا –مشتق من الشورى ومعناه المكان الّذي يعقد فيه أمراء تلمسان مجالسهم وإجتماعتهم مع وزارائهم– تمييزا عن القصر القديم بتاجرارت، وموضعه المكان الّذي أقام فيه يوسف بن تاشفين المرابطي خيمته عندما حاصر أغادير، وإتخده يغمراسن مقرّا رسميا لإقامته وفي بيوته يقيم الحشم وينزل الأمراء الأجانب، وتقام فيه حفلات الإستقبال الكبرى، وبه كذلك سجون. **ينظر:** خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ص ص246-247، عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص ص114-115؛ محمد بلغراد، **تلمسان**... المقال السابق، ص307؛ El Hassar Bénali, **La Citadelle du Méchouar (13ème) un lieu sumbolique du régne des Zianides** , in Tlemcen…op-cit, p149 ; (A)-Dhina, Op-cit, p32.

[2] -(Ch)-Brosselard, les inscription.. .Mosquée du Mechouar, R.A, 4ème An, N22 ,Mai, 1860, pp241-258.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص ص114 -115.

[4]- محمد بن رمضان الشاوش، المرجع السابق، ص261.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 275؛ يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص124-125.

[6]- ابن مريم، المصدر نفسه، ص 275.

[7]- يحى بوعزيز، **المساجد**...المرجع السابق، ص151.

❖**مسجد أبو عبد الله الشريف:** يبدو أنه أسس بعد سنة (ت771هـ/1370م) اكراما وإجلالا للشيخ **أبي عبد الله الشريف** له بعد وفاته[1].

❖**مسجد سيدي بن عبد الله بن منصور الحوتي:** منسوب إلى هذا العالم الولي الصالح ذو الكرامات[2]، ويقع بقرية عين الحوت الّتي تبعد عن تلمسان بحوالي ثمانية كيلومترات (8كلم)[3].

❖**مسجد سيدي زكري:** نسب إلى **أحمد بن محمد بن زكري** (ت899هـ/1493م)[4]، تكريما له وتخليدا لجهوده العلمية باعتباره شيخا وأستاذا صال وجال ودرّس بمساجد تلمسان ومدارسها، حيث تتلمذ عليه جيل من العلماء والفقهاء والمحدثين وطلبة العلم على اختلاف رتبهم ومنازلهم في القرن (9هـ/15م)[5]، حيث وقف على هذا المسجد العديد من الأحباس حتى يقوم بوظيفته ونشاطه الديني والتربوي[6].

❖ **مسجد القيصارية:** كان قائما في القرن (7هـ/13م) تزاحم عليه الناس والطلبة لينهلوا من مشيخته مختلف العلوم خاصة علم التفسير الذي برع فيه الشيخ **أبي إسحاق التنسي**

1- يحى بوعزيز، **المساجد**...المرجع السابق، ص169.

2- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص135-139.

3- (G)-Marçais, **les villes**…Op-cit, p77.

4- هو **أبو العباس أحمد بن أحمد بن زكري (ت899هـ أو900هـ):** شيخ وفقيه أصولي وبياني منطقي، إشتغل بالحياكة ثم توجه إلى التّعليم، كان بارعا وفطنا ودهيا، إشتغل بالتدريس بالجامع الكبير، وله تآليف في القضاء والفتيا، وله منظومة في علم الكلام فيها أكثر من 1500 بيت. **ينظر**:إبن مريم، المصدر السابق، ص ص38-41؛ شهاب القرافي، المصدر السابق، ص40؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص38-41؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص129-130؛ شهاب الدين السخاوي، **الضوء اللامع لاهل القرن التاسع**، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص303؛ محمد بن عسكر الحسني، المصدر السابق، ص119؛ الوادي آشي، **ثبت الوادي آشي**...المصدر السابق، ص418؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج1، ص90؛ الحضيكي، المصدر السابق، ج1، ص27-28؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص267؛ محمد عبد الحليم بيشي، "**الامام ابن زكري التلمساني وآثاره العلمية** "، **مجلة الوعي**، الجزائر، العدد3-4، افريل – ماي، 2011، ص ص167-172.

5- محمد عبد الحليم بيشي، المقال نفسه، ص170.

6- يحى بوعزيز، **المساجد**...المرجع السابق، ص159. (Ch)-Brosselard, **les inscription.. .Mosquée de sidi Zakri** , R.A, 5ème An, N27 Mai, 1864, pp161.

(ت680هـ/1280م)، فذاع صيته وضيق بهم المسجد وحتى الشوارع القريبة منه رغبة في حضور دروسه[1].

لم تقتصر تلمسان على هذه المساجد وإنما هناك مساجد أخرى تعرف فقط أسماؤها ويجهل تماما خصوصياتها وأدوارها الثقافية ومدى مساهمتها في نمو الحركة العلمية بتلمسان خلال هذه الفترة، – في غالب الأحيان –، وتسمى هذه المساجد بمساجد الأحياء يبنيها أهل الشوارع والقبائل، وهي لا تحتاج الى نظر الخليفة أو السلطان وانما مرجعها الى سكان الحي او القبيلة[2]، وعددها كثير توصلنا إليها من خلال دراستها لبعض المصادر وما يلاحظ حولها أن الكثير منها مازال قائما الى اليوم ومنها: **مسجد الرحمة** بالعبّاد الفوقي مدفون فيه الولي الصالح **سيدي أبو العلاء المديوني** (ت735هـ)[3]، **وجامع الرّؤيا**[4]، **ومسجد سيدي الطيار**[5]، **ومسجد ستي الوصيلة**[6]، **وجامع الخراطين**[7]، **وجامع الحلفاويين**[8]، **ومسجد صالح** بالعبّاد[9]، **والمسجد الموجود بخندق عين الكسور** من المنية وخارج باب القرمدين[10]، **ومسجد الغزالة** بالعبّاد العلوي، **ومسجد إيلان** يقع غرب مدينة تلمسان، **ومسجد منشر الجلد ومسجد رحبة القصر ومسجد مرسي الطلبة ومسجد إبن النعمة، ومسجد سويقة إسماعيل ومسجد حارة البرهان**، وأصبح يعرف في القرن (8هـ/14م) **بمسجد ابن حجاف وابن حرزورة، وجامع القصر الجديد ومسجد الساقية بالقرب من باب الجياد وجامع الجدار**[11]، **ومسجد باب زير ومسجد الشرفاء وسيدي يدون ومسجد صاحب السلسلة ومسجد درب الصباغين ومسجدي حي القران الكبير والصغير** وهي ترجع الى العهد الزياني[12].

1– خالد بلعربي، **تطور الحركة الفكرية**... المقال السابق، ص136.

2– عبد العزيز لعرج، **تلمسان عمرانها**...المقال السابق، ص34.

3– يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص107.

4– ابن مريم، المصدر السابق، ص94.

5– نفسه، ص92.

6– نفسه، ص274.

7– نفسه، ص222.

8– نفسه، ص33.

9– يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص119.

10– المصدر نفسه، ج1، ص127.

11– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص155، ص161.

12– عبد العزيز لعرج، **تلمسان عمرانها**...المقال السابق، ص34.

إن هذه المساجد يكتنفها الغموض ولا ندري لماذا سكتت المصادر عن تزويدنا بمعلومات عنها ومدى مساهمتها في تفعيل وتنشيط الحركة التّعليمية والثقافية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة ؟.

❖ **مساجـد المنصـــورة:**

لقد اشتملت المنصورة منذ تأسيسها على يد "ابي يعقوب المريني" (706-638هـ) على أكثر من مبنى ديني متمركز أغلبها عند كل باب من ابواب المدينة، ولعل اولها: **جامع القصبة:** يعد أول مسجد بناه هذا العاهل عند اختطاط المدينة في جهة الجنوب، شبيه بمساجد الأحياء خاص بصلاة السلطان العادية وحاشيته في غير الجمعة والاعياد والمواسم[1]، ورغم اندثاره كليا إلاّ أن وصفه لازال راسخا في كتاب ابن مرزوق في قوله: «جامع القصبة المشتمل على المحاسن الّتي لم يجتمع مثلها في مثله من حسن وصنعه وجمال شكله وترتيب رواقاته واعتدال صحنه وحسن ستاره ومعين مائة وإتساع رحابه وإحتفال ثرياته الفضية منها الصفرية وغرابة منبره»[2]، بالاضافة الى مسجد باب هنين[3] الذي كانت تقام فيه الخطبة، ومسجد عند باب الحجاز والآخر عند باب فاس، ولم نتوصل إلى معلومات حولهما الا انها بمثابة مساجد للاحياء السكنية الكبيرة[4].

❖ **الجامـــع الأعظـم:**

يعد أهم مسجد جامع في مدينة المنصورة بناه السلطان المريني"أبي يعقوب" سنة (702هـ/ 1302م)، وأتمه ابنه "أبي الحسن المريني" سنة (744هـ/1344م)[5]، يعد أكبر مساجد الجزائر مساحة (طوله100م وعرضه 60م)، ولم يبق منه سوى مئذنته الّتي تعتبر أعلى مئذنة يبلغ إرتفاعها حوالي 40م[6]، وهو أحد روائع الفن المعماري الاسلامي بالمغرب

1- عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة**...المرجع السابق، ص169.

2- **المسند**...المصدر السابق، ص 402.

3- **هنين:** مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، وهي تبتعد عن تلمسان بحوالي 34ميلا، كانت تتاجر مع البندقية. **ينظر:** حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 15؛ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص296.

4- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص 403، **ينظر ايضا:** عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة**...المرجع السابق، ص94

5- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السابق، ج7، ص458؛ ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص492.

6- سلسلة الفن والثقافة، **المساجد في الجزائر**، منشورات وزارة الأخبار، إسبانيا، 1970، ص28.

الأوسط حسب ما اتفق عليه الرحالون وصاحب المسند خاصة منبره ومئذنته الرفيعة "لا تلتحق بها صومعة في مشارق الأرض ومغاربها" لاتزال شامخة الى اليوم[1]، رغم اندثار المسجد[2].

❖ **مســاجد وهـــران:**

❖ **مسجد سيدي الهواري**: كان في الأصل زاوية بنيت في أواخر القرن (8هـ/14م)، تنسب إلى الشيخ الزاهد **سيدي محمد بن عمر الهواري** (ت843هـ/1439م)[3]، التي اتخذها مستقرا له درّس فيها مختلف العلوم الدينية، والقى فيها محاضرات في الوعظ والإرشاد والتوبة والعمل الصالح والزهد[4]، وبعد وفاته خلفه تلميذه الشيخ **إبراهيم التازي،** الّذي واصل نشر رسالة معلمه الدينية والتربوية، ولاتزال هذه الزاوية حتى اليوم قائمة[5]، وهناك أيضا في وهران **جامع البيطار** الّذي أسس سنة (747هـ/ 1347م)[6].

1- **المسند** ... المصدر السابق، ص 402.

2- **لاكثر تفاصيل** حول المسجد ينظر:عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة**...المرجع السابق، ص ص121-174؛ محمد لخضر عولمي، **الزخرفة المعمارية في عهد المرينيين والزيانيين (دراسة تحليلية ومقارنة)**، رسالة دكتوراه في الاثار الاسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013، ص179-.

3- ولد بضواحي مستغانم سنة (751هـ/1350م)، عاش بوهران وتوفي بها سنة (843هـ/1439م)، كان وليا صالحا مثابرا على العلم والعمل، درس بفاس وببجاية والمشرق ثم نزل بوهران واستقر بها، صاحب كتاب "السهو والتنبيه". **ينظر**: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص228-236؛ ابن صعد الأنصاري، المصدر السابق، ص ص47-55؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ص254؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج2، ص289؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص516؛ عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص ص277-286 ؛ يحيى بوعزيز، **المساجد**...المصدر السابق، ص39.

4- عبد الحميد حاجيات، "**سيدي محمد الهواري شخصيته وتصوفه**"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، السنة15، العدد88، 1985، ص78.

5- يحيى بوعزيز، **المساجد**...المرجع السابق، ص39.

6- يحيى بوعزيز، **وهــــــران**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 1985، ص160.

❖ **مســـاجد مستغانــم:**

❖**المسجد الكبير أو الأعظم:** اختلفت الروايات في تاريخ إنشائه[1]، ولكنها اتفقت على مؤسسه السلطان المريني "أبي الحسن علي بن عثمان" (749-732هـ/1331-1348م)، عند استلائه على مستغانم سنة (742هـ/1341م)، والراجح انه تاريخ تأسيسه حسب ما دلت عليه الحفريات الحديثة[2].

❖**مسجد سيدي يحي بن ستي الراشدي:** يرجع تاريخه إلى القرن (7هـ/13م)، تميز بنشاطه الثقافي الكبير، حيث كان مقرا للتدريس وتناوب عليه العديد من الاساتذة أهمهم: الشيخ يحي بن ستي الراشدي[3] الّذي نسب إليه المسجد[4].

❖ **مســـاجد الجزائـــر:**

❖**الجامع الكبيـــر:** اختلفت الآراء في تاريخ بنائه بسبب طمس الكتابة المنقوشة على منبره[5]، والراجح أنه يعود إلى القرن (5هـ/11) في عهد "يوسف بن تاشفين المرابطي" لما عرف عنه من حماس ديني وحبه للبناء حيث أمر بإقامة مسجد في كل حي وكل مخالف يعاقب[6]، أما مئذنته فقد شيدت في العهد الزياني بأمر من السلطان "أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبو حمو موسى الأول" (749-718هـ/1318-1348م) سنة (723هـ/1322م)[7].

1- يحددها يحيى بوعزيز سنة 739هـ. **ينظر: المساجد**... المرجع السابق، ص187؛ أما محمد الهادي بن تونس فيرجعها إلى سنة 740هـ. **ينظر:نيل المغانم في تاريخ وتقاليد مستغانم**، قدم وصحح له: يحيى الطاهر برقة، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1998، ص37.

2- مولاي بلحميسي، **جامع مستغانم** ...المقال السابق، ص132.

3- يذكر ابن مريم مشايخه الّذين تخرج على أيديهم أمثال: الفقيه سيدي محمد المديوني أبو السادات (ت981هـ) وسيدي محمد بن يحيى المديوني (توفي بعد 950هـ)، وكانوا يدرّسون في مسجد سيدي يحيى بن ستي الراشدي. **ينظر: البستان**...المصدر السابق، ص262، ص286.

4- يحيى بوعزيز، **المساجد**... المرجع السابق، ص195.

5- **ينظر:** عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص665؛ محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983، ص ص240-241؛ عبد الرحمن الجيلالي، **الجامع الكبير**...المقال السابق، ص115؛ عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ المدن**...المرجع السابق، ص30.

6- صالح بن قربة، **من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الاسلامية**، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص ص412-413.

7- نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، قسنطينة، ط2، 1965، ص150؛ **ينظر كذلك**: صالح بن قربة، **المئذنة**...المرجع السابق، ص85.

❖ **جامع القصبــة:** بسيط جدا يفتقر إلى الذوق الفني وسقفه قرميدي، يطلق عليه اسم جامع سيدي رمضان[1] نسبة لهذا الولي الصالح[2] .

❖ **الجامع القديم أو جامع القشّاش:** يقع بالقرب من الجامع الكبير، حيث يعود تاريخه الى سنة 798هـ، ثم غيرت تسميته إلى جامع القشّاش في القرن (11هـ/17م)[3].

وخلاصة القول أن هذه المساجد وغيرها ساهمت في نشر الثقافة وازدهارها، قصدها الطلبة والعلماء للأخذ عن علمائها أو للتّدريس والاستقرار بها، وبالخصوص تلمسان الّتي تميزت بكثرة مساجدها وما قامت به من دور تعليمي وثقافي كان لها الفضل في جعل تلمسان عاصمة فكرية وثقافية ومركز إشعاع علمي.

ب- مساجد حاضـــــرة بجايــــة:

عرفت بجاية انتشارا كبيرا لهذه المؤسسة «بها عدد من المساجد وعدد من المدارس العتيقة تدرس بها العلوم»[4]، وكما وصفها حسن الوزان: «جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة واساتذة الفقه والعلوم»[5] التي ساهمت في تطوير الحركة التعليمية حيث تخرج منها علماء الفكر والثقافة، فكانت المؤسسة التعليمية الاولى في بجاية، عبر عنها **ابي عبد الله الشريف** (ت771هـ/1369م) عن ذلك اثناء زيارته لبجاية في قوله: «دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها، وصرت أكتب في كل مسجد سؤالا حتى وصل أمره الى السلطان»[6]، حيث اولو لها عناية كبيرة فنالت بجاية لؤلؤة المغرب وعظم أمرها وأصبحت على رأس معاهد التعليم ومؤسساته التعليمية، منها: المساجد الجامعة انشأها الحكام والسلاطين يرجع أغلبها الى العهد الحمادي، وكانت محل عناية خلال العهد المدروس من قبل الحكام الحفصيين، والنوع الثاني يسمى بمساجد الاحياء انجزت من قبل الاهالي وهي كثيرة الانتشار، فاضحت قبلة لطلاب العلم والمعرفة

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص251.

2- سعاد فويال، **المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص ص64-70.

3- مصطفى بن حموش، **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية**، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007، ص47.

4- مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص377.

5- **وصف افريقيا**...المصدر السابق، ج2، ص50.

6- محمد محمدي، المقال السابق، ص91.

وهي كثيرة الانتشار حسب ما اشار اليه الغبريني[1]، ولكن ماهو معلوم حولها ان المصادر التاريخية احجمت عن تزويدنا بمعلومات عنها الا النذر القليل، ولعل أهمها:

❖ الجامـــع الأعظـم:

لم يختلف المسجد الجامع ببجاية عن سائر المساجد الجامعة ببلاد المغرب الاوسط والذي يعود بناؤه إلى القرن (5هـ/ 11م) خلال فترة حكم "المنصور بن الناصر الحمادي"[2] (481-498هـ/1088-1104م)[3]، وقد احتل مكانة هامة بالمغرب الإسلامي حيث عبر العبدري عن إعجابه به عندما زار بجاية في القرن (7هـ/13م) حوالي سنة 680هـ في قوله: «...ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصوفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها فهو غاية في الفرجة والأنس يشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس، وأهلها يواظبون على الصلاة فيه مواظبة»[4].

لقد كان لهذا الجامع دور عظيما خلال هذه الفترة قصده الناس للصلاة، وطلاب العلم للتّعلم به في شكل حلقات مسجدية، أكدها ابن الطواح في قوله: «دخلت جامعها فرأيت حلقة عظيمة»[5]، وقد ولى به أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشطابي (توفي بعد 699هـ) الفريضة والخطبة ما ينيف عن ثلاثين عاما «فروى وأقرأ واستمتع واستنفع به خلق كثير»، وكان عالما بعلم القراءات مثقفا فيها مُجيدا لها، وله معرفة بعلم العربية: النحو واللغة والأدب والحديث والشعر[6]، كما جلس للتّدريس بهذا الجامع أبي إسحاق ابن العرافة فكان يُدرِّس علمي الدراية والرواية[7].

أما من كان يتعلم فيه فهم كثر، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: **أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني** (ت704هـ/1304م) صاحب كتاب عنوان الدراية، حيث كان يجلس

1- الغبريني، المصدر السابق، ص136.

2- هو المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد سادس ملوك بني حماد، والّتي حكمت المغرب الأوسط ما بين [405-545هـ] **ينظر**: خير الدين الزركلي، **قاموس الأعلام**، ج7، دارالعلم للملايين، بيروت، ط7، 1986، ص305.

3- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السابق، ج6، ص358.

4- العبدري، المصدر السابق، ص ص49-50.

5- محمد بن الطواح، **سبك المقال لفك العقال**، تحقيق: محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ط2، 2008، ص238.

6- الغبريني، المصدر السابق، ص104.

7- نفسه، ص222.

متحلقا حول شيوخ الجامع رفقة زملائه الطلبة ينهلون منهم مختلف العلوم[1]، ولعل هذه الأمثلة كفيلة بالتّعريف بالدور التّعليمي لهذا الجامع ومدى مساهمته في نشر رسالته الدينية والتّعليمية، ودوره في بناء الحركة العلمية وازدهارها ببجاية، ولكنه اندثر كليا بفعل الاحتلال الإسباني حيث كان قائما إلى غاية العقدين الأولين من القرن السادس عشر مع سائر المساجد[2].

❖ **جامع القصبـــة:**

شارك هو الآخر في نهضة بجاية الثقافية، قديم النشأة يعود الى القرن (6هـ/12م)[3]، ومن اشهر من جلس للتدريس به "**أبي عبد الله بن غريون البجائي**" (ت733هـ/1333م) الذي عرف بخطيب القصبة[4]، و"**أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعافري**" الّذي يقول عنه الغبريني: أنّه «جلس للأستاذية وانتفع الناس به، وكان معروفا بالصلاح، مرفعا مكرما...خطب بالجامعين: الأعظم وجامع القصبة لمّا عُلم من فضله وعُلم من جلاله وصالح عمله»[5]، كما يعتقد أيضا أنّ العلّامة "عبد الرحمن بن خلدون" قد درّس به أثناء تواجده ببجاية سنة (766هـ/1365م)[6]، مبجلا عند الامير الحفصي أبي عبد الله وهو في ذلك يقول: «وقدّمني للخطابة بجامع القصبة وأنا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة لا أنفك عن ذلك»[7].

❖ **مسجد أبي زكرياء الزواوي:**

يعود الى القرن (6هـ/12م)، حيث كان يتردد عليه **أبي مدين شعيب الأنصاري** (ت594هـ)[8] للتدريس به، وما هو معروف أن هذا المسجد نسب الى الفقيـــه **أبـــي**

1– الغبريني، المصدر السابق، ص25.

2– محمد محمدي، المقال السابق، ص92.

3– الهادي روجي ادريس، **الدولة الصنهاجية: تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 20م**، ج2، ترجمة: حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص109.

4– محمد محمدي، المقال السابق، ص 92.

5– **عنوان الدراية**...المصدر السابق، ص140.

6– محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص97.

7– عبد الرحمن بن خلدون، **التّعريف**...المصدر السابق، ص ص896-897.

8– الغبريني، المصدر السابق، ص59.

زكرياء الزواوي[1] الذي جلس به يعلم الناس امور دينهم فعرف باسمه[2]، حيث كان له دور كبير في بناء العديد من المساجد فلا توجد ناحية من النواحي إلا وله فيها مسجد ومعلم كما اورده الغبريني[3].

❖ **مسجد المرجاني:**

نسبة إلى الشيخ الفقيه **أبي زكرياء المرجاني الموصلي**، الّذي زار بجاية وتردد على هذا المسجد، واجتمع بالناس ليعلّمهم أمور دينهم، فنسب إليه تكريما له بعد رجوعه إلى بلاده الموصل في بلاد المشرق، ويقع بحومة اللّؤلؤة ببجاية[4].

❖ **مسجد الريحانة:**

أو مسجد الامام نسبة الى **المهدي بن تومرت** الذي حط به الرحال عند عودته من بلاد المشرق حيث اتخذه مكانا للدرس[5]، وكان يعج بمجالس الفقهاء[6].

بالإضافة الى **مسجد الموحدين**[7]، **ومسجد النطاعين**[8]، **ومسجد عين الجزيري**[9]، **ومسجد سيدي عبد الحق** احد علماء بجاية الذي تصدر للتدريس به[10]...وغيرها من المساجد التي ساهمت في رقي العلوم وازدهارها ببجاية.

---

[1]- هو **أبو زكرياء يحيى بن أبي علي المشهور بالزواوي** (ت611هـ)، فقيه صالح عالم بالحديث، درس بقلعة بني حماد ثم ارتحل إلى المشرق طلبا للعلم ثم عاد واستقر ببجاية وتوفي بها. **ينظر**:الغبريني، المصدر السابق، ص ص135-؛ ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص428-429.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص59.

[3]- المصدر نفسه، ص136.

[4]- نفسه، ص165.

[5]- البيدق، المصدر السابق، ص13؛ **ينظر كذلك**: عبد الحميد خالدي، المقال السابق، ص147.

[6]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص170.

[7] - الغبريني، المصدر السابق، ص215.

[8] - المصدر نفسه، ص161.

[9] - الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ص111.

[10] - محمد محمدي، المقال السابق، ص93.

❖ **مســـــاجد قسنطينة:**

❖ **الجامع الكبير:**

ذكره حسن الوزان خلال زيارته لقسنطينة في القرن (10هـ/16م) حيث قال: «(قسنطينة) متحضرة ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالجامع الكبير»[1]، يرجع عهده إلى "يحيى بن العزيز" آخر ملوك بني حماد (547-515هـ) سنة530هـ[2]، ثم خضع للترميم في العهد الحفصي على يد السلطان "أبو إسحاق"[3]، و"يحيى المنتخب" سنة (816هـ/1413م)، وبذلك اصبح اجمل جوامع المغرب الإسلامي وأكبرها، ولا يزال قائما حتّى اليوم محتفظا بأوصافه[4] .

❖ **مساجد بونـــــة:**

أبرزها جامع: **سيدي مروان** الذي اقيم على شرف هذا الفقيه العالم سنة (425هـ/1303م) اكراما له عند زيارته لبونة[5]، في عهد "المعز بن باديس الزيري" (406-454هـ/1016-1062م)[6]، والظاهر أنه كان لهذا المسجد العتيق دور كبير على ممر العصور حيث كان قبلة لمؤسس الدولة الحفصية "أبو زكرياء يحيى الأوّل"[7] الذي دفن فيه سنة 647هـ/1249م[8].

1- **وصف إفريقيا**...المصدر السابق، ج2، ص56.

2- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص280.

3- مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، (مدن الشرق)، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1980، ص92.

4- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، ج5، المجلد3، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994، ص348.

5- هو أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني (ت440هـ) له منزلة في العلم وحذاقة النظر وقوة الفهم، وله كتاب في شرح الموطأ والبخاري. **ينظر:** أحمد بن قاسم البوني، **التّعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، تحقيق: سعيد دحماني، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، ط1، 2007، ص ص43-56. **ينظر كذلك:** ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص607.

6- **المعز بن باديس الزيري** من ملوك الدولة الزيرية الّتي حكمت المغرب الأدنى وإتخذت المهدية عاصمة لها، وإستمرت من [543-408هـ]، لأكثر تفاصيل. **ينظر:**عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**...المصدر السابق، ج6، ص ص317-334.

7- أحمد بن القاسم البوني، المصدر السابق، ص56؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص607.

8- ابن الشماع، المصدر السابق، ص60؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين**...المصدر السابق، ص32. **ينظر أيضا:** مختار حساني، **موسوعة تاريخ**...المرجع السابق، ص14.

ولم تقتصر الحركة التّعليمية على مدن شمال ووسط المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فحتى الجنوب كانت له كلمة في ذلك فإذا كنا لم نتوصل إلى معلومات حول ذلك، فهذا لا يعني انعدامها، فوجود جامع بمدينة ورجلان لخير دليل على وجود حركة ثقافية ونشاط تعليمي بالمدينة، الّتي لا شك كان جامعها يفتح أبوابه لاستقبال عامة الناس لأداء الصلوات والطلبة بشكل خاص، وهذا الجامع بناه السلطان الحفصي "أبو زكرياء يحيى الأوّل" سنة (636هـ/1228م)[1].

ونستنتج من حصاد ما سبق أن مساجد المغرب الاوسط لعبت دورا هاما في ازدهار وإثراء الحركة الفكرية والتعليمية بما يعقد فيها من مجالس للذكر وحلقات الدرس فضلا عن المناقشات والمناظرات العلمية والمطارحات الأدبية واللّغوية، ودروس الوعظ والإرشاد والإفتاء التي كان ينشطها بعض الفقهاء، فهذا الدور المزدوج للمساجد جعلها مراكز دينية وعلمية لها أهميتها في نشر الثقافة وترسيخ العقيدة الإسلامية، وتنشيط الدراسات الفقهية والأدبية والعلمية، وفي تخريج العلماء في شتى فنون المعرفة، وفي تكوين الأطر لخدمة المجتمع وتوعيته وتثقيفه.

ولقد اشتركت مع الجامع الكبير مؤسسة تعليمية أخرى لها تقريبا نفس منحاه وأسلوبه[2]، وحتّى المنهج والأساتذة والشيوخ – في كثير من الأحيان-، وإن اتفقت معه في ذلك فهي تختلف عنه في أمور عدّة، ألا وهي المدرسة وهي حديث الفصل الثالث.

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1 ص145.

[2]– عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص246.



المدارس بالمغرب الأوسط ودورها في نمو الحركة العلمية والمعرفية خلال هذه الفترة

1-نشـــأة المدرســـة بالمشـــرق

2- مفهومهــــــــــــــــــــــــــــــا

3- ظهورهــا بالمغـــرب الأوســـط

4- انتشارهـــا بالمغـــرب الأوســط

5- هيكلهـــــا البشـــــــــري

6- منهجهـــــا الدراســـــــــي

7- مســاوئ ومحـــاسن المدرســــــة

تعتبر المدارس منارات إشعاع علمي وأدبي، أدت دور كبير في بعث الثقافة والفكر الإسلامي، كما ساهمت في نمو وازدهار الحركة التعليمية بالعالم الإسلامي. فما المقصود بالمدرسة؟، وماذا قدمت للحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث؟.

1- نشـأة المدرسة بالمشرق:

تعتبر المدرسة منشأة من مستحدثات الإسلام «لم يكن قيامها وليد الصدفة، وإنما كانت مرحلة متقدمة في سلسلة التطورات التي مرت بها حركة التعليم في العصر الإسلامي، فلم تكن ابتكارا مفاجئا بقدر ما كانت تطورا منطقيا لحوادث سابقة ونضوجا لفكرة راودت أصحابها فترات طويلة، ولم يتسن لها أن ترى النور إلا بعد توفر الظروف المساعدة لوجودها إلى حين التنفيذ والوجود»[1]، فما هو معلوم وقد تناولناه سابقا أن المسجد كان المؤسسة الأولى في الدولة وفيه تركزت أنشطتها، فلكثرتها وتشعب مهامه ولتخفيف العبء عليه انفصلت عنه العديد من المهام في مؤسسات مستقلة فكان بمثابة المصدر الذي تفرعت منه، ولعل أهمها مهمة التعليم[2]، هذا من جهة ومن جهة أخرى رغم كونه المصدر الرئيسي للإشعاع الفكري إلا أن له حدود لاستعمالاته تسمى بأخلاقيات المسجد التي هي ضرورية لاحترامه وتقديسه باعتباره بيت الله، وقد تجلت أوجه احترامه في عدم رفع الصوت أو الأكل أو البصق...بالإضافة إلى عدم إنشاد الشعر وقراءة المقامات..، ومنع تدريس بعض المواد فيه مثل: الفلسفة والتنجيم وعلم الفلك[3]...

ومن الأسباب الأخرى التي ساهمت في نشوء المدارس الأحداث التي عرفها المشرق الإسلامي ولعل أهمها الحركة الشيعية المعادية للسنة، فقامت حركة إصلاحية استحدثت مؤسسات جديدة في هياكلها واستخداماتها ووظيفتها وأهدافها، وهي ما اصطلح عليه بالمدارس تستجيب لتحديات الأوضاع المستجدة في القرن (5هـ/11م)، الذي يعد فاتحة عصر جديد بالنسبة لنظام التعليم والمدارس في الإسلام، فقد كان ذلك بداية لاحتضان الدولة لفكرة المدرسة واتخاذها مركزا لنشر الفكر الإسلامي المتمثل في مذاهب أهل السنة، وبعيدا

---

[1]- أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص ص22-23.

[2]- محمد مكيوي، المرجع السابق، ص126.

[3]- سيدي محمد نقادي، المرجع السابق، ص ص73-74.

عن التيارات والأفكار المضادة التي بدأت تتغلغل بين الناس متظاهرة بالإسلام في الوقت الذي تعمل فيه على هدم أفكاره ودولته، وربما أدرك أولئك الخلفاء والحكام الخطر المحدق بدولتهم فظهرت المدارس كوسيلة للتصدي ومقاومة الدعوات والمبادئ المضادة، خاصة الشيعية وإبطال دعاويها بتقوية المذاهب السنية، وتثبيتها والحفاظ عليها وتطويرها[1]، لهذا ربطت أغلب الدراسات المهتمة بالموضوع بين «ظهور المدرسة كمؤسسة، والصراع بين السنة والشيعة»[2].

وكثيرا ما اقترنت المدرسة باسم نظام الملك السلجوقي (ت485هـ/1092م)[3]، والواقع أنها أنشأت قبل عهده بكثير، حيث يذكرها المقريزي في كتابه[4] في قوله: «المدارس ممّا حدث في الإسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنّما حدث عملها في المائة الرابعة من سنة الهجرة، وأوّل من حفظ عنه أنّه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور[5]، فبنيت بها المدرسة البيهقية[6]»، إلا أن الدراسات التاريخية أجمعت على أن إنشاءها الحقيقي واهتمام

---

[1]- عبد العزيز لعرج، "**المدارس الإسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها-القسم الأول-**"، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة الجزائر، العدد 1، 2001، ص ص114-117؛ محمد مكيوي، المرجع السابق، ص ص126-127.

[2]- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص 136.

[3]- هو **أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي (ت485هـ/1106م)**: من أشهر وزراء دولة السلاجقة، وأمهر ساستها حكم لمدة 34 سنة، كان محبا للعلماء والأدب ورجال التصوف، بنى المدارس والربط والمساجد في بغداد وغيرها، واقتدى به الناس في ذلك، صاحب كتاب "**سياسة نامة**". **ينظر**: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج2، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، ص128-؛ تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج4، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1964، ص309؛ أبو شامة الدمشقي، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصّلاحيّة**، ج1، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ص141-؛ صدام جاسم محمد البياتي، "**الوزير نظام الملك وأثره في تقدم الحركة العلمية في المشرق الإسلامي**"، **مجلة ديـالي**، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، العراق، العدد53، 2011، ص250-؛ عمر فلاح عبد الجبار، "**الوزير السلجوقي نظام الملك إصلاحاته الإدارية وإسهاماته الفكرية**"، **مجلة الجامعة العراقية**، العراق، العدد 24، 2012، ص345-.

[4]- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج3، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998، ص436.

[5]- **نيسابور**: أشهر مدن إقليم خراسان، ذات عمارة كثيرة وفضائل حسنة. **ينظر**: القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (دت)، ص473؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص361-.

[6]- نسبة إلى الشيخ الإمام **أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي** المشهور بالبيهقي نسبة الى بلدة **بيْهَق** بخراسان، التي ولد فيها ودفن بها سنة (458هـ/1066م)، أحد أقطاب الحديث والفقه والأصول، له التصانيف الكثيرة=

الدولة بها كان على يد الوزير السلجوقي نظام الملك الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد سنة (457هـ/1064م) وافتتحت سنة (459هـ/1060م)[1]، ثم في البصرة والموصل وإيران... الذي قال عنه السبكي في كتابه[2]: «إنه ليس أول من أنشا المدارس ولكنه أول من رتب المعاليم للطلبة – بمعنى المرتب والوظيفة–»، وهذا الانجاز يعد أول عمل رسمي قامت به الدولة لتنظيم الدراسة وتهيئة مستلزماتها وحاجاتها، كما تبنت تقاليد معينة تتعلق بأنظمة التدريس والإدارة والمسكن والمأكل والمشرب، بالإضافة إلى تخصيصه رواتب وأجور معلومة[3].

إن نظام الملك بعمله هذا ساهم في وضع قاعدة مهمة اتبعت من بعده في أرجاء العالم الإسلامي، ألا وهي إنشاء المدارس من قبل الدولة نفسها، ورعايتها والعناية بها بشكل جعل لها استقلالا عن المساجد، ومن جهة أخرى توفير مستلزمات السكن للأساتذة والطلبة وتوفير العيش الكريم لهم وتخصيص مرتبات شهرية وأوقاف تصرف في ذلك، وهكذا دخلت حركة التعليم مرحلة الاكتمال بنشوء هذه المدارس النظامية[4]، بعدها انتشرت المدارس في بلاد الشام ومصر، ثم انتقلت إلى بلاد المغرب الإسلامي بداية من القرن (7هـ/13م)، حيث تعد **المدرسة الشماعية** أول مدرسة بالمغرب الأدنى بناها السلطان الحفصي أبي زكرياء سنة (633هـ/1235م)[5]، ثم انتشرت حركة تأسيس المدارس بالمغرب الأقصى حيث أسس السلطان أبي يعقوب بن عبد الحق **مدرسة الصفّارين** سنة (670هـ/1271م) ورتب عليها الأوقاف[6]، بينما تأخر ظهورها بالمغرب الأوسط حتى النصف الأول من القرن (8هـ/14م)،

=حوالي ألف جزء، **ينظـر:** السبكي، **طبقات الشافعية**...المصدر السابق، ج3، ص270–؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص75–؛ القزويني، المصدر السابق، ص339.

[1]– الطرطوشي، **سراج الملوك**، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994، ص516.

[2]– **طبقات الشافعية**...المصدر السابق، ج4، ص ص313–314.

[3]– منير سعد الدين، "**المدرسة عند المسلمين**"، **مجلة التراث العرب**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، السنة 12، العدد48، يوليو 1992، ص70.

[4]– محمد مكيوي، المرجع السابق، ص ص127–128.

[5]– ابن الشماع، المصدر السابق، ص56.

[6]– الناصري، المرجع السابق، ج3، ص65؛ عبد الحق بن إسماعيل البادسي، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف بالتعريف بصلحاء الريف**، تحقيق: سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993، ص111.

وقد قلد ملوك بني زيان ملوك المغرب والمشرق في بناء المدارس والاعتناء بها والإشراف الشخصي عليها وتعيين طاقمها للتدريس[1].

2- مفهومـــــــها:

اتفقت معاجم اللغة أن المدرسة في مدلولها اللغوي تعني مكان الدرس والتعليم وهي مشتقة من الفعل "درّس" أي "درس الكتاب"، يدرسه درسا ودِراسة: بمعنى قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه، ودارست ودرّست، والمِدرَسُ أو المِدرَاس وهو الموضع الّذي يُدرّس فيه، والدارسون هم الطلبة[2].

أما اصطلاحا فمدلولها يختلف عن الأماكن التعليمية والدينية السابقة لها كالمساجد والكتاتيب...، إذ تعد بناية مستقلة عن أي بناية عمومية، وهذا "المفهوم رسخته تقاليد نظام المدرسة الشرقية"[3]، وظيفتها تدريس العلوم الإنسانية ودراسة العلوم الشريعة بصفة خاصة، تعد نتاجا لثلاثة مراحل تطورية للمؤسسة التعليمية: فالمرحلة الأولى كانت عملية التعليم تتم داخل المسجد أو الجامع الّذي يتخذ بدوره للصلاة، والمرحلة الثانية هي مؤسسة تجمع بين المسجد- والخان في المشرق أو الرباط في المغرب- يستعمل لإيواء الطلبة الأجانب عن المدينة، وتعد المرحلة الثالثة آخر مرحلة تمثل المدرسة بصريح العبارة بأسسها ونظامها، وهي تستجيب لوظيفة المسجد ووظيفة الخان أو الرباط، يجتمعان فيها وهي قائمة على وقف واحد يجد فيها الطلبة مأوى لهم[4].

ولتحقيق ذلك جاءت هندستها المعمارية متماشية مع ذلك حيث تضم بيتا للصلاة والدراسة في آن واحد وصحنا مكشوفا واسعا، وسكنى للطلبة تتألف من طابق أو طابقين بهم غرف أو حجرات صغيرة، وهي مزودة بمرافق ضرورية كالمكتبة والحمام والمطعم[5]...، وبالتالي هي تجمع بين ثلاثة وظائف رئيسية: إقامة الصلاة والسكن والتعليم وهي وظيفتها

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص325.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص ص79-80؛ البستاني، المصدر السابق، ص276؛ الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص544؛ محمد بن أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ص85؛ الفيومي، المصدر السابق، ص73؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص ص279-280.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص 141.

[4]- عبد العزيز لعرج، **المدارس الإسلامية**...المقال السابق، ص116.

[5]- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص139.

الأساسية، وهذا النظام المعماري هو النظام السائد في مدارس إيران والعراق والشام ومصر وحتى المغرب[1]...

3- ظهـــورها بالمغرب الأوســـط :

أ- وظيفتها وأهدافهــــــا:

في الوقت الّذي ظهرت فيه المدرسة النظامية في بلاد المشرق، كان المغرب الأوسط لا يزال يزاول نشاطه التربوي والتعليمي في الكتاتيب والمساجد، وظل الوضع قائما حتى النصف الأول من القرن (8هـ/14م)[2]، أين ظهرت المدرسة لأول مرة في تلمسان سنة (710هـ/1310م) على يد "أبي حمو موسى الأول" تكريما لأولاد الإمام وسميت باسمهما[3]، ثم انتشرت في كامل المغرب الأوسط، الّذي عرف نظام المدرسة الشرقية بطابعها ووظيفتها وهدفها[4]، الذي ينسجم ويتماشى مع الهدف العام الّذي أنشئت من أجله المدرسة في المغربين الأدنى والأقصى، حيث شيدت لتكون أداة للسلطة لتكوين الأطر والعلماء المختصين في المذهب المالكي، فبنيت من أجل إحيائه ورد الاعتبار لعلمائه الّذين تعرضوا لمضايقات وابتلاءات زمن الموحدين[5]، فكانت بذلك «مدارس حكومية تبنى بإيعاز من طرف السلطان الحاكم، وساهم إنشاؤها في انتصار مذهب أهل السنة وعودة المالكية»[6].

كان سلاطين بني زيان يهدفون من وراء إنشاء المدارس إلى نشر التعليم والثقافة من جهة، وتوجيه الرعية وِجهة تخدم مصلحة المذهب والدولة، وبعث الأمن والاستقرار والهدوء بين الرعية لذا كانوا يشرفون على المدارس إشرافا مباشرا بالتمويل وتعيين الأساتذة، وبما أنهم كانوا مالكيين فقد كانوا يؤكدون على تدريس الفقه والأصول من أفكار المذهب المالكي، وإنشاء المدرسة في حد ذاته يعد تطورا في الحياة الثقافية والتعليمية، كما كان لها دورها في تنشيط الدراسات الفقهية والأدبية والعلمية، إذ ساهمت في توحيد الفكر الإسلامي والمذهبي

---

[1] – عبد العزيز لعرج، **المدارس الإسلامية**...المقال السابق، ص 118.

[2] – محمد بوشقيف، **العلوم الدينية**...المرجع السابق، ص49.

[3] – يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص126.

[4] – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**... المرجع السابق، ج2، ص324.

[5] – صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص140.

[6] – الفرد بيل، **الفـــرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب، لبنان، ط3، 1987، ص351.

للدولة الزيانية[1]، وقد اختصر المستشرق الفرنسي الفرد بيل مفهومها والهدف من إنجازها في قوله: «كانت المدرسة في المغرب – والأوسط على الخصوص– مدرسة حكومية سنية تنشر المذهب الّذي ارتضته الدولة، وتعد للتأهيل كل الوظائف العامة، الدينية والشرعية – القضائية – وتكوّن شيوخا جديدين وتفتح الطريق لبلوغ أعلى المناصب السياسية، وبالجملة فقد كانت معهدا لتخريج الموظفين في دولة تقوم على الدين»[2].

ب- تصميمـــــها:

تحقيقا منها لوظائفها التربوية والاجتماعية ومراعاة لذلك جاء تصميم المدرسة وتخطيطها يستجيب لذلك، فجاءت مزدوجة البناء دار علم ومأوى للطلاب الغرباء، وهي تتشابه مع أي مدرسة إسلامية سبقتها في الوجود[3]، فهي مزودة بمرافق ضرورية: كالمكتبة والمرحاض والحمام ومستودعات للتخزين...، علاوة على جناح خاص لإيواء الطلبة، وهو عبارة عن حجرات للمبيت فيها، وأخرى للدراسة وقاعة كبيرة للصلاة عبارة عن مصلى، حيث ينتظم الجميع حول صحن مكشوف يستعمل أحيانا لإعطاء الدروس والمحاضرات، حسب تصميم مخططي المدرسة التاشفنية[4] ومدرسة العبّاد[5]، المدرستين الوحيدتين اللتين يعرف مخططهما[6]، ولعل هذا التصميم اشتركت فيه باقي المدارس مع اختلاف بسيط فيما بينها.

ج- تمويـــــــلها:

كانت المدارس تخضع لنظام الحِسبة، حيث يقوم المحتسب بزيارتها من حين لآخر للتّأكد من سلامة بنائها وحضور بعض الدروس، والإطلاع على مناهج الدراسة وكتبها، وهذا كله حتّى يمنع أدعياء العلم من التصدّي لتعليم النّاس فيها[7].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**... المرجع السابق، ج2، ص ص326-327.

[2] – **الفرق الإسلامية**... المرجع السابق، ص ص356-357.

[3] (G)- Marçais, **les villes** …Op-cit, p49 .

[4]– **ينظر: الملحق رقم: 4 (مخطط المدرسة التاشفينية).**

[5]– **ينظر: الملحق رقم:5 (مخطط مدرســة العبـــاد).**

[6]– (A)-Dhina, Op-cit p34, p77 ; (G)-Marçais**, les villes**… Op-cit, p47.

[7]– موسى لقبال، **الحسبـــــة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها**، الشركة الوطنية، الجزائر، ط1، 1971، ص71.

كما قامت الأوقاف[1] بدور كبير في تغذية وتمويلها فانتشرت بشكل واسع، وبرزت في تنظيم الوقف وثائق خاصة به حتى يمكننا القول أن وثيقة الوقف كانت أشبه ما يكون باللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية أو النظام الداخلي للمدارس وتتضمن الشروط الواجبة توفرها في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة، وغيرها من التنظيمات الإدارية والمالية، فالأوقاف كانت المورد الرئيسي للصرف على المدارس وباقي المؤسسات التعليمية، واستمرارها في أداء رسالتها كان مرهونا بما تغله هذه الأوقاف التي تستخدم في مصاريف المؤسسة ودفع مرتبات الموظفين[2]، فكان كل منهما يتقاضى أجرته بحسب درجته وبحسب المؤسسة الّتي يدرس بها، كما يشبه عصرنا اليوم.

ويشرف على دفع هذه الأجور وتخصيص الرواتب الدولة، تحت إشراف السلاطين مباشرة[3]، ويقدر مقدار مرتب المدرس الواحد قيمة مئة (100) مثقال، وللأستاذ مائتي (200) مثقال، فضلا عن المواد العينية والكسوة والكتب الّتي تمنح سنويا، كما أشار إليه الحسن الوزان[4]، مراعاة إلى نوعية الدروس المكلف بإلقائها، وتكون هذه المرتبات إما سنوية أو شهرية، كما تمنح للأساتذة منح وذلك حسب إيرادات وأوقاف المدرسة وحتى المساجد تشترك في ذلك[5]، عكس معلمي الكتاتيب التي كانت حالتهم المادية شحيحة يدفعها أولياء التلاميذ حسب فقرهم وغناهم، فقد نال أساتذة المدارس والمساجد الكثير من الإجلال والتقدير والعناية من قبل الخلفاء والسلاطين ونعموا بمستوى مالي مرموق[6]، فكل هذا الاهتمام والتقدير والاحترام جعل المشيخة بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة سواء العلمية أو الأدبية على درجة كبيرة من النضج والاستواء، مما جعلها تفرض نفسها في الأوساط العلمية مغربا ومشرقا[7].

1- **ينظر: الفصل الأول من الباب الأول (الأوقاف).**

2- منير سعد الدين، المقال السابق، ص74.

3- الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص 201.

4- **وصف إفريقيا**...المصدر السابق، ج$_1$، ص 132.

5- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج$_7$، ص ص 348.347.

6- عبد الله الدائم، المرجع السابق، ص ص168-169.

7- مبارك بوطارن وآخرون، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص153.

4- انتشارها بالمغـــرب الأوســـط:

أقام حكام المغرب الأوسط المدارس تقديرا للعلم وإكراما للعلماء، فتفننوا في إنشائها وزخرفتها وتخطيطها، وزودوها بكل متطلبات الحياة التعليمية من أجل ازدهار الحركة الثقافية، وقد انتشرت عبر المدن، فذاع صيت البعض منها، ولعل أشهرها: مدارس تلمسان الّتي قال عنها حسن الوزان: « توجد بتلمسان ...خمس مدارس حسنة، جيّدة البناء مزدانة بالفسيفساء...شيّد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس»[1]، كما ذكرها ابن الأحمر في قوله: « ويكفي أن نذكر المدارس الخمس الكبرى التي أنشئت فيها (تلمسان) في أيام الأسرة الطويلة العمر»[2]، في حين هناك العديد من المدارس التي أغفلتها المصادر فلم ترق الى الشهرة، ورد ذكرها في إشارات شاحبة لا تكفي للتعريف بها وبدورها العلمي.

أ- المــــدارس الزيانيــــــة:

❖ **مدرســـة أولاد الإمـــام:**

تعد أوّل مدرسة شيدت بتلمسان من طرف السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول (ت718هـ) سنة (710هـ/1310م)، للفقيهين العالمين **أبي زيد عبد الرحمن** (ت743هـ/1342م)، وأخيه **أبي موسى عيسى** (ت749هـ/1348م)، تكريما لهما لمكانتهما العلمية[3]، عند حلولهما بتلمسان حيث اتصلا بالسلطان أبي حمو الذي احتفى بهما وأثنى عليهما وبنى لهما المدرسة المسماة باسمهما داخل باب كشوط[4].

وقد وضح لنا التنسي غرض السلطان من بنائه لهذه المدرسة حيث قال: «كان أبو حمو صاحب آثار جميلة وسيرة حسنة محبا للعلم وأهله ورد عليه بعد موت يوسف بن يعقوب الفقيهان العالمان أبو زيد وأبو موسى ابنا الإمام فلم ير ما يؤدي به شكر الله على النعمة الّتي منّ الله عليه بها من قتل عدوه وتعجيل الفرج إلا الاعتناء بالعلم والقيام بحقه فأكرم مثواهما واحتفل بهما وبنى لهما المدرسة تسمى باسمهما»[5].

1- **وصف إفريقيا**... المصدر السابق، ج2، ص19.

2- **تاريخ الدولة الزيانية**... المصدر السابق، ص48.

3- (A)-Dhina, Op-cit p34, p77 ; (G)-Marçais, **les villes**… Op-cit, p47.

4- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص130؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص126؛ عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص823.

5- **نظم الدر**...المصدر السابق، ص139.

كان إنجاز هذه المدرسة خدمة جليلة للعلم باعتبارها أول مدرسة تقام في المغرب الأوسط، فقد عُين للتدريس بها فطاحل العلماء كأولاد الإمام الذين ذاعت شهرتهما أقطار المغرب[1]، أو كما وُصفا «بمثلهما يفخر المغرب»[2]، فتهافت عليها الطلبة من كل حدب وصوب، وقد تخرج منها جل أعلام المغرب كالشريف التلمساني، والإمام المقري الجد، وابن مرزوق الخطيب، وأبو عثمان العقباني والآبلي[3]...، إلى غيرهم من الطلاب الّذين صاروا بعد تكوينهم أساتذة وعلماء في مختلف العلوم والمعارف، أثروا بدروسهم وتآليفهم الحياة الفكرية والعلمية، أمثال: الحافظ التنسي (ت899هـ/1494م) صاحب كتاب نظم الدر والعقيان[4]، وكل ذلك انعكس بالشيء الإيجابي عليها فاكتسبت شهرة ذاع صيتها المغرب[5]، واستمرت في تأدية رسالتها التعليمية حتى القرن (10هـ/16م)[6]، إلى أن أصابها الخراب وقد أورد لنا المقري الحفيد في رحلته الصورة الّتي آلت إليها هذه المدرسة عند زيارته لها سنة (1010هـ/1601م)مع جملة من الأعيان والعلماء والشيوخ، ويقول عن ذلك: «فسرحنا النواظر في محاسن المدرسة المذكورة وطفنا على رسومها الباقية حتى وصلنا خزانة الكتب المشهورة فألفيناها بباب خاوية على عروشها وقد ملئت بالزبل»[7]، ولم يبق منها اليوم سوى المسجد القريب منها والمعروف باسمها وقد ساعدها في تأدية رسالتها[8].

❖ المــدرســـة التــاشـفينية:

تعرف بالمدرسة الجديدة، من مآثر ومخالد السلطان أبي تاشفين الأول خلال فترة حكمه من (718-737هـ/1318-1337م)، حيث تم تدشينها في شهر صفر سنة 725هـ، حسب ما أورده التنسي: «كان مولعا بتحبير الدور وتشييد القصور...فخلد آثارا لم تكن لمن قبله ولا من بعده...وحسن ذلك كله ببنائه المدرسة الجليلة العديمة النظير الّتي بناها بإزاء الجامع

1– عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص823.

2– ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص266.

3– التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص248.

4 – صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص ص142-143.

5– أبو العباس أحمد المقري، **رحلـــة المقـــري إلى المغرب والمشرق**، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004، ص140.

6 – ابن مريم، المصدر السابق، ص126.

7– المقري، **رحلة المقري**...المصدر السابق، ص140.

8 – (G)-Marçais, **les ville** …Op-cit, p47-48

الأعظم، ما ترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة إلا وشيد مثله بها»[1]، وقد سخر لبنائها كبار المهندسين ومهرة الفنانين والمعماريين فكانت تحفة فنية رائعة وكأنها قصرا من قصور الملوك[2]، وظن من دخلها «أنه في قصر خلافة لا في دار علم وتدريس»[3]، وقد نقل لنا المقري وصفا لها وجده مكتوبا على دائرة مجرى مائها حيث قال:

أُنظُرْ بِعَينِكَ بَهجَتِي وسَنَـائِي ... وبَدِيعَ إِتقَانِي وحُسنَ بِنَـــائِي.

وبَدِيعَ شَكْلِي واعتبر فِيمَا تَرَى ... مِن نَشأَتِي بَلْ مِنْ تَدَفُقِ مَـــائِي.

جِسْمٌ لَطِيفٌ ذَائِبٌ سَيَلَانُـــهُ ... صَافٍ كَذَوبِ الفِضّـةِ البَيْضَـــاءِ

قَدْ حَفَّ بِي أَزْهَار وَشْيٍّ نَمقَت ... فغدت كَمِثْلِ الرَوْضِ غبَّ سَمَاء[4].

فكانت من أجمل مدارس المغرب الأوسط، ولكن السؤال المطروح ما مدى توافق حسن منظرها وجمال شكلها مع تأدية رسالتها التعليمية التي بنيت من أجلها؟.

لم يكن بناء التاشفينية وليد الصدفة، فقد خضع لعدة اعتبارات إستراتيجية، فمؤسسها شكل الركيزة الأساسية في تنشيط دورها لما عرف عنه، حيث كان يقدّر العلماء والأدباء وينزلهم منازل تليق بمقامهم، ويجالسهم في مجالسه، ويغدق عليهم الأموال والصلات[5]، وهذا ما عبر عنه التنسي: «كان له بالعلم وأهله احتفال وكانوا منه بمحل تهمم واهتبال، وفد عليه بتلمسان الفقيه العالم المتفنن الجماعة أبو موسى عمران المشذالي، أعرف أهل عصره بمذهب مالك، فأكرم نزله، وأدام المبرة به والحفاية بجانبه، وولاه التدريس بمدرسته الجديدة»[6].

ومن جهة أخرى كان اختيار موقعها بالقرب من الجامع الأعظم من اجل استفادتها من هذا المجال الحيوي واستثماره كي تنجح هذه المدرسة في أداء رسالتها التعليمية والثقافية، فلا يمكن أن يتم ذلك بمعزل عن الجامع الأعظم، بحيث كان المدرسون يتناوبوا على التدريس بينهما، أمثال: أبي موسى عمران المشذالي، وأبي عبد الله محمد السلاوي، ومحمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميم...، فكانت غايته وطموحه من ذلك إضفاء طابع الإجلال

---

[1] - **تاريخ بني زيان**...المصدر السابق، ص ص140-141.

[2] - عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص142.

[3] - نقابة للنشاط السياحي، **تلمسان لمحات عن عاصمة بني زيان**، دون دار نشر، (دت)، ص18.

[4] - المقري، **نفح الطيب** ...المصدر السابق، ج6، ص47.

[5] - صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص150.

[6] - **نظم الدر**... المصدر السابق، ص ص141-142.

والعظمة عليها، على اعتبار أن سكان المدينة يكن تقديرا واحتراما كبيرا للمباني المجاورة لها[1]، وحتى يضاهي به ملوك بني حفص بتونس وبني مرين بفاس.

فجاء هذا الصرح العلمي ليخفف الضغط على المدرسة الأولى (أولاد الإمام)، التي صارت لا تكفي طلاب العلم لتهافتهم عليها[2]، فساهم بقسط وافر في تقدم الحركة الثقافية بتلمسان، بدليل إيوائه المتواصل للطلبة واحتضانه لحلقات الدرس، فكانت القاعة المخصصة للتدريس فضاء لإلقاء الدروس والتعليم تعج بالطلبة، بالإضافة إلى توفره على حجرات للإيواء عبارة عن غرف مخصصة لسكن الطلبة، فكان تصميمه مزدوج الوظيفة: التعليم والإيواء[3].

كل هذا يوضح نشاط المدرسة التاشفينية ومسارها التعليمي الذي استمر في الإشعاع بفضل فطاحل علمائها الذين أوردناهم سابقا، فكانت من أشهر المدارس التي ساهمت في تخريج دفعات من الفقهاء والعلماء، واستمرت في ذلك إلى غاية القرن السادس عشر، ليزيل الاحتلال الفرنسي معالمها التاريخية سنة (1293هـ/1876م)، ويقيم بدلا منها دارا للبلدية[4].

❖ **المدرســـــة اليعـقوبيــة:**

شيدها أبو حمو الثاني (ت791هـ/1388م) بجوار مسجد إبراهيم المصمودي، تخليدا لذكرى والده أبي يعقوب يوسف (ت763هـ/1362م)[5]، استغرق بناؤها حوالي سنة ونصف حيث «أقامها في اليسير من الشهور والأيام، لا يقدر عليها غيره في الكثير من الأعوام»[6]، حيث تأنّق في اختطاطها وتزيينها فتميزت برونقها وجمالها وحسن عمارتها وزخرفها، وأشاد المؤرخون في وصفها، حيث يقول عنها صاحب زهر البستان: «أمر أن يشرع بإزاء روضته مدرسة لقراءة القرآن والعلوم، وأن ينفق فيها من الحلال المعلوم، فأقيمت مدرسة مليحة البناء واسعة الفناء، بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالصبغة مرقوم، وبساط أرضها بالزليج مرسوم،...غرس بإزائها بستنتين تكتنفانها،...صَنع

---

[1] - صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق ص145-149.

[2] - محمد الطمار، **تلمسان**...المرجع السابق، ص132-133.

[3] - صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص148-149.

[4]- عبد الحميد حاجيات، "**الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة4، العدد26، 1975، ص138.

[5]- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى**...المرجع السابق، ص182.

[6]- مؤلف مجهول، **زهر البستان**...المصدر السابق، ص212.

فيها صهريجا مستطيلا، وعلى طرفيه من الرخام خصتان تطردان مسيلا، فيا لها من بنية ما أبهجها، وأشكلها، وأحسنها شكلا وأجملها»[1]، وفي هذا الصدد يقول يحي بن خلدون: «وجه العناية والاهتمام إلى المدرسة الموضوعة على ضريح والده المولى المقدس أبي يعقوب رضوان الله عليه، فولى شطرها بصر الاختبار، ومدّ إليها يد الإنفاق فضاعف بها الفعلة، وأحمد المغارس، و أسمك المصانع، وأرحب الأبنية، وحبر العروش، واِستجلب الأمياه، وأجزل الأوقاف، وعيّن الجرايات، ورسم فيها الخطط»[2].

تم افتتاحها في 5صفر (765هـ/1363م) حيث استدعى السلطان أبي حمو الإمام العالم الفقيه **أبي عبد الله محمد بن الشريف التلمساني** (ت771هـ/1370م) الذي «كان له محبا ومعظما وبه حفيا ومكرما، إذ كان واحد عصره دينا وعلما ونقلا وعقلا، انتفع به الناس حيا وبتصانيفه ميتا»[3]، فاصهر له في ابنته وزوجه إياها ونصبه للتدريس بها[4]، وحضر درسها الافتتاحي الّذي أقامه الشيخ جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له، واحتفل بها وأكثر عليها الأوقاف، ورتب فيها الجرايات،...وكسا طلبتها كلهم[5]، وبعد وفاة هذا العلم نصّب ابنه عبد الله لتولي إدارتها والتدريس بها لمواصلة ركبها وتقدمها الثقافي[6].

وما يعرف عن هذه المدرسة أنها سميت باسم اليعقوبية، ولكنها اشتهرت باسم **مدرسة سيدي إبراهيم المصمودي** الّذي دفن بها سنة (805هـ/1402م) وهذا يبرز تفوق وشهرة العلماء على الحكام[7]، ورغم هذا اندثرت كمثيلاتها من المدارس.

❖ **مدرســة الحسن بن مخلوف:**

ورد ذكر هذه المدرسة في كتاب البستان[8]، لكنّ صاحبه لم يتطرّق إلى تاريخ إنشائها بالتحديد، نسبها التنسي إلى السلطان الزياني أحمد العاقل (834-866هـ/1430-1462)

1- مؤلف مجهول، **زهر البستان**...المصدر السابق، ص ص211-212.

2- **بغية الرواد**...المصدر السابق، ج2، ص283.

3- التنسي، المصدر السابق، ص179.

4- عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص858.

5- التنسي، المصدر السابق، ص 180.

6- ابن مريم، المصدر السابق، ص177.

7- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص152.

8- ابن مريم، المصدر السابق، ص240.

تكريما للولي الصالح **الحسن بن مخلوف أبركان** (ت857هـ/1453م)، حيث قال: «وكانت له عناية عظيمة بالولي الزاهد...أبو علي الحسن بن مخلوف، فكان يكثر من زيارته،..وبنى بزاويته المدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافًا جليلة»[1]، ويقول أيضا «ووجد كثيرًا من ربع الأحباس قد دثر والوظائف الّتي بها انقطعت فأحي رسمها، وجرد ما دثر، وأجرى الوظائف على أزيد مما كانت عليه»[2]، ونلاحظ من هذا القول أنه يكتنفه الغموض، والسؤال المطروح هل هذا السلطان بناها أم أعاد بناءها؟.

ب- المدارس المرينيـــــــة:

❖ مدرســـة العبّـاد:

عُرفت بعدة تسميات: **كمدرسة سيدي بومدين** نسبة لهذا الولي الصالح الذي ذاع صيته في أقطار العالم الإسلامي، **والمدرسة الخلدونية** لتعلم عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) بها[3]، ولعل أكثرها شهرة **مدرسة العبّاد** نسبة لانتسابها لقرية العبّاد[4]، أين شيدها مؤسسها السلطان أبي الحسن المريني سنة (747هـ/1347م)، قرب ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب (ت594هـ) إكراما له[5].

وهي تعد من أجمل المدارس بتلمسان خاصة وبلاد المغرب عامة حسبما ذكره حسن الوزان في قوله: «مدرسة جميلة جدًا»[6]، كما وصفها غوستاف لوبون بقوله: «...وتم إنشاء المدرسة التابعة لهذا المسجد (مسجد أبي مدين) في سنة (747هـ)، وتعد هذه المدرسة من أهم المباني من نوعها في افريقية حتى الآن، وكانت تدرس العلوم والتاريخ فيها أيام ارتقاء العرب»[7]، أما ابن مرزوق[8] فقد وصفها أثناء حديثه عن المدارس المرينية حيث قال: «وكلها قد اشتملت على المباني العجيبة والصنائع الغريبة، والمصانع العديدة والاحتفال في البناء

1- التنسي، المصدر السابق، ص248.

2- التنسي، المصدر السابق، ص ص248-249.

3- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص ص170-171.

4- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص406.

5- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص ص36-37.

6- **وصف إفريقيا**...المصدر السابق، ج2، ص24.

7- غوستاف لوبون، **حضـــــارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص272.

8- **المسند**...المصدر السابق، ص406.

والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعه من الزليج البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش».

تعتبر مدرسة العباد من المدارس الهامة في تلمسان، وما زاد شهرتها وجود ضريح الولي الصالح أبي مدين، كما تولى وظيفة التدريس فيها كبار العلماء والفقهاء ولعل أبرزهم: ابن مرزوق الخطيب الذي توارثت أسرته إمامة جامع العباد وكذلك حفيده، ومحمد السنوسي وعبد الرحمن بن خلدون[1]...، بالإضافة إلى ازدواجية معالمها فكانت تضم غرفا للطلبة وحجرات للتدريس في طابقين سفلي وعلوي، كما أنّها مزودة بمرافق الحياة الضرورية مثل: الحمام والمراحيض ومكتبة[2].

❖ **مدرســة سيـدي الحلوي:**

أنشأها السلطان أبي عنان المريني سنة (754هـ/1353م)، بجوار ضريح الولي الصالح **أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي** الّذي منح إسمه لها، رفقة المسجد والزاوية[3]، لم تشتهر هذه المدرسة مقارنة بالمدارس التلمسانية الّتي عاصرتها[4].

❖ **مدرسة منشر الجـــــلد:**

إن تاريخ ومكان إنشائها مجهول، ولكن يرجح أنها نسبت إلى مسجد منشر الجلد المجاور لها بتلمسان[5]، وكان يدرس بها محمد بن عمر الهواري دفين وهران (ت843هـ)[6].

ج- مــدارس أخـــــرى:

لم تقتصر المدارس على تلمسان حاضرة بني زيان، بل انتشرت في العديد من مدن المغرب الأوسط كمدينة: الجزائر، ومليانة، ووهران، ومازونة، والمدية، وندرومة،... ذكرتها المصادر في شكل إشارات شاحبة، دون التطرق إليها بالتّفصيل، لكن لا ندري لماذا سكتت

---

[1]- فايزة بوسلاح، "**المدارس العلمية بتلمسان على عهد بني زيان: إشعاع فكري وحضاري**"، **مجلة عصور الجديدة**، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد2 (خاص بتلمسان)، 2011، ص183.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص ص143-144.

[3]- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص65.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص144.

[5]- محمد بن رمضان الشاوش، المرجع السابق، ص ص399-240.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص230.

عن تزويدنا بمعلومات عنها، ويبقى البحث والتنقيب عن المخطوطات التاريخية كفيل بنفض الغبار عنها، ونذكر منها:

❖ **مـدارس وهـران:**

انفرد حسن الوزان بذكرها دون التطرق إليها بالتفاصيل في قوله: «وهران مدينة كبيرة...بها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس...»[1].

❖ **مـدارس الجزائـر:**

وجدت بها «مدارس مختلفة الأوضاع»، إحداها أسسها أبو الحسن المريني[2]، بالإضافة إلى **مدرسة ابن السلطان والمدرسة العنانية**[3].

❖ **مدارس قسنطينـة:**

يصفها حسن الوزان بأنها كانت تضم مدرستين، واحدة منها بناها السلطان الحفصي "أبي إسحاق إبراهيم بن زكرياء يحي الأول" في الفترة ما بين (681-678هـ)، وأقام بها مسجدا، فهي مزدوجة البناء كمثيلاتها بتلمسان، وتضم غرفا للطلبة لإيواء الغرباء منهم[4]، وقد تألق في بنائها فجلب لها الرخام الحسن ليظهرها أحسن صورة وزخرفة، كما أحاطها باهتمام بالغ فأوقف عليها الأحباس، ونظر في كل متطلبات مدرسيها وتلامذتها، ومع ذلك لم ترق إلى الشهرة الّتي حظيت بها مدارس تلمسان باعتبار عدم وجود دراسات ومعلومات كافية عنها[5].

❖ **مـدارس بجايـة:**

رغم أن النصوص التاريخية أشارت إلى وجودها، مثلما أورده حسن الوزان حيث قال: «جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم»[6]، أو ما أورده أحد الباحثين

---

[1]- **وصف إفريقيا**... المصدر السابق، ج2، ص30.

[2]- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص406.

[3]- محمد بوشقيق، **العلوم الدينية**...المرجع السابق، ص53.

[4]- **وصف إفريقيا**... المصدر السابق، ج2، ص56.

[5]- مختار حساني، **موسوعة**...المرجع السابق، ص92.

[6]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50.

بأن مراكزها الثقافية كانت تعد بالعشرات، وأن نسبة المتعلمين كانت كبيرة جدّا، حيث تم برمجة حصص التعليم بها في اليوم الواحد ثلاث مرات، ووصل عدد الطلاب بها ثمانين طالبا باستثناء الغائبين، وذلك في مركز واحد وحصة واحدة مع أستاذ واحد، كما فسر سبب هذا الإقبال الكبير إلى مستوى الأساتذة الرفيع وانتشار الكتب الّتي كانت تُعار للمتعلّمين إلى المنازل زيادة على الرغبة وتوفير الاستقرار وازدهار الحياة الاقتصادية والثقافية[1].

ورغم هذا تبقى مدارس بجاية يسودها الغموض ورد ذكرها على شكل إشارات شاحبة، فلا يعرف أسماؤها أو مؤسسيها أو أماكن تواجدها، ولعل ذلك يعود إما أنها لم تحظ بنفس الرعاية والاهتمام التي أولاه الحفصيون لنظيرتها بافريقية، أو لأسباب أخرى كانت وراء إهمال هذا الصرح العلمي المهم[2].

---

[1]– الصالح ابن احمد، المرجع السابق، ص32.

[2]– **ينظر**: مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص181–182.

5- هيكلـــها البشــــــــري:

أ - طـلابهــــــا:

توافد على مدارس المغرب الأوسط خلال هذه الفترة عدد كبير من الطلاب، ولعل الذي شجعهم على ذلك: مجانية التعليم ووفرة الكتب المحبسة بالمكتبات، ووجود المرافق الضرورية التي تؤهل المدرسة لأداء وظائفها التربوية والاجتماعية كالمأوى، إضافة إلى ما يوفر لهم من مؤن وإعانات مالية[1].

ويتم التحاق الطلبة بها - وبالمساجد- بعد الانتهاء من المرحلة الابتدائية بالكتاتيب، حيث لم تكن هناك سن محددة للالتحاق بها فلم تشر المصادر عن ذلك بصراحة، وعلى الأغلب يكون سن الطالب يفوق العشرين سنة[2]، فيتعلم في هذه المرحلة ما لم يتعلم قبلها ويتعمق فيما تعلمه مجملا[3]، كما يتعذر علينا تحديد سنه عند التخرج ويكون على الغالب أكثر من ثلاثين سنة، لأنهم كانوا يستمرون قي الدراسة والتحصيل وينتقلون بين حواضر العالم الإسلامي في شكل رحلات علمية[4]، أما مدة التكفل به أقصاها سبعة سنوات، مع ضمان مأكله ومشربه ومأواه، وتمنح الأولوية دائما في ذلك للطلبة الغرباء عن المدينة[5].

ومقابل هذه الامتيازات فالطالب ملزم باحترام النظام العام للمدرسة، فهو مطالب بلزوم الغرفة التي تمنح له، والتفاني في الإلمام بالعلوم، والمواظبة على حضور الدروس والتفرغ لطلب العلم دون سواه، على أن يتم فصله إذا لم تظهر نجابته[6].

والظاهر أن جميع طلبة المدارس - أو المساجد- بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة هم من فئة الذكور، إذ لم تشر المصادر إلى مواصلة الإناث دراستهن بعد مرحلة الكتاتيب وهذا ما أوضحناه سابقا.

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص349.

[2]- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج7، ص7.

[3]- إبراهيم بلحسن، المصدر السابق، ص64.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص 343.

[5]- إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص ص90-91.

[6]- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج1، ص131؛ ج7، ص7؛ حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 131.

ب- أساتذتهـــــــــا:

***صفاتهم وأوصافهم:**

يعتبر **الأساتذة** أو **المشيخة** من الموظفين الأساسيين للمدرسة، ذوي كفاءات ومؤهلات علمية، متضلّعين مبرزين في مواد مختلفة، متمكنين ومتقنين لعلومهم، دارسين لأمهات الكتب، مع دقة في التدريس ونزاهة علمية، واحترام لقواعد التعليم ومتطلبات المنهج كالحفظ والتثبيت، والضبط والنّقد والصدق والإنصاف...، وصحة الرواية وعلو الإسناد، وهذه الصفات تؤهلهم بالرقي بالمعارف والعلوم، وعلى أساسها يتم تعيينهم في مصاف الأساتذة لتولي هيئة التدريس في المستوى العالي، حيث لم يقتصر تعليمهم على مدارس المغرب الأوسط بل كانوا يتنقلون بين مدارسه ومساجده[1]، فذاع صيت البعض منهم مشرقا ومغربا، كابني الإمام، إبراهيم المصمودي، أبو عبد الله الشريف وابنه "أبو محمد" المتوفى سنة 792هـ، والّذي اشتغل بالتدريس في حياة أبيه مدرسا للعربية وهو لا يزال يافعا، أهلته لذلك سماته الخلقية المتمثلة في حسن المجلس، وعذب الحديث وفصاحة اللسان، ورأفته بالآخرين ولاسيما طلبته، وصلة الرحم والعزوف عن التعجرف والتكبر، بالإضافة إلى صفاته العلمية: فقد كان «عالما فقيها، وأديبا شاعرا، لغويا متبحرا في النحو وعلم العربية، يحضر مجلسه كبار الفقهاء الّذين لم يسعهم غير تثمين معلوماته والشهادة على صحة أجوبته، وسدادة رأيه، إلى درجة أن بعض هؤلاء الشيوخ كان ينهض من مجلسه فيقبله بين عينيه تقديرا واعترافا واحتراما لمقامه وعلو منزلته»[2]، عينه السلطان "أبي حمو موسى الثاني" مدرسا بالمدرسة اليعقوبية، ومنحه إدارتها خلفا لأبيه[3]، فقصده الطلاب من كل فج لاقتناعهم بثقافته وكفاءته، فلم يكتف بها مركزا بل صال وجال في مدارس ومساجد المغرب الأوسط، ودرّس في رحابها فكانت حلقاته منهلا لطلاب العلم والمعرفة[4].

لم يهتم الفقهاء بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة بأخلاق الأساتذة وصفاتهم التربوية والعلمية فحسب، بل حرصوا على كيفية تعاملهم مع الطلبة والمتعلمين أثناء مزاولتهم لمهنتهم، فهناك بعض الشيوخ من يجلس مع طلابه تواضعا للعلم، ومنهم من يكره المراجعة

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص351.

[2]- محمد مرتاض، المرجع السابق، ص ص184-186.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص177.

[4]- محمد مرتاض، المرجع السابق، ص ص184-185.

والاستفسار، ومنهم من لا يتوانى في توبيخ طلابه على تهاونهم ولا يتسامح معهم في أدنى الأخطاء، فيبالغ في التأنيب والعتاب[1]، ومنهم من كان يحب طلابه ويزورهم ويسأل عنهم ويساعدهم ماديا ومعنويا، أمثال: **أبي عبد الله الشريف** والّذي كان الطلبة في أيامه أعزّ الناس وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقا وانتفاعا فكثر العلم في عهده وانتشر وأقبل الناس عليه، واستعانوا بحسن إلقائه وحلاوة فيضه وسهولته، وهذه الصفات جعلت الطالب يرقى بالشيخ في أسرع وقت مع بشاشته وشفقته، لا يؤثر عن الطلبة وغيرهم ولا يقرب أحدا دونهم، يدعوهم للحق ويحملهم على الصدق ويبّث لهم الحقائق، وينزههم عن الخلائق، ويحترم رغباتهم وميولاتهم في اختيار المواد الّتي يدرسونها، كما كان يطعمهم أطيب الأطعمة، وقد جعل من بيته مجمع العلماء والصلحاء، وكان الأشياخ يبجلونه ويعظمونه[2].

أمّا **أبو عبد الله محمد بن الحسن القلعي** (ت673هـ/1274م) [3] فكان يحضر مجلسه «من الطلبة فضلاؤهم ونُبهاؤهم وتجري فيه المذكرات المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب»، يُؤثِرُ طلبته ويساعدهم ويقدم لهم كتبه، حسبما ذكره تلميذه الغبريني في قوله: «وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم فيها»، ملتزما بقول الشاعر:

كُتُبِي لِأَهلِ العِلـــمِ مَبذُولَةٌ   يَدِي مِثْــلَ أَيدِيهِـــم فِيهَــا.

أَعَارَنَا أَشيَاخُنَـــا كُتُبَهُــــم   وسُنَّـــةُ الأَشيَـاخِ نمضِيــهَا[4].

وما عرف أيضا عن هؤلاء الأساتذة أنهم كانوا متبحرين في علوم شتى لا يكتفون بتدريس المادة الواحدة أمثال: **أحمد بن زاغو** (ت845هـ/1441م)[5]، الّذي درّس في

1– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص325.

2– ابن مريم، المصدر السابق، ص170.

3– هو: **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي** من قلعة بني حماد، أستاذ بارع في النحو واللغة والأدب حتّى سمي بالأديب، له دواوين في الشعر، كان يدرّس في بجاية وبها توفي، يعتبر الغبريني أشهر تلامذته حيث لازمه لأكثر من عشر سنين. **ينظر ترجمته:** الغبريني، المصدر السابق، ص ص 94–99.

4– المصدر نفسه، ص ص94–95.

5– **هو: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن زاغو المغراوي التلمساني (845–782هـ):** مفسر محدث أصولي منطقي وصوفي من أهل تلمسان، من أشهر تلامذته: ابن زكري والتنسي والقلصادي، درس بالمدرسة اليعقوبية، له العديد من التآليف منها: "**تفسير الفاتحة**"، "**مقدمة في التفسير**"، "**منتهى التوضيح في عمل الفرائض**"، "**أجوبة فقهية**"... **ينظر:** القلصادي، المصدر السابق، ص ص102–106؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص41–؛ الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص42–؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص118؛ عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص156–.

اليعقوبية: التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة...[1].

وقد يتعدد أساتذة المادة الواحدة، لذلك نُصّب لكل فرع من فروع العلوم رئيسا من أساتذته، مهمته التنسيق بين مختلف أساتذة المادة الواحدة[2]، أمثال :أبي محمد بن أبي عبد الله الشريف (ت 792هـ) الّذي كان رئيس الأساتذة، قال عنه يحى بن خلدون: أنه كان من «صدور المدرسين الآن مشارك في فنون التعاليم»[3].

***تعيينهم وعزلهم:**

هذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر لعلماء المغرب الأوسط الّذين درسوا ودرّسوا وتخرّجوا على يد كبار العلماء آنذاك، وفاقت شهرتهم الآفاق، فنالوا الألقاب العلمية التي كان مبعثها تقدير المثقفين أنفسهم، ولم تمنحها الهيئات العلمية، ونتيجة لذلك نال العديد منهم احترام وتقدير السلاطين، فكانوا يبجلونهم ويغدقون الصلات عليهم، ويقربونهم إلى مجالسهم ويحضرون دروسهم، حتى أنهم قصدوهم في بيوتهم، وبوؤوهم مكانة اجتماعية محترمة، ومكافأة لهم على ذلك كان يتم تعيين البعض منهم لكل مدرسة تنشأ، وعلى الغالب كثيرا ما كانت المدرسة تبنى من أجل أستاذ، وفي هذه الحالة كان تعيين الأساتذة يسبق بناء المدرسة[4].

وعلى العموم فإنّ تعيين الأساتذة لا يكون إلا بقرار من الدولة كما هو الحال أيام الدولة الزيانية[5]، وأن يكون عمر الأستاذ يفوق سن الأربعين لتأخر تحصيله للعلوم والسفر، – لم يكن هذا الشرط شرطا إجباريا لأن ابن أبو عبد الله الشريف تولى التدريس وهو لا يزال يافعا–[6].

أما الاعتزال عن التدريس فراجع من جهة إلى تدخل الطلبة الّذين يهجرون أستاذهم، وينتقلون إلى أستاذ آخر، بسبب شيخوخته الّتي صارت سببا في تراجع ملكته العقلية، وجعلته

---

[1]– القلصادي، المصدر السابق، ص104.

[2]– إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص93.

[3]– **بغية الرواد**...المصدر السابق، ج1، ص ص120-121.

[4]– الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص ص201-202.

[5]– حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية** ...المرجع السابق، ص281.

[6]– محمد مرتاض، المرجع السابق، ص184.

غير قادر على تبليغ رسالته[1]، ومن جهة أخرى إلى السلاطين، فقد أورد صاحب المعيار حادثة عزل أحد السلاطين الزيانيين لمدرس الفقه بعد أن درّس هذه المادة لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر[2].

***الأستاذ المعيـــد[3]:**

وظيفة حضارية تؤكد أهمية التعليم وتطوره عند المسلمين، ظهرت في القرن (5هـ/11م)، لها علاقة وثيقة بوظيفة المدرس، عادة ما يختار المعيد من جملة الطلبة المتفوقين فهو دون الشيخ وأعظم درجة من عامة الطلبة[4]، حدد ابن جماعة مواصفاته ومهامه في قوله: «من صلحاء الفضلاء وفضلاء الصلحاء صبورا على أخلاق الطلبة حريصا على فائدتهم وانتفاعهم به قائما على وظيفة أشغالهم...وينبغي...أن يقدم أشغال أهلها على غيرهم في الوقت المعتاد أو المشروط إن كان يتناول معلوم الإعادة، لأنه معين عليه مادام معيدا،..وان يعلم المدرس أو الناظر بمن يرجى فلاحه ليزاد ما يستعين به ويشرح صدره، وأن يطالبهم بعرض محفوظاتهم إن لم يعيّن لذلك غيره، ويعيد عليهم ما توقف فهمه من دروس المدرس، ولهذا يسمى معيدا»[5]، كما ذكره السبكي (ت771هـ) في كتابه بقوله: «المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس: من تفهيم بعض الطلبة، ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة»[6]، ومعنى ذلك أن المعيد يبدأ عمله بعد انتهاء الشيخ من درسه فيشرح ما استصعب منه بطرق بسيطة ومفهومة، كما يساعد الطلبة على المراجعة والمذاكرة[7].

1– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص352.

2– الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج7، ص347.

3– من المعتقد أن هذه الوظيفة ارتبطت بالمدارس وذلك راجع إلى كثرة الطلاب داخلها، وتفاوت مقدراتهم العلمية فكان لابد من وجود المعيد ليساعد الضعفاء وقليلي الفهم، بالإضافة إلى بروز العديد من الطلبة الذين فضلوا الارتباط بمدرسيهم فاختاروا أن يكونوا معيدين لدروسهم أو مساعدين لهم، وهذا المنصب قلّ ما خلت منه مدرسة من المدارس. **ينظر:** عبد الله الدائم، المرجع السابق، ص171.

4– حسين أحمد، المرجع السابق، ص110.

5– **تذكرة السامع**...المصدر السابق، ص ص259–260.

6– **معيد النعم**...المرجع السابق، ص108.

7– الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص201.

ج – عمـال المدرسـة:

تعتمد المدرسة في تنظيمها وتسييرها على موظفين يشرفون على القيام بعملها وإنجاح دورها لتقوم بتبليغ رسالتها على أكمل وجه، وعددهم يختلف من مدرسة إلى أخرى، تبعا لحجم أوقافها، فهناك:

***القيّم والبواب:** يقومون بأعمال عديدة أهمها: حفظ التجهيزات المدرسية وحراستها وتشغيلها، والكنس والفرش وفتح الباب وغلقه ومنع الغرباء من الدخول إلا بإذن معين، وحفظ الحصر والقناديل، وفتح المكتبة وحراسة تجهيزاتها وتسهيل منح الكتب للطلاب والأساتذة...

***الإمام والمؤذن:** مهمتهم تتمثل في رفع الآذان وإقامة الصلوات[1]...

***ناظر المدرسة:** وهو المهتم بالأمور العلمية والإدارية، يعين من قبل الحاكم أو مؤسس المدرسة، وفق شروط ومقاييس محددة، أهمها: ممارسته لمهنة التعليم لعدة سنوات، وأن يكون متبحرا في علوم شتى، وقد أوكل إليه إقامة الصلوات الخمسة، ولكنه أعفي عن ذلك لتشعب مهامه، ومنحت للإمام والمؤذن بدلا عنه[2]، كما يتولى النظر في الحبوس ومنح العمال مرتباتهم...، وإذا أهمل أو قصر أو تهاون في أداء مهامه يعزل ويعوض بناظر آخر[3].

---

[1]– الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج7، ص ص17-18.

[2]– إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص ص91-92.

[3]– الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج7، ص 41، ص73، ص92.

6- منهـجــــها الـدراســــي:

أ- أوقات الدراســة:

كانت الدراسة في المدارس وحتى في المساجد- تستمر طيلة أيام الأسبوع خلافا للكتاتيب الّتي تعطّل أيام الخميس والجمعة، وكذلك خلال فصلي الشتاء والصيف - عكس مدارس فاس الّتي تتوقف بها الدراسة صيفا[1]-، فمثلا كان الشيخ أحمد بن زاغو مدرسا بالمدرسة اليعقوبية «يدرس في أزمنة الشتاء، التفسير والحديث والفقه، وأما في فصل الصيف فكان يعلم الأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة»، وحتى الخميس والجمعة كان يستغلهما لقراءة التصوف وتصحيح تآليفه، وقد درس على يده القلصادي وفق هذا المنهج في التدريس [2].

إنّ أوقات الدراسة ترجع في غالب الأمر إلى رغبة الشيخ أو الأستاذ فهو الّذي يحدد ميعاد محاضرته ودرسه[3]، فالبعض كان يفضل التدريس في ظرف يومين في الأسبوع، والبعض الآخر يفضل بعض الأيام كالخميس مثلا أو الجمعة أو السبت، كما لم تكن ساعات إلقاء المحاضرات محددة وعلى الأرجح تبدأ حصة الدرس - والّتي تسمى: المجلس أو الدولة- من صلاة الفجر وتمتد حتى صلاة العصر[4]، ويراعي فيها مواقيت الصلوات الخمسة اليومية[5]، ويتعاقب خلالها العديد من الأساتذة، ويمكن أن يجتمع الشيخ بطلابه في اليوم الواحد العديد من المرات لأنهم كانوا يتفننون في العديد من العلوم[6]، كالشيخ أحمد بن زاغو سابق الذكر .

ب- العلـــوم المدروســـة:

إن المدارس الإسلامية في أول نشأتها بذلت عناية فائقة في دراسة العلوم الدينية، وكان لهذا الأمر الأثر الكبير في تطوير وتعميق المواضيع الدينية كعلوم القران والحديث والفقه

1- مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية** ...المرجع السابق، ج2، ص287.

2- القلصادي، المصدر السابق، ص 104.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص94.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص354.

5- محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص94.

6- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص354.

والتي كان هدفها أساسيا، ومن ثم الاهتمام بالدراسات الأدبية والعلمية[1]، وعليه سار المنحى العام للتدريس في المدارس بالمغرب الأوسط على اضطرار الطلاب لدراسة العلوم الدينية: كالتفسير والحديث والفقه المالكي، وكذلك النحو واللغة والعلوم العقلية والطبيعية: كالحساب والفلك والطب...[2]، هذا هو المقرر الدراسي لمدارس المغرب الأوسط خلال هذه الفترة الذي جُعل مناسبا للجو السياسي والمذهبي للدولة التي قامت على تحديد العلوم الخاصة للدراسة إما بشكل مباشر أو غير مباشر، وفق ما يتناسب معها من فقه مالكي وتفسير وحديث، كما شجعت الدراسات الأدبية من شعر وتاريخ ...، ومنعت بعض العلوم الّتي لا ترضاها، وتخالف مذهبها كالفلسفة مثلا لأنها من العلوم المشبوهة[3]، وقد احترم الأساتذة المدرسون ذلك وساروا وفقه، وشجعوا طلابهم على دراسة العلوم الدينية خاصة الفقه المالكي، لأن فرص العمل فيه مضمونة، نظرا لما خصته الدولة من عناية لتخريج الأطر العاملين بمقتضاه، كما نصحوا طلابهم بالابتعاد عن دراسة الفلسفة والمنطق[4].

ومع هذا تبقى حرية الطالب مكفولة بانتقاء ما يشاء من مواد الدراسة، يراعي فيها أهمية المادة ومدى صعوبتها وسهولتها، وما يتماشى مع طموحاتهم ورغباتهم في العمل – لذلك فالكثير من الطلبة يتوجه إلى دراسة الفقه لأن فرص العمل فيه مضمونة[5]–، وحتى الأساتذة احترموا هذه الرغبات وقد أكد على ذلك **أبو عبد الله الشريف** (ت771هـ) أنه «من رزق في باب فليُلازِمه لأنه باب السعادة لكل طالب»[6]، وتركوا كذلك حرية الطالب مفتوحة ومكفولة بالتنقل بين ما يشاء من الأساتذة والشيوخ الّذين يثق فيهم، وفي قدراتهم ومستواهم التعليمي دون قيد أو شرط[7] .

لم يقتصر التدريس في مدارس المغرب الأوسط على علومه وثقافته المحلية، وإنما تغذى من رافدين أساسين هما المشرق والأندلس، الّذين ساهما مساهمة فعالة في تطوير

1– حسين أحمد، المرجع السابق، ص ص108–109.

2– الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص144.

3– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص348.

4– نفسه، ج2، ص 349.

5– نفسه، ج2، ص348.

6– ابن مريم، المصدر السابق، ص 170.

7– محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص94.

وازدهار المنهج الدراسي، وتفعيل طرق التدريس[1]، فعلى سبيل المثال استحدثت دراسة "**مختصر ابن الحاجب**" في الأصول والفروع، وقد أتى به أبو **علي ناصر الدين المشذالي** أواخر القرن (7هـ/13م)، ببجاية وتقرر تدريسه على طلاب مدارسها، ثم انتقلت دراسته إلى مدارس تلمسان عن طريق تلميذه **أبو موسى عمران المشذالي**[2]، وكذلك "**مختصر خليل بن إسحاق المالكي**" أتى به الفقيه **محمد بن الفتوح التلمساني** (ت818هـ/1415م)، بالإضافة إلى كتب بها شروحات ومختصرات درّست بالمغرب الأوسط، وصارت مقررات أساسية اعتمدها الأساتذة لتدريس طلابهم وإجراء أبحاثهم[3]، وقد سمح ذلك بازدهار الحركة التعليمية والثقافية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

ويبدو أن المسجد تأثر بالمدرسة خاصة فيما يخص تعليمها واتجاهها ابتداء من القرن (8هـ/14م)، ودرّس أساتذة المدارس في المساجد وتناوبوا للتدريس بين هاتين المؤسستين نفس المواد، وفق ما ترتضيه الدولة حسب مذهبها المالكي وجوّها السياسي، وقد استحدث بالمسجد كرسي التّدريس، وهو منصب مخصص لتدريس مادة معينة من خلال كتاب دراسي معين، ويتقاضى المدرس فيه راتبا شهريا يدفع له من خلال أوقاف المسجد، ويمكن تصنيف هذه الكراسي إلى صنفين:

***الكرسي الأول:** كرسي الوعظ وهو كرسي عام موجه لعامة الناس الّذين ليس في مقدورهم الانضمام في سلك الحلقات المعتادة على شكل حلقات مسجدية عامة، كانت قبل القرن (7هـ/13م) دروس تطوعية بدون مقابل ثم أصبحت بعد ذلك كراسي تدريس يأخذ عليها الأستاذ الواعظ أجره من الأحباس.

***الكرسي الثاني:** وهو كرسي خاص موجه للطلاب المنتظمين، ويعقد في أوقات محددة – ولم يظهر إلا مع ظهور المدارس–، ويتولى التدريس به أساتذة أكفاء، يتقاضون أجورا عالية مقارنة بأساتذة الوعظ، كما أن تعيينهم أصبح تحت إشراف سلاطين المغرب الأوسط، كما هو الحال بالنسبة لأساتذة المدارس[4].

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص 328.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص 468.

[3]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص 328.

[4]– المرجع نفسه، ج2، ص342، ص349؛ محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص94.

وليس كل ما هو مستحدث مرغوب فيه، فقد اعتبر الفقهاء التّدريس على الكرسي في المساجد بدعة، في حين أباحه آخرون أمثال الشيخ **محمد بن يوسف السنوسي** حتى يكون الطلبة فيه أمام أنظاره، وبالتالي السهولة في إيصال المعلومات والسيطرة على المجلس وفرض الهدوء داخله[1].

ج – طـرق التّدريـــس:

تمثل المدرسة والمسجد ثاني مرحلة في التّعليم وهي المرحلة العليا، وكان الطلاب بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة يتحلقون حول الشيخ إما جالسين على البسط أو على كراسي خشبية عليها البسط، وعلى الشيخ أن يراعي بعض المبادئ التربوية في طريقة تدريسه[2]، فيبدأ بالسهل ثم الأصعب ومن البسيط إلى المركب، وهذا ما رآه عبد الرحمن بن خلدون واصطلح عليه بالتّدرج في التّعليم[3]، ويستعمل كذلك الأستاذ أسلوب التشويق في إلقاء دروسه، وخلق روح المنافسة بين الطلبة وتكريم المتفوق منهم وتشجيعه[4].

أما طرق التدريس وإلقاء الدروس فتختلف باختلاف الشيوخ، فتكون باختيار كتاب معين في أحد أصناف العلوم ويسمى "**بالمصنّف**"، يتولى قراءته أنجب الطلبة ويسمى بقارئ المجلس، ثم على الأستاذ شرح ما قرئ مع تبسيط المفردات حتى يتم فهم النص[5]، وهنا تختلف طريقة الشيخ في التّعامل مع النص، فهناك طريقتين:

*__الطريقة الأولى (التقليدية):__ وهي طريقة إلقائية محضة كانت معروفة قبل منتصف القرن (7ه/13م)، تعتمد على النقل والحفظ في جميع العلوم، وتستند إلى الرواية وتنكر الجدل والتفكير والمناقشة[6]، أعابها ابن خلدون لأن الطلبة فيها سكوت لا ينطقون ولا يفاوضون[7].

1– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص 349.

2– المرجع نفسه، ج2، ص 352.

3– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص 571.

4– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص 352.

5– المرجع نفسه، ج2، ص 353 ؛ الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص197.

6– محمد الشريف سيدي موسى، المقال السابق، ص95.

7– **المقدمة**...المصدر السابق، ص468.

***الطريقة الثانية (المستحدثة):** وهي أيسر طرق التّعليم استحدثها المغرب الأوسط أواخر القرن (7هـ/13م) بواسطة ابني الإمام، وأبو موسى عمران المشذالي بعد عودتهم من إفريقية[1]، تعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل والتفكير والحفظ، واستغلال الجدل في البحث والمناظرة في جميع المسائل العلمية[2]، يكون فيها الطالب أكثر حيوية وديناميكية، ويقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات عن طريق طرح الأسئلة، والاستفسارات والمناظرات...، وعلى الأستاذ إدارة هذه المناقشات وتوجيه طلبته[3]، ميزها التّعاون العلمي بين الطلاب والأساتذة واشتراكهم في حل المسائل العلمية[4]، فقد كان الآبلي إذا ما أشكلت عليه مسألة أو ظهر بحث دقيق يقول لطلبته انتظروا أبا عبد الله الشريف، رغبة منه في خلق جو من التنافس والتعاون العلميين بين الطلاب[5].

أعطت هذه الطريقة ثمارا ايجابية وأحدثت فعالية في فن التدريس حيث حفزت الطالب من جهة ودفعته إلى المذاكرة والمناظرة، ومن جهة أخرى دفعت الأساتذة إلى الاجتهاد والمطالعة والاشتغال بالتأليف، فنشطت بفضلها الأبحاث الفقهية النظرية والدراسات العقلية المنطقية، وبالتالي ازدهار الحركة التعليمية[6]، استحسنها عبد الرحمن ابن خلدون وفضلها على الطريقة المستعملة بفاس[7]، فكان أثرها محمود في تكوين أجيال صالحة من كبار العلماء الّذين ساهموا مساهمة فعالة في تقدم الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة [8].

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص467-468.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص29.

[3]- الأخضر عبدلي، **مملكة تلمسان**...المرجع السابق، ص198.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص353.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص170.

[6]- رابح بونار، **عبقرية المشذاليين**...المقال السابق، ص307.

[7]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص 468.

[8]- عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية**...المقال السابق، ص139.

د – الإجــازات العلميــــــة:

الإجازة هي: الإذن في الرواية لفظا أو كتابة[1]، أي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه، أركانها أربعة: المجيز والمجيز له والمجاز به ولفظ الإجازة[2]، يعد طلبها « من شأن أهل العلم، لمعرفة أفاضل الأئمة من صحابي وتابعي وفقيه، ومن الكمال معرفة تاريخ ولادتهم ووفاتهم ليتبين من سبق لمن يلحقه»[3]، كما تعتبر رأس مال كبير للطالب وهي تدل على المستوى العلمي، كانت تمنح في الأصل لمن يدرس علم الحديث إذ تعتبر أمر ضروري في الرواية وبها تكتمل وإلا كانت ناقصة لا محالة، لذا لا غنى للطالب عنها، ثم عمم استعمالها على سائر العلوم والفنون[4]، ومن اجل ذلك كله تسابق الطلبة والعلماء إلى نيلها والحصول عليها وطلبها، حيث كانوا لا يكتفون بالإجازة التي يمنحها علماء بلدانهم بل ينتقلون إلى أماكن أخرى متحملين مشقة السفر وعنائه من اجل شرف نيلها[5]، حيث لا تعطى للطالب إلا بعد طول ملازمة للشيخ والأخذ عنه، حتى يتمكن في مادته، وقد اشترط في المجيز أن يكون عالما بعلم يجيز به، متقنا لغته وثقة في دينه وروايته، على أن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسماته حتى لا يضع العلم إلا عند أهله[6]، وبعد الإجازة يصبح الطالب شيخا وهو لقب الأستاذية، ويترقى إلى مصاف العلماء والفقهاء والأدباء له مكانته في المشيخة العلمية[7].

إنّ الإجازات العلمية تختلف باختلاف مانحيها وباختلاف الحاصلين عليها، فقد تكون إجازة عن كتاب تشهد للطالب بإتقانه وتعطيه الحق في تدريسه إن أراد، وقد تكون عن موضوع معين فقط، أو عن مادة من المواد...[8]، حيث كانت منتشرّة في دولة بني زيان منذ

---

[1]– الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج11، ص15.

[2]– ابن قنفذ القسنطيني، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص146-؛ يوسف الكتاني، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، ج1، دار لسان العرب، بيروت، (دت)، ص129.

[3]– ابن مريم، المصدر السابق، ص ص307-308.

[4]– يوسف الكتاني، المرجع السابق، ص ص130-131.

[5]– الأخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1555م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005، ص101.

[6]– يوسف الكتاني، المرجع السابق، ص135.

[7]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص357.

[8]– خالد بلعربي، **ملامح الحركة**... المقال السابق، ص227.

تأسيسها، وأصبحت بمرور الزمن عادة متوارثة جيلاً بعد جيل، واستمرّ وجودها إلى آخر العهد الزياني، حيث كانت لها مكانتها المرموقة في سوق العلم، وتراجم علماء المغرب الأوسط تزخر بأنواع الإجازات التي أخذوها سواء داخل بلدهم أو خارجه رغبة في الاستزادة من الإجازات لتدعيم مصداقيتهم العلمية التي لا تتحقق إلاّ بالإجازة الّتي يكون قد أخذها من علماء كبار ومشهورين، بِاعتبارها شهادة لازمة لابدّ منها حتّى يتسنى له الظهور بمظهر الأستاذ الحاذق، فيكتسب إجلال وإكبار العامّة وكذا طلبة العلم[1].

والأمثلة عن ذلك كثيرة جدا حفظتها كتب التراجم والسير مثل: **إجازة أحمد بن عبد الله المناوي المعروف بابن الحاج** (ت930هـ/1524م) الذي طلب من شيخه أحمد بن زكـري الذي درّسه الأصول والفقه والعربية والبيان...أن يجيزه ويستعجله خوفا من وفاة شيخه لهرمه حيث راسله في قوله: «الحمد لله...، سيدي احمد بن محمد بن زكري الذي صارمه في كل فن من فنون العلم يفري...إرادة العبد من سيده ومولاه، أن يتطول عليه بما قد كان أولاه، بإجازة تقيد ما عليه أملاهن وينتظم بها في عقد أصحابه،...إجازة مطلقة عامة، وافية بالغرض المقصود تامة، تحتوي على جميع أنواع العلم وفنونه،...وإنما جرأني على هذا الاستعجال، خشية انقضاء الآجال...» [2]، ثم أضاف في قوله:

أَجِب دُعَاءَ مُسْتَغِيثٍ وَجِل ... مُرَوَع القَلْبِ قَلِيـلُ الحِيـلِ

وَجَوزنهُ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَــا ... أَجَزْتَ فِيهِ لِلشُّيُوخِ العُلَمَــا

إِجَازَةً تَعُمُهُ وَنَسْلَـــــــــهُ ... حَاوِية مَعْنَى الّذِي سِيقَت لَهُ

تَقْضِي لَهُ بِالمَجْـــدِ وَالتَّعَزُزِ ... وَتَبْسِطُ البَذْلَ بِوَعْدٍ مُنْجَــزِ [3]

وعادة ما كان الشيوخ يلبون رغبات طلابهم فبعث ابن زكري لطالبه إجازته مدونا فيها اسمه ونسبه وتاريخ الإجازة...حيث جاء في قوله: «الحمد لله... أما بعد: فمرغوب الفقيه اللبيب، الوجيه الأريب، كاتب إِسمه في الاستدعاء المكتوب هذا بظهره، متلقى بالإسعاف، و مُقابل بنيل قصده بطريق الإنصاف، وما طلب من الإجازة، فقد سوغته انجازه، فليرو عني ما يجوز في الرواية على الشروط المعروفة، والسنن المألوفة، فهو أهل لان يروي ويروى عنه من شاء

---

[1]- محمد بوشقيف، **تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (15-14م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص80، ص82.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص18-20.

[3]- المصدر نفسه، ص21.

على وجه الصواب، لجميع ما استفاد مني بخطاب، أو وجده في كتاب، أو بلغه له ثقة من الأصحاب، وكذا كل ما ثبت سنده أنه من مروياتي، أو جمعته أو اجمعه إنشاء الله من مكتوباتي، وانه لجدير أن يروي ويروى عنه لما اتصف به من الأوصاف المقضية ذلك،...قال ذلك وكتب بخط يده عبيد الله سبحانه، أحمد بن محمد بن زكري لطف الله به في أوائل شهر ربيع الثاني، من عام سبعة وتسعين وثمانمائة (897هـ/1491م)...أجزت لأولاد الفقيه المذكور، ما أجزت له على الشرط المسطور»[1].

وصفوة القول أن الإجازة كانت بمثابة الشهادة الّتي بواسطتها يتمكّن الطّالب من ولوج عالم التّدريس والفتوى، وبفضلها حافظ أهل المغرب الأوسط على أسانيد العلوم و التّعليم فازدهرت العلوم العقلية والنقلية.

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص22-23.

7- مساوئ ومحـــاسن المدرســـة:

أ- مساوؤهــــــا:

يعتبر بناء المدارس مظهرا من مظاهر الحياة الثقافية بالعالم الإسلامي، إلاّ أنها كانت محطة انتقادات من قبل الكثير من العلماء، وهناك العديد من الفقهاء من قاوم تأسيسها، فعلماء ما وراء النهر خلال القرن (4هـ/10م) ولأسباب تراوحت بين العلمية والسياسية، كانوا بين آسف ومستنكر رافض حذر من تبني الدولة للعلم والإشراف عليه، لأنهم يرون أن العالم الفقيه يرى طلب العلم لذاته وليس للاحتراف والتكسب والعيش منه، ولذلك من اتخذ العلم حرفة وصارت له أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل، وبالتالي يخرج من صفوف العلماء لأنه لا يتحلى بأخلاقهم « فأقاموا مأتم العلم»[1].

أما علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة فقد رفع الابيلي راية المعارضة، التي لم تكن موجهة مباشرة للمؤسسة التعليمية في حد ذاتها أو ضدّ بنائها، أو ضدّ تعميم المعارف ورفع المستوى الحضاري، وإنما كانت ضد البناء الفكري المستهدف: فهو يرى التعليم بالمدارس الرسمية هو تعليم مُبرمج لا يبني الفكر بل يوجهه إلى ما ترضى به السلطات الحاكمة للبلاد، ذلك أن المدارس بُنيت لخدمة مصالح السلطات بفرضها برامج تعليمية تتناسب مع توجهاتها، جاءت نتائجه سلبية تجسدت في أمرين:

* التعصب للمذهب المالكي مع رفض كل طرح آخر، واستئصال جذور المذهب الموحدي المناهض له.

* قلة الزاد المعرفي عَرقل الإبداع فأُهمل الاجتهاد ورسخ التقليد[2]، والسبب حسبه راجع الى كثرة التأليف وبنيان المدارس[3] الذي عطل الرحلة العلمية التي اعتبرها ابن خلدون مزيد كمال في التعليم عند لقاء المشيخة في مختلف بقاع العالم الإسلامي[4]، وقد عبر عن ذلك في قوله: «...إنما افسد العلم كثرة التآليف، وإنما أذهبه بنيان المدارس...وذلك أن التآليف نسخ

---

[1]- حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت)، ص22؛ منير سعد الدين، المقال السابق، ص71.

[2]- سيدي محمد نقادي، المرجع السابق، ص ص167-168؛ مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ج2، ص274.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 216.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**... المصدر السابق، ص578.

الرحلة التي هي أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير، وقد لا يحصل له من العلم إلا النزر اليسير، لأن عنايته على قدر مشقته في طلبه، ثم صار يشترى أكبر ديوان بأبخس ثمن، فلا يقع منه أكبر من موقع ما عوض عنه ، فلم يزل الأمر كذلك حتى نسي الأول بالآخر وأفضى الأمر إلى ما يسخر منه الساخر...»[1]، والسبب في ذلك أنها تحبس الطلاب بالإغراءات من مسكن ورواتب وغيرها، وقد صرح بذلك في قوله: « وأما البناء (بناء المدارس)، فلأنه يجذب الطلبة إلى ما يرتّب فيه من الجرايات، فيقبل بها من يعينه أهل الرئاسة للإجراء والإقراء منهم، أو من يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفونها عن أهل العلم حقيقة، الّذين لا يدعون إلى ذلك، وإن دعوا لم يجيبوا وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم»[2].

كما انتقد تلميذه أبو عبد الله محمد المقري (ت759هـ/1358م)، نتائج التبعية العلمية المترتبة عن المدارس النظامية بالمغرب الأوسط، والتي أسند الإقراء فيها حسبه إلى من لا يعرف الرسالة أصلا، ولم يفتح كتابا قط، وسبب ذلك أنها صارت بالتوارث والرئاسات[3].

«إنّ هذه المنطلقات السياسية التي من أجلها بنيت هذه المدارس والتي خولت الدولة لنفسها حق توجيهها، جعلت تعليمها في نظر الابلي مرفوض لأنه يهدف الى تعميم مفاهيم معينة، وبث قوالب فكرية لا تعمل على إيقاظ الهمم بل تروض المتعلم على تنفيذ ما أمر به، كما لاحظ أن بناء المدارس تزامن في غالبيته مع بداية الجمود الفكري في العالم الإسلامي، وأضحت وسيلة دعائية في أيدي السلاطين أكثر منها أداة للنضج والنبوغ الفكري»[4].

إن الآبلي ما هو إلا واحد من الأساتذة الّذين رفضوا الانصياع لذلك التّعليم الرسمي، وهذا الفعل منه غيرة واضحة على مهنة التعليم وحرمتها، والّتي انصاعت إلى إخضاعها لإدارة الحكام، وتدجينها وفق الخطة المدرسية الّتي رسموها لذلك[5]، وبالمقابل هناك العديد من

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص216 – 217 .

2- **البستان**...المصدر السابق، ص217 .

3- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص ص155- 156.

4- محمد مكيوي، المرجع السابق، ص ص201-202.

5- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص156.

العلماء من أحب ذلك التعليم واختار أن يكون مدرسا بهذه المدارس، حتى أنه لم يكتف بواحدة بل تردد على العديد منها، ولكن عددهم قليل مقارنة بعدد الأساتذة في التّعليم الحر [1].

ب . محاسنهـــــــــــا:

على الرغم من الاعتراضات والاستنكار من قيام المدارس إلا أن كانت لها فوائد عديدة: وخدمات جليلة حيث: * خدمت الحركة الفكـرية بنشر العلوم النقلية والعقلية.

*اهتمت بالطلاب فقدمت لهم الطعـــام والكســـاء والمبيـــــت.

*ساهمت في احتكاك العلماء فيما بينهم فحثتهم على تعميق مداركهم.

*خدمت السلطات السياسية حيث زودتها برجال أكفاء يدعون لها ويشدون أزرها، ويدافعون عن اختياراتهم بالحجة الدامغة[2].

*وحّدت الفكر الإسلامي المغربي عقائديا تحت راية المذهب المالكي، وأرجعت له ولعلمائه الاعتبار.

*ساهمت في تكوين الأطر وإعدادها للقيام بدورها في المجتمع بالتّعليم والتأليف وشغل المناصب العليا في الدولة[3].

*حافظت على التراث الثقافي كما ساهمت مساهمة فعالة وبناءة في رقي البناء وإظهار روعة العمارة الإسلامية بأساليبها الجميلة[4].

*قربت السلاطين من العلماء والطلبة وعامة النّاس، فكان السلاطين يحضرون مجالسها العلمية، ويشاركون طلبتها في الجلوس على الحصير، أمثال أبي حمو موسى الثاني الّذي قال عنه التنسي: «أنه كان يجلس على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له»[5].

وختاما تعد المدارس من أهم الانجازات الإسلامية، بفضلها اكتست العديد من مدن المغرب الأوسط ثوب الحضارة، من خلال استقطابها لعدد كبير من العلماء وطلبة العلم، الذين بروزوا في مختلف العلوم والفنون، فكان لهم الدور الكبير في تطوير هذه العلوم وترقية الحياة الفكرية خلال هذه الفترة.

1- ألفرد بيل، المرجع السابق، ص ص358-361.

2- سيدي محمد نقادي، المرجع السابق، ص78.

3- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص142.

4- حسين أحمد، المرجع السابق، ص111.

5- **نظم الدر**...المصدر السابق، ص180.



الفصـــــل الرابـــع:

البيمارستانات ومؤسسات اخرى واسهاماتها الثقافية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة

1- البيمارستـــــــــــــــانـــــــات

2- بــــــلاط السلاطيـــــــــــــــــن

3- منازل العلمـــــاء وحوانيت الوراقيـــن

4- الزوايـــــــــــــــــــــــــــــا

5- المكتبـــــــــــــــــــــــات

شهد المغرب الأوسط خلال العهد المدروس حياة فكرية رائدة وحركة واسعة للعلوم والمعارف الإسلامية، ساهم في نشرها وتعميمها جملة من المؤسسات التعليمية والثقافية، فزيادة على الكتاتيب والمساجد والمدارس السابقة الذكر، هناك مؤسسات أخرى كان لها دور كبير في ذلك، كالمارستانات وقصور السلاطين ومنازل العلماء والزوايا، بالإضافة إلى المكتبات التي تعد عصب كل هذه المؤسسات وشريانها الذي يغذيها. فما هو الدور الذي لعبته، والى أي مدى نجحت في ذلك؟.

1- البيمارستـــــانات (المارستانات):

أ- مفهومها ونشأتهـا:

البيمارستانات جمع بيمارستان (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين: "بيمار" أي مريض، و"ستان" أي مكان أو محل، بمعنى دار المرضى، ثم اختصرت فصارت مارستان بمعنى المستشفى[1]، تعود نشأتها إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على شكل خيمة نصبت في المسجد لتضميد جراح المسلمين في غزوة الخندق، فكانت أشبه بمكان لعلاج المرضى، في حين يعتبر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) أول من بنى مارستان فعلي ثابت ومكتمل سنة (88هـ/706م) بدمشق، نصب عليه الأطباء والكحالين والجراحين والخدم، وزوده بغرف مخصصة للعميان والمجذومين، وكل ما يحتاجه من أدوية وعقاقير وأكحال...وآلات، كما أجرى عليه الجرايات ودور الضيافة[2]...، ثم توسعت وتطورت المارستانات وعمم انتشارها في كامل العالم الإسلامي، والمغرب الأوسط باعتباره جزء من هذا العالم عرف هذه المؤسسة التي تنوعت وظائفها مابين صحية وإنسانية وتعليمية خلال العهد المدروس.

---

[1]- البستاني، المصدر السابق، ص64؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص79، وتم استعمال هذه الكلمة بدلا من مارستان سنة 1825م عند إنشاء مستشفى أبو زعيل في مصر. **ينظر:** محمد منير مرسي، المرجع السابق، ص304.

[2]- أحمد عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981، ص9-10؛ مؤمن أنيس عبد الله البابا، **البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (1-656هـ/622-1258م)**، رسالة ماجستير في التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة (فلسطين)، 2009، ص ص14-16.

ب- مارستانـــات المغرب الأوســـط:

إن الحديث عن مارستانات المغرب الأوسط خلال هذه الفترة هو الحديث عن إشارات يكتنفها الغموض يجهل تماما تواريخها وصفاتها وأوصافها وهيئتها...، ففي بجاية أشار إلى وجودها الحسن الوزان[1] في قوله: «فيها جوامع كافية ومدارس...وفنادق ومارستانات وكلها صروح مشيدة حسنة البناء»، كما هو الحال في تلمسان على الرغم من أن سلاطينها كانوا ورعين سباقين لفعل الخير وخدمة الرعية، مولعين بالبناء والتشييد ومتنافسين عليه[2]، حاربوا الجهل والفقر وزينوا المدينة بتشييد المؤسسات وباعتنائهما بصحة رعيتهم، فكيف لم يحاولوا مقاومة الأمراض بإنشائهم على الأقل مارستان واحد بالعاصمة مع أنها لم تكن تخلوا من الأطباء فأين كانوا يمارسون وظائفهم؟، فالمؤرخون سكتوا عن ذكر هذا الجانب، وما قيل عن مارستانات تلمسان هو ذكر شاحب لمارستان أبي تاشفين الأول وأبي حمو موسى الثاني، وهذا يدعوا إلى التأمل باعتبار أن هاذين العاهلين كانا من خيرة السلاطين الزيانيين وأكثرهم تقدما وحضارة[3].

إن هذا السكوت أضاع علينا حقائق عديدة في معرفة تخطيط وتجهيز هذه المارستانات وأدوارها خاصة التعليمية منها، ومع هذا وردت بعض الحقائق عن مارستان المنصورة الّذي بناه السلطان المريني يوسف بن يعقوب (ت685هـ)، وهو أول مارستان خلال العهد المدروس، جهزه بكل ما يحتاج إليه من أطباء وعلماء لصناعة الأدوية، ومختلف متطلباته للقيام بمهمته الصحية على أكمل وجه، وكذلك مهمته التعليمية لتلقين مختلف العلوم الطبية والصيدلية[4]، وكان يعمل به بالإضافة إلى الأطباء والممرضين: الحراس والطباخين والكتاب...، ويتقاضى كل واحد منهم أجرا حسنا، وبه العديد من الغرف المخصصة للحمى والمجانين والمجذومين والعميان[5]، وهي الصفة اشتركت فيها جميع

1- **وصف إفريقيا**...المصدر السابق، ج2، ص 50.

2- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص 247.

3- محمد الطمار، **تلمسان**...المرجع السابق، ص210؛ وص135.

4- عمر العرباوي، **حب التميّز عند الطلبة، مقاربة أنثروبولوجية لطلبة الطب بتلمسان**، المكتبة الوطنية الجزائرية، 2005، ص ص60-61.

5- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص180.

البيمارستانات، والّتي كانت تزود بها صيادلة لصناعة الأشربة والأدهان والأكحال[1]، كما تنصب بها خزائن الكتب الّتي تضم مختلف مصادر العلوم الطبية والصيدلية والعلوم الطبيعية والبيطرية وغيرها من العلوم[2]...

ج- الدور الثقـافي والتعليمي للمارستانات:

تميزت مارستانات المغرب الأوسط خلال العهد المدروس بازدواجية الوظيفة، فمن جهة تعد « الموضع المتخذ لمداواة المرضى ومعاناتهم»[3]، والتخفيف عن آلامهم لأهل البلد والغرباء[4]، حيث يقدم لهم كل ما يحتاجونه من غذاء وشراب وعلاج، بالإضافة إلى معالجة الطيور والحيوانات الجريحة وتغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم وبالخصوص الغرباء منهم[5]، ومن جهة أخرى كانت فضاء مخصصا للدراسة في الوقت نفسه وهو ما يمكن اعتبارها بمدارس طبية، لتدريس العلوم الطبية والصيدلية[6]، فتعقد فيها الدروس لطلاب الطب والصيدلة، والظاهر أنّها لا تتم بمعزل عن المساجد والمدارس، وإذا ما أراد الأستاذ تدريسهم وإجراء التطبيق العملي ينقلهم من المدرسة أو الجامع إلى المارستانات والعكس صحيح[7]، وهذا ما كان شائعا في بلاد المشرق الإسلامي ولعل المغرب الأوسط قد تأثر بذلك، لذا تعد المارستانات الإسلامية تعليمية تطبيقية من الدرجة الأولى، ونستطيع أن نقول أنها أكاديمية علمية مثل مستشفيات هذا العصر[8]، يتولى التدريس بها أطباء وعلماء ذوي كفاءات علمية ومهنية، يمنحون طلابهم الدروس النظرية والعلمية يغذونها بالمناقشات والابتكارات الطبية بالإضافة إلى تدريب الطلبة[9]، يسيرهم رئيس (رئيس الأطباء) مهمته الإشراف عليهم، وإجازة الطلبة المتخرجين والسماح لهم بمزاولة مهنتهم التي لا تجوز إلا بعد النجاح في الامتحان

1- محمد عبد الحي الكتاني، "**الملاجئ الخيرية الإسلامية في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية**"، **المجلة الزيتونية**، المطبعة التونسية، تونس، العدد7، ج5، المجلد 3، ماي1939، ص237.

2- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج2، ص248.

3- إبن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص415.

4- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص181.

5- محمد عبد الحي الكتاني، المقال السابق، ص ص238-239.

6- يحى محمود ساعاتي، المرجع السّابق، ص106.

7- محمد أسعد طلس، المرجع السابق، ص117.

8- مؤمن أنيس عبد الله البابا، المرجع السابق، ص45-46.

9- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص248.

الكتابي[1]، يشرف عليهم أطباء ذوي كفاءات قد انتهى إلى البعض منهم دور الرئاسة، تولّوا التطبيب والتّدريس معا، ولم يكتفوا بدراسة الطب وتدريسه فقط، وإنما كانوا متبحّرين في علوم شتى.

وخلاصة القول أن مارستانات المغرب الأوسط خلال العهد المدروس، كانت حقا مراكز ثقافية مزدوجة المهمة الإنسانية والتعليمية، ساهمت في تكوين وتخريج العديد من الأطباء العرب والأندلسيين واليهود...، الذين استقروا بالمغرب الأوسط، ومارسوا مهنة التطبيب والتدريس داخل المارستانات، وهناك من ذاع صيته وشهرته واختار أن يكون طبيبا مختصا مقربا من السلطان وحاشيته[2].

---

[1]- أحمد عيسى بك، المرجع السابق، ص42.

[2]- عمر العرباوي، المرجع السابق، ص ص56-61.

2- بـــــلاط السلاطيـــــــــن:

أ- المفهـوم والوظيفـة:

إن البلاط في الحقيقة هو قصر الحاكم، ثم شملت هذه اللفظة فيما بعد - مجازا- مجلس السلطان وأعيان المجلس، ويعد بناءه في حد ذاته ظاهرة حية، تعبر عن المستوى الحضاري العالي الّذي بلغته الدولة، باعتباره المكان الّذي يعقد فيه السلطان اجتماعاته مع وزرائه وكتابه وضباطه لمناقشة شؤون الدولة، والتشاور في شؤون الرعية وقت السلم والحرب، وإقامة العدل والصلوات...، وهو أيضا مكان لنشر العلم - وهو ما سنحاول توضيحه-[1]، وقد شهد العهد الزياني أفخم القصور في عهد أبي تاشفين الأول: كقصر الفهر، ودار السرور، ودار الملك أشار إليها يحى بن خلدون بأنها «لم تكن قبله لملك ولا عرف لها بمشارق الأرض ومغاربها نظير»[2]، ورغم هذا يعد قصر المشور[3] البلاط الرسمي للدولة، فبعد أن كان مجرد قصر للولاة في عهد المرابطين والموحدين، غدا منذ قيام الدولة الزيانية دار الملك ومركز الحكم وبلاط الدولة الزيانية بتلمسان[4]، منذ أن سكنه يغمراسن بن زيان وشرع في تحسينه وإصلاحه، حتى يتماشى مع دوره الجديد كبلاط للدولة حيث كان له أثر حميد بين بلاطات المغرب الإسلامي والأندلس، واحتل مكانة مرموقة في تاريخ المغرب الإسلامي، لأنه أفضلها وأسبقها عهدا وأكثرها حيوية ونشاطا، وبقي على هذه الحال حتى أواخر الدولة تقريبا، ومثّل عهد أبي حمو موسى الثاني أزهى أيّامه[5].

ب- الدور الثقافي: "قصر المشور أنموذجا":

لقد كان لقصر المشور والّذي انتقيناه على سبيل المثال لا الحصر في ظل ما كتب عنه من مادة معالجة، دور كبير في تنشيط الحركة العلمية ومكانا لالتقاء العلماء وتبادل الأفكار والمجادلات وطرح المناقشات العلمية بين الفقهاء والعلماء والأدباء، خاصة في عهد

1- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ص246.

2- **بغية الرواد**... المصدر السابق، ج1، ص216.

3- سبق تعريف قصر المشور وما تعنيه الكلمة. **ينظر**: الفصل الثاني من الباب الأول: **مسجد المشور**، أما عن مخططه **فينظر**: (A)-Dhina, Op.cit, p33.

4- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص100.

5- بوزياني الدراجي، **نظم الحكم**...المرجع السابق، ص276-277.

في عهد أبي تاشفين الأول الّذي كان يحرص كل الحرص على إقامة المجالس العلمية والأدبية فيه – الّذي اتخذه مقرّا رسميا له كأسلافه، رغم تلك القصور الّتي شيّدها–، وكان يحضرها باستمرار ولعب فيها الشيخ الفقيه العالم أبو موسى بن عمران المشذالي، دوارا بالغ الأهمية بين أقرانه الفقهاء في المسائل الفقهية، الّتي كانت محور الحديث والنقاش، وحول التقليد والاجتهاد وأصول المذهب المالكي[1].

أما في عهد أبي حمو موسى الثاني فكان زاخرا بكبار العلماء والأدباء[2]، يعقد بحضورهم المجالس العلمية التي تناقش فيها مختلف قضايا العلم والفقه والأدب والسيرة النبوية، وكان له فيها رأي محمود ونقد بنّاء[3]، ولعل أهم ما ميّز عهده ومجلسه بالخصوص في قصر مشور هو احتفاله بليلة المولد النبوي الشريف في أبهى التحضيرات والترتيب يحضره الخاصة والعامة احتفالا بهذا العيد[4]، والّذي أشار إليه يحي بن خلدون في قوله: «وأطلّت ليلة الميلاد النّبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التّسليم فأقام لها بمشوار داره العليّة مدعى كريما وعرسا حافلة، احتشدت لها الأمم، وحشر بها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة...، والخليفة أيّده الله صدر مجلسها ممتطيا سرير ملكه... ».

فكانت عبارة عن مجالس أدبية تُعدُّ من أَجلِّ المجالس وأقدسها[5] احتفالا بهذا العيد، وكان السلطان أبو حمو يزينها بأناشيده وأشعاره كيف لا وهو شاعر وناثر ممتاز وأدبي يحب الأدباء، ويجيز الشعراء[6]، فما من ليلة مولد تمر في أيامه، إلّا ونظّم فيها قصائد في مدح المصطفى عليه السلام[7]، وما قاله كثير جدّا احتفظت لنا كتب التاريخ بنماذج من شعره، ولا بأس أن نورد مثالا عن ذلك قاله سنة 760هـ، في أول سنة لاحتفاله بالمولد النبوي الشريف:

1– المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص218؛ الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج6، ص ص 361 – 362؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص322.

2– محمد الطمار ، **الأدب**... المرجع السابق، ص267.

3– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص323.

4– المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج6، ص513

5– بوزياني الدراجي، **نظم الحكم**...المرجع السابق، ص284.

6– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص323.

7– التنسي، المصدر السابق، ص164.

نَـــــامُ الأَحبَـــابُ ولَم تَنَمْ   عَينِــــــي بِمُصَارَعَـــــــةِ النَّدَمِ
والدَّمــــعُ تَحـــــــدَّرَ كَالدِّيَمِ   جَـــــــرَحَ الخَدَّيــنِ فَوَ أَلَـــمٍ[1].

وعلى هذا النحو سارت ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، في عهد أبي حمو موسى الثاني، ثم في عهد خلفائه من بعده[2]، تحول فيها قصر المشور إلى مجلس أدبي تنوعت فيها القصائد الشعرية والمدائح الدينية، فانعكس كل ذلك على الشعر والأدب بالدرجة الأولى، بما تحمله من أهمية، فاستجاب لها الشعراء وحرصوا على تدوينها في أشعارهم ومدائحهم، والتباري بها في ليلة المولد وسابعه أمام مجلس السلاطين، أمثال: **الثغري محمد بن يوسف القيسي الأندلسي**، وهو من الشعراء البارزين ناظم وشاعر[3]، وكذلك **أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي**، وهو طبيب القصر وشاعره[4].

فصارت هذه الليالي «فرصة لقرض الشعر ونظمه، وفضاء للتباري به على ركع هذا القصر»[5]، ويمكن اعتبار ذلك المهرجان الأدبي والفني الّذي يعرض فيه الأدباء والشعراء مواهبهم وقدراتهم الأدبية[6]، وكل ذلك ساهم في ترقية العلوم الأدبية من شعر ونثر[7]، ولم يقتصر المشور على ذلك، فقد استخدم كإطار لاستقبال الندوات العلمية بحضور العلماء ميزتها المجادلات العلمية الهامة، وهو ما تجلّى في عهد أبي زيان في القرن (8هـ/ 14م)[8].

وبالتالي يمكن اعتبار هذا القصر مؤسسة ثقافية ساهمت في دفع عجلة الحركة الثقافية والفكرية، تثار فيها المناقشات الفقهية والفكرية وقضايا العصر، مما أدى إلى المناقشة وتفتق المعارف والتباري بين العلماء، وبالتالي كان لهم دور في ترقية مختلف العلوم خاصة الأدبية من شعر ونثر.

3- منـــازل العلمـــــاء وحوانيت الوراقيـــن:

1- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص104.

2- **مثل**: احتفال أبو تاشفين الثاني وأبو زيان. **ينظر**: التنسي، المصدر السابق، ص ص186-203، ص ص212-220

3- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص110.

4- المصدر نفسه، ج2، ص 117. **ينظر كذلك**: محمد الطمار، **تاريخ الأدب**... المرجع السابق، ص ص284-290، عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية**... المقال السابق، ص150.

5- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص285.

6- بوزياني الدراجي، **نظم الحكم**...المرجع السابق، ص 284.

7- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 254.

8- (G)-Marçais, **les villes**…, OP.cit, P88.

أ- منازل العلمـــــاء:

جرى التعليم في المنزل منذ عهد الإسلام مبكرا - أي قبل ظهور المساجد- يوم اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من دار الأرقم بن الأرقم ثم منزله بمكة مأوى للقاء أصاحبه، ليعلمهم مبادئ الدين الجديد ويقرؤهم ما نزل عليه من الذكر الحكيم[1]، ولظروف خاصة أصبحت بيوت متعددة في العالم الإسلامي ملتقى للطلاب والمدرسين، ومركزا علميا هاما على الرغم من انتشار المساجد[2].

وفي المغرب الأوسط اتخذ العديد من العلماء منازلهم ملتقى للعلماء ومقصد عدد كبير من الطلبة، رغم أن البعض اعتبرها غير صالحة للتعليم لافتقارها للهدوء والراحة[3]، فقامت هذه البيوت بدور كبير في نشر العلم، وتوسيع مجالات التعليم، وكتب التراجم والرحلات تشير إلى تحول عدد من منازل العلماء إلى أماكن للتعليم والتدريس، ولعل خير مثال على ذلك منزل **ابن مرزوق الخطيب** (الجد) الذي كان يغص بطلبة العلم[4]، بالإضافة إلى بيت العالم **أبو عبد الله الشريف** (ت771هـ) بتلمسان، الّذي اتخذ منه مجتمع العلماء والصلحاء، وكان الأشياخ يبجلونه ويعظمونه[5]، أما العالم محمد السنوسي فقد ذكر أنه تتلمذ على يد **محمد بن قاسم بن تومرت** في بيته الفرائض والحساب والخط والنحو والهندسة، وكانت الحصة الدراسة تتم بعد صلاة العشاء وتستمر طول الليل[6].

وكذلك الأديب الأندلسي **أبو بكر محمد بن احمد الزهري** المعروف **بابن محرز** (ت655هـ/1257م) الذي سكن بجاية واتخذ من منزله ملتقى لكبار العلماء الأندلسيين أمثال: أبو عبد الله بن الآبار وأبو المطرف ابن عميرة، وأبو عبد الله الجنان...فكان هو شيخ الجماعة وكبيرهم[7]، أما منزل الفقيه **علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله** (ت652هـ/1254م) فقد كان يغص بطلبة العلم، حسبما ذكره الغبريني[8] في كتابه حيث قال: «...ومشيت إلى

---

[1]- عبد الله الدائم، المرجع السابق، ص149؛ بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص422.

[2]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص184.

[3]- عبد الله الدائم، المرجع السابق، ص148.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص186.

[5]- المصدر نفسه، ص 170.

[6]- نفسه، ص237.

[7]- الغبريني، المصدر السابق، ص ص242-243.

[8]- الغبريني، المصدر السابق، ص 142.

الفقيه أبي الحسن رحمه الله رسولا عن الفقيه أبي العباس بن عجلان ...فلما وصلت إلى المنزل قبل أن أضرب الباب قال الفقيه لمن حضره في المجلس افتحوا لأخيكم »، أما التيجيبي فقد ذكر في برنامجه انه التقى **بناصر الدين المشذالي** في بيته واخذ عنه كتاب الفوائد في اختصار المقاصد، وقرأ عليه أيضا سفر من رسالة أبي زيد القيرواني[1]، أما الفقيه القاضي **أبو عبد الله محمد بن جعفر بن يوسف الأسلمي** فقد استقبل في بيته ببجاية سنة (736هـ/1335م) **خالد بن عيسى البلوي** صاحب كتاب "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" مدة شهر، وعن ذلك يقول: «...قصدت لقاءه والأخذ عنه....فأنزلني بمنزله الكريم، وقابلني بالترفيع والتكريم، وأقمت معه فيه، يفيض علي من كرمه بحرا زاخرا، ويفاوضني من علمه منهلا لا أجد له آخرا، ويرويني من مسموعاته الحافلة، فلا أدري من أي بحر أعجب، ولا أيهما أروى وأعذب...سمعت عليه تصانيف كثيرة وأجازني وكتب لي بخطه...»[2]، والأمثلة عن ذلك كثيرة حفظتها كتب التاريخ.

ب- حوانيـــــت الوراقيـــــن:

يعد الكتاب آلة العلم لذا كان الإقبال عليه كبيرا فاهتم به الوراقون على انه سلعة اقتصادية فكان يروج له ويشترى ويقايض به، حيث خصصت له أسواق خاصة مثل سوق الوراقين أو السوق الكتبيين، فكانت معالم جوهرية من معالم الحياة تفيض بالحركة العلمية، كما أن حوانيت الوراقين لم تكن مجرد دور للنسخ وإنما كانت مركزا للنشاط العقلي ومستودعا لكل ما أنتجته العقلية الإسلامية في شتى فروع المعرفة[3]، فغدت مسرحا للثقافة والحوار العلمي يقصدها الطلبة والعلماء يتذاكرون فيها ويتناقشون، كما لم يكن بائعو الكتب مجرد تجار يناشدون الربح وإنما كانوا في معظم الأحيان أدباء وعلماء ذوي ثقافة[4]، مثل حانوت

---

[1]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص ص184-185.

[2]- **نقلا عن:** عبد الجليل قريان، **التعليم بتلمسان في العهد الزيـــــاني**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص219.

[3]- السيد النشّار، **تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1993، ص161.

[4]- عبد الله الدائم، المرجع السابق، ص149.

أبو عبد الله محمد الأكبر ابن مرزوق لبيع السلع ونسخ المصاحف في سوق القيصارية[1]، التي كانت تضم سوقا للكتب حسبما ذكره ابن مرزوق[2].

4-الزّوايـــــــــــــــا:

أ-مفهومهـــــا:

تعتبر الزّوايا من بين المؤسّسات التّعليميّة الّتي ساهمت في نشر التّعليم، وتعميمه لدى الشّرائح الدّنيا في مجتمع المغرب الأوسط[3]، ولفظة "زاوية" مشتقّة من الفعل انزوى ينزوي، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتّعبّد[4]، أمّا اصطلاحا فتعني ركن البناء، وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الرّاهب المسيحي، ثمّ أطلقت على المسجد الصّغير أو على المصلّى، للتّفريق بينها وبين المسجد الّذي يفوقها شأنا وذلك حسب مفهوم الشّرق لها، ولكن مصطلح زاوية أكثر شموليّة من ذلك في المغرب الإسلامي، فهو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية، إذ «تعتبر مدرسة دينيّة ودار مجّانيّة للضّيافة»[5]، أو بالأحرى هي مؤسّسة ذات طابع ديني وثقافي يقيم فيها الشّيخ الصّوفي يؤدّي فيها صلواته الخمس، ويعتكف فيها للعبادة والأوراد، يخدمه متطوّعون نذروا أنفسهم لخدمة الزّاوية، ويتلقّون الدّروس بها على يديه[6].

ب-نشأتهـا وتطورهـــا:

بدأ ظهورها في بلاد المغرب الإسلامي في القرن (6هـ/12م) في عهد الموحّدين، وسمّيت في بادئ أمرها "**بدار الكرامة**"، كالتي بناها السلطان "يعقوب المنصور الموحّدي" في مرّاكش[7]، أما في القرن (7هـ/13م) أصبح مصطلح زاويـــــة مرادفا "**للرّابطـــــة**" في

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص148.

[2]- **المسند**...المصدر السابق، ص460.

[3]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص 226.

[4]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السّابق، ج4، ص 401.

[5]- محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، دمشق، الجزائر، (دت)، ص27.

[6]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص 226 ؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص148.

[7]- المهدي البوعبدلّي، "**الرّباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السّنة 3، العدد 13، 1973، ص 26.

نشأتها[1]، أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي، ويعيش وسط تلاميذه ومريديه، ومع ذلك فالزّاوية أو الرّابطة ليست في جميع الأحوال هي "**الرباط**"[2]، والّذي تحوّل عن وظيفته الأساسيّة ليصبح مركزا للصوفيّة المنقطعين للعبادة وغيرها، وشيئا فشيئا «أصبح الرّباط يحمل اسم الزّاوية الّتي ورثته وحلّت محلّه»[3].

وابتداء من النّصف الثّاني من القرن (7هـ/13م) انتشرت الزّوايا في بلاد المغرب الأوسط، نتيجة انتشار التّصوّف وتعدّد اتجاهاته[4]، تنشر التّعليم وتعمّمه لدى الشّرائح الدّنيا لمجتمع المغرب الأوسط على يد إمام الزّاوية أو شيخها من المتصوّفة[5]، وبالإضافة إلى وظيفتها التعليميّة، ألحق بها في القرن (8هـ/14م) وظيفتي الإيواء والإطعام لقاصديها من المسافرين، وعابري السّبيل والمحتاجين والمريدين (الفقراء)، حسبما ذكره ابن مرزوق في القرن (8هـ/14م) قائلا: «والظّاهر أنّ الزّوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين»[6].

ج- هندستها ونظامهـــــا:

إنّ بناء الزّاوية يستجيب لوظائفها من تعليم وإيواء، فهي تشتمل على غرفة للصّلاة بها محراب ، وكتّابا لتحفيظ القرآن الكريم والتّدريس، وغرفا مخصّصة لإيواء الطلبة والضيوف والحجّاج والمسافرين...، بالإضافة إلى ضريح غالبا ما يكون لمؤسس الزاوية أو لأحد

---

[1]- **الرّابطة:** ظهرت في عهد الموحّدين، وكانت مستقلّة بمريديها وتعاليمها عن الدّولة، **ينظر:** خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص27، (هامش رقم 01).

[2]- **الرّباط:** رَابَطَ يُرَابِطُ رِبَاطًا، بمعنى أقام ولازم المكان، وأصلها من ربط الخيل، والرباط هو الملازمة في سبيل الله، وفي اصطلاح الفقهاء هو احتباس النّفس للجهاد والحراسة، وعند المتصوّفة هو الموضع الّذي يلتزم فيه للعبادة، ولقد ارتبط إنشاؤه بعهد الفتوحات الإسلاميّة وأنشأ لحراسة الثّغور، واتخذ في بداية الأمر مكان للعبادة والتّعلّم، ثمّ اتخذت الحاجة بعد شنّ غارات الأعداء إلى ربط ومراكز حربية، **ينظر:** ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص411؛ المهدي البوعبدلّي، **الرباط والفداء**...المقال السابق، ص ص20-25؛ محمد أمين بلغيث، "**الرباط والمرابطة ونظام الرهبانيّة والدّيريّة المسيحيّة (دراسة تاريخيّة مقارنة)**"، **حوليّة المؤرّخ**، الجزائر، العدد2، 2002، ص ص 55-87.

[3]- عبيد بوداود، **الأوقاف**...المرجع السابق، ص239.

[4]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص227.

[5]- المرجع نفسه، ص227.

[6]- **المسند**...المصدر السّابق، ص413، واستنادا إلى ذلك سمّاها المرينيّون «**دار الضّيوف**». **ينظر:** المهدي البوعبدلّي، **الرباط والفداء**...المقال السّابق، ص26.

المرابطين المشهورين بها[1]، فبذلك جمعت ما بين هندسة المسجد والمنزل، ولكن اختلفت عن بناء المسجد، فمسجدها غالبا ما يكون بدون مئذنة[2]، أمّا المدرسة فتتّفق معها من حيث نظامها وإدارتها، «فالزّاوية دور علم وإقامة على نمط المدارس الدّاخليّة»[3] تخضع لنظام دقيق، حيث يلزم على الطّالب والمريدين أن يتحلّوا بالانضباط والطّاعة، وأن يتقيّدوا بتعاليم الزّاوية في نظام الدّراسة والملبس والمأكل[4] – كما هو الحال للمدارس-، ولكنّها عكس المدارس في مسألة التّحرّر، فهي أشدّ تحرّرا من الخضوع للحكّام – عكس المدرسة الّتي خضعت لسلاطين الدّولة في تعيين الأساتذة ومنح العلاوات لمدرّسيها وطلّابها-، وأحيانا يتدخّل شيخ الزّاوية وطلّابها في مواجهة سياسة السّلاطين، عندما يحيدون عن تعاليم الشّريعة الإسلاميّة[5].

د- مواردهـــــــــا:

نظر لما تقدمه الزوايا كمراكز إشعاع علمي وفكري، وما تساهم به في خدمة المجتمع، فقد تلقت دعما وسندا معنويا وماديا من مختلف شرائح المجتمع، ساعدها على الاستمرار في أداء مهامها من قبل منشئيها أو ممووليها، وتجسد ذلك من خلال: أموال الحبس التي وقفها بعض الحكام وإعانات المحسنين الأثرياء وأموال الأتباع والمريدين إما نقدا أو عينا[6]، حيث حدّدوا في عقودهم الأوجه الّتي تصرف فيها عوائد أوقافهم وطريقة تسييرها، بإشراف ناظر وجملة من المساعدين[7]، من مهامهم تسيير الزّاوية ورعايتها، بالإضافة إلى جهاز إداري مكون من مؤذّنين ومنظّفين وخدم ومريدين وقيّمين وطلّاب علم...، يتلقّون رواتبهم وجراياتها من أوقاف الزّاوية[8].

1- عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007، ص14.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص269.

3- كمال بوشامة، **الجزائر أرض عقيدة وثقافة**، ترجمة: محمد المعراجي، دار هومة، الجزائر،2007، ص136.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج2، ص391.

5- مختار حساني، **تاريخ الدّولة**... المرجع السّابق، ج2، ص274.

6- مفتاح خلفات، المرجع السّابق، ص ص178-179.

7- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص226.

8- ألفرد بيل، المرجع السابق، ص405؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص271.

وبالتّالي فالزاوية ليست ملكا لأحد أو لأشخاص معيّنين، بل هي مرافق تعليميّة واجتماعية عامّة، تستمدّ استقلاليتها من أوقافها، ومن النّظام العام الخاصّ بها، لذا يمكن إدراجها ضمن التّكافل الاجتماعي، تقدّم تعليما شرعيّا على الأكثر، واشتهرت باتجاهاتها الصّوفية وتأييد الحكّام لذلك الاتجاه[1]، وعن ذلك يقول كمال أبو شامة في تعريفه للزّاوية أنّها: «مؤسّسة دينيّة ونوع من المدرسة الصّوفيّة، تكوّنت في جو ازدهار الطّوائف الصّوفيّة، وهي مدعومة الوجود شرعيّا، حيث صارت كائنا معنويّا متميّزا، ومجموعة تطمح إلى أن تعيش حياتها الخاصّة»[2].

و- أنواعها وانتشارها في المغرب الأوسط:

اهتم أهل الخير ورجال الطّرق الصّوفيّة، وكبار رجال الدّولة في إقامة الزوايا من أموالهم الخّاصّة[3]، فساهم ذلك في انتشارها في مختلف نواحي بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، عبر مدنه وأريافه، إمّا بمبادرة رسميّة أو شعبيّة، وعلى هذا الأساس وجدت:

الزاوية الرسمية: من إنشاء السّلطة، ويبدو أنّ انتشارها كان في الغالب موازيا لانتشار المدارس الرّسميّة، لذا اقترنت بالمدن خاصة، **والزّاوية الشّعبيّـة:** كثيرة الانتشار سواء بالمدن أو الأرياف، يؤسّسها عادة زعماء التّصوّف، تعلّم الصّبيان والمريدين (الفقراء) أمور دينهم وتحفّظهم القرآن الكريم على يد شيخ الزّاوية، وكلاهما مزدوج الوظيفة: التعليم والإيواء[4].

❖ **زوايـــا المـــــــــــدن:**

➢ **زوايـا تلمســـــان:**

عرفت تلمسان العديد من الزوايا اغلبها زوايا رسميّة، مؤسسة رِفقة المساجد والمدارس ضمن مركبات معمارية، ويمكن لنا أن نقول أنّها كانت تقوم بنفس الدّور التّعليمي الّذي تقوم به المدرسة وحتّى المسجد، بحيث أنّ طلّاب هذه المركبات التّعليمية والدينية كانوا ينتقلون بين مؤسساته الثّلاثة لنهل مختلف العلوم من مختلف المشيخة، كما أنّ هذه الزّوايا كانت

1- إبراهيم بلحسن، المرجع السّابق، ص80.

2- **الجزائر أرض العقيدة...** المرجع السّابق، ص135.

3- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص227.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج2، ص ص350-351.

تستقبل طلبة مدارس ومساجد المركّب للتكفّل بإيوائهم، وملبسهم ومأكلهم بما تحتويه من غرف خصّصت لهذا الغرض[1]، ولعل أهماها:

❖**زاوية الأمير يعقوب:** من الزّوايا الأكثر شهرة، تحمل مفهوم المدرسة الدّينيّة الّتي ظهرت في القرن (8هـ/14م)[2]، أنشأها السّلطان الزياني أبي حمو موسى الثّاني سنة (765هـ/1364م) على قبر والده يعقوب وقبر عمّيه أبي سعيد وأبي ثابت، وقد نصب الفقيه أبا عبد الله محمد الشّريف الحسني (ت771هـ) للتّدريس بها[3].

❖**زاوية العبّاد:** عند مقام الشّيخ أبي مدين، أنشأها السّلطان أبي الحسن المريني ما بين سنتي (747-739هـ/1339-1347م)،-رفقة المسجد والمدرسة-[4]، وكانت تضم بيوتا لاستقبال المسافرين وعابري السبيل وطلبة المدارس، وحبست عليها الأحباس المتنوّعة لأداء وظيفتها[5] خاصّة التّعليميّة منها، فقد ساهمت زاوية العبّاد في تخريج العديد من المتصوّفين الأئمّة على منهج الشّيخ أبي مدين، وهو منهج التّصوّف السنّي، والّذي يعتمد على الجمع بين الحقيقة والشّريعة...، فكانت مركزا عظيما من مراكز التّوجيه إلى التّصوّف، ويمكن تسميتها "بالمعهد الصّوفي" الّذي اشتهرت به تلمسان[6].

❖**زاوية سيدي الحلوي:** أقامها السلطان أبي عنان فارس المريني سنة (754هـ/1353م) حول ضريح الوليّ الصّالح أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي[7]، تضم مسجد ومدرسة، كانت مقصد الشّيخ سيدي أحمد بن الحسن الغماري (ت748هـ)[8]، اندثرت ولم يبق منها سوى وصفها في كتب التاريخ حيث قال عنها احد الشعراء:

هَذَا مَحَلُ الفَضْـــلِ وَالإِيثَـــار	وَالرِّفْقِ بِالسُّكَـــــــــان وَالزُوَارِ
دَارٌ عَلَى الإِحْسَانِ شُيِّدَت وَالْتَقَى	فَجَزَاؤُهَا الحُسْنَى وَعُقْـــبَى الدَّارِ
هِيَ مَلْجَـــأٌ لِلْوَارِدِيـــــنَ وَمَوْرِدٌ	لِابْنِ السَّبِيـــــلِ وَكُل رَكْبٍ سَارِي

1- محمد بن رمضان الشّاوش، المرجع السّابق، ص ص 298-299.

2- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السّابق، ص97.

3- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص ص179-180.

4- عبد الرّحمن بالأعرج، المرجع السّابق، ص ص 36-37.

5- محمد بن رمضان الشّاوش، المرجع السّابق، ص ص 289-299.

6- عبيد بوداود، **التصوّف**... المرجع السّابق، ص98.

7- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمّو**... المرجع السّابق، ص65.

8- ابن مريم، المصدر السّابق، ص33.

آثَارُ مَوْلاَنَــــا الخَلِيفَة فَـــارِس	أَكْرَم بِهَا فِي المَجْــــــدِ مِنْ آثَـــارِ
بُنِيَتْ عَلَى يَدِ عَبْــــدِهِم وَخَدِيمِ	بَابِهِم العَلِّــــيّ مُحَمَـد بْن حَـدَارِ
فِي عَامِ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ انْقَضَتْ	مِنْ بَعْدِ سَبْعِمَئَيْن فِي الإِعْصَـــــارِ [1]

❖**زاوية الحسن بن مخلوف أبركان:** شيّدها السّلطان الزّياني أبو العباس أحمد بن أبي حمّو موسى الثّاني الملقّب بالعاقل رفقة المدرسة ما بين سنتي (834-866هـ/1430-1462م)[2].

ومن زوايا تلمســـــان الأخرى التي لا تقل شأنا:

❖**زاوية الشّيخ أبي عبد الله** – كانت في عهد يغمراسن- وهو أحد تلامذة أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي، حيث ألزم هذا الشّيخ كل من يدخل زاويته التّقيد بأخلاق السّلف الصّالح، والالتزام بالسنّة النّبويّة في سلوكاته ومأكله ومشربه.

❖**زاوية أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق** (ت681هـ): لعبت دورا في نشر تعاليم أبي مدين شعيب، وكان ابن مرزوق يشرف عليها شخصيّا[3].

❖**زاوية ابن البناء** المنسوبة إلى هذا الوالي الصّالح[4].

❖**زاوية الإمام محمد السنوسي** (ت895هـ): والظّاهر أنّها كانت في القرن (9هـ/15م) ونسبت إلى هذا الزّاهد المتخصّص في العقائد[5]، وقد درس التّصوّف وتتلمذ على الشّيخ إبراهيم التّازي، وألبسه الخرقة الصوفيّة وبصق له في فمه إتّباعا لعادة السّلف[6]، وقد احتل السنوسي مكانة كبيرة في تلمسان، من خلال كثرة وتنوّع مؤلّفاته وحبّ النّاس له، وكثرة تلاميذه وانتشارهم في مختلف أنحاء البلاد[7] أمثال: ابن صعد الأنصاري (ت901هـ/1496م) صاحب كتاب "النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب"، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمر بن عليّ الملالي (ت897هـ/1492م) الّذي ألّف كتابا في مناقب شيخه سمّاه "المواهب

1- الناصري، المرجع السابق، ج3، ص206.

2- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ج2، ص248.

3- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص227.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج1، ص149.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص40، ص ص86-87.

6- ابن مريم، المصدر السّابق، ص238.

7- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص90.

القدّوسيّة في المناقب السنوسيّة"، وأحمد بن عيسى الورنيدي (القرن 9هـ/15م)...، واقتصرنا على ذكر هؤلاء التّلاميذ على سبيل المثال لا الحصر وتبقى القائمة طويلة، وهذا يبيّن الشهرة الّتي أصبح يتمتّع بها الإمام السنوسي، ولقد ساهم أولئك التّلاميذ في نشر أفكار أستاذهم لا سيما في علم التّوحيد، وذلك في مناطق مختلفة داخل المغرب الأوسط وخارجه[1].

➢ **زوايـــــا بجايـــــة:**

شهدت بجاية كغيرها من المدن الإسلامية ظاهرة التصوف، «فأصبحت قطبا من أقطاب التّصوّف يقصدها المتصوّفة من كل حدب وصوب وخاصّة من الأندلس، حيث قصدها كبير المتصوفين الوليّ الصّالح أبي مدين (ت594هـ/1198م)، والّذي كان له أثر في تحويل المدينة قبلة للطّلبة والمريدين من مختلف المناطق، حيث خلّف من وراءه تلامذة ومريدين كثر واصلوا مهمّته من بعده، لذلك انتشرت الزّوايا ببجاية، وظلّت قائمة إلى أوائل القرن (10 هـ/16م)»[2]، حسبما أشار إليه حسن الوزّان بأنها مدينة بها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى زوايا المتصوفة[3].

إلا أنه يصعب علينا تحديد دقيق لظهورها، ولكن الباحث من خلال دراسته لكتاب الغبريني يستنتج أن ظهورها كان أواخر القرن (6هـ/12م) تمثلت في **زاوية أبي زكريا يحى الزواوي**[4] (ت611هـ/1215م) وكانت عبارة عن بناء صغير ملحق بالمسجد، يدرس فيها علوم الحديث والفقه والتّذكير[5]...

والظاهر أن الزاوية في هذه المرحلة كانت أقرب إلى الرابطة منها إلى الزاوية، فالرابطة التي كثر انتشارها أواخر القرن الخامس هجري وحتى النصف الأول من القرن السابع هجري، تخلت تدريجيا عن وظائفها الأساسية للزاوية ومنه نستنتج أنها في الأصل رابطة في نشأتها وتطورها، ومما يؤكد هذا الاتجاه بقاء العديد منها (الرابطة) تؤدي نفس دور الزاوية

---

[1]- عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص ص310-311.

[2]- المرجع نفسه، ص ص95-96.

[3]- **وصف إفريقيا**... المصدر السّابق، ج2، ص50.

[4]- **أبو زكرياء يحيى بن أبي علي المشهور بالزواوي (ت611هـ):** ولد في بني عيسى من قبائل زواوة، قرأ بقلعة بني حماد، ثمّ ارتحل إلى المشرق للدّراسة وتحصيل العلوم، ثمّ عاد إلى بجاية أين جلس بها لنشر العلم وبثّه، **ينظر**: الغبريني، المصدر السّابق، ص ص135-139.

[5]- المصدر نفسه، ص ص138-139.

في احتضان طلبة العلم مثل: **رابطة الفقيه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيّب الأزدي المعروف بابن يبكي** داخل باب أميسون خلال القرن (7هـ/13م)، وكانت لها أوقاف كثيرة وقفها عليها[1]، **ورابطة المتمني، ورابطة علي بن أبي نصر فتح البجائي**[2].

إلا أنه بداية من النصف الثاني من القرن (7هـ/13م) اختفت الرابطة وحلت محلها الزوايا التي اقترن انتشارها بظاهرة التصوف وتعدد اتجاهاته[3]، ولعل أهم زوايا بجايــــة:

❖**زاوية أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي** (ت662هـ/1263م): كان يقوم بخدمته فيها معاوية الزواوي، الذي ذكر عنها «فلما وقفت عند باب الزاوية أصابتني هيبة وسمعت كلاما بداخلها ومذاكرة»[4]، وهذا دليل على قيامها بعملية التعليم ونشر المعرفة لمحبي العلم.

❖**زاوية الشيخ أحمد بن إدريس البجائي**[5]: أسسها بقرية أيلولة ببجاية، اشتهرت بنشرها للتعليم ومناهج التصوف[6].

❖**زاوية الشيخ يحيى العيدلي**: أسسها هذا الشيخ خلال القرن (09هـ/15م) بمسقط رأسه في قرية بني عيدل، يعد من أشهر علماء بجاية آنذاك، المتضلع في العلوم الشرعية واللغوية والتصوف، كانت زاويته منارة للعلم والمعرفة تغص بالطلبة حيث درس على يديه طلبة كثر أمثال: أحمد زروق البرنسي الفاسي[7] الذي درس على يديه علمي الظاهر والباطن، وعبد

1- الغبريني، المصدر السابق، ص ص188-189.

2- المصدر نفسه، ص176، ص143.

3- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 176.

4- الغبريني، المصدر السّابق، ص163.

5- **هو احمد بن إدريس البجائي**: كبير علماء بجاية ومن أشهر حفظة مذهب مالك، تفنن في علوم ومعارف كثيرة، كان حسن التعليم، وكثير التآليف أخذ عنه العديد من العلماء أمثال: عبد الرحمن الوغليسي وعبد الرحمن بن خلدون محمد بن عمر الهواري...توفي بعد سنة 760هـ. **ينظر**: التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص99-؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص255-؛ محمد بن مخلوف، المرجع السابق، ص233-؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج1، ص80-؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص255-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص30-؛ المهدي البوعبدلي، "**تراجـــم بعض مشاهير علماء زواوة القبائل الصغرى والكبرى، مجلة الأصالة**"، الجزائر، السنة الثالثة، العدد 14-15، 1973، ص271.

6- محمد محمدي، المقال السّابق، ص 96.

7- **هو احمد أحمد بن محمد بن عيسى البُرنسي الفاسي**: الشهير **بزروق** ولد سنة (846هـ/1442م)، وهو الفقيه المحدث الصوفي والزاهد، ارتحل إلى تلمسان ودرس على يد الحافظ التنسي والإمام السنوسي وابن زكري...، ثم إلى بجاية وتتلمذ على يد عبد الرحمن الثعالبي والمشذالي...، ومنها إلى بلاد المشرق، صاحب تآليف كثيرة لا سيما في التصوف منها: "قواعد التصوف"، و"أصول التصوف" و"عيوب النفس"....، توفي قرب طرابلس سنة (899هـ/1495م). **ينظر**: التنبكتي،=

الرحمن الصباغ ...وبعد وفاة مؤسسها سنة (882هـ/1476م) بقيت زاويته عامرة[1]، حيث تزايدت شهرتها بعد أن اهتمت بتدريس مختلف العلوم الدينية من تحفيظ للقرآن والقراءات السبع وعلوم الحديث، وتدريس الفقه المالكي إلى جانب اهتمامها بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، دون إهمالها لبعض العلوم الأخرى[2]، خاصة وأنها غذتها أوقاف كثيرة حبست عليها عقارية ومنقولة كان لها الفضل في تواصل نشاطها التعليمي، مع العلم أنها لا تزال حتى اليوم قائمة[3].

- **زوايـــا قسنطينـــة:**

عرفت قسنطينة انتشار الزوايا حسب ما ذكره حسن الوزان ولكن في إشارات شاحبة إلى أن عددها حوالي ثلاثة أو أربعة زوايا وجدت مع مطلع القرن (10هـ/16م) [4]، ولعل أهمها:

- **الزّاوية الملارية:** أسّسها الشّيخ أبي يعقوب بن عمران البويوسفي (717-630هـ)[5] بملارة، – على مرحلتين إلى الغرب من قسنطينة–، وتواصل نشاط هذه الزّاوية في عهد ولده يوسف بن يعقوب (ت764هـ)[6]، حيث كانت مركز إشعاع علمي استقطبت المريدين من سائر أقطار المغرب.

= **الابتهاج**...المصدر السابق، ص ص130-134؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص45-؛ محمد بن عسكر الحسني، المصدر السابق، ص48-؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج1، ص90-؛ ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**...المصدر السابق، ج1، ص128-؛ السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص222.

1- يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروســـة**،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995، ص ص42-43.

2- محمد محمدي، المقال السّابق، ص97.

3- يحي بوعزيز، **أعلام الفكر**...المرجع السابق، ص43.

4- **وصف إفريقيا**...المصدر السّابق، ج2، ص56.

5- هو والد جد ابن قنفذ لامه (ت787هـ)، وتلميذ الشّيخ المريني أبي مسعود بن عريف الشّلفي – دفين جبال شلف– وقد تتلمذ هذا الأخير على يد الشّيخ أبي مدين العالم الصّوفي الشّهير في القرن (6هـ/12م) **ينظر**: ابن قنفذ، **انس الفقير**...المصدر السابق، ص40؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ج1، ص ص54-55.

6- عبيد بوداود، **التّصوّف**...المرجع السّابق، ص99.

➢ **زوايـــا الجزائـــر:**

❖ **زاوية** العالم الصّوفي **سيدي عبد الرّحمن الثعالبي**[1]: ظهرت في القرن (9هـ/15م)[2]، فقد كان صاحبها «وليّا صالحا عالما بالزّهد والتّصوّف عاكسا بذلك ثقافة واتجاه عصره[3]، فجاء تصوّفه متماشيا مع نوع الثّقافة الّتي تشرب منها، بعيدا عن مظاهر الانحراف ومتمسّكا بالأصلين: الكتاب والسنّة»[4]، وأثّر في مجتمعه عبر ميدان الزّهد والتّصوّف من خلال طرق ثلاثة: "طريق تلاميذ، فكان مدرّسا ناجحا وعالما واثقا من رسالته ومحدّثا ومفسّرا قويّا، وصاحب شخصيّة جذّابة ومهيمنة، والثّاني عن طريق تأليفه، والثّالث عن طريق زاويته الّتي تأسّست عند ضريحه، والّتي أصبحت مقصد الزوّار وملتقى الدّارسين، ومجمع طلّاب البركة والشّفاء"[5]، منذ تاريخ وفاته سنة (875هـ)، وقد اقترن اسمه بمدينة الجزائر، وحملت الزّاوية اسمه وأضحت من أكبر المزارات، وظلّت حافلة بالنّشاطات خاصّة الدّينيّة منها والتّعليميّة إلى عهد متأخّر[6]، ومن الّذين درسوا على يديه: الإمام السنوسي، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ) ومحمد بن مرزوق الحفيد (ت901هـ)، وهذه العيّنة من التّلاميذ تبيّن مدى تأثير مدرسة الثّعالبي في مجالي الفكر والتّصوّف، وساهموا بدورهم في الحياة الثّقافيّة والاجتماعية لبلاد المغرب الأوسط[7] أمثال: أحمد بن عبد الله الجزائري (ت898هـ)، والّذي

1- هو **عبد الرّحمن بن محمد بن مخلوف الثّعالبي الجزائري أبو زيد**، ولد ما بين سنتي (787-785هـ)، يعدّ من أعيان مدينة الجزائر وأوليائها الصّالحين، ينتسب إلى قبيلة الثّعالبة، اشتهر بالتّصوّف والعلم الغزير، وبمصنفاته الكثيرة التي تفوق التّسعين مؤلّفا منها: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، و"حقائق في التّصوّف"، و"رياض الصّالحين"...، توفي سنة (875هـ). **ينظر**: عبد الرحمن الثعالبي، **تفسير الثعالبي المسمى: الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج1، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997، ص9-؛ عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج2، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، ص732-؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص257-؛ السخاوي، المصدر السابق، ج4، ص152-؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ص264-؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص63-؛ عبيد بوداود، **التّصوّف**...المرجع السّابق، ص ص296-304، عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السّابق، ص ص90-91؛ عبد الرزّاق قسّوم، المرجع السّابق، ص29-؛ أبو القاسم سعد الله، **رسالة الثعالبي** ...المرجع السّابق، ص237-.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص40.

3- السخاوي، المصدر السّابق، ج4، ص152.

4- عبد الرزّاق قسّوم، المرجع السّابق، ص75.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص84.

6- عبيد بوداود، **التّصوّف**...المرجع السّابق، ص304.

7- المرجع نفسه، ص301.

سار على نهج معلّمه واقتفى أثره، واشتهر إسمه واقترن بزاوية أقيمت له، كما أنّه لقّب "بالقطب" – في زمن لاحق–، وهو لقب صوفي لا يناله إلّا من تدرّج في مدارج الطّريقة وشهد له النّاس بالصّلاح[1].

➢ **زوايـــا وهـــــران:**

وهران انتشر بها التّصوّف بفضل علمائها وأوليائها الصّالحين ووجدت بها الزّوايا، ولكن تأخّر ظهورها حتّى القرن (9هـ/15م)، وكانت تتوفّر على شعبيّة كبيرة، ولعلّ أهمّها:

❖ **زاوية محمد بن عمر الهوّاري:** بفضلها عرفت وهران ازدهارا ثقافيّا، فكان يستقبل بزاويته طلبة العلم من مختلف المراكز الثّقافيّة، وعلى الخصوص من تلمسان، وكان مجلسه لا يخلو من معارضة علميّة ومحاضرة أدبيّة الّتي كانت تقدّم لطلّاب الزّاوية ومريديها، ولعلّ أنّ نوعية الدّروس الّتي كانت تدرّس بها لا تختلف عمّا كان يقدّم لطلبة العلم في أغلب زوايا النّاحية، فلم تقتصر على التّصوّف فقط بل شملت مجموعة من المعارف سبق للشّيخ الهوّاري أن أخذها عن شيوخه في كلّ من بجاية وفاس[2].

والظّاهر أنّ هذه الزّاوية لم تتوقّف الحركة الفكريّة بها بعد وفاة مؤسّسها محمد بن عمر الهوّاري (ت843هـ/1439م)[3]، بل ازدادت نشاطا في عهد تلميذه إبراهيم التازي (ت866هـ/1462م)، في حين يذكر ابن صعد الّذي ترجم له أنّ تلميذه استقل عن زاوية شيخه، وأنشأ هو الآخر زاوية خاصّة به[4]، امتازت ببساطتها وشملت اهتماماتها مختلف الجوانب الدّينيّة والعمرانيّة والاجتماعية، مما ساهم في تعاظم واستمرار نشاطها[5]، فهي «من أعظم الدّلائل على ولايته الباهرة وكراماته الظّاهرة ما أجرى الحقّ سبحانه على يده من بناء الزّاوية النّبيهة المتعدّدة الأبواب، والمساجد الأنيقة العالية والمرافق المعدّة للزّوّار وأبناء السّبيل، فمسجد زاويته نهاية في الفخامة والاحتفال، ومدارسه المشتملة على الميضاة الأنيقة

1– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص85.
2– مختار حساني، **تاريخ الدّولة**... لمرجع السّابق، ج2، ص ص235–236.
3– المرجع نفسه، ج2، ص236.
4– ابن صعد، المصدر السّابق، ص151.
5– عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص100.

الدارة والحمّام الّذي ما شوهد مثله في البلاد، والخزائن المملوءة بالكتب العلميّة وآلات الجهاد، والسّطح المظلّل بعريش من شجر الياسمين والعنبر والرّائحة لا نظير لها ولا مثال»[1].

إنّ هذا النّص يكشف لنا العديد من الحقائق عن زاوية إبراهيم التّازي:

✓ حيث أصبحت تشتمل العديد من المرافق المتعدّدة: المساجد والمدارس والمكتبات وأماكن الإيواء والحمّام وحتّى الوسائل الحربيّة، أي أنّها أصبحت مركّبا ضخما ذو نشاطات متعدّدة، تجاوزت بكثرة تلك الزّاوية الّتي كانت في القرن (7هـ/13م)، والّتي تعدّ مكان عبادة لا أكثر ولا أقلّ[2].

✓ اشتمالها على هذه المرافق الضخمة راجع إلى الموارد الماليّة الكبيرة الّتي استفادت منها الزّاوية في شكل نذور وصدقات، عكست مستواها الحضاري الراقي[3].

قامت بوظائف متعدّدة ولعلّ أهمّها: مجمع الفقراء للذّكر، وقبلة طلبة العلوم الدّينيّة والفقهيّة من مختلف الأقطار[4] يتعلّمون على يد شيخها ومؤسّسها إبراهيم التّازي، والّذي أشرف عليها شخصيّا لمدّة 23 سنة – منذ تأسيسها سنة 843هـ إلى غاية وفاته سنة 866هـ-، وقد تتلمذ على يديه عدد كبير من الطّلبة، أمثال: الحافظ التنسي (ت899هـ)، ومحمد السنوسي[5]...، وقد استمرت الزّاوية في وظيفتها العلمية وفي تخريج الأطر العلمية إلى غاية سقوطها في يد الإسبان الذي خرّبها ونهب مكتبتها الغنيّة بالكتب النّفيسة، وبذلك انطفأ اللمعان الثّقافي لمدينة وهران، والّتي تعدّ إحدى مراكز الثّقافة بفضل زاويتها الّتي لعبت دورا مشرّفا في ازدهار الحياة الفكريّة بها[6].

❖ زوايـــا الأريـــاف:

لم يقتصر التّصوّف على المدن الكبرى ولم يبق حبيسها، بل انتشر في أرياف وقرى المغرب الأوسط – خلال هذه الفترة– وعلى أكثر تقدير بدأ توغّله بها خلال القرن (9هـ/15م)، والّذي «يعتبر مرحلة انتقالية إلى ما يعرف بالتّصوّف الشّعبي (الجماهيري)،

1- محمد بلحاج، المرجع السّابق، ص111.

2- عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص100.

3- المرجع نفسه، ص291.

4- ألفرد بيل، المرجع السّابق، ص406.

5- عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص295

6- مختار حساني، **تاريخ الدولة**... المرجع السّابق، ج2، ص238.

وهذا راجع إلى حجم الشعبية الّتي أصبح يحظى بها المتصوّفة الكبار في المدن، حيث أصبح الأتباع يتوافدون عليهم من مختلف القرى والبوادي، وبانتقاله إلى مختلف الشّرائح الشّعبيّة مسّ الأرياف الّتي انتشرت بها الزّوايا لانتشار التّصوّف بين قبائله وعشائره»[1]، ومن أشهر زوايا الأرياف:

❖**زوايا أعراب بني سويد وبني عامر**: الّذين تقوّوا في القرن (9هـ/15م) بسبب ضعف الدّولة الزّيانيّة، وانحصار سلطانها على النّواحي البعيدة، فسيطروا على البسائط الحفصيّة، وأنشؤوا بها الزّوايا[2]، كما فعل "**محمد بن عبد الرّحمن الكفيف السّويدي**" و"**أحمد الحاج العامري**" الّذي كانت له زاوية في ناحية "بحدّوش" من تاسالة الّتي بنا فيها مسجدا ومكانا لإيواء الفقراء والمساكين وعابري السّبيل، كما أنّه باع جميع ممتلكاته المتمثّلة في الأراضي من أجل تسيير وإدارة زاويته، والإنفاق على المريدين الّذين وفدوا عليها طلبا للعلم والفكر، فصار قطبا يفد إليه الزّوار من كلّ حدب[3].

❖**زاوية سعادة الرّحماني**[4]: أسسها هذا الزّاهد الفقيه في منطقة "طولقة" من بلاد الزاب[5] في أوائل القرن (8هـ/14م)، وبذلك تعدّ أقدم زاوية في ريف بلاد المغرب الأوسط، وطريقته تعرف "بالسّنيّة" وقد اتبعها أسلافه ومريدوه من بعد وفاته سنة (705هـ/1305م)، واستمر نشاطها حتّى سنة (740هـ/1339م)[6].

❖وهناك بعض الأماكن تحوّلت إلى زوايا مثل: **قصر إيسلي** الّذي تحوّل إلى زاوية بفضل رجال زهاد قصدوه وانقطعوا فيه للعبادة، وكانوا محلّ احترام كبير من قبائل الأعراب، وحتّى من ملوك تلمسان، وكانوا يحصلون على طعامهم وشرابهم مجّانا على الغالب[7]، ولا

1- عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص ص100-125.

2- محمد بوشقيق، **العلوم الدينية**...المرجع السّابق، ص56

3- ابن مريم، المصدر السّابق، ص287.

4- ينتمي إلى قبيلة مسلم إحدى شعوب رياح، ناهض السّلطة الحفصيّة بفضل زاويته وأتباعه ومريديه، وقد قتله القائد الحفصي ابن مزني في حصار بسكرة سنة705هـ. **ينظر**: عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص101.

5- **الزاب**: منطقة سهليّة واقعة بين جبال أولاد نايل غربا وجبال الأوراس شرقا، وأشهر مدنها بسكرة وطولقة، وهي مدينة نوميديّة قديمة، **ينظر**: التنسي، **نظم الدر**...المصدر السّابق، ص285، **وينظر كذلك**: حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص ص138-140.

6- عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص101.

7- حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص12.

نعلم أيّ دور ثقافي وتعليمي قامت به هذه الزّاوية في نشر العلوم لطلّاب العلم، والظّاهر أنّها اكتفت فقط برجالها الزّهاد الّذين حوّلوها من قصر مهجور إلى زاوية علم خاصّة بهم تكون ملجأ لهم ومكان يدعون فيه الله تعالى.

إنّ هذه الزّوايا -زوايا المدن والأرياف- لا تعبر عنها جميعا لا سيما بعد انتشار التّصوّف في المغرب الأوسط وكثرة رجاله، فغرضنا ليس ذكر قائمة هذه الزّوايا فلا يسعنا إحصاؤها كلّها لأنّ العدد كبير جدّا، ولكنّ هدفنا هو الإشارة إلى أهمّها في ميدان التّعليم ونشر الوعي الدّيني، وإيجابيّاتها وسلبيّاتها، وسوف نعمّم القول عنها كلّها أثناء الحديث عن الدّور التّعليمي والثّقافي لها.

و- دورهـــا التّعليمـي وتقييمـــه:

❖ ايجابيـــــــا:

يعد تأسيسها مكسبا ثقافيا واجتماعيا لعبت فيه الزّاوية حجر الزّاوية في تطوّر الحركة العلمية والفكريّة وترقية المجتمع حضاريّا، حيث قامت بأدوار مختلفة ومهمّة تمثلت في:

➢ دورا اجتماعي: كإيواء الفقراء والعجزة والغرباء وعابري السّبيل وطلبة العلم والتكفل بهم.

➢ دور تربوي تعليمي بدءا باستقبال طلّاب العلم وتوفير احتياجاتهم، ونشر التّعليم في جميع مستوياته[1]، بفضل شيوخها المتضلعين في مختلف العلوم، وعلى الرغم من اختلاف اتجاهاتهم وأساليبهم التربوية، إلا أن تركيزهم على مبدأ التربية الروحية للمريد وما تشمل عليه من مبادئ وقيم وعبادات وسلوكا أضحى قاسما مشتركا بين جميع الزوايا مع تقيدهم الشديد بالعلوم الشرعية والبعد عن الخرافات والشطحات الصوفية المبتدعة[2].

➢ ساهمت الزوايا الشعبية بدور كبير في نشر التعليم، حيث عظم دورها بسبب انتشار نفوذها وهيمنة شيوخها على عقول النّاس بداية من القرن (9هـ/15م) فكثر نشاطها في البوادي[3]، وهذا ما يعرف بالمرحلة الانتقالية للتّصوّف الشّعبي والّذي مس مختلف الشرائح الشعبية[4]، وكثر عددها وعملت على تحفيظ القرآن وتدريس علوم الدّين ومبادئ التّصوّف

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص267.

[2]- مفتاح خلفات، المرجع السّابق، ص177؛ الغبريني، المصدر السابق، ص121.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج2، ص350.

[4]- عبيد بوداود، **التّصوّف**... المرجع السّابق، ص100-101.

بأسلوب بسيط في متناول الجميع، فاستطاعت أن تكسب ثقة الجماهير حيث جعلت التّعليم في متناولهم وعمّمته بجميع مستوياته فازدهر بها التعليم الرسمي[1].

➢نافست الجوامع والمدارس، وأصبحت بديلا إلى حدّ كبير عنهما، وعن علماء العلوم الدّينيّة من علم الكلام والفقه الّذين يدرّسان في الجوامع والمدارس، فقصدها طلبة العلم بكثرة.

➢ نشرت الإسلام الصّوفي في الأرياف وفي المدن، ومهدت لانتصار الطرق السنية[2]، فقد أدّى نشاط الصّوفيّة إلى ازدهار حركة التّعليم بأنواعه، وتطوّر طرق التّدريس، وبالتّالي نال التّعليم جميع الفئات الاجتماعية[3].

➢ساهمت في تضييق الفوارق التّعليميّة والثّقافيّة بين سكّان الرّيف وسكّان المدن، وصبغت التّعليم بطابع التّصوّف، وجمعت بين تدريس علم الظّاهر وعلم الباطن، أي ألمّت بين ثقافة الفقهاء وثقافة المتصوّفة [4].

❖سلبيـــــــــــا:

رغم الدور الايجابي الذي قامت به الزوايا في نشر التعليم بجميع مستوياته وخدمة الدين عن طريق الوعظ والإرشاد وتنوير المجتمع[5]، إلا أنها انحرفت عن منهجها النّبيل في التّعليم مع نهاية القرن (9هـ/15م) نتيجة تغلغل الطّرقيّة فيها، وأدّى انتشارها إلى أمرين خطيرين ترتّب عنهما تبسيط المعرفة وغلق باب الاجتهاد، كما أنّ نقل التّعليم من المساجد والمدارس إلى الزّوايا أدّى بالطّلاب إلى الاكتفاء بالحدّ الأدنى منه بطريقة ريفيّة ضيّقة، وبهذا أصبحت الزّاوية منافسة لأماكن التّعليم المتمثّلة في المساجد والمدارس في التّعليم وفي كسب الأنصار، الهدف منه ضمان عدد الطّلبة والبحث عن الأتباع وليس من أجل رفع مستوى التّعليم أو المساهمة في ترقية الحياة الفكرية[6]، فبدل أن يلتفّ النّاس حول العلماء المتضلّعين في علوم شتّى في المساجد والمدارس أصبحوا يتوجّهون إلى الزّاوية ويلتفّون حول شيخها

---

[1]– خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السّابق، ص227.

[2]– ألفرد بيل، المرجع السّابق، ص405.

[3]– محمد دبوب، "**دور حركة صوفيّة المغرب الإسلامي في الحياة الثّقافيّة والفكريّة، وتفاعلاتها بالمشرق الإسلامي**"، **حوليّة المؤرّخ**، الجزائر، العدد 2، 2002، ص111.

[4]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السّابق، ج2، ص ص350-351.

[5]– مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص78.

[6]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص37.

الّذي تغلب على عقله الخرافة والسّذاجة، كما دفعت هذه المنافسة علماء المساجد والمدارس وأجبرتهم على تبسيط أدائهم وأفكارهم وطرقهم في التّعليم حتّى لا يفرّ منهم الطّلبة ويلتحقون بالزّوايا[1].

وهذه بداية الانزلاق الذي أدّى إلى تدني مستوى التّعليم، وبشكل رهيب خاصة في العهد العثماني، فأصبحت بذلك الحركة التعليمية في بلاد المغرب الأوسط تعرف العثرات خاصّة أواخر القرن (9هـ/15م)، حيث أغلقت فيها أبواب البحث والاجتهاد وحرّية الرّأي تاركة المجال لتعليم يغلب عليه اجترار لما سبق تأليفه من العلوم[2].

[1]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السّابق، ص37.

[2]– محمد بوشقيق، **العلوم الدينية**...المرجع السّابق، ص57.

5- المكتبـــــــــــــــــــات:

أ- مفهومـــها:

حرص الإنسان منذ القدم على الاحتفاظ بما دونه من أخبار وأعمال وعلوم رغبة في توثيقه والمحافظة عليه، حيث أطلق على المكان الذي يحتفظ به بتلك المخطوطات اسم المكتبة أو خزانة الكتب، والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى عهود سحيقة[1]، حيث اعتبرت في الحضارة العربية الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي عني بها المسلمون، وكان لها دور كبير في الحياة الثقافية والعلمية باعتبارها جزء من العملية التعليمية، وقد انتشرت في جميع المؤسسات التعليمية والثقافية على اختلاف أنواعها بالإضافة إلى منازل العلماء ومحبي العلم[2].

ب- أقسامـــها:

حرص المشرفون والمنشئون للمؤسّسات الثّقافية بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس على إنشاء المكتبات، وتزويدها بالكتب اللّازمة لإقامة النّشاط التّعليمي والعلمي، حيث انتشرت في جميع أنحاء المغرب الأوسط حيث لم تخل المساجد أو المدارس أو القصور أو بيوت العلماء أو الزوايا... من وجود مكتبات غنية بمحتوياتها تنوعت مابين مكتبات خاصة وعامة باختلاف أماكن تواجدها وأهدافها وغاياتها واختلاف مقتنياتها من حيث الكم والنوع والمستوى واختلاف طبيعة الرواد وطبيعة التنظيم والخدمات[3]، غير أننا إذا أردنا تكوين صورة واضحة حولها يقابله صمت شديد للمصادر التي أرخت لهذه الفترة، وفي محاولة لاستنطاق النصوص المتاحة نكتشف النزر القليل المعلومات التي لا تعطي لهذه المؤسسة الحيوية أهميتها وقيمتها، ولعل أهمها:

1- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص407.

2- عبد الغني عبد الله يسري، "**من تاريخ المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية: "المكتبات الخاصة"، دورية كان التاريخية**، مجلة الكترونية، العدد16، 2012، ص52.

3- ربحي مطفى عليان، المرجع السابق، ص112.

➢ **المكتبات العـامة:**

هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس والزوايا لتكون فضاءات مفتوحة لطلبة العلم خصوصا، ثمّ لجميع قرّاء المسلمين عموما[1]، يرجع العديد منها إلى سلاطين بني زيان فهي تعكس مدى حرص اهتمامهم على تدعيم النهضة التعليمية في دولتهم، فكانت هذه المكتبات ركائز قوية للحركة الثقافية، ومنها:

❖ **المكتبة** الّتي أنشاها **أبو حمو موسى الثاني** سنة (760هـ/1359م) بالجامع الأعظم بتلمسان، وتقع على يمين المحراب «أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو بن الأمراء الرّاشدين أيّد الله أمره وأعزّ نصره ونفعه عمّا وصل ونوى وجعله من أهل التّقوى، وكان الفراغ من عملها ليوم الخميس ثالث عشر لذي القعدة عام سبعمائة وستين (760هـ)»[2]، وتضمّ مختلف الكتب باختلاف العلوم والفنون[3]، بالإضافة إلى نفائس المخطوطات الّتي أودعها هذا العاهل[4]، وقد امتدت آثار هذه الخزانة إلى القرن (9هـ/15م)، بل ربّما قد تزداد ضخامة واتساعا مع توالي السّنين وازدهار الحياة العلمية بها[5]، إلّا أنّها هدّمت حوالي سنة (1266هـ/1850م) حيث قامت مصلحة الآثار الفرنسية بترميمها، وبذلك فقدت محتواها[6].

❖ **المكتبة** الّتي أنشاها السلطان **أبو زيان محمد بن أبي حمو** (796-801هـ/1393-1399م) سنة (796هـ/1394م)، وهي موجودة بالقسم الأمامي من الجامع الكبير، وكانت هي الأخرى تضم الكتب النفيسة والقيّمة، وقد زودها منشؤها بما نسخه بخط يده من نسخ: القرآن الكريم وصحيح البخاري وكتاب الشفاء للقاضي عياض[7].

❖ **مكتبة مدرسة أولاد الإمام:** رغم غياب الحقائق التاريخية عنها وعن مشيدها وسنة إنشائها، إلا أنها كانت لها شهرة وصيت كبير بحجم أهمية مدرسة أولاد الإمام، ولعلّها

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص 298.

2- محمد الطمار، **تلمسان**... المرجع السابق، ص 211.

3- محمد بن رمضان الشاوش، المرجع السابق، ص 107، ص400.

4- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص 183.

5- محمد مشنان، المقال السابق، ص 59.

6- محمد بن رمضان الشاوش، المرجع السابق، ص 400.

7- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص 211.

انهارت بانهيار المدرسة، وقد زارها أبو العباس أحمد المقري أثناء رحلته لتلمسان سنة (1010هـ/1601م) مع جملة من الأعيان والعلماء والشيوخ، فطافوا بالمدرسة وهي آنذاك خراب، ويقول عن ذلك: «فسرحنا النواظر في محاسن المدرسة المذكورة –مدرسة أولاد الإمام – وطفنا على رسومها الباقية حتى وصلنا خزانة الكتب المشهورة فألفيناها بباب خاوية على عروشها وقد ملئت بالزبل»، وقد اشمأز الحضور لرؤية ذلك المشهد فقال أحدهم وهو الفقيه علي بن محمد بن علي أبهلول:

خِزَانَــةٌ لِلكُتُبِ مَملُـــــوءَةٌ   بِالزِّبَلِ في مَدرَسَــةِ أَولَادِ الإِمَامِ[1].

❖ **مكتبات الزوايا:**

زودت الزوايا بالمكتبات خدمة لطلابها ومريديها وتحصيلهم الدراسي، ولعل أهم زاوية بالمغرب الأوسط زاوية إبراهيم التّازي بوهران خلال القرن (9هـ/15م)، فقد زوّدها صاحبها بمكتبة تضم مجموعة كبيرة من الكتب العلمية المختلفة والنّفيسة، وكذلك آلات الجهاد «والخزائن المملوءة بالكتب وآلات الجهاد[2]...»، غير أن هذه المكتبة نهبت عند سقوط مدينة وهران في يد الإسبان[3].

➢ **المكتبـــات الخاصة:**

كانت واسعة الانتشار وكثيرة العدد، نتيجة تنافس العلماء والأدباء في تأليف وجمع الكتب وتدوينها، وقد أدى ذلك إلى تكوين مكتبات خاصة عزيزة على قلب صاحبها يضحي بالغالي والنفيس من اجلها، عامرة بأجود الكتب وأندرها في مختلف فروع العلم والمعرفة موجهة لاستعمالاتهم الخاصة[4].

إن هذه المكتبات وان سميناها خاصة، إلا أن العديد من منشئيها كان يبيحها للناس جميعا خصوصا العلماء وطلاب العلم ومن يثق فيهم، كما فعل الأديب النحوي اللغوي **أبي عبد الله محمد بن الحسن القلعي** (ت673هـ)، الذي كان يدرّس في بجاية، وكان كثير

1– المقري، **رحلة المقري**...المصدر السابق، ص140.

2– محمد بلحاج، المرجع السابق، ص 112.

3– نقل محتوى المكتبة من طرف الكردينال أخسيمانس الإسباني إلى مسقط رأسه بقلعة ريس القريبة من مدريد. **ينظر**: مختار حساني، **تاريخ الدولة** ... المرجع السابق، ج 2، ص238.

4– بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص410؛ عبد الغني عبد الله يسري، المقال السابق، ص52.

الطلبة والتلاميذ يُؤثِرُهم ويساعدهم ويقدم لهم كتبه للاستفادة منها، وعن ذلك يقول الغبريني- كان أحد تلامذته ولازمه لأكثر من عشرة سنين-: «وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم فيها»، ويستدل ببيت شعري:

كُتُبِي لِأَهــــــلِ العِلمِ مَبذُولَةٌ   يَدِي مِثــــــلَ أَيدِيهِم فِيهَـــــا.
أَعَـــــارَنَا أَشيَاخُنَا كُتُبَــــــهُم   وسُنَّةُ الأَشيَـــــاخِ نمضِيـهَا[1].

ج- مصادر وطرق جمع الكتب وتزويد المكتبات بها:

لقد غمرت المكتبات سواء العامة أو الخاصة بالكتب النفيسة والثمينة وأمهات الكتب المتعددة الاختصاصات ومختلفة المجالات، وقد اختلفت مصادر جلبها وطرق اقتنائها وجمعها، فتلمسان وحدها بلغت فيها صناعة الكتاب تأليفا ونسخا وجمعا درجة عالية، بالإضافة إلى بجاية وقسنطينة، فكانت الكتب تنتج فيها إما محليا عن طريق التأليف والنسخ، أو تجلب من الخارج إذ مثّل كل من المغربيين الأقصى والأدنى والأندلس وكذلك بلاد المشرق:كمصر والحجاز...أهم المصادر الأساسية المغذية لهذه المكتبات[2]، ولعل أهم الوسائل لاقتنائها وجمعها هي:

- **الشـــراء:** يعد المصدر الرئيسي لتزويد المكتبات بالكتب وبالخصوص المكتبات الخاصة، حيث حث العلماء طلابهم على ضرورة اقتناء الكتب المحتاج إليها شراء إن أمكن ذلك وإلا فنسخا أو إعارة، ولأهمية الكتاب وزيادة الإقبال عليه كان يروج له ويشترى ويقايض به، وخصصت له أسواق خاصة ببيع الكتب عرفت ازدهارا كبيرا[3]، قصدها الغني والفقير المحب للعلم الذي كان يؤثر شراء الكتاب على ملء المعدة واللباس والفراش الفاخرين، كما أن شراء الكتب لم يكن دائما للاستفادة منها علميا، وإنما كانت بعض العائلات تقتنيها لتفاخر بها مثيلاتها، وكان أشباه العلماء يجمعونها للمباهاة والتشبه بأهل العلم[4].

- **النســـخ:** يعد أهم وسيلة لجمع الكتب كما وضحناه سابقا، تنافس عليه الطلبة والعلماء والفقهاء والحكام...، فكان له دور بالغ الأهمية في الأوساط العلمية والأدبية وعاملا

1- **عنوان الدراية** ...المصدر السابق، ص ص94-95 .

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص286؛ ص290.

3- السيد النشار، المرجع السابق، ص161.

4- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص 294.

مساعدا على النمو الثقافي، فقد ساهموا هؤلاء في توفير الكتاب في السوق وفي المكتبات العامة والخاصة، وكذلك على تطوير فن النسخ والوراقة وازدهاره[1].

❖ **التأليــف:** يعد التأليف من الطرق الهامة لنمو المكتبات، وظاهرة جديرة بالاهتمام والدراسة، لأنه تعبير صحيح وصادق عن ثقافة أي مجتمع، ورصد حقيقي لمستوى العلوم السائدة فيه، بكل ما تحتويه من كثرة أو قلة، وتقليد أو اجتهاد[2]، كما انه يعد من أهم ميزات العالم الذي يخلده بعد وفاته، وعن ذلك يقول جلال الدين السيوطي: «إن العالم وان امتد باعه، واشتد في ميادين الجدال رفاعه، واشتد ساعده حتى خرق به كل سَد سُد بابه،...فنَفْعُه قاصر على مدة حياته، ما لم يصنف كتابا يخلد بعده...إن التصنيف لأرفعها مكانا، لأنه أطولها زمانا، وأدومها إذا مات أحيانا، لذلك لا يخلو وقت يمر بنا خاليا عن التصنيف، ولا يخلو إلا وقد تقلد عقد جواهره التأليف، ولا يخلو علينا الدهر ساعة فراغ إلا ونكل فيها القلم بالترتيب والترصيف»[3]، لذا لا نجد عالما إلا وله قائمة قصيرة أو طويلة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة[4]، وكتب السير والتراجم اهتمت بتدوين ذلك أثناء ترجمتها لعلماء وفقهاء وأدباء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة[5]، ولعل أن هدف هؤلاء من تآليفهم تقف وراءه سبع مقاصد وهي:

1. استنباط العلم بشيء لم يسبق إليه فيؤلف.
2. شيء ألّف ناقصا فيكمّل.
3. خطأ يصحح.
4. مشكل يشرح.
5. مطول يختصر.
6. متفرق يجمع.

1- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص336.

2- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص 293.

3- الحافظ جلال الدين السيوطي، **التعريف بآداب التأليف**، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (دت)، ص19.

4- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص295.

5- **ينظر: الباب الثاني من الرسالة المخصص لأصناف العلوم والمعارف وأهم العلماء ومصنفاتهم في كل فن من فنون العلم.**

7. منثور يرتب[1].

❖ **الوقـــف:** نالت المكتبة كما وضحناه[2] سابقا نصيبا وافرا من جهد الواقفين الذين تسابقوا في جمع الكتب في مختلف فروع المعرفة وثم وقفوها على المكتبات العامة، لتوضع تحت تصرف طلاب العلم والعلماء لتكون منهلا صافيا لهم[3].

❖ **الإهـــداء:** يقدمها صاحبها تطوعا ومجانا ودون مقابل كمخطوطات نادرة أو من تأليف صاحبها، وتوضع في المكتبة لخدمة روادها، وغالبا ما كانت تحبس حفظا لها من الضياع[4].

❖ **الحـــج والرحلة العلمية:** من الموارد التي كانت وراء انتشار حركة التأليف والنسخ واقتناء الكتب، ولولا دورهما وأهميتهما لما نشط هؤلاء في التأليف وتغذية المكتبات بإنتاجهم، فكانوا يتبادلون الكتب والكراريس أو يشترون ما يلزمهم من الكتب، وكذلك للإجازات العلمية دورها في نشر العلوم والمعارف[5].

❖ **هجرة العلماء الأندلسيين** الذين حملوا معهم علومهم ومعارفهم وتصانيفهم وكتبهم كما أوردناه سابقا.

د- نظامـــــها:

لم يكن للمكتبات أبنية خاصة بها خلال فترة البحث، ويغلب الظن أنها كانت جزء غير مستقل عن المؤسسة نفسها كمكتبات ملحقة بالمساجد والمدارس والزوايا والمارستانات...وجدت من أجل خدمتها، ورغم هذا فقد كانت منظمة تنظيما رائعا وجيدا، بها كل ما يوفر الراحة لقرائها من غرف خاصة بالنسخ والمطالعة تضم مختلف الأثاث والستائر

---

[1]- المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج3، ص ص34-35، كما يورد المقري في نفس الصفحة أبيات شعرية توضح المقاصد من التأليف، حيث قال:

أَلاَ فَاعلَمَنْ أَنَّ التَّآليـــف سَبْعَـــةٌ ... لِكُلِّ لَبيبٍ فِي النَّصِيحَةِ خَالِصِ
فَشَرحٌ لِإغْلاَقٍ وَتَصحِيحُ مخْطِـــئٍ ... وَإِبْدَاعُ حَبْرٍ مُقدِمٍ غَيْرِ نَاكِـــصِ
وَتَرْتِيبُ مَنثُـــــــورٍ وَجَمعٍ مُفَرَّقٍ ... وَتَقْصِيرُ تَطْوِيلٍ وَتَتمِيمُ نَاقِـــصِ.

[2]- **ينظر: الأوقاف على المكتبات: الفصل الأول من الباب الأول.**

[3]- أنور محمود زناتي، المقال السابق، ص42.

[4]- السيد النشار، المرجع السابق، ص173.

[5]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص296.

والبسط والسجاد...، وغرف أخرى معدة لخزن الكتب مزودة بالرفوف[1]، تُبوَّب فيها الكتب وتُرتّب حسب فنونها وتخصصها حتى يسهل للدارس الحصول عليها، وقد شملت مختلف أنواع فروع العلم والمعرفة مثل: المصاحف وكتب الدين والوعظ والفقه وعلم الكلام، واللغة والآداب والطب...، أما «كتب الفلسفة لم تكن مستحبة لذلك حرص أمناء المكتبات والمشرفين على عدم اقتنائها لأنها تتعارض مع أفكار الفقهاء المتشددين أو السلفيين»[2]، والظاهر أن هذه الكتب كانت تقل أو تكثر تبعا لأهمية الوقف الّذي تتغذى منه وتبعا لأهمية المؤسسة الثقافية الموجودة بها[3]، ومن ميزات المكتبات أنها درجت على تزويد روادها وقرائها بكل ما يحتاجونه من أدوات لازمة كالأقلام والورق والمحابر والحبر مجانا لمساعدتهم في النسخ[4]، تمنح لهم من قبل عمال المكتبة الذين اختلفت صفاتهم وآدابهم وواجباتهم، ولعل أبرزهم:

- **خـــازن الكتب:** أو شاهد خزانة الكتب...أي أمين المكتبة حسب مصطلحنا المعاصر، وهو المشرف الأعلى على المكتبة والمسؤول عن إدارتها وحفظها وخدمة المترددين عليها وبالخصوص الإشراف على كتبها وصيانتها وتنظيمها وترتيبها...، لذا اشترط فيه أن يكون من أهل العلم واسع الاطلاع عارفا بشؤون الكتب قادرا على تحمل المسؤولية يمتاز بالثقة والأمانة[5]...
- **المنـــــاول:** وهو مساعد الخازن، يقوم بإحضار الكتب من الخزانة لطالبيها، ثم إرجاعها إلى مكانها مع الحرص على ترتيبها وصيانتها وحفظها[6]...، بالإضافة إلى البوابين **والمنظفين**...من اجل خدمة المكتبة وقرائها وتنظيفها، إلى جانب عدد من النسّاخين والمجلدين والخطاطين يختلف عددهم بحسب حجم المكتبة وإمكانياتها المادية ومتطلباتها[7].

---

[1]- محمد ماهر حمادة، **المكتبـــات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987، ص ص148-149؛ ربحي مصطفى عليان، المرجع السابق، ص ص162-163.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص326؛ وص350.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص298.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص326.

[5]- تاج الدين السبكي، المصدر السابق، ص111؛ السيد النشار، المرجع السابق، ص ص137-145.

[6]- السيد النشار، المرجع نفسه، ص ص145-150.

[7]- محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص151.

أما عن مواردها فيعتبر الوقف أساس بنيتها إنشاء وتمويلا وصيانة، كما كان منطلق تنظيمها وإدارتها على ركائز وقواعد محددة، فهو المسير لها من خلال دفع رواتب الموظفين، وفرض قوانين خاصة كعدم إخراج الكتب، وأن يمنح كتاب واحد للطالب لمطالعته أو نسخه وعند الانتهاء منه يمنح له آخر، وبالتّالي فالمُحبس هو الّذي كان يحدد نظام الإعارة[1]، التي غالبا ما تكون داخلية وفي بعض الأحيان تكون خارجية[2]، وعلى طالب الكتاب التقيد بآداب وأخلاقيات التعامل مع الكتب حفاظا عليها من التلف أو الضياع[3].

في حين تفتح المكتبة أبوابها طيلة أيام الأسبوع صباحا ومساء، وبما أن أمين المكتبة كان من العلماء فكان بقاؤه في المكتبة شبه دائم للبحث والمطالعة، وبالتالي كانت فرصة لرواد العلم بالبقاء، حيث شكلت فترة مابين صلاة العصر والعشاء فترة ازدحام، لأنها الفترة الّتي ينتهي فيها طلاب العلم من حصصهم الدراسية[4].

هـ- الدور الحضاري للمكتبـات:

«إن المكتبة ليست مجرد مستودع للكتب يشرف عليه صاحبه ليقيه من الضياع، أو للزينة والتفاخر والتباهي وإنما وجدت لغايات أسمى، فهي تعتبر دعامة للثقافة ومؤسسة اجتماعية وعلمية وتربوية، كان لها دور كبير في الحركة العلمية والتعليمية، باعتبارها من المؤسسات المكملة للوظيفة التعليمية»[5] حيث :

➢ تعتبر أداة أو وسيلة تربوية حية لخدمة الأفراد، وهي جزء لا يمكن الاستغناء عنه، في أي مؤسسة تربوية تعليمية، بل يمكن اعتبارها الأساس الذي ترتكز عليه جميع الاتجاهات التربوية والتعليمية التي تؤكد على نشاط الطلاب وفعاليتهم[6]، أي عصب المؤسسات الثقافية من مدارس ومساجد وزوايا... وشريانها الّذي يغذيها[7].

---

[1]- مجاني بوبة، المقال السابق، ص 160؛ يحى محمود ساعاتي، المرجع السابق، ص130.
[2]- السيد النشار، المرجع السابق، ص201-.
[3]- **ينظر**: ابن جماعة، المصدر السابق، ص241-.
[4]- يحى محمود ساعاتي، المرجع السابق، ص161.
[5]- طرفة عبد العزيز العبيكان، المرجع السابق، ص81.
[6]- السيد النشار، المرجع السابق، ص211.
[7]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج$_2$، ص326.

- أسهمت في دفع تيار الثقافة وتزويد الحياة الفكرية بما تحتاجه في مختلف فروع المعرفة، لأنه لا يمكن للحركة العلمية أن تنمو بمعزل عن مصادر المعرفة[1]، فكانت إحدى الدعامات المساعدة في نشر الثقافة بما تحتويه من كتب لتنمية المعلومات والقدرات الثقافية[2].
- فتحت أبوابها للجميع حيث سمحت لهم بفرصة الاطلاع على وكتب وعلوم جديدة لم تكن متاحة لعدد كبير منهم، فكان لها دور في تثقيفهم، كما أمدت العلماء والأدباء بمصادر المعلومات مما ساعدتهم في التأليف[3].
- تعتبر مركز ثقافيا ممتازا يلتقي فيه العلماء والباحثين وطلبة العلم للقراءة والدرس، وطالما كانت فضاء عقدت فيه المناظرات والمناقشات، لذلك تدخل في إطار الحديث عن معاهد التعليم[4]، لأنها كانت ومازالت طريقة القدامى في نشر العلم وشحن أذهان العلماء والمدرسين وطلاب العلم[5].
- يرجع لها الفضل الكبير في صيانة الكثير من تراث الإسلام الفكري في ربوع المغرب باحتفاظها نفائس غالية من ثروة الإسلام العلمية[6].

وخلاصة القول تعتبر المكتبات المقياس الحقيقي والدقيق لرقي الشعوب والأمم، وظهورها بالمغرب الأوسط نتيجة حتمية للتطور الفكري الذي شهدته المنطقة خلال هذه الفترة، فكثرتها وتوزعها وسهولة ارتيادها دليل على ثقافة سكان المنطقة وتعلمهم وحبهم للعلم ومساهمتهم في انتشاره وتعميمه، فقد لعبت هي وغيرها من المؤسسات الثقافية دورا كبيرا في المجال العلمي والثقافي حيث انعكست إيجابا على تنوع فروع العلم والمعرفة وهو حديث البـــاب الثانـــي.

---

[1]- محمد مشنان، المقال السابق، ص59.

[2]- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص407.

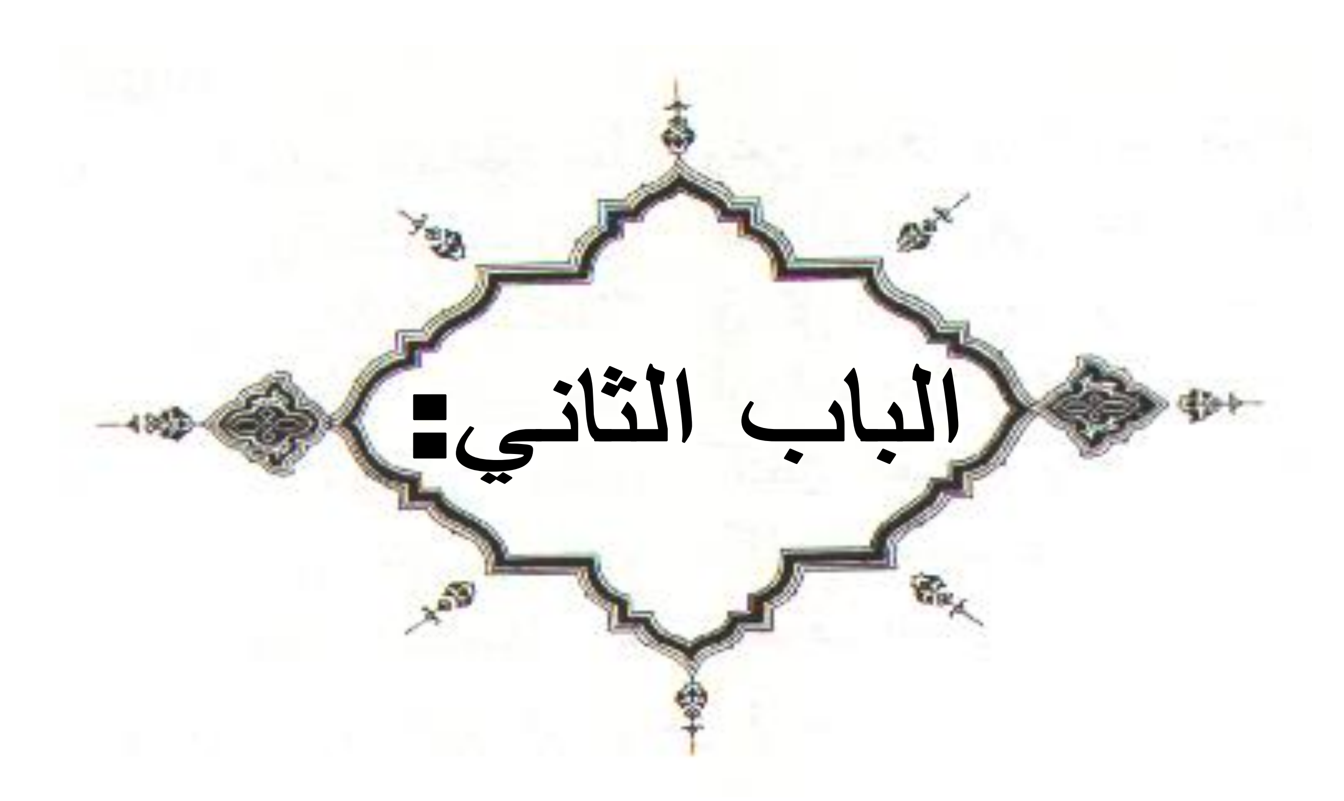
[3]- أنور محمود زناتي، المقال السابق، ص42.

[4]- عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق، ص ص156-159.

[5]- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص410.

[6]- محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص56.





الباب الثاني:

أصناف العلوم والمعارف المتداولة بالمغرب الأوسط مابين القرنيين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)





الفصل الأول:

العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة

1- علوم القرآن:

أ- القراءات:

ب- التفسير:

2- علم الحديث:

3- علم الفقه:

4- علم أصول الفقه:

5- علم الكلام:

6- علم التصوف:

تميز المغرب الأوسط خلال العهد المدروس – على غرار باقي حواضر العالم الإسلامي– بوجود جملة كبيرة من العلوم والمعارف التي شكلت المحتوى الفكري لحركته العلمية، قسمها **عبد الرحمن بن خلدون**[1] من حيث الغاية من دراستها إلى قسمين:

***علوم مقصودة بالذات:** يتوجب الاتساع في دراستها، وهي العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكذلك العلوم الطبيعية والإلهية

***علوم آلية:** تساعد على دراسة العلوم السابقة كالعربية والحساب للشرعيات والمنطق للفلسفة وأصول الفقه، وهذه الأخيرة يتوقف مقدار دراستها على الحاجة إليها ولا يجب توسيع المدار فيها، لأن ذلك مضيعة للوقت، وقد يؤدي إلى التقصير في دراسة العلوم الأساسية.

أما من حيث أصنافها فقد قسمها إلى قسمين رئيسيين: **علوم نقلية وعلوم عقلية** وعن ذلك يقول[2]: « اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبعة فكره...والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول»، ويندرج تحت هذين القسمين علوم فرعية كثيرة وضحها ابن خلدون بشيء من التفصيل والبيان حسب مخططه، الذي أمكنه استيعاب جميع العلوم والمعارف المعروفة في تلك الفترة بالمغرب الإسلامي[3].

تعد **العلوم النقلية وخاصة الدينية** منها (الشرعية) أكثر العلوم أصنافا واهتماما «لأن المكلف يجب أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة وبالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق»، لذا «نفقت أسواقها وهذبت

1– **المقدمة**...المصدر السابق، ص574.

2– المصدر نفسه، ص ص471–472.

3– **ينظر: الملحق رقم: 06 (المخطط العام لتصنيف العلوم عند ابن خلدون)**، وهناك تصنيف آخر لمعاصره المشرقي القلقشندي وهو أكثر دقة وتفصيلا. **ينظر: الملحق رقم: 07 (المخطط العام لتصنيف العلوم عند القلقشندي).**

مصطلحاتها، ورتبت فنونها فكانت في غاية الحسن والإتقان لدرجة أصبح فيها موضع كمال واختص علم منها برجاله مشرقا ومغربا»[1].

إن العلوم الدينية نالت الحظ الكبير من الاهتمام حيث تعددت أصنافها فمنها ما هو متعلق بالنقل، أو فهم المنقول، أو تقريره وتشييده بالأدلة، أو استخراج الأحكام المستنبطة، فالنقل إذا كان بما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي فهو "**علم القراءات**"، أو بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة فهو "**علم رواية الحديث**"، وفهم المنقول إن كان من كلام الله تعالى فهو "**علم تفسير القرآن**"، وان كان من كلام الرسول "**فعلم دراية الحديث**"، والتقرير فيما يخص الآراء فهو "**علم أصول الدين**"، أو الأفعال "**فعلم أصول الفقه**"، وفيما يخص استخراج الأحكام من أدلتها فهو "**علم الفقه**"[2]، وهذه العلوم الدينية وغيرها سنحاول تناولها خاصة ببلاد المغرب الأوسط خلال فترة البحث.

1- علـــوم القـــــــــرآن:

اهتم المسلمون بالقرآن الكريم منذ القرون الأولى باعتباره المصدر الأول للإسلام والناظم لشؤون المسلمين الدينية والدنيوية، لذا كان على رأس العلوم التي أولاها المسلمون عناية خاصة، فهو كما يقول الإمام أحمد بن محمد القسطلاني (ت923هـ/1517م) «ينبوع العلوم ومنشؤها، ومَعدِن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه»[3]، لأنه علم يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه ونحو ذلك، ويشمل فروعا كثيرة أبرزها: علم القراءات والتفسير وأسباب النزول والتجويد وعلم المكي والمدني وعلم إعجاز القرآن والرسم القرآني وإعراب القرآن...، ولعل أهمها العلمين الأوليين الذي قال عنهما

1- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص472-473.

2- طاش كبرى زاده، **مفتـــاح السعادة ومصباح السيـــادة في موضوعـــات العلوم**، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ص06.

3- **لطائـــف الإشـــارات لفنـــون القراءات**، ج1، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1434هـ، ص03.

الزرقاني: «علم القراءات موضوعه القرآن من ناحية لفظه وأدائه، وعلم التفسير موضوعه القرآن من ناحية شرحه ومعناه»[1]، وهذا ما سنوضحه.

أ- علـــــــم القـــــراءات:

❖ مفهومـــها لغــة:

القراءات جمع قراءة، وهي مصدر سماعي للفعل الثلاثي قَرَأَ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآنا بمعنى تلا فهو قارئ، وقرأ الكتاب قِرَاءَةً وقُرْآنًا، أي جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن: لأنه يجمع السور ويضمها، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ**﴾[2]، أي: جمعه وقراءته[3].

❖ مفهومها اصطلاحا:

لعلماء القراءات تعاريف متعددة[4] أبرزها: تعريف ابن الأكفاني (ت749هـ) الذي اعتبرها «علم ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل»[5]، أما ابن الجزري (ت833هـ) فيرى بأن: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا بناقله، والمقرئ العالم بها، رواها مشافهة، في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة»[6].

إن لعلم القراءات علاقة وثيقة **بعلـــم الرســـم** وهو: معرفة أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية[7]، **وعلـــم الضبــــط** وهو: العلم الذي يبحث في طريقة نقط الكلمات والحروف القرآنيـــة، نقـــط إعراب ونقط اعجام وما يتعلق بذلك من رموز

1- عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، تحقيق: فواز احمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، ص27.

2- **سورة القيامة الآية 17.**

3- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص128؛ الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص49؛ البستاني، المصدر السابق، ص721؛ محمد بن أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ص220؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص722.

4- **ينظر**: بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (دت)، ص318؛ القسطلاني، **لطائف الإشارات**...المصدر السابق، ج1، ص355؛ طاش كبرى زاده، **مفتاح السعادة**...المصدر السابق، ج2، ص06.

5- ابن الأكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر وأحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، (دت)، ص154.

6- ابن الجـــزري، **منجـــد المقرئين ومرشـــد الطالبين**، اعتنى به: علي بن محمد العمران، طبعة عالم الفوائد، مكة، (دت)، ص49.

7- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص474.

وحركات[1]، ولكي تكون القراءة صحيحة لابد من توفر ثلاثة أركان وضحها ابن الجزري في قوله: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على النــاس قبولها»[2]، وعليه تنقسم القراءات عند القراء إلى **قسمين:** الأول: القراءات **المتواترة (الصحيحة)** المتوفرة على الأركان الثلاثة، أما الثاني: هو القراءات **الشاذة (الضعيفة)**[3].

❖ **مكانتــها وأهميتها:**

يعد علم القراءات من أجل العلوم قدرا وأعلاها منزلة، لتعلقه بأشرف الكتب السماوية على العموم، وأفضلها على الإطلاق وهو القرآن الكريم، لأن مادة هذا العلم هي حروف وكلمات القرآن الكريم، وتظهر أهميتها فيما يلي:

*صيانة كتاب الله من التحريف والتغيير مصداقا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[4].

*تيسير قراءة كتاب الله بلهجات مختلفة ومتنوعة، وعصمة القارئ من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، مع ترجيح بعض الأوجه التفسيرية وبعض الأحكام الفقهية.

*اختلاف القراءات دلالة على تجلي وجوه الإعجاز القرآني، وبروز سمو بلاغته، فهذه الميزة لا نظير لها في الكتب السماوية السابقة[5]، لذا يعد تعلّمها وتعليمها فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، وان امتنعوا كلهم أثموا[6].

---

[1]– أحمد مفلح القضاة وآخرون، **مقدمات في علم القراءات**، دار عمار، عمان، ط1، 2001، ص192.

[2]– **النشــر في القــراءات العشــر**، ج1، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت)، ص09؛ **ينظر أيضا منظومته: طيّبة النشــر في القــراءات العشــر**، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، 1994، ص32.

[3]– ابن الجزري، **منجد المقرئين**...المصدر السابق، ص81-85.

[4]– **سورة الحجر، الآية 10.**

[5]– القسطلاني، المصدر السابق، ج1، ص356؛ منصور كافي، **علــم القراءات: مفهومه، نشأته، مصدره، أقسامه، ومدارسه**، دار العلوم، عنابة، 2008، ص ص22-23؛ شعبان محمد إسماعيل، **المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية**، ج2، دار الأنصار، مصر، (دت)، ص167.

[6]– القسطلاني، المصدر السابق، ج1، ص357؛ ابن الجزري، **منجد المقرئين**...المصدر السابق، ص77.

❖ **أهم كتب القراءات والرسم المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:**

*"**التيسير في القراءات السبع**" لأبي عمرو عثمان القرطبي الداني (**ت444هـ/1052م**)[1].

*"**الشاطبية**"[2]، واسمها الكامل: "**حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني**"[3] لأبي القاسم أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي (ت590هـ/1193م) إمام القراء، وهي نظم لكتاب "التيسير لأبي عمرو الداني" تتكون من 1173 بيت، جمعت بين استيعاب علم القراءات وسهولة حفظها لنظمها الممتاز واختصارها، ما وجه إليها أنظار الطلبة بالمغرب والأندلس، وامتد تعليمها إلى الكتّاب[4]، «فأغنت عمن سواها من كتب القراءات واعتنى الناس بشرحها»[5].

*"**المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**" لأبي عمرو الداني (ت444هـ) في علم رسم القرآن، وقد نظمه الشاطبي في قصيدته الشهيرة بالرائية التي ولع الناس بحفظها[6]، والمسماة: "**عقلية أتراب القصائد في أسمى المقاصد**"[7].

*"**أرجوزة الخرّاز**" المسماة "**مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن**"[8] لمحمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخرّاز (ت718هـ/1318م) في فن الرسم والضبط، اشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجروا كتب الداني والشاطبي[9]...

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص474.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص206. **ينظر عنها:** نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، **علم القراءات نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية**، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 2000، ص131–؛ محمد المختار ولد أباه، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، مطبعة بني ازناسن، المملكة المغربية، 2001، ص ص345–366.

[3]– **ينظر: الملحق رقم: 08 (مقتطفات من الشاطبية).**

[4]– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص474.

[5]– القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص470 .

[6]– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص475؛ أحمد مفلح القضاة وآخرون، المرجع السابق، ص192.

[7]– المرجع نفسه، ص193؛ محمد المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص270،

[8]– **ينظر عنها:** سعيد أعراب، **القراء والقراءات في المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص ص35–36؛ محمد المختار ولد أباه، المرجع السابق، ص491–.

[9]– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص475.

*"**أرجوزة ابن برّي**"[1] المسماة "**الدرر اللوامع في أصل قراءة الإمام نافع**" لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن برّي التازي (ت731هـ/1330م)، نظمها سنة (697هـ) مكونة من 273 بيت، لقيت إقبالا كبيرا في حياة مصنفها[2].

❖ **أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم في علم القراءة والرسم والضبط:**

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن الرسول **صلى الله عليه وسلم** بطرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفية أداء الحروف وتناقله الناس، إلى أن استقرت منها سبع طرق اختصت بالانتساب إلى من اشتهر برواياتها، فصارت هذه القراءات السبع[3] أصولا للقراءة، ولم يزل القراء يتداولونها، ودونت فيها الكتب فصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا، وتناقله الناس بالمشرق والأندلس[4].

أما ببلاد المغرب فقد ظلت الدراسات القرآنية خلال القرنيين (5-6هـ/11-12م) في نطاق محدود، لا يتجاوز دائرة الأخذ والتلقي رغم وجود جمهرة كبيرة من علماء القراءات في هذه الفترة[5]، كما أن اعتمادهم كان على مؤلفات الأندلس خاصة "**الشاطبية**" و"**التيسير**" اللذين كان لهما الأثر البارز في ازدهار هذا الحقل من الدراسات الدينية[6]، وفي حدود أوائل القرن (7هـ/13م) بدأت الشخصية المغربية تبرز في عالم التأليف في فنون القراءات،

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص206.

[2]- محمد المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص269.

[3]- **القراء السبع هم:** نافع المدني (ت169هـ)، ابن كثير المكي (ت120هـ)، أبو عمرو البصري (ت154هـ)، ابن عامر الشامي (ت118هـ)، عاصم الكوفي (127هـ)، حمزة الزيات الكوفي (ت156هـ)، علي الكسائي (179هـ). **ينظر تراجمهم:** القسطلاني، المصدر السابق، ج1، ص171-؛ أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن السلاّر، **طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم**، تحقيق: احمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003، ص65-؛ أبو عبد الله الرعيني الأندلسي، **الكافي في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص28-؛ صابر حسن محمد أبو سليمان، **النجوم الزاهرة في تراجم القراء الأربعة عشر ورواتهم وطرقهم**، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1998، ص8-؛ محمد سالم محيسن، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ج1، دار الجيل ومكتبة الكليات الأزهرية، بيروت، القاهرة، ط2، 1988، ص18-؛ أحمد مفلح القضاة وآخرون، المرجع السابق، ص83-؛ منصور كافي، المرجع السابق، ص117-.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص473-474.

[5]- **ينظر عنها:** سعيد أعراب، المرجع السابق، ص ص35-36؛ محمد المختار ولد أباه، المرجع السابق، ص491-.

[6]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص269.

وباعتبارهم مالكيين اتجه اهتمامهم إلى الأخذ بمقرأ الإمام نافع (ت169هـ)، لاعتماد إمامهم مالك عليها في قراءته، وبذلك اختاروا الجمع بين قراءة إمام المدينة وفقه عالمها[1]، لذا اعتنى بها العلماء وشغفوا بها أعظم شغف وألفوا فيها التآليف العديدة، ولعل أغلبها عبارة عن شروح لكتب سابقيهم أو كتابة الحواشي والأراجيز عليها.

ولعل أهم علماء المغرب الأوسط في هذا العلم: **أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي (ت750هـ/1350م)** شيخ القراءات بالمغرب، تتلمذ على يديه ابن خلدون واصفا إياه بقوله: «كان إماما في فن القراءات وصاحب ملكة فيها لا تجارى، وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود» [2]، أما ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1380م) فقد قال عنه: «لم ير في عصره أطيب منه نغمة ولا أحسن صوتا ولا أنداه، لم أر في المشرق والمغرب نظيرا له، ولا رأيت من رأى مثله يسلب العقول ويذكر بالله، لا تملك النفوس ولا الشؤون عن سماعه هذا مع إتقان الضبط وإحكام الروايات وعلو السند، مع العناية في إخراج الحروف من مخارجها وتوفية أدوات القراءة، فلا يخفى على المستمع حرف مع الإحسان البليغ، والله ما رأيت قبله ولا بعده في قطر من الأقطار مثله» [3].

و**ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)**: وصفه العسقلاني في قوله: «نعم الرجل هو معرفة بالعربية والفنون وحسن الخط والخلق والوقار والمعرفة والأدب التام»[4]، تبحر في علوم كثيرة وساهم في علم القراءات بأرجوزته "**رجز حرز الأماني**"[5]، أما **عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1490م)** فشرح منظومة ابن برّي وسماها: "**المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع**"[6]، جمع فيها ما تفرق من الشروحات، تمتاز بتنبيهات وتحرير مسائل مع المعمول به في قراءة الإمام نافع مع روايتي قالون وورش[7]، كما

1- سعيد أعراب، المرجع السابق، ص16، ص21.

2- **التّعريف**...المصدر السابق، ص838.

3- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص269.

4- **الدرر الكامنة**...المصدر السابق، ج3، ص392.

5- المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص430.

6- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص259؛ بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث: نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**، مراجعة: عثمان بدري، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2007، ص56.

7- يوسف إلياس سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (دت)، ص661.

ألف كتابا آخر سماه "**التقاط الدرر**"[1]، بالإضافة إلى **محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م)** الذي قام بشرح كتبه سابقيه، مثل كتاب "**ضبط الخراز**" لكنه لم يكمله[2]، كما شرح "**الشاطبية الكبرى**"، واختصر كتاب "**المختصر في القراءات السبع**"[3].

و**محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م)** اشتهر بكتاب "**الطراز في ضبط الخراز**" وهو شرح لقسم الضبط من أرجوزة الخرّاز المسماة "**مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن**"[4]، وقد ورد في مقدمته: «فاني لما رأيت من تكلم على ضبط الأستاذ أبي عبد الله الشريشي الشهير بالخراز، وجدته بين مختصر اختصارا مخلا، ومطول تطويلا مملا، فاشتاقت نفسي إلى أن أضع عليه شرحا متوسطا يكون أنشط لقارئه وأقرب لفهم طالبه، فشرعت فيه مستعينا بالله تعالى وسميته بالطراز في شرح الخراز...» [5]، قال عنه الوادي آشي: «أجاد فيه وأفاد، وأحسن ما شاء وأراد»[6].

و**محمد شقرون بن أحمد المغراوي المعروف بالوهراني (ت929هـ/1522م)** صاحب كتاب "**تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع**"، فرغ منه سنة (890هـ)[7]، بالإضافة إلى علماء آخرين بذلوا جهودا معتبرة في ازدهار هذا الفن، في تدريسه والإشراف على تكوين جيل من القراء المغاربة ممن ازدانت بهم مجالس العلم في مختلف الحواضر المغربية والمشرقية.

1– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص259؛ البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت)، ص117.

2– الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص443.

3– المصدر نفسه، الصفحة نفسها؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص572.

4– ابن مريم، المصدر السابق، ص 248.

5– التنسي، **الطراز في شرح ضبط الخراز**، تحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2000، ص ص25–26.

6– **ثبت الوادي آشي**...المصدر السابق، ص373.

7– بشير ضيف، المرجع السابق، ص58.

ب- عـــــلم التفسيـــــــــر:

❖ مفهومـــه لغـــــة:

اتفقت المعاجم اللغوية أن التفسير في اللغة مأخوذ من الفُسْر، بمعنى الإبانة وكشف المغطّى وإظهار المعنى، فنقول: فسر الشيء يفسِره، ويفسُره فسرًا: أي بينه وأوضحه، وكشف المراد عن اللفظ المشكل، أي: إيضاح معناه[1]، بإخراجه من مقام الخفاء إلى مقام التجلي[2].

❖ مفهومه اصطلاحا:

اختلفت أساليب العلماء في تعريف التفسير اصطلاحا، ورغم كثرتها[3] واختلاف ألفاظها ومبايينها، إلا أنها اتفقت في مقاصدها ومعانيها، في أنّ التفسير «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»[4].

❖ نشأتـه وتطـــوره:

يعتبر علم التفسير أول العلوم الإسلامية ظهورا، إذ بدأ الخوض فيه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعد أول شارح ومفسر للقرآن الكريم، وفي عهد الخلفاء الراشدين حيث كانوا يدركون معاني القرآن بسهولة ويسر[5]، لذا لم ينقل إلينا عن الصدر الأول تفسير القرآن وتأويله، وذلك لأنه أنزل باللسان العربي في زمن أفصح العرب[6] وعلى أساليب

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص55؛ الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص456؛ البستاني، المصدر السابق، ص689؛ محمد بن أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ص211؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج13، تحقيق: حسين نصار وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1974، ص223-؛ علي بن محمد الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص65-.

[2]- أبي الفرج بن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، دار ابن حزم والمكتب الإسلامي، لبنان، ط1، 2002، ص29.

[3]- **ينظر**: ابن حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط، ج1**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص10؛ بدر الدين الزركشي، **البرهان**...المصدر السابق، ج1، ص13؛ ج2، ص148؛ جلال الدين السيوطي، **الإتقـــان في علـــوم القرآن**، ج6، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مكتبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، ص2264؛ الكافيجي، **التيسير في قواعد علم التفسير**، تحقيق: محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998، ص21؛ محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص11.

[4]- عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ج2، ص6.

[5]- عوض عبد الكريم ذنيبات، **المختار من تاريخ العلوم عند العرب**، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، ط1، 2008، ص123.

[6]- ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص159.

بلاغتهم، لذا كانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه[1]، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل في الدين أقوام كثيرة، كان يصعب عليهم فهم معاني الكثير من الآيات الشريفة باعتبار أن القرآن الكريم نزل على أعلى درجات البلاغة اللغوية، لذا ظهرت الحاجة إلى تفسير الآيات وتبسيط بيان معانيها ودلالتها[2]، لذا قال ابن الأكفاني (ت749هـ/1348م) «نحن أشد احتياجا إلى التفسير لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة»[3].

❖ **أنواع التفسير وشروط المفسّر وأدواتـــه:**

قسم المسلمون التفسير انطلاقا من مبدئه ومصدره إلى نوعين وهما:

أ- **التفسير بالمأثور**: وهو التفسير بالرواية أو النقل، أي: تفسيره بالقرآن أو بالسنة أو الوقوف على أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم[4]، لذا يعد من أشرف أنواع التفسير وأتقنها وأفضلها، لأن طريق معرفته صحيحة، لاعتماده على صحيح المنقول، فهو سبيل آمن لحفظ كلام الله من الزلل والزيغ[5].

ب- **التفسير بالرأي**: يسمى التفسير بالدراية أو التفسير بالمعقول، يعتمد على الاجتهاد المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متينة[6]، ولتحقيق ذلك لابد له من الاستعانة بعلوم كثيرة حتى يتسنى له تأدية المعنى بحسب المقاصد.

والبحث في التفسير يقضي لصاحبه أن يكون له منهج سليم وطريق دقيق حتى يتجنب الوقوع في الخطأ والزلل وكما قـيل: «اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله تعالى»[7]، لذا هو علم عسير يسير[8]، يحتاج صاحبه إلى العلم الواسع والرغبة الملحة والصبر والتحمل وفسيح

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص475.

[2]- عوض عبد الكريم ذنيبات، المرجع السابق، ص125.

[3]- **إرشاد القاصد**...المصدر السابق، ص159.

[4]- عوض عبد الكريم ذنيبات، المرجع السابق، ص125.

[5]- طاهر محمود محمد يعقوب، المرجع السابق، ص50؛ **ولأكثر تفاصيل ينظر**: ص ص52-63.

[6]- محمد علي الصابوني، **التبيان في علوم القرآن**، مكتبة البشرى للطباعة والنشر، باكستان، طبعة جديدة، 2011، ص100؛ **ينظر أيضا**: ابن القيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ج2، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ، ص124.

[7]- طاهر محمود محمد يعقوب، **أسباب الخطأ في التفسير: دراسة تأصيلية**، ج1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ، ص49.

[8]- جلال الدين السيوطي، **الإتقان**...المصدر السابق، ج6، ص2268.

الآجال، والتوفيق الإلهي، والرؤية الواضحة والثاقبة[1]، بالإضافة إلى صحة معتقده ومقصده وتجرده عن الهوى[2]، كما أنه لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن، إلا لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج إليها المفسر وهي كالآلة له، فلا يكون مفسرا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المَنهِيّ عنه[3]، وهي تنحصر مابين (15- 24) علما، مقسمة إلى لفظية وعقلية وموهبية منها: اللغة، والاشتقاق، والتصريف، والنحو، وعلم المعاني والبيان والبديع، والقراءات...[4].

❖ **أهميتـــــــه:**

يعد التفسير من أشرف العلوم الدينية والعربية، إن لم يكن أشرفها جميعا، وذلك لسمو موضوعه وعظم فائدته[5]، لذا يعتبر من أول من يُدون من علوم القرآن، لأنه هو «الأصل في فهمه وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام»[6]، لذا أهميته كبيرة شبهها ابن الجوزي في قوله: «مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا، وليس عندهم مصباح، فتداخلهم في مجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه»[7].

كما يعتبر أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان، حصل لها الشرف من الجهات الثلاثة: وهو أن **موضوعها** المفسَّر: كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة...، و**غرضه:** التمسك بالعروة الوثقى...والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لها فناء لها[8]، أما

---

[1]- إبراهيم الوافي، **الدراسـات القرآنية بالمغـرب خلال القران الرابع عشر الهجري**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص318.

[2]- **ينظر:** محمد دراجي، **محـاضرات في علــم التفسير ومنـاهج المفسرين**، منشورات غبريني، الجزائر، ط1، 2005، ص26-.

[3]- جلال الدين السيوطي، **الإتقان**...المصدر السابق، ج6، ص2293 ، ص2297.

[4]- **ينظر عنها:** الكافيجي، المصدر السابق، ص ص27-29؛ أبي القاسم الراغب الأصفهاني، **مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط1، 1984، ص ص94-96؛ ابن حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج1، ص105-.

[5]- عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ج2، ص11.

[6]- خالد عبد الرحمن العك، **أصـول التفسيـر وقواعـده**، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986، ص28.

[7]- أبي الفرج بن الجوزي، **زاد المسير**...المصدر السابق، ص29.

[8]- الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص ص91-92.

من جهة شدة **الحاجة** فلأن كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة مع العلم بكتاب الله[1].

❖ **أهم كتب التفسير المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:**

*"**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**" لأبي القاسم عمر الزمخشري (ت538هـ): يعد من أحسن التفاسير إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال يأتي بحججهم الفاسدة، لذا حذر منه أهل السنة واعتبروه غير مأمون ولا يوصى بدراسته إلا لمن كان متمكنا في اللسان والبلاغة وأصول الدين على المنهج السني[2].

*"**المحرر الوجيز في شرح كتاب الله العزيز**" لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي (541هـ)، وهو من أهم الكتب المتداولة في المغرب والأندلس حسن المنحى اعتمد صاحبه على التحقيق والتمحيص خلال تلخيص التفاسير وتحري الصحة[3].

*"**كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**" لأبي العباس احمد بن عمار المهدوي، و"**جامع البيان في تفسير القرآن**" لأبي الحسن علي بن محمد الطبري (ت310هـ/922م)، و"**الكشف والبيان في تفسير القرآن**" لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري (ت427هـ/1036م)[4]، و"**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**" لفخر الدين الرازي (ت604هـ/1207م)[5]، وتفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ/1273م) المسمى: "**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان**"[6]، بالإضافة إلى "**تفسير الواقدي**"، **وتفسير الثعالبي** (ت875هـ) المسمى "**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**"[7]، و"**تفسير البيضاوي**" لناصر الدين عبد الله (ت692هـ)

1– جلال الدين السيوطي، **الإتقان**...المصدر السابق، ج6، ص2273.

2– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص476-477.

3– المصدر نفسه، ص476؛ **ينظر عن هذا الكتاب**: محمد المختار محمد المامي، **المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002، ص ص131-133.

4– الغبريني، المصدر السابق، ص25؛ ص ص310-311.

5– عبد الرحمن الثعالبي، **الجواهر الحسان**... المصدر السابق، ج1، ص93.

6– ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص277؛ **ينظـــر عنـــه**: محمد المختار محمد المامي، المرجع السابق، ص ص134-136.

7– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص476.

المسمى "**أنوار التنزيل**"[1]، وتفسير البيهقي "**التهذيب**"، وتفسير الدرامي "**الاستذكار**"[2]، و**تفسير الزجاجي** (ت316هـ)، وتفسير"**أحكام القرآن**" للمعافري (543هـ)، و"**التفسير الكبير**" لفخر الدين الرازي (257هـ)، وتفسير الخازن (ت275هـ) "**التأويل في معاني التنزيل**"، وتفسير أبي حيان الأندلسي (ت745هـ) "**البحر المحيط**"[3]...

❖ **أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم في علم التفسير:**

أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م) كان له إسهام وافر وحضور قوي في علم التفسير، عالم بقراءاته ورواياته، وفنون علومه من بيان وأحكام وناسخ ومنسوخ وغيرها، فقد فسَّر القرآن خمسا وعشرين سنة، كل يوم ربع حزب بحضرة أكابر الملوك والعلماء والصلحاء والطلبة[4]، قال عنه البشير الإبراهيمي: «لم ينقل لنا تاريخ العلماء بهذا الوطن أنَّ عالما ختم تفسير القرآن كله درسًا إلَّا ما جاء فيه عن الشريف التلمساني، انه ختم القرآن كله في المائة التاسعة»[5]، كما وضح لنا شيئا آخر أنه لم يصلنا شيء من تفسيره، ولعل التقصير في الحرص والاحتياط كتابة وتقييدا يرجع إلى تلامذته الملازمين لحلقاته التفسيرية، كما قال: «...ولكن لم ينقل لنا منه شيء، لأن تلامذته كانوا في التقصير كتلامذة ابن باديس، ولو كانوا على درجة من الحرص والاحتياط لوصلنا شيء من ذلك»[6].

ورغم غياب هذا التراث المعرفي الضخم إلا أنه مساهمته في علم التفسير واضحة، إذ تبوأ فيه مكانة عالية، سلم له معاصروه وأقرانه من العلماء بأنه إمام هذا الفن بلا منازع، ولعل ما يثبت ذلك ما حدث في بلاط السلطان أبي عنان المريني[7]، الذي طلب من العالم الحافظ أبي عبد الله المقري إقراء التفسير فامتنع منه وقال: «أبو عبد الله الشريف أَوْلى مني

1– هو مختصر الكشاف للزمخشري، ويعد سيد المختصرات. **ينظر:** الزمخشري، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009، ص17.

2– عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص39.

3– مختار حساني، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ج2، ص291.

4– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص436؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص172.

5– أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، (1964–1954)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص314.

6– أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، نفس الصفحة.

7– محمد الدراجي، "**من إعلام المفسرين التلمسانيين في الماضي والحاضر**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3–4، أفريل– ماي2011، ص38.

بذلك»، فقال له السلطان: «إنك عالمٌ بعلوم القرآن وأهلٌ لتفسيره فاقْرَأْه»، قال له: «إنَّ أبا عبد الله أعلم بذلك مني فلا يسعني الإقراء بحضرته، فعجبوا من إنصافه، ففسَّر أبو عبد الله بحضرة كافة علماء المغرب مجلسًا في دار السلطان، ونزل عن سرير ملكه وجلس معهم على الحصير، فنبع منه ينابيع الحكمة ما أدهش الحاضرين وأتى بما لم يحيطوا به حتى قال السلطان عند فراغه: «إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره»[1].

إن هذا المديح دليل على رسوخه قدمه في التفسير، فدرسه الشفهي اليومي كان فرصة لإبراز قدراته في هذا العلم وقواعده، واطلاعه على أقوال المفسرين وجهودهم في تفسير الآيات وبيان أسباب اختلافهم وطرق الترجيح بينها، كل ذلك جعله يتبوأ مكانة عالية[2].

و**سعيد العقباني التلمساني (ت811هـ/1480م)**: فقيه مالكي متفنن في علوم كثيرة، ساهم في علم التفسير من خلال شرحه لعدة سور كريمة منها "**سورة الفاتحة**" و"**الأنعام والفتح**" أتى فيهم بفوائد جليلة[3]، و**أحمد بن أحمد البسيلي أبو العباس (830هـ/1427م)** الفقيه مالكي مفسر، له تقييد جليل في التفسير قيّده عن شيخه ابن عرفة (803هـ) فيه فوائد وزوائد ونكت[4]، يقع في مجلدين جمع فيه ما حفظه عن شيخه أو عن بعض حذاق طلبته، كما أضاف له كلام مفسرين آخرين، يوجد منه عدة نسخ في الخزانة العامة بالرباط[5].

و**ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)** وصفه التنبكتي «بالإمام العالم العلم جامع أشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا»[6]، «كان آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول والقيام الأكمل على الفنون بأسرها...من معرفة التفسير ودرره

1- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص435؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص171.

2- محمد الدراجي، المقال السابق، ص38.

3- ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص204-205؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص106؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص205؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ج2، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ص401؛ الداوودي، **طبقات المفسرين**، ج1، تحقيق: لجنة علماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص189؛ الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص101؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**...المرجع السابق، ج1، ص210؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص39.

4- **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص115.

5- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص ص438-439؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ج1، مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1988، ص71.

6- **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص503.

والاطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد»[1]، ومن إسهاماته: "**بحر المحيط و كشاف دقائقه بلفظه الوجيز الفائق على البسيط الوسيط**"[2] و"**الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات**"[3]، بالإضافة إلى تميزه بتدريس إعراب القرآن[4]، وتفسير بعض سوره "**كالإخلاص**"[5]، و"**المائدة**" و"**مريم**" حتى قيل فيه بأنه فارس التفسير[6].

وهناك أيضا **أبي العباس أحمد بن زاغو التلمساني (ت845هـ/1441م)** كان أعلم الناس في وقته بالتفسير، يدرسه في المدرسة اليعقوبية في فصل الشتاء حسبما ذكره تلميذه القلصادي[7]، ومن كتبه: "**مقدمة في التفسير**" و"**تفسير الفاتحة**" كان «غاية الحسن كثير الفوائد»، و"**التذييل في ختم التفسير**"[8].

و**أبو عبد الله محمد بن العباس (ت871هـ/1379م)**[9] فقيه متفنن في العلوم[10]، من أكابر علماء تلمسان وأحد أوعية العلم بها[11]، ساهم في التفسير وأبدع فيه بحضرة سلطان تلمسان وكبار علمائها فتكلم في التعوذ والبسملة والفاتحة وفسرها، ثم لما شرع في تفسير مطلع سورة الفتح أغلق عليه، فانجده تلميذه ابن زكري بذكر محل إعراب ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾[12] بأنه الحال، ففتح عليه فلم يزل يفسرها من الضحى إلى الزوال، فلما فرغ الشيخ من

1– التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص500.

2– بشير ضيف، المرجع السابق، ص ص42-43.

3– البغدادي، **إيضاح المكنون...المصدر السابق**، ص07.

4– القلصادي، **الرحلة**...المصدر السابق، ص97.

5– التنبكتي، **كفاية المحتاج**...المصدر السابق، ج2، ص143.

6– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص440.

7– **الرحلة**...المصدر السابق، ص103.

8– المصدر نفسه، ص ص103-104؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص119؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص42؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**...المرجع السابق، ص71.

9– هو **محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني**، شيخ فقيه وخطيب جامع العباد، اخذ العلم عن ابن مرزوق الحفيد ...، وممن أخذ عنه: التنسي والسنوسي... توفي بالطاعون سنة (871هـ) ودفن بالعباد. **ينظر:** ابن مريم، المصدر السابق، ص223-؛ القلصادي، المصدر السابق، ص109؛ محمد مخلوف، المرجع السابق، ص264.

10– القلصادي، المصدر السابق، ص109.

11– ابن مريم، المصدر السابق، ص223.

12– **سورة الفتح، الآية 01.**

مجلسه ضم تلميذه إلى صدره ودعا له وقال : «يا ولدي فتحت علي فتح الله عليك»، وهذا دليل تفوق التلميذ وأستاذه في علم التفسير، حيث تركا انطباعا جيدا لدى السلطان[1].

أماعبد **الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1490م)** ساهم بتصانيف كثيرة ومفيدة أهمها "**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**" الذي يعد التفسير الوحيد المكتوب الذي وصلنا من القرن التاسع، ألفه في ريعان شبابه[2]، وانتهى منه في 25 ربيع الأول (833هـ/1430م)[3]، وهو اختصار لتفسير ابن عطية المسمى "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" في جزأين[4]، وزاد عليه بعض الفوائد من كتب المفسرين السابقين والتي تقرب عن مئة تأليف[5]، فكان في «غاية الحسن فيه زبدة ابن عطية مع فوائد وزوائد كثيرة»[6].

بالإضافة إلى كتبه الأخرى في إعراب القرآن وغريبه مثل: "**نفائس المرجان في قصص القرآن**" و"**الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز**"و "**تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن**"[7]، وهو ذيل للجواهر الحسان على شكل معجم لغوي لشرح غريبه، ويسمى أيضا: "**معجم مختصر في شرح ما وقع في كتاب الجواهر الحسان من الألفاظ الغريبة**"[8].

و**محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م)** قال عنه تلميذه الملالي: «له في علوم الظاهر أوفر نصيب، جمع من فروعها وأصولها السهم والنصيب، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره، ولاسيما التوحيد والمعقول... وانفرد بعلوم الباطن، بل زاد على الفقهاء مع معرفة حل المشكلات ولاسيما التوحيد، لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة، ولاسيما التفسير والحديث»[9]، قام بتفسير القرآن الكريم في مسجده بتلمسان،

---

[1]– ابن مريم، المصدر السابق، ص40.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص116.

[3]– الثعالبي، **الجواهر الحسان**...المصدر السابق، ج5، ص643.

[4]– **الضوء اللامع**...المصدر السابق، ج4، ص152.

[5]– الثعالبي، **الجواهر الحسان**...المصدر السابق، ج1، ص ص117–120.

[6]– **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص259؛ **كفاية المحتاج**...المصدر السابق، ج1، ص279.

[7]– المصدر نفسه، ج1، ص280؛ الثعالبي، **الجواهر الحسان**...المصدر السابق، ج1، ص37؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص41؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**...المرجع السابق، ج1، ص276.

[8]– عادل نويهض، المرجع نفسه، ج1، ص276؛ بشير ضيف، المرجع نفسه، ص41.

[9]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص564.

حضر مجلسه الوادي آشي في "**سورة الفاتحة**" وأوائل "**سورة البقرة**"[1]، وقال بأن تفسيره كان ختما لتواليفه، ومقدمة بين يدي خاتمته، انتهى فيه إلى قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2]»[3].

إن ما هو معروف عن السنوسي أنه فسر القرآن الكريم كاملا في مسجده ورفض أن يكون في مسجد السلطان أو بحضور أعيانه رغم طلبهم لذلك، ولما قرب على ختمه ووصل في سورة الإخلاص التي عزم على تفسيرها في الغد ومن ثم المعوذتين بعدها في اليوم الذي يليها علم بحضور الوزير فعجل بتفسيرهم خيفة حضوره[4].

ولعل أن هذا التفسير كان شفهيا لأنه لم يصلنا من تدوينه إلا القليل، وضاع من جملته ما ضاع من الكنوز العلمية، فما دوّن منه "**سورة الفاتحة**" التي حرص تلميذه الملالي على نقلها رغم طولها، كما فسر صدر "**سورة البقرة**"، وسورة "**ص**" وما بعدها من السور[5]، و"**اختصر حاشية التفتازاني**"[6] على الكشاف[7]، **وشرح** "**كلام ابن البناء**"[8] في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ**﴾[9].

---

[1]– **ثبت الوادي آشي**...المصدر السابق، ص436.

[2]– **سورة البقرة، الآية 05.**

[3]– المصدر نفسه، ص442.

[4]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص566.

[5]– ابن مريم، المصدر السابق، ص247؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص572؛ الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص446؛ عبد العزيز صغير دخان، المرجع السابق، ص ص118–119؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين**...المرجع السابق، ج1، ص657؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص45.

[6]– هو **مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين:** من خراسان ولد سنة (712هـ/1312م)، برع في: العربية والبيان والمنطق...، وصاحب التصانيف الكثيرة مثل: "حاشية على الكشاف في التفسير للزمخشري"، توفي (791هـ/1390م). **ينظر:** الداوودي، المصدر السابق، ج2، ص319؛ جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة**...المصدر السابق، ج2، ص670.

[7]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص572؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص246.

[8]– عبد العزيز صغير دخان، المرجع السابق، ص120؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص439.

[9]– **سورة الحجرات، الآية 11.**

و**أحمد بن محمد بن زكري (ت899هـ/1442م)** الذي يعد علامة الوقت خلال القرن (9هـ/15م)، عظمه علماء تلمسان لتبحره في العلوم واتساعه في الرواية وعلو طبقاته في المنقول والمعقول لذا انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، فكان شيخ الفتوى وإمام التدريس[1]، خاصة في علم التفسير فكان المفسر الأبرع[2]، ومن إسهاماته في هذا الفن "**حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي**" المسمى "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" حيث تتبعه في كثير من المسائل وانتقده فيها، خاصة ذات الطابع الاعتزالي –لاعتماد صاحبها على كتابي: "**الكشاف**" للزمخشري و"**مفاتيح الغيب**" لفخر الدين الرازي–، وهذا دليل المفسر الناضج المتسلح بالعقل والنقد في التعامل مع التراث التفسيري[3].

بالإضافة إلى علماء آخرين أمثال: **محمد بن عبد الكريم المغيلي** (ت909هـ) الذي شارك من خلال تفسيره "**لسورة الفاتحة**"، وتأليفه لكتاب "**البدر المنير في علوم التفسير**"[4]، و**ناصر الدين المشذالي (ت731هـ/1331م)** كان مجتهدا أكثر منه ناقلا، أشاد به الغبريني وبدروسه الحسنة المنقحة في تفسير كتاب الله وحديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم**[5]، **ومحمد بن احمد بن النجار (ت846هـ)** فقيه أصولي شارك في العلوم النقلية والعقلية، يعتبر القلصادي واحدا من بين تلامذته الذين حضروا دروسه في تفسير القرآن بتلمسان[6]، و**إبراهيم بن فائد بن موسى الزّواوي (857هـ/1458م)**[7] من أهل بجاية استقر في قسنطينة، برع في عدة علوم منها التفسير فصنف فيه كتاب "**تفسير القرآن**"[8].

1– محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، المصدر السابق، ص119؛ ص122.

2– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص129.

3– محمد الدراجي، المقال السابق، ص39.

4– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص577؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص255؛ عادل نويهض، **معجم المفسريين**...المرجع السابق، ج2، ص555؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص44.

5– **عنوان الدراية**...المصدر السابق، ص201.

6– **الرحلة**...المصدر السابق، ص102؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص221–222.

7– **ينظر ترجمته**: الداوودي، المصدر السابق، ج1، ص17؛ السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص116؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج**...المصدر السابق، ج1، ص164–؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج1، ص193؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص262؛ عادل نويهض، **معجم المفسرين** ...المرجع السابق، ج1، ص18.

8– الداوودي، المصدر السابق، ج1، ص17؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص35 .

2- علــــــم الحديـــــــــث:

أ- مفهومه لغـــــــة:

أصله ضد القديم، ويطلق أيضا على قليل الكلام وكثيره، وإطلاق الحديث على الكلام لأنه يحدث شيئا فشيئا، وجمع حديث أحاديث على غير قياس[1].

ب- مفهومه اصطلاحا:

يقول عنه عبد الرحمن بن خلدون بأنه «فن شريف في مغزاه، لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريف»، أي هو مختص بحديث رسول الله **صلى الله عليه وسلم** رواية ودراية، فمنها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه، ومنها ما يتعلق بالنظر في الأسانيد، بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط، ومراتب النقلة من الصحابة التابعين، وهذا هو علم الرواية، ومنها ما يتعلق بمتون الأحاديث وما يقع في ألفاظها من غريب أو مشكل أو تصحيف أو متفرق منها أو مختلف وهذا هو علم الدراية[2]، وفي تعريف آخر هو «علم يعرف به أقوال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأفعاله وأحواله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية»[3]، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: **الصحيح والحسن والضعيف**[4].

---

[1]- السيوطي، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، ج1، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، 09.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص477-479.

[3]- السيوطي، **تدريب الراوي**...المصدر السابق، ص09؛ محمد بن محمد أبو شهبة، **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث**، عالم المعرفة، دون دار وتاريخ نشر، ص15.

[4]- **ينظر**: عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، **الأقنوم في مبادئ العلوم**، مخطوط بالخزانة الملكية، الرباط، رقم: 6585، ورقة 5؛ ابن الصلاح، **معرفة أنواع الحديث**، تحقيق: عبد الطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002، ص79؛ محي الدين بن شرف النووي، **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985، ص25-؛ بدر الدين الزركشي، **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، ج1، تحقيق: زين العابدين بلا فريح، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1998، ص88-؛ السخاوي، **التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر**، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة أضواء السلف، الرياض، (دت)، ص30-؛ ابن جماعة، **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، 1986، ص33-؛ الألباني، **علوم الحديث**، جمع وإعداد: عصام موسى هادي، الدار العثمانية ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003، ص11-.

ج- أهم كتب الحديث المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

*"**صحيح البخاري**" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869م): وهو أول الصحاح وأعلاها رتبة، قال عنه ابن مرزوق: «هو الكتاب الذي لا نظير له، أحد كتب الإسلام المعتمدة، وهو أصحها صحيحا وأكثرها فوائد وأعظمها نفعا وأشهرها بركة... عرف ذلك في المشارق والمغارب»[1]، ونظرا لشساعته ولطريقة جمعه وتكرار أحاديثه صعب شرحه لدرجة قال عنها ابن خلدون: «ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون أن أحدا من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار»[2]، لذا اقبل عليه الطلبة والعلماء تدريسا وشرحا، كما اعتنى به السلاطين نسخا، فقد نسخه بيده السلطان الزياني أبي زيان محمد الثاني (ت801هـ)، وحبسه بالمكتبة التي أنشاها بالجامع الكبير بتلمسان، وهذا دليل على مكانة هذا الكتاب خلال هذا العصر[3].

*"**المسند الصحيح**" للإمام مسلم بن حجاج القشري (ت261هـ/874م): يعد أحد أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، وقد اختلف الناس في المفاضلة بينهما[4]، في حين كثرت عناية علماء المغرب بصحيح مسلم وأكبوا عليه واجمعوا على تفضيله على صحيح البخاري الذي استصعب على الناس شرحه[5].

*"**كتاب الموطأ**" للإمام مالك بن انس (ت79هـ/769م): وهو معتمد أهل المغرب فقها، يحتوي على الأحاديث الصحاح بسند أهل الحجاز، رتبه على أبواب الفقه[6].

وسنن **الترميذي** (ت279هـ/892م)، **وأبي داود السجستاني** (ت275هـ/888م)، **وأبي عبد الرحمن النسائي** (ت303هـ/915م)، إلى جانب كتب أخرى كان لها رواجا كبيرا مثل: "**المعلّم بفوائد مسلم**" للإمام المارزي محمد بن علي (ت536هـ)، أكمله القاضي عياض (ت544هـ/1149م) وسماه "**إكمال المعلم**"[7]، وله أيضا كتاب "**الشفا بتعريف حقوق**

---

[1]- **المسند**...المصدر السابق، ص275.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص478-480.

[3]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص211.

[4]- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص276.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص479-480.

[6]- المصدر نفسه، ص478.

[7]- نفسه، ص479-480.

المصطفى"[1] الذي لقي عناية المتقدمين والمتأخرين على مستوى الشرح والتدريس[2]، وقد عني بنسخه السلطان الزياني أبي زيان محمد الثاني، وحبسه بمكتبة الجامع الأعظم بتلمسان[3]، وكذلك "**السيرة**" لابن إسحاق تهذيب ابن هشام قال عنه ابن مرزوق: «وهو الكتاب العظيم القدر، الشريف المنتمى»[4]، و"**علوم الحديث**" لأبي عمر بن الصلاح (ت643هـ/1245م)، وكتاب "**الأربعين النووية**" لمحي الدين النووي (ت1275/677م)[5]، و"**عمدة الأحكام**"[6] لتقي الدين المقدسي الحنبلي (ت600هـ/1204م)[7].

وهناك كتب أخرى أشار إليها الغبريني في برنامجه الدراسي: "**التمهيد والاستذكار**" لابن عبد البر النمري (ت463هـ)، و"**المنتقى**" للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ)، و"**المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار**" لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني[8]...

د- أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم الفكري في علم الحديث:

يعد علم الحديث «أشرف العلوم وأجلها وأنفعها وأبقاها ذكرا وأعظمها أثرا، تأتي مكانته بعد القرآن الكريم مباشرة، لذا عنيت به الأمة الإسلامية من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الأحاديث وروايتها، والالتزام بها علما وعملا وسلوكا وأخلاقا، ثم عنيت بجمعها وتدوينها في كتب الأحاديث والسنن»[9]، وقد نال حظه وحافظ على مكانته في جميع

---

[1]- يعد من أهم الكتب التي عرفت بحقوق الرسول عليه السلام، وصفاته وأحداثه وأخباره، ذاع صيته مشرقا ومغربا لقي عناية المتقدمين والمتأخرين على مستوى الشرح والتدريس. **ينظر:** القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص03-.

[2]- الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص281.

[3]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص211.

[4]- **المسند**...المصدر السابق، ص277.

[5]- الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص281؛ عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص479.

[6]- اسمه: **العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.

[7]- ابن مرزوق، **تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام**، ج1، تحقيق: سعيدة بحوت، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2011، ص175.

[8]- **عنوان الدراية**...المصدر السابق، ص314.

[9]- محمد بن محمد أبو شهبة، المرجع السابق، ص05.

العصور، ففي العهد المدروس كان من العلوم المشهورة والمتناولة التي أولاها العلماء عناية هامة تصنيفا وتدريسا، كما خصصت له مجالس عديدة ومناظرات يحضرها مختلف شرائح المجتمع بما فيهم العامة لينهلوا منه ما استطاعوا، كما أقيمت على شرف الطلبة الذين يختمون كتبه حفلات كبيرة إجلالا وجمالا[1]، حيث برز فيه شيوخ متضلعون ضربوا بسهم وافر فيه ولعل أبرزهم: **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت680هـ)** الذي تربع على عرش الحديث، وانتهت إليه «رئاسة التدريس والفتوى بالمغرب»[2]، كان له فيه إسنادا عاليا بتلمسان وفاس ومكة، أعطى لها بعدا هاما وكانت له فيه طرق عالية وصفت بأنها أحسن طريقة فصار يضرب بها المثل[3].

و**المقري الجد (ت759هـ/1358م)**[4] الذي عرف بالاجتهاد والاطلاع، مكبا على النظر والدرس والقراءة، لذا عين قاضيا للجماعة بفاس وتلمسان، كان مشاركا في علم الحديث حافظا له، يقرئ صحيح مسلم بحضرة السلطان أبي عنان المريني، اقتصر إسهامه في التأليف على قسم من **أحاديث الأحكام** التي شملها مؤلفه "**عمل من طب لمن حب**"، قال عنه صاحبه في مقدمته: «الحمد لله هذا كتاب طب من لمن حب ضمنته من أحاديث الأحكام أصحها، ومن كلياتها أصلحها، ومن قواعدها أوضحها ومن حكمها أملحها»، فرغ من تأليفه سنة (753هـ/1142م)[5]، رآه المقري صاحب نفح الطيب وأعجب به واعتبره «فوق ما يوصف»[6]، أما صاحبه فقد وصفه في قوله:

هَذَا كِتَابٌ بَدِيعٌ فِي مَحَاسِنِــــــه	ضَمّنْتُه كـُلَّ شَيء خِلْتُه حَسَنَــا
كُل مَا فِيه أَنَ مرَّ اللَبيــــبُ بِه	وَلَم يَشُم عَبيرًا شَـــام مِنهُ سَنَـا
فَخُـذه وَاشْدُد بِهِ كَفَا الظَنِينِ وَذِد	حَتّى تحِصلهُ عَن جَفْنِكَ الوَسَنَا[7].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص442

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص66.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص443.

[4]- **ينظر ترجمته**: ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص191؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص420-؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص280-.

[5]- المقري (الجد)، **عمل من طب لمن حـب**، تحقيق: بدر العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ص35.

[6]- **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص285.

[7]- المقري (الجد)، **عمل من طب**...المصدر السابق، ص33.

وأبو **عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م)** قام بشرح حديث «**إِذَا وَلَغَ الكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُم...**» بأمر من السلطان أبي عنان المريني، فقرره بأسانيده ورجاله وعلله ولغته، وذكر كل من تكلم فيه، فمدحه السلطان بقوله: «إني رأيت العلم يخرج من منابت شعره»[1].

وقد تألق **ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ/1380م)** في علم الحديث الذي يعد من أهم المجالات التي اشتغل بها على الإطلاق، فهو يرى أنه لا «أفضل من الاشتغال بحديث رسول الله المبين عن الله، والمعلم للخير والمشرع للأحكام، والمنزل عليه الكتاب المبين عنه، فلا شرف أفضل من هذا الشرف»[2]، لذا درسه رواية ودراية في مجالس كثيرة وخاصة في بلاط أبي الحسن المريني، وعن ذلك يقول ابن قنفذ: «كان له طريق واضح في الحديث، ولقي أعلاما من الناس، وأسمعنا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة، ولمجلسه جمال ولين ومعاملة»[3]، أما ابن حجر العسقلاني قال عنه: «عني بالحديث ولقاء المشايخ وتكثرهم حتى بلغ عدد شيوخه ألف شيخ»[4]، في حين قال عن نفسه: « أفلا يراعى لي انه ليس اليوم يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعا من باب إسكندرية إلى الريق والأندلس غيري؟»، فهذا كله دلالة على مكانته العظيمة كيف لها وهو الذي درس على مائتين وخمسين شيخا وخطب في ثماني وأربعين منبرا في الإسلام شرقا وغربا وأندلسا[5].

ومن أهم كتب الحديث التي أقرأها: **صحيح البخاري ومسلم والشفاء للقاضي عياض، والموطأ والسيرة لابن هشام**، كما صنف في بعضها وأقام شروحات عليها[6]، مثل "**تسير المرام في شرح عمدة الأحكام**"، وهو شرح لكتاب "**عمدة الأحكام**" في علم دراية الحديث في خمسة مجلدات لتقي الدين أبي محمد المقدسي الحنبلي (ت600هـ/1204م)، شغل هذا

---

[1]– محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص96؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

[2]– ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص271.

[3]– ابن قنفذ، **الوفيات**...المصدر السابق، ص374.

[4]– **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ج1، تحقيق: حسين حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1969، ص206.

[5]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص453.

[6]– ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص ص276-277.

الكتاب اهتمام ابن مرزوق حيث درسه ببلاد المشرق[1]، لم يكتف بشرحه فقط وإنما أضاف إليه فروعا وإفادات[2]، ومن مؤلفاته أيضا "**برح الخفاء في شرح الشفاء**" وهو شرح نفيس لكتاب الشفاء للقاضي عياض لكنه لم يكمله[3]، وقد أشاد بهذا الشرح لسان الدين بن الخطيب ونظم فيه مقطوعات شعرية تضمنت الثناء على الكتاب وإطراء مؤلفه[4]، و"**تحرير أسانيد البخاري**" في كتاب افتتح به مقدمة وضح فيها فضل البخاري وفضل كتابه[5]، و"**شرح الأحكام الصغرى**" لعبد الحق بن عربي الاشبيلي (ت582هـ)[6]، و"**جنى الجنتين في فضل الليلتين: ليلة المولد وليلة القدر**" يعد من أبدع كتب ابن مرزوق، قال عنه عبد الحي الكتاني: «كتاب عظيم ينبئ عن اطلاع واسع»، تكلم فيه على الأحاديث الأربعة التي لم يجدها مسنده عند المحدثين المتقدمين فوصلها بسندها[7]، و"**أربعون حديثا خرّجها من مرويات السلطان أبي الحسن**"[8]، بالإضافة إلى "**الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء**"[9].

أما **ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)** كانت له «إحاطة بعلم الحديث وفنونه، وحفظ رواياته، ومعرفة متونه، ونظم أنواعه، قصده العلماء لمعرفة رواياته وعولوا عليه في حل مشكلاته وفتح مقفلاته»[10]، درس ودرّس الحديث، يعد عبد الرحمن الثعالبي من أهم تلامذته الذي قال عنه: «أخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطأ...وختمت عليه أربعينيات النووي قراءة عليه في منزلة قراءة تفهم، فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع»، كما وصفه بعدة أوصاف مثل: "**المحدث الثقة**"، "**تاج المحدثين**"، "**الإمام**

---

[1]- ابن مرزوق، **تيسير المرام**... المصدر السابق، ص175.
[2]- المصدر نفسه، ص ص175-178.
[3]- نفسه، ص277؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**...المصدر السابق، ج1، ص206؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص455.
[4]- لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج3، ص127-.
[5]- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص276.
[6]- المصدر نفسه، ص50؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص455.
[7]- **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق: إحسان عباس، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، ص ص 522-523.
[8]- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص277.
[9]- ابن مرزوق، **تيسير المرام**...المصدر السابق، ص56.
[10]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص ص500-501.

الحافظ"...[1]، ولعل ابرز مؤلفاته "**نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين**" تكلم فيه على رجال المقامات كالنقباء والنجباء والبدلاء[2]، و"**أنوار الدراري في مكررات البخاري**"، و"**المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح**" لكنه لم يكمله[3]، بالإضافة إلى أرجوزة "**الروضة في علم الحديث**" جمع فيها بين ألفيتي العراقي وابن ليون في ألف وسبعمائة بيت، واختصرها في رجز سماه "**الحديقة**"[4].

بالإضافة إلى **الحسن بن مخلوف (ت868هـ/1464م)** الذي وصفه ابن القاضي بالفقيه المحدث[5]، صاحب "**الرند الواري في ضبط رجال البخاري**"، و"**فتح المبهم في ضبط رجال مسلم**"، وله أيضا ثلاثة شروح للشفا أكبرها في مجلدين سماها "**الغنية**"[6].

أما **عبد الرحمن الثعالبي (ت895هـ/1490م)** كان له اهتمام كبير بالحديث وبصحيح البخاري خاصة، لمع نجمه وسط أقرانه، وهو الذي مدح نفسه قائلا: «ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث، إذا تكلمت أنصتوا وقبلوا ما أرويه، تواضعا منهم وإنصافا واعترافا لحق، وكان بعض فضلاء المغاربة يقول لي لما قدمت من المشرق: كنت آية في علم الحديث»[7]، **ومن آثاره**: أربعون حديثا مختارة سماها "**الأنوار المضيئة**"، وكذلك "**المختار من الجوامع**"[8]، ويعرف باسم "**نبذة من وائل الكتاب الجامع الكبير**" في أربعين صفحة، حققه الدكتور بشير ضيف، بالإضافة إلى كتاب "**الدر الفائق في الأذكار والدعوات**"[9].

1– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص503.

2– السخاوي، **الضوء اللامع**...المصدر السابق، ج7، ص50.

3– الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دت)، ص120؛ عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص524.

4– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص502؛ الكتاني، المصدر نفسه، الصفحة نفسها؛ السخاوي، **الضوء اللامع**...المصدر السابق، ج7، ص50؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص429.

5– **درة الحجال**...المصدر السابق، ج2، ص295.

6– ابن مريم، المصدر السابق، ص220؛ عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص14.

7– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص259؛ عبد الحي الكتاني، ج1، المرجع السابق، ص732.

8– الثعالبي، **الجواهر الحسان**...المصدر السابق، ج1، ص36.

9– عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص733؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص73؛ عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص90.

و**محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م)** الذي كانت له جهود في خدمة الحديث برزت من خلال مؤلفاته "**مكمّل اكمال الأكمال**" وهو تلخيص لكتاب "**اكمال الأكمال**" لأبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني الأبيّ (ت827هـ/1425م)- وهو تلخيص لكتاب صحيح مسلم (ت621هـ)-، حيث أضاف إليه أمورا أغفلها صاحبها فهي كالضروري لا كالزائد، كشرح المقدمة التي لم يتعرض لها الأبيّ في شرحه، وقد لقي هذا الشرح قبولا عند كثير من العلماء، وكثر الثناء عليه والتنبيه على ما فيه من فوائد، حتى عد «من أحسن الشروح وأنفعها»[1]، كما "**شرح صحيح البخاري**" انتهى فيه إلى باب «**فَضْلُ مَنْ اِسَتَبرَأَ لِدِينِهِ**»[2]، وُصف بأنه شرح عجيب لكنه لم يكمله[3]، كما شرح مشكلات وقعت في أواخر صحيح البخاري، في كراسين في نحو عشرين ورقة سماها "**شرح مشكلات البخاري**"، بالإضافة إلى "**مختصر الزركشي على البخاري**"[4]، وله كذلك "**ثبت صغير**" ذكر فيه إسناد حديث الأولية وحديث الضيافة والمصافحة والمشابكة ولبس الخرقة ومناولة السبحة[5].

و**محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م)** أخذ الحديث عن عمه ووالده، ثم تفقه فيه حتى صار احد أعمدته وسمي "**بالحافظ**"، ومن أعماله "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**" لابن حجر العسقلاني في ثمانية أجزاء[6]، بالإضافة إلى **محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م):** صاحب كتاب "**مفتاح النظر في علم الحديث**" فيه أبحاث مع النووي في تقريبه[7]، كما ترك **علي بن عبد الرحمن الزواوي (ت828هـ/1430م)** كتابا في الحديث سماه "**حل عقود الدرر في علوم الأثر**"[8]، إلى غيرهم من العلماء الذين تركوا بصماتهم في هذا العلم النبيل.

1- **فهرس الفهارس**... المرجع السابق، ج2، ص999.

2- **ينظر: صحيح البخـــاري**، ج1 (باب الإيمان)، ص34.

3- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص571.

4- الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص442.

5- عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج2، 999.

6- التنسي، **الخراز**...المصدر السابق، ص ص126-127؛ ص138.

7- التنبكتي، **نيل الابتهاج**... المصدر السابق، ص578؛ عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص308.

8- إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص730؛ عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص162.

3- علـــــــــم الفقـــــــــه:

أ- مفهومـه لغـــــة:

هو العلم بالشيء والفهم له، والفقه في الأصل **الفهم**، يقال أوتي فلانا فقها في الدين أي فهما فيه، قال تعالى: ﴿**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾[1]، أي ليكونوا علماء به، أي فهم معناه[2].

ب- مفهومه اصطلاحا:

هو «العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية والوقوف على المعنى الحقيقي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل»[3]، أو هو«معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه»[4].

ج- نشأته واقعه بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

لقد نشأ الفقه تدريجيا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة، ثم تطور تطورا سريعا نتيجة عوامل[5]، لارتباطه بالدين الإسلامي، وعمق اتصاله بمصادره الكريمة: القرآن والسنة، وكذلك حاجة المسلمين الماسة لحل المشاكل التي تعترض الناس سواء في حياتهم العملية، واليومية، أو ما تعلق بأمور عبادتهم، وظلت هذه الحاجة قائمة في كل زمان

---

[1]- **سورة التوبة، الآية 122.**

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ج13، ص522؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج36، ص456؛ الجرجاني، المصدر السابق، ص175؛ البستاني، المصدر السابق، ص699؛ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص1250؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص698.

[3]- الجرجاني، المصدر السابق، ص175.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص482؛ **ينظر أيضا**: طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج2، ص173-؛ محمد بن مفلح الحنبلي، **أصول الفقه**، ج1، تحقيق: فهد بن محمد السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1999، ص11؛ عمر سليمان الأشقر، **تاريخ الفقه الإسلامي**، قصر الكتاب، الجزائر، (دت)، ص07؛ وهيبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ج1، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985، ص15؛ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ج1، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1983؛ ص12-؛ شعبان محمد إسماعيل، المرجع السابق، ص305.

[5]- **ينظر عن ذلك**: محمد حسين محاسنة، **أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين**، دار الكتاب الجامعي، العين، 2001، ص ص87-89.

لان بفضل الفقه تستقيم سلوكات ومعاملات المسلمين، وتنظم به أحوالهم الشخصية والدينية والاجتماعية والاقتصادية[1]، ومن أجل ذلك قسم الفقهاء مواضيعه إلى قسمين كبيرين هما: **قسم العبادات:** يشمل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والجنائز والمساجد....، **وقسم المعاملات:** الذي يشمل الزواج والطلاق والعقوبات والبيع والقضاء والوصية والجرائم[2]...

ومع تزايد نشاط التشريع خلال القرنيين الأول والثاني الهجريين تعددت الاتجاهات الفقهية وظهرت الكثير من المذاهب إلا أن أكثرها شهرة وأوسعها انتشارا مذاهب أهل السنة الأربعة: **الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية**[3]، الذي اقتصر عليه أهل المغرب والأندلس، متبعين تبعا لذلك الفقه المالكي الذي عرف في بلادهم الكثير من التطورات والتغيرات على مر القرون خاصة في عهدي المرابطين والموحدين[4]، أما خلال العهد المدروس عادت له حيويته، كما عادت لشيوخه حريتهم المذهبية، تدريسًا و تأليفًا و فتوى و قضاء، أبدى فقهاء المغرب الأوسط تعلقا كبيرا به وبأصوله، ربما وصل ذلك درجة التعصب، حيث ضاعفوا نشاطهم العلمي والتربوي لترسيخ مبادئ المذهب أو كما اصطلح عليه "**بمغربة الفقه المالكي**"[5]، فعكفوا على دراسة مصادره الرئيسية واكبوا عليها بالشروح والإيضاح والجمع والاقتصار **كالموطأ والمدونة** التي نالت درجة كبيرة من الاهتمام حتى قيل في حقها: «المدونة من العلم أما القرآن من القرآن»[6]، **ومختصر خليل** الذي قالوا عنه: "نحن خليليون إن ضل ضللنا مبالغة في الإتباع والاقتداء والحب"[7]، كما أعطت عودة **ناصر الدين المشذالي** (ت731هـ) أواخر المائة السابعة «جرعة إضافية ليس بترسيخ المذهب المالكي

1- عبد القادر زبادية، "**نشأة المدارس الفقهية في الإسلام**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة1، العدد1، 1971، ص43؛ وهيبة الزحيلي، المرجع السابق، ص18.

2- عمر سليمان الأشقر، المرجع السابق، ص ص16-18.

3- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص447.

4- **ينظر عن ذلك**: عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983، ص50-53؛ ص285-288؛ ص ص478-481.

5- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص284.

6- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص447.

7- إبراهيم مقلاتي، المرجع السابق، ص08.

فحسب، بل بما أحدثه من ثورة فكرية في أسلوب التدريس والدراسات الفقهية معا، بعد ما أدخل معه إلى بجاية "**مختصر ابن الحاجب**" في الأصول والفروع، وجعله مقررا دراسيا»[1].

د- أهم كتب الفقه المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

"**الموطأ**" للإمام مالك (ت179هـ/796م) يعد أصل الدروس في الفقه والحديث، و"**المدونة**" لسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي (ت240هـ/854م)، و"**التهذيب**" و"**مختصر المدونة**" لأبي سعيد البراذعي"، وكتب أبي زيد القيرواني (ت346هـ/957م): "**الرسالة**"، "**مختصر المدونة**"، "**النوادر**"، وكذلك "**تلقين المبتدئ وتذكرة المنتهي**" لأبي محمد عبد الوهاب (ت422هـ/1030م)، و"**مختصر ابن الحاجب الفرعي**" لعثمان بن عمر جمال الدين المصري المعروف بابن الحاجب (ت646هـ)، و"**التفريع**" للجلاب أبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن البصري (ت378هـ)، و"**الواضحة**" لعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت233هـ/848م)، و"**المقدمات**" لأبي الوليد محمد بن احمد بن راشد (ت520هـ/1126م)، و"**مختصر خليل**" لخليل بن إسحاق، و"**التبصرة**" لأبي الحسن اللخمي (ت498هـ/1105م)، و"**المتيطية**" و"**البيان**" لابن رشد؛ "**المتيطية**" لأبي عبد الله المتيطي، و"**كتاب الطرطوشي**" (ت520هـ/1126م)، بالإضافة إلى "**الوغليسية**" لأبي زيد عبد الرحمن الوغليسي البجائي (ت786هـ)[2].

هـ- أهم فقهاء المغرب الأوسط وإنتاجهم الفكري فيــه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين**»[3]، ونظرا لذلك أولاه علماء المغرب الأوسط خلال العهد المدروس عناية خاصة، وانكبوا على دراسته وتدريسه وتنوعت إسهاماتهم من شروح واختصارات لكتب السابقين أو إبداعات، فصنفوا عددا هائلا من الكتب التي كانت مصادر ومراجع يعتمد عليها الطلاب والدارسين في أبحاثهم

1- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص468: مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص286.

2- **ينظر**: المصدر نفسه، ص486-487؛ الغبريني، المصدر السابق، ص25؛ 307؛ 314-317؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص473؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص502؛ القلصادي، المصدر السابق، ص97؛ ص107؛ ابن مريم، المصدر السابق ص205؛ مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ج2، ص ص296-297. **للتعريف بهذه الكتب ينظر**: محمد المامي، **المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته – خصائصه وسماته**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002، ص247-.

3- البخاري، **صحيح البخاري**، ج1، (كتاب العلم)، ص42.

ويستند إليها الفقهاء في فتاويهم والقضاة في أحكامهم[1]، **كأبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت680هـ/1281م)** من رواد فقهاء تلمسان، «انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها، إذ كانت الفتوى تأتيه من افريقية وتلمسان إلى تنس»، شرح "**تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهى**" للقاضي عبد الوهاب في عشرة أسفار، لكنه ضاع في حصار تلمسان[2].

الباهلي البجائي المعروف بالمسفر (ت744هـ/1343م) عالم بجاية وفقيها وقاضيها، يعد من فصحاء الفقهاء له "**أجوبة في الفتيا**" تدل على مكانته العلمية وسيادته السنية[3]، كان له مجلس ببجاية مجمع الفقهاء والفضلاء والصلحاء، وله إملاء عجيب على "**مختصر ابن الحاجب الفرعي**"[4].

وأبي عبد الله المقري (الجد) (ت758هـ/1357م) هو الآخر ساهم في علم الفقه بكتاب "**القواعد**"، الذي تضمن 1200 قاعدة فقهية فرغ من تأليفه سنة (755هـ/1354م)[5]، وصفه الونشريسي بأنه «كتاب غزير العلم، كثير الفوائد، لم يسبق إلى مثله، بيد انه يفتقر إلى عالم فتاح»[6]، وله أيضا كتاب "**عمل من طب لمن حب**" المشتمل على كليات فقهية في قسمه الثاني...[7]، بالإضافة إلى "**حاشية بديعة على المختصر الفرعي لابن الحاجب**"، قال عنها المقري: «فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد في غيرها»[8]، جمعها الونشريسي وسماها "**درر**

1- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص448.

2- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص126؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص66-67.

3- التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص402.

4- محمد بن مخلوف، المرجع السابق، ص219.

5- المقري (الجد)، **القواعـــــد**، ج1، تحقيق: احمد بن عبد الله بن حميد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (دت)، ص211، ص149.

6- المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص284.

7- المقري (الجد)، **عمل من طب لمن حب**... المصدر السابق، ص 35.

8- **نفح الطيب**... المصدر السابق، ج5، ص310.

القلائد وغرر الطرر والقواعد"[1]، ويضاف إلى أعماله وتراثه أيضا: "**تكميل التعقيب على صاحب التهذيب**"[2].

وأبو **عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م)** يعد رائدا من رواد الفقه، اتهم بأنه غير متبحر فيه حسدا، واختبر في مجلس فقهي في حضرة السلطان المريني أبي عنان، الذي وصفه في قوله: «هذا الذي قلتم أنه قاصر في الفقه، وكان لكلامه حلاوة وطلاوة، قوة علمه ظاهرة، وأنواره باهرة»، ساهم في علم الفقه تدريسا – في كثير أوقاته–[3]، وتأليفا حيث صنف "**المثل العقلية والفقهية**"[4]، كما كان مقصد العلماء الذين يفزعون إليه في حل المشكلات، فكان يجيب عنها مزيلا لبسها والانشغالات المحيطة بها مع تورعه في الفتوى وتحريه في مسائل الفقه[5]، وله في ذلك "**أجوبة لمسائل فقهية**" كانت ترد عليه من أئمة العلم عن طريق مراسلات كتابية قصد كشف غموضها وإزالة الإشكال عنها، وإزاحة لبسها أهمها: مسألة ثبوت الشرف من جهة الأم، ومسألة رجوع المنفق فيما أنفقه، ومسالة فيمن أوصى بثلث ماله واشترط انه لا يرجع في وصيته...[6].

أما **ابن مرزوق الخطيب (الجد) (ت781هـ/1380م):** فقد شرح فروع ابن الحاجب في كتاب سماه "**إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب**"[7]، في حين أثرى **ابن قنفذ القسنطيني** (ت810هـ/1407م) هذا الحقل الديني بتصانيفه مثل: "**تحفة الوارد في اختصاص الشرق من قبل الوالد**" وهو غريب حسب رأي مؤلفه[8]، ناقش فيه قضية فقهية كانت مطروحة في وقته تمثلت في قضية النسب الشريف وهل يثبت من جهة الأم كثبوته من جهة الأب، ورده هذا السؤال على شكل رسالة سنة (803هـ/1303م)[9]، بالإضافة إلى شرحه لرسالة أبي زيد

1– الونشريسي، **درر القلائد وغرر الطرر والفوائد**، ضمن كتاب: **جامع الأمهات أو مختصر ابن الحاجب الفرعي**، تحقيق: أبو الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص ص08–09.

2– المجاري، **البرنامج**... المصدر السابق، ص120.

3– التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص437.

4– بشير ضيف، المرجع السابق، ص127.

5– التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص436.

6– الشريف التلمساني، **مفتاح الوصول**...المصدر السابق، ص ص 124–125. **ينظر الإجابة عنها** ص ص136–.

7– التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص455.

8– ابن قنفذ، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص239.

9– مختار حساني، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج4، ص174.

القيرواني في أربعة أسفار سماها "**تقريب الدلالة في شرح الرسالة**" وهو في حكم المفقود[1]، وكذلك له "**اللباب في اختصار الجلاب**" وهو شرح لكتاب **التفريع** للجلاب[2]، و"**معونة الرائض في مبادئ الفرائض**" وهو شرح للأرجوزة التلمسانية في الفرائض، و"**تقييدات في مسائل مختلفات**"[3]، في حين ترك **سعيد العقباني (ت811هـ/1480م)** فتاوى عديدة نقل بعضها الونشريسي في كتابه المعيار، كما له مناظرات ومراجعات في مسائل فقهية مع القباب جمعها العقباني وسماها "**لب الألباب في مناظرات القباب**" موجودة في المعيار[4].

أما **أبو زكرياء يحي المازوني (ت833هـ/1478م)** قاض مدينة مازونة، برع في الفقه وألف كتابه الضخم "**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**" عبارة عن نوازل في فتاوى المتأخرين من أهل تونس وبجاية وتلمسان وغيرهم[5]، في جزأين كبيرين، وضح في أوله سبب تأليفه لكتابه في قوله: «فإني لما امتحنت بخطة القضاء في عنفوان الشباب وقادني إليها ما يعلمه الله من الأمور الصعاب علي نوازل الخصوم وتوالت لدي شكيات المظلوم، وقصِر الباع عن إدراك ما لا يتطرق إليه ألتباس من نص جلي أو واضح قياس، لجأت إلى كتب الأسئلة فيما يشكل علي من نوازل الأحكام، متطلِّبًا جوابها من الأئمة الأعلام، المتعرضين للفتوى بين الأنام، متخوفًا مما قال عليه الصلاة والسلام في الْقضاة الّثلاثة الحكام، واجتهدت في ذلك علم الله جهدي، وَلم أتجاسر على تنفيذ حكم في قضية فيها احتمال وحدي، حتى أكون على بصيرة من ذلك، كي لا أهَلك مع كل هالك...»[6]، وقال أيضا: «وصنت جميع ذلك في كراريس عديدة على غير ترتيب خوف الضياع...، واقتصرت في جميع ذلك على أجوبة المتأخرين من علماء تونس وِبجاية والجزائر، وأشياخنا التلمسانيين،... أبو الفضل قاسم العقباني،... وأبو عبد الله محمد بن مرزوق... وغيرهم من أشياخنا...والآن قصدت إَلى

1- التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص110.

2- ابن قنفذ، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص40، ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**...المصدر السابق، ص154.

3- ابن قنفذ، **الفارسية**...المصدر السابق، ص81؛ ابن قنفذ، **أنس الفقير**...المصدر السابق، مقدمة المحقق ص "ز".

4- سعيد العقباني، **الوسيلة بذات الله وصفاته**، تحقيق: انزار حمادي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 2008، ص27.

5- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص637.

6- إسماعيل بركات، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحى بن موسى بن عيسى بن يحى المغيلي المازوني (ت833هـ/1478م) ج1، دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط تخصص المخطوط العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص224.

ترتيبها على أبواب الفقه في مجموع ليحصل به الانتفاع، ويتمتع به الناظر أي إمتاع، وسميته **بالدرر المكنونة في نوازل مازونة**، والله أسأل أن ينفع به...» [1].

أما **ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)** وصفه التنبكتي بالفقيه المجتهد «كان آية الله في تحقيق العلوم والاطلاع المفرط على النقول، والقيام الأكمل على الفنون بأسرها...ففي الفقه فهو فيه مالك، ولأزمة فروعه جائز ومالك، فلو رآه الإمام لقال له: تقدم فلك العهد والولاية، وتكلم فمنك يسمع فقهي لا محالة»[2]، عرف بصاحب التآليف الكثيرة خاصة في علم الفقه ولعل أبرزها: "**روضة الأديب في شرح التهذيب**"، و"**المنزع النبيل في شرح خليل**" شرح منه الطهارة في مجلدين، وكذلك "**مختصر الحاوي في الفتاوي**" لابن عبد النور التونسي، و"**الروض البهيج في مسألة الخليج**"، كما صنف أيضا "**الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي**"، وله في نفس المنحى كتاب مشابه له سمي: "**الدليل الواضح المعلوم على طهارة ورق الروم**"، كما شرح "**الأقضية**" لآخره في سفرين كان في غاية الإتقان والتحرير والاستيفاء والتنزيل لألفاظ الكتاب والنقول لا نظير له أصلا، كما "**شرح ابن الحاجب الفرعي**"، وله أيضا تدخل في مسألة ثبوت الشرف من الأم في كتاب سماه "**إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم**"، وله **فتاوى على مسائل متنوعة** قيل عنها «سارت بها الركبان شرقا وغربا بدوا وحضرا، ذكر المازوني والونشريسي منها جملة وافرة في كتابيهما»، بالإضافة إلى "**اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة**" وهو عبارة عن أجوبة على مسائل فقهية وردت عليه من عالم قفصة أبي يحى بن عقيبة[3].

أما **أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني (ت845هـ/1441م)** واحد من مدرسي الفقه في المدرسة اليعقوبية، شرح "**أقضية مختصر خليل**" و"**ابن الحاجب الفرعي**" وبعض الأصلي[4]، كما له فتاوى عديدة موجودة في كل من المعيار للونشريسي والدرر المكونة للمازوني[5]، في حين برع **إبراهيم بن فائد الزواوي (ت857هـ/1457م)** في الفقه تدريسا

---

[1]- المرجع نفسه، ص226.

[2]- **الابتهاج**...المصدر السابق، ص500.

[3]- **ينظر عن كتبه:** التنبكتي، المصدر نفسه، ص507؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص ص429-430؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص ص137-138.

[4]- القلصادي، المصدر السابق، ص104.

[5]- الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص42.

وتأليفا واعتنى بكتاب "**مختصر خليل**" بن إسحاق وأقام عليه الشروحات، فكان الأول في ثمانية مجلدات سماه: "**تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل**"، والثاني في سفرين سماه: "**فيض النيل**"، والثالث شرح هو وافي في سفر ضخم من أوله إلى الجهاد سماه: "**تحفة المشتاق في شرح خليل بن إسحاق**"، كما اختص أيضا كتاب "**البيان**" لابن رشد[1].

و**عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1490م)** ترك الكثير من المؤلفات في علم الفقه أوردها التنبكتي في كتابه أبرزها: "**روضة الأنوار ونزهة الأخيار**"، وصفا إياه في قوله قائلا: «على قدر المدونة فيه لباب من نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة وهو خزانة كتب لمن حصله»، وكذلك كتاب "**جامع الأمهات في إحكام العبادات**" في فروع الفقه المالكي في سفر ضخم، وله أيضا "**شرح على مختصر خليل بن إسحاق**" إضافة إلى كتاب "**الإرشاد في مصالح العباد**" كما شرح "**مختصر ابن الحاجب الفرعي**" في سفرين «جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون وخليل، وغرر ابن عرفه مع جواهر المدونة وعيون مسائلها، وفي آخره جامع كبير في نحو عشرة كراريس من القالب الكبير فيه فوائد»[2].

بالإضافة إلى **سليمان بن يوسف بن إبراهيم الحسناوي البجائي أبي الربيع** (ت877هـ/1482م) وصفه التنبكتي بالفقيه المحقق، كان قائما على **المدونة وابن الحاجب** مستحضرا لفقه ابن عبد السلام[3]، أما تلامذته كالقلصادي فقد وصف بالفقيه الإمام العالم لمذهب الإمام مالك[4]، أما ابن غازي المكناسي (ت919هـ/1513م) فقد أجازه أبي الربيع في مجال الفقه، في قوله «أجزت الفقيه أبا محمد عبد الله (بن غازي) المذكور إجازة مطلقة في تعليم الفقه المالكي والفتيا فيه، بعد مشاركتي إياه في صدر من كتب المدونة وجملة صالحة من مختصر ابن الحاجب الفرعي، وشاهدت منه أبحاث دقيقة وأسئلة عويصة يليق بموردها التعرض لنشر هذا الشأن وبثه»[5].

1- االتنبكتي، **كفاية المحتاج**...المصدر السابق، ج1، ص ص164-165.

2- **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص259؛ **ينظر أيضا**: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، ج4، مطبعة البلدية، فاس، 1345هـ، ص94.

3- **الابتهاج**...المصدر السابق، ص185.

4- **الرحلة**...المصدر السابق، ص109.

5- ابن غازي، **فهرس ابن غازي**، تحقيق: محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1984، ص12.

و**محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م)** يعتبر موسوعة علمية ترك بصمته في الفقه من خلال شرح أمهات كتب الفقه مثل: "**الوغليسية**" لكنه لم يكمل، و"**المدونة**"، كما وضع **تعليقا على** "**فرعي ابن الحاجب**"، بالإضافة إلى فتاوى ووصايا ورسائل مواعظ ساهم من خلالها في ازدهار الدراسات الفقهية[1]، أما **ابن زكري (ت899هـ/1442م)** فقد اهتم بالفقه حتى بلغ فيه منزلة رفيعة بين أقرانه حتى صار فقيه تلمسان ومفتيها، له كتاب في "**مسائل القضاء والفتيا**"، بالإضافة إلى "**أجوبة وفتاوى مختلفة**" أغلبها حواها كتاب المعيار[2]، وكتاب "**الفقه**" مخطوط بمكتبة الشيخ محمد بنغزوز القاسمي به سبعين صفحة[3].

و**محمد بن عبد الكريم المغيلي** (ت909هـ/1503م) من "جهابذة العلماء الذين يرجع لهم الفضل في تجديد الدين والسير به إلى التعليم والتطبيق، وهذا بفضل علمه وإدراكه للعلوم الفقهية بشهادة أهل زمانه"[4]، ولعل أهم إسهاماته في علم الفقه "**إفهام الأنجال أحكام الآجال**"، وهو شرح لباب بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم 470ك من ورقة 309- 863، بالإضافة إلى "**هدية المسترشدين ونصيحة المهتدين**" في أربعة صفحات[5]، كما اهتم **بمختصر خليل** وأقام عليه عدة شروحات ومختصرات منها: "**مغني النيل في شرح مختصر خليل**" مختصر جدا وصل فيه إلى القسم بين الزوجات، كما له شرح ثلاثة أرباع منه، وحاشية عليه سماها "**إكليل مغني النيل**"[6]، كما شرح قطعة منه في البيوع سماها "**مفتاح الكنوز**"، وفي نفس المجال ترك كتابا في شرح البيوع سماه "**إيضاح السبيل في مختصر خليل**"[7]، كما ناظر فقهاء تلمسان وفاس في أمر اليهود بعد تعديهم وطغيانهم وتمردهم على الأحكام الشرعية، وما يجب على المسلمين من

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص246-247؛ الحضيكي، المصدر السابق، ص ص 240-241؛ عبد العزيز الصغير، المرجع السابق، ص127.

2- ابن مريم، المصدر نفسه، ص23؛ ص41. **ينظر عن أجوبته:** ابن زكري، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، ج1، تحقيق: محند أودير مشنان، دار التراث ناشرون ودار ابن حزم، الجزائر وبيروت، ط1، 2005، ص ص203-205.

3- **فهرست معلمة**...المرجع السابق، ص122.

4- المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ضمن كتاب: رسالتان في أهل الذمة**، تحقيق: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ص12.

5- المغيلي، **مختصران في الفرائض**، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2012، ص30-32.

6- التنبكتي، **نيل الابتهاج**... المصدر السابق، ص578.

7- ابن مريم، المصدر السابق، ص255.

اجتنابهم، وفيهم ألف كتابه "**مصبح الأرواح في أصول الفلاح**" قسمه إلى ثلاثة فصول[1]، بالإضافة إلى تأليفه في "**المنهيات**"[2].

و**أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1508م)** هو الفقيه أحمد بن يحى بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الونشريسي حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة[3]، نشأ بتلمسان ودرس بها ثم غادرها إلى فاس أين جلس للتدريس، «كان فصيح اللسان والقلم حتى كان البعض من يحضر تدريسه يقول لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه»، مشاركا في مختلف فنون العلم إلا انه أكب على تدريس الفقه فقط، وارتقى فيه أعلى المناصب الفقهية، كما تصدر الإفتاء لإحاطته بمذهب مالك أصوله وفروعه، ولشهرته بتدريسه وعلى الأخص المدونة كان كرسي المدونة بفاس يحمل اسمه[4].

ونظير هذه المكانة العلمية التي تقلدها وُصف «بالمصنف الأبرع، الفقيه الأكمل الأرفع، حجة المغاربة على أهل الأقاليم وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا علم»، وما يدل على هذه المكانة شهادة معاصره الإمام ابن غازي «لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته، أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لكان بارا بيمينه ولا تطلق عليه زوجته، لتبحر أبي العباس وكثرة اطلاعه وحفظه وإتقانه»[5].

ألف الونشريسي العديد من الكتب جلّها في الفقه ومسائل الشريعة حيث استفاد من مكتبة ابن الغرديس التي كانت تحت تصرفه، وتوارثها عن رجال وبيوتات عرفوا بالعلم، فلا شك انه سيخلف ثمارا يانعة نضجت خلال عمر ليس بالقصير[6]، ولعل أهم ما صنفه على الإطلاق: "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**" أهم كتبه وله تعود شهرته حيث سمي بصاحب المعيار، جمع فيه النوازل الفقهية في شكل أبواب تتصل بتعامل الأفراد وتهم شؤون المجتمع، أثار فيه مسائل ثقافية واجتماعية واقتصادية

---

[1]– المغيلي، **مصباح الأرواح**... المصدر السابق، ص ص21–22.

[2]– المصدر نفسه، ص14.

[3]– الحضيكي، المصدر السابق، ج1، ص23.

[4]– أحمد المنجور، **فهـــرس المنجور**، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، الرباط، 1976، ص50–53.

[5]– محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، المصدر السابق، ص47.

[6]– الونشريسي، **عـــدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفـــروق**، تحقيق: حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص41.

وعقائدية، فهو موسوعة فقهية مكونة من إحدى عشر مجلدا، فرغ من تأليفها سنة (901هـ/1495م)، وظل يتردد عليها بالتنقيح والزيادة إلى غاية وفاته، وقد برزت أهميته عند الفقهاء فتلقوه بالقبول وصار لهم مرجعا، وكان له تأثير على المدرسة المالكية المغربية بالدرجة الأولى[1].

كما له كتبا أخرى لا يسعنا في هذا المقال التطرق إليها كلها[2] لذا اخترنا منها: "**أنسى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات**" وهو رسالة أجاب فيها الفقيه **الغرناطي محمد بن قطبة** في شأن من بقى من المسلمين في الأندلس تحت حكم النصارى، أفتى فيها بمعصية من بقي بدار الكفر ولم يهاجر بعد تغلب النصارى على داره، وأفتى أيضا بقتل من نزح من دار الإيمان إلى دار كفر لان كليهما حسب حكمه مرتكب كبيرة أدرجها في المعيار[3]، و"**إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك**" في القواعد الفقهية به أكثر من مائة قاعدة فقهية اختلف في تفسيرها أصحاب المذهب المالكي، بنى عليها الخلاف المالكي، ولكن كلها أو جلها مختلف فيها، وعن الاختلاف فيها نشأ الاختلاف في فروعها فهو كفلسفة فقهية مفيدة[4]، وله أيضا "**الأجوبة**" وهي أزيد من خميس مسألة أجاب عنها الونشريسي ووجهها إلى الفقيه محمد القلعي لذا عرفت **بالمسائل القلعية**[5]، بالإضافة إلى "**إضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك**" رد فيها على الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الحميدي (ت894هـ) وهو كتاب صغير، طبع

---

[1]– **للتعريف بالمعيار ينظر**: الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، مقدمة المحقق؛ سعيد كربوع، "**كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي: المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا**"، **مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة بسكرة، العدد9، مارس 2014، ص58.

[2]– **لمعرفة هذه الكتب ينظر**: الونشريسي، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، ج1، تحقيق: عبد الرحمن بن حمود بن عبد الرحمن الاظرم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2005، ص ص88-103؛ الونشريسي، **عـــــدة البروق**...المصدر السابق، ص ص41-47، الونشريسي، **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك**، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006، ص ص19-22، ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص ص279-283.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص274. هي محققة من قبل الدكتور حسين مؤنس.

[4]– الحجوي، المرجع السابق، ص99.

[5]– ابن مريم، المصدر السابق، ص271.

بفاس في ثمانية صفحات[1]، و"**عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق**" انتهى منه تأليفه سنة 885 هجري، تمكن أهميته في حل كثير من المناقضات الواقعة في المدونة وغيرها من أمهات والروايات[2].

بالإضافة إلى تعليقه على "**مختصر ابن الحاجب الفرعي**" في ثلاثة أسفار[3]، و"**كتاب القواعد في الفقه**" ذو الحجم الصغير، و"**تنبيه الحاذق الندس على خطا من سوى بين جامع القرويين والأندلس**" وهي رسالة رد بها على احد طلبته مما تنكروا عليه حول إقامة صلاة الجمعة في مسجدين جامعين بفاس...[4].

إن الونشريسي أثرى بتصانيفه وتدريسه وبفتاويه الفقه المالكي خلال القرن التاسع هجري، وبوفاته يكون المغرب الأوسط قد خسر احد جهابذة وأعمدة هذا العلم، لذا رثاه الوادي آشي متحسرا في قوله:

رأَيتُ نُجُومَ الأَرضِ تَبكِي حَزِينَةً   عَلَى فقدِ مَن كَانَ قُطبَ زَمَانِـهِ
فَقُلتُ وَمَن هَذَا؟ فَقَالَت مُجِيبَـــةً   عَلَى الوَنشَرِيسِي وَحِيدَ أَوَانِـــهِ
إِليهِ انتَهَت فِي الفِقهِ كَلَّ رِيَاسَـةٍ   وَمعرِفَة زَينب بِحُسنِ بَيَانِـــــهِ[5]

بالإضافة إلى علماء آخرين **كالخزرجي محمد بن أبي عيش** (ت911هـ/1505م) واحد من فقهاء تلمسان وعلمائها، له فتاوى بعضها في المعيار[6]، و"**أسرة المشذاليين**" هي الأخرى ساهمت في ازدهار هذا العلم[7]، و**أبي العباس الغبريني** (704هـ/1304م) الذي نشط هذا الحقل الديني بالتدريس والتأليف، حيث أثرى المكتبة الفقهية بكتابه "**الأربعون**" المسمى "**المورد الأصفى**"، و"**الفصول الجامعة**" التي كان يعتمد عليه في دروسه[8]، إلى جانب **الحافظ التنسي وابنا الإمام والحباك**...وآخرون لا يتسع لهم المقام في هذه الصفحات.

---

[1]- الونشريسي، **إيضاح المسالك**...المصدر السابق، ص20.

[2]- الونشريسي، **عدة البروق**...المصدر السابق، ص ص49-52.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص54؛ الحضيكي، المصدر السابق، ص24.

[4]- الونشريسي، **المنهج الفالق**...المصدر السابق، ج1، ص93.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص278.

[6]- محمد بن مخلوف، **شجرة النور**، المرجع السابق، ص 274.

[7]- **ينظر**: مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص ص292- 300؛ ابراهيم مقلاتي، المرجع السابق، ص ص8-16.

[8]- مفتاح خلفات، المرجع نفسه، ص292.

4- علـــــم أصــول الفقـــــه:

أ- مفهومــــــــه:

يطلق الأصل في **اللغة** على ما يبنى عليه غيره سواء كان البناء حسيا أو معنويا[1]، وأصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه، وأصول العلوم: قواعدها التي تبنى عليها[2]، أما **اصطلاحا** فهو: «علم يختصر بالنظر في الأدلة الشرعية (القرآن والسنة والإجماع والقياس) من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف»[3]، أو هو:« دلائل الفقه إجمالا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد»[4].

ب- نشأته وواقعه بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس:

يعتبر علم أصول الفقه من «أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة»[5]، لذا ينبغي لطالب الفقه الاعتناء به، لأنه أصول الشيء، وفيه قال العلماء: «من حُرِم الأصول حرم الوصول»، فلا يمكن الوصول إلى العلوم إلا بأصولها وقواعدها[6]، يعد من الفنون المستحدثة في الملة، ظهر خلال القرن الثاني للهجرة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسلفه الصالح كانوا في غنى عنه[7]، ولما انقرض السلف وذهب الصدر الأول، وتوسعت رقعة الدولة الإسلامية، وانقلبت العلوم كلها صناعة، واحتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة، صار علما مستقلا قائما بذاته، ويعد **الإمام**

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص16؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج27، ص447؛ الجرجاني، المصدر السابق، ص28؛ البستاني، المصدر السابق، ص12.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص60.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص489.

[4]- البيضاوي، **منهاج الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، 2006، ص16. **ينظر تعاريف أخرى**: عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، المصدر السابق، ورقة06؛ الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، ج1، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، دون دار نشر ومكان وتاريخ، ص09؛ علاء الدين المرواوي، **تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول**، تحقيق: عبد الله هاشم، وهشام العربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013، ص59؛ عبد الوهاب خلاّف، **علم أصول الفقه**، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، ط8، (دت)، ص12-.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص489.

[6]- محمد بن صالح العثيمين، **شرح الأصول من علم الأصول**، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط4، 1435هـ، ص15.

[7]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص491؛ عبد الوهاب خلاّف، المرجع السابق، ص16.

الشافعي (ت204هـ/820م) أول من دون فيه كتاب "**الرسالة**" ثم تتابع العلماء في التأليف بين الإسهاب والإيجاز[1].

أما واقعه في بلاد المغرب الإسلامي وعلى الرغم من ازدهار دراسة القرآن وحديثه وعلومه إلا أنه لم يكن متداولا بالمغرب قبل الموحدين، وبالخصوص في عهد المرابطين الذين أغرقوا في الفروع وشجعوا إقامة الفروع على الفروع دون الرجوع إلى الأصول، فانحسر الاجتهاد وغلب الجمود[2]، وهذا ما أكده عبد الواحد المراكشي في قوله: «فلم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من تعلم علم الفروع، اعني فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم»[3]، فكان ذلك سببا في تحريك ابن تومرت للقيام بحركته الإصلاحية القائمة على تأصيل فروع الفقه والرجوع بها إلى أدلتها الشرعية، فكان العهد الموحدي تمهيدا لمرحلة تالية سيشهد فيها هذا العلم نضجا وابتكارا، خاصة في عهد الدول الثلاثة التي جاءت على أنقاض الموحدين حيث انتهجوا نفس المنهج، فكانت ثمرة ذلك تزايد العناية بالأصول وازدهار دراستها وتدريسها وبرز فيها علماء أكفاء[4].

ج- أهم كتب علم الأصول المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

"**البرهان**" لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت478هـ/1056م)، و"**المستصفى من علم أصول الفقه**" للغزالي (ت505هـ/1111م)، و"**الإحكام في أصول الأحكام**" لسيف الدين الأمدي (631هـ/م)، و"**المحصول**" للإمام فخر الدين الرازي (606هـ/م)، ومختصره لسراج الدين الأموي، و"**تنقيح الفصول في علم الأصول**" و"**القواعد**" لشهاب الدين القرافي (684هـ/م)، و"**منهاج الوصول إلى علم الأصول**" للبيضاوي عبد بن عمر (ت806هـ/م)، و"**المختصر الكبير**" لأبي عمرو بن الحاجب (ت646هـ/1249م)، والمسمى "**منتهى السول**

1- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص491؛ **لأكثر تفاصيل عن نشأته وتطوره ينظر:** علي بن الحبيب ديدي، **مذكرة في أصول الفقه المالكي**، دار العوادي، عين البيضاء، 2012، ص ص13-15؛ أحمد معروف، **من أصول الفقه الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2008، ص19-.

2- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص285؛ ص485.

3- عبد الواحد المراكشي، **المعجب**...المصدر السابق، ص131.

4- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص ص485-487.

والأمل في علمي الأصول والجدل" وقد اختصره ويسمى "**بالمختصر الأصلي**"، بالإضافة إلى "**مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**"، للشريف التلمساني (ت771هـ/1396م)[1].

هـ- أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم في أصول الفقه:

أثرى العديد من علماء المغرب الأوسط هذا الحقل الديني الهام أمثال: **المقري الجد(759هـ)** الذي اختصر "**المحصل**" لكنه لم يكمله[2]، في حيث قام **أبي العباس البجائي(ت760هـ)** الفقيه المالكي الأصولي بشرح كتاب ابن الحاجب الأصلي[3]، أما **أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م)** فيعود له أهم كتاب صنف في هذا العلم سماه" **مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول**" طبق فيه مسائل الفقه مع الأصول[4]، ألفه نزول عند رغبة السلطان **أبي عنان المريني** بعد التحاقه بمجلسه العلمي، فطلب منه أن يجمع له مختصرا فيه من النكت والحقائق العلمية الراقية ما تشفي غليله وتثلج صدره، فلبي الشريف التلمساني الطلب تعزيزا للعلاقة وسعيا لاكتساب القربة إليه، فرغ من تأليفه سنة (754هـ/1354م)[5].

في حين اهتم **ابن قنفذ القسنطيني** (ت810هـ/1407م) بشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول سماه: "**تفهيم الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب**"، قال عنه: «قيدته من زمان قراءتي على الشيخ أبي محمد عبد الحقد الهسكوري...بفاس، وكان الابتداء في أول سنة

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص489؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص472، ابن مريم، المصدر السابق، ص ص205-206؛ المجاري، المصدر السابق، ص119؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص71؛ حساني مختار، **تاريخ الدولة**...المرجع السابق، ج2، ص294. **للتعريف بهذه الكتب ينظر**: محمد المامي، المرجع السابق، ص200-.

[2]- المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص285، المقري الجد، **عمل من طب**...المصدر السابق، ص18.

[3]- عبد الله مصطفى المراغي، **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**، ج2، نشره: محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية، دون مكان نشر، 1947، ص175.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 176.

[5]- الشريف التلمساني، **مفتاح الوصول**...المصدر السابق، ص ص229-230.

سبعين وسبعمائة»[1]، أما **سعيد العقباني (ت811هـ/1480م)** ترك هو الآخر شرحا جليلا على **مختصر ابن الحاجب الأصولي**[2].

بالإضافة إلى **محمد بن النجار (ت846هـ/1443م)** الذي وصفه ابن مريم بالفقيه الأصولي[3]، درس القلصادي على يديه العديد من كتب الفقه وأصول الفقه[4]، كما ساهم **علي بن ثابت سعيد القرشي الأموي التلمساني (ت829هـ/1429م)** بشرح "**تفتيح الفصول**" في علم الأصول للقرافي[5]، أما **إبراهيم التازي (ت866هـ/1462م)** فكان يتمتع بثقافة واسعة في العلوم الدينية بصيرا بالفقه وأصوله، خلف الكثير من التقاييد في الفقه والأصول[6]، إلا أنها لم تصلنا إما ضاعت أو مازالت مغمورة في المكتبات.

في حين كان **أحمد بن محمد بن زكري (ت899هـ/1442م)** إماما في أصول الفقه بارعا فيه حتى لقب **بالأصولي**، شرح "**الورقات**" لإمام الحرمين الجويني[7]، في كتاب سماه "**غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**" نزولا عند رغبة بعض طلابه والحاحهم على ذلك، فشرح فذلك تسهيلا على الطلبة في فهم أصول الفقه وتحصيله[8]، مضيفا إليه فوائد كثيرة، مع سهولة عباراته ووضوح معانيه، لأنه كان موجها إلى المبتدئ الذي يتعامل مع أصول الفقه لأول مرة[9]، **أما الخزرجي التلمساني محمد بن أبي عيش** (ت911هـ/1505م) ذاك الفقيه والأصولي فقد ترك كتابا في "**أصول الفقه**"[10]... هذا ما تم التوصل إليه وهذا الجزء يحتاج إلى مزيد من البحث الجدي لكشف إسهامات علماء آخرين في هذا المجال.

---

[1]- ابن قنفذ، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص41.

[2]- التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص190.

[3]- **البستان**...المصدر السابق، ص221.

[4]- **الرحلة**...المصدر السابق، ص102.

[5]- التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص335.

[6]- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص288؛ ص294.

[7]- ابن مريم، المصدر السابق، ص41.

[8]- ابن زكري، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، ج1، تحقيق: محند أودير مشنان، دار التراث ناشرون ودار ابن حزم، الجزائر وبيروت، ط1، 2005، ص243.

[9]- المصدر نفسه، ص249.

[10]- بشير ضيف، المرجع السابق، ص165.

5- علــــم الكـــــــــلام:

أ- مفهومـــه:

يطلق على هذا العلم عدة ألقاب مثل: **علم التوحيد** أو **العقيدة** أو **الفقه الأكبر** أو **علم أصول الدين**، ولعل أشهرها: **علم الكلام**[1]، موضوعه الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، تعددت التعاريف[2] حوله، ويعتبر تعريف عبد الرحمن بن خلدون أبرزها وأشملها إذ حدده بكل دقة ووضوح مبرزا منهجه والغرض منه، في قوله: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد»[3].

ب- أهم كتب علم الكلام المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

*"**محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**" للإمام فخر الدين الرازي (ت606هـ/1209م) ويعرف "**بالمحصل**"؛ و"**الاقتصاد في الاعتقاد**" للإمام الغزالي (ت505هـ/1111م)، و"**طوالع الأنوار من مطالع الأنظار**" لناصر الدين البيضاوي (ت685هـ/1186م)، بالإضافة إلى "**الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**" لإمام الحرمين الجويني (ت478هـ/1085م)[4]، و"**المرشدة**"[5] لابن تومرت (ت524هـ/1128م)

---

[1]- **ينظر:** فيصل بدير عون، **علم الكلام ومدارسه**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دت)، ص ص53-55؛ محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص ص96-97.

[2]- **ينظر:** عبد الرحمن بن احمد الإيجي، **المواقف في علم الكلام**، علم الكتب، بيروت، (دت)، ص07؛ أبو نصر الفارابي، **إحصاء العلوم**، تحقيق: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1996، ص86؛ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، المصدر السابق، ورقة18؛ ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص161؛ الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، تحقيق: ج، فان فلوتن (g.van .vloten)، Lugduni-Batavorum، 1895، ص39؛ الجرجاني، المصدر السابق، ص194؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج2، ص132؛ علي رجب الصالحي، **تحقيق مبادئ العلوم الإحدى عشر**، مطبعة وادي الملوك، ط2، 1936؛ فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص48-؛ حسن محمود الشافعي، **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط2، 2001، ص9-.

[3]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص494.

[4]- المصدر نفسه، ص504؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص118؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص503.

[5]- رسالة وجيزة لا تتجاوز الصفحتين، تتضمن عرض موجز لمسائل العقيدة خالية من البراهين، وهي خلاصة للفكر العقدي للمهدي، ونظرا لما تتميز به من وجازة وبلاغة وسلامة من كل مخالفة للآراء الأشعرية ضمن لها الذيوع والانتشار وجلب لها العناية حتى ما بعد الموحدين. **ينظر عنها:** المهدي بن تومرت، **أعـــز ما يطلب**، تحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، ط1، 2007، ص226؛ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص150؛ ص448-.

وهي من أهم مؤلفاته، كانت مقروءة بتلمسان ومتداولة بها، وشاع ذكرها بين الناس عامتهم وعلمائهم، وجرت بها الألسن حفظا وشرحا[1]، و"**المواقف والمراصد في علم الكلام**" لعضد الدين الإيجي؛ و"**العقيدة البرهانية**" أو"**العقيدة السلاجية**" لأبي عمرو عثمان بن عبد الله السلاجي (ت547هـ/1168م)، إلى جانب "**الشامل في أصول الدين**" للجويني، و"**نهاية الإقدام في علم الكلام**" لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني[2]...

ج- أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم الفكري في علم الكلام:

نظرا للظروف التي نشأ فيها علم الكلام في المشرق وتطوره إلى أن انتهى إلى شر المبتدعة والمذاهب غير السنية[3]، إلا أن في بلاد المغرب وبعد الأحداث التي عرفها خاصة خلال عهدي المرابطين والموحدين[4]، أصبح خلال موضوع الدراسة لا حاجة للتعمق فيه[5]، حسبما وضحه ابن خلدون: «فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا»[6]، ورغم هذا فان علماء المغرب الأوسط كانت لهم عناية كبيرة بهذا العلم وألفوا فيه، وشرحوا مؤلفات أخرى ألفها غيرهم، ولعل أبرز من ترك بصماته فيه **الشريف التلمساني (ت771هـ)** كان «إماما في أصول الدين، قائما بالحجة بصيرا بالبرهان، صحيح النظر كثير الذب عن أهل السنة والنصرة للحق وإزاحة الإشكال، ألف كتابا في "**القضاء والقدر**"»[7] قال عنه التنبكتي: «حقق فيه مقدار الحق بأحسن تعبير عن تلك العلوم الغامضة»[8]، أما ابنه **محمد المعروف بالغريق** (ت792هـ/1389م) فقد

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص247؛ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص452.

2- عمار طالبي، "**المؤلفات العلمية في تلمسان من خلال البستان**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3-4، 2011، ص ص60-61.

3- **ينظر**: محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص98.

4- **ينظر**: محمد بوشقيف، **تطور العلوم**...المرجع السابق، ص ص165-166.

5- صابرة خطيف، **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص327.

6- **المقدمة**...المصدر السابق، ص504.

7- ابن مريم، المصدر السابق، ص172.

8- **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص436.

ساهم في علم الكلام من خلال شرحه لكتاب "**أصول الدين**" للرازي، و"**لمع الأدلة**" لإمام الحرمين الجويني[1].

و**أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد التلمساني (ت792هـ/1390م)** الذي شرح المرشدة وسماها "**الدرة المشيدة في شرح المرشدة**" كما وضحه في مقدمته: «...وبعد فالمراد من هذا الكلام شرح العقيدة المسماة بالمرشدة، وهي وان كانت سهلة العبارة واضحة الإشارة تحتاج إلى إيضاح وبيان وزيادة فوائد حسان»، ويكتسي هذا الشرح صبغة صوفية خالصة[2].

أما **سعيد العقباني (ت811هـ/1408م)** فقد ساهم في إثراء علم أصول الدين، بشرح "**العقيدة البرهانية**" للسلاجي[3]، وله كتاب في ذات الله وصفاته سماه "**الوسيلة بذات الله وصفاته**"، ألفه امتثالا لطلب الحاجب "**أحمد بن علي القبائلي (ت803هـ)**" الذي كان مباشرا للأعمال السلطانية وقائما على تسيير شؤون المغرب حسبما وضحه في مقدمته[4]، أما ابنه **قاسم العقباني** (ت854هـ/1450م) قام بتدريس هذه الكتب في تلمسان، ويعد القلصادي من جملة من استفاد من ذلك[5]، كما قام بشرح "**البرهانية**" في أصول الدين[6].

في حين يعد **ابن مزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)** من المتكلمين البارزين في هذا العلم، صاحب"**عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد**" التي شكلت الطريق والمنحى الذي سار عليه الإمام السنوسي في انجاز عقائده، وله أيضا "**الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات**" ولكن للأسف لم يكتمل هذا التراث العقائدي[7].

و**عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1490م)** صنف "**العلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآخرة**" في مجلد ضخم[8]، كما كتب حاشية على شرح عقيدة السنوسي الصغرى

1- **المقدمة**...المصدر السابق، ص504.

2- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص451.

3- ابن فرحون، المصدر السابق، ص205؛ السخاوي، المصدر السابق، ج6، ص181.

4- سعيد العقباني، **الوسيلة**...المصدر السابق، ص32.

5- **الرحلة**...المصدر السابق، ص107.

6- السخاوي، المصدر السابق، ج6، ص181.

7- المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص430.

8- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص259؛ محمد بن مخلوف، المرجع السابق، ص265.

سماها: "**الفرائد السنية والفوائد السرية على شرح العقيدة السنوسية**"[1]، بالإضافة إلى كتاب شرح فيه المصطلحات الكلامية سماه "**التعريفات**" وكتاب"**حقائق التوحيد**" [2].

ولأبي العباس **أحمد الجزائري الزواوي (ت884هـ)** المنظومة اللامية التي يزيد عدد أبياتها عن 400 بيت، سماها "**كفاية المريد في علم التوحيد**" أو "**الجزائرية في العقائد الإيمانية**" أو"**الجزائرية**"[3]، من أجلّ القصائد التي ألفت في علم التوحيد جمعت بين حلاوة الكلام والنظم، ألفها وهو في مقتبل العمر، شرحها السنوسي في 241 ورقة وأثنى على ناظمها، نالت شهرة واسعة نظرا لسهولة عباراتها، ولحلاوتها تداولتها الألسن بالشرح والتدريس[4]، وله أيضا "**القصيد في علم التوحيد**"[5].

أما **محمد السنوسي (ت895هـ/1490م)** فيعتبر رائد علم العقيدة وحامل لواء المذهب الأشعري في العقائد على رأس المائة التاسعة، بفضل مؤلفاته التي نالت شهرة كبيرة حيث ملأت الفراغ الذي وقع ما بعد عصر الموحدين في المجال العقدي، وغدت المرجعية الجديدة للثقافة العقدية بالمغرب الإسلامي، بل أسست لمرحلة تاريخية من التجديد الفكري، وصارت العقيدة الرسمية التي تدرس في مختلف المؤسسات التعليمية[6].

لقد كان اعتناء السنوسي بعلم التوحيد نابعا من انه الطريق المؤدي إلى الله وهو مفتاح جميع العلوم، فهو يعتبر هذا العلم «ليس علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومراقبته إلا علم التوحيد، وبه يفتح له في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته به يزداد خوفه منه تعالى وقربه منه»[7]، ولعل أهم ما خلفه من تراث: "**العقيدة الكبرى**" وهي أول ما صنف في هذا الفن سماها "**عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد**" سار فيها على أسلوب عقيدة ابن مرزوق الحفيد السابقة الذكر، ونزولا عند رغبة بعض قرائها قام بشرحها سماها "**عمدة أهل التوثيق والتسديد في شرح عقيدة أهل**

---

[1]- عبد العزيز بنعبد الله، **معلمة الفقه المالكي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983، ص133.

[2]- عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص42؛ محمد بوشقيف، **تطور العلوم**...المرجع السابق، ص169.

[3]- عبد العزيز بنعبد الله، المرجع السابق، ص108.

[4]- الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص ص33-34؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص84.

[5]- بشير ضيف، المرجع السابق، ص05؛ عادل نويهض، **معجم أعلام**...المرجع السابق، ص97.

[6]- محمد بسكر، المقال السابق، ص119.

[7]- ابن مريم، المصدر السابق، ص277.

التوحيد"، وقد تنافس الطلاب في حفظها عن ظهر قلب، وله "**العقيدة الوسطى**" المسماة "**عقيدة أهل التحقيق والتسديد**" وشرحها، و"**العقيدة الصغرى**" وتسمى "**أم البراهين**" أو"**السنوسية**" وهي رسالة صغيرة الحجم تضمنت مبادئ علم العقيدة، تعد من أجل العقائد لا تعادلها عقيدة، ثم أقام شرحا مختصرا عليها، وله أيضا "**صغرى الصغرى**" الشهيرة "**بالحفيدة**"، وهي عقيدة صغيرة وضعها لوالد تلميذه الملالي الذي صعب عليه حفظ العقيدة الصغرى، و"**عقيدة صغرى صغرى الصغرى**" أو "**عقيدة السنوسي السادسة**" أو"**عقيدة النساء**"، وهي مجهولة عند الكثير من الناس، حجمها صغير لا يتجاوز الصفحة والنصف، حققها الدكتور **يوسف احنانة**، تتضمن الحديث عن صفات الله.

كما وضع "**المقدمات المبينة لعقيدته الصغرى**" نالت شهرة كبرى، قسمها إلى ثمانية وحدات: الحكم، الأفعال، أنواع الشرك، أحوال الكفر والبدعة والموجودات، والممكنات والصفات والأمانة والخيانة، وكالعادة قام بشرحها وتبسيطها ليسهل فهمها، بالإضافة إلى "**شرح الأسماء الحسنى**" وهو شرح صغير الحجم شرح فيه أسماء الله الحسنى وكيفية العمل بها، ويضاف إلى مصنفاته أيضا "**شرح واسطة السلوك**" وهي عقيدة الحوضي أبي عبد الله بن عبد الرحمن (ت910هـ/1515م) في خمسة كراريس، و"**شرح جواهر العلوم**" لعضد الدين الإيجي في علم الكلام، قال عنه ابن مريم: «كتاب عجيب جدا في ذلك، إلا انه صعب متعسر على الفهم جدا»، و"**المنهـج السديد في شرح كفاية المريد**" وهو شرح للمنظومة الجزائرية في العقائد الإيمانية، شرحها بطلب من ناظمها، فيها نكت نفيسة[1].

بالإضافة إلى "**شرح المرشدة**" بطلب من أهل تلمسان[2]، و"**توحيد أهل العرفان ومعرفة الله ورسوله بالدليل والبرهان**"، وله أيضا رسالة كتبها لبعض الصالحين فيها "**دلائل قطعية على من أثبت تأثير الأسباب العادية**"، كما "**شرح التسبيح دبر كل صلاة**"، وله أيضا

1– **ينظر عن هذه المؤلفات:** ابن مريم، المصدر السابق، ص245؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص571؛ عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ص110–114؛ محمد بسكر، المقال السابق، ص ص119–121؛ عبد القادر أحمد عبد القادر، المقال السابق، ص ص141–152؛ Ch. bosselard, **cheikh Mohamed Ben Youssef ES-Senouci (15é siècle), dans Tlemcen dans les textes**… Op-cit, p204- .

2– ابن مريم، المصدر السابق، ص267؛ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص452.

"**الدهرية**" وهي قصيدة في العقيدة ناقش فيها مذاهب الدهرية والزنادقة والملاحدة، ولمّا وقعت له مناظرة مع أهل فاس في الحديث تحدّى بها مخالفيه[1].

نالت هذه المؤلفات شهرة كبيرة حيث أضحت مرجعا لطلاب العلم، كما تبارى العلماء في شرحها وتدريسها وتقريرها وحفظها مشرقا ومغربا[2] نظرا لما تميزت به، حيث اتبع صاحبها المرحلية والتدرج من الصعب إلى السهل، فهو يقوم بالتأليف أولا ثم يعود إلى شرحه ثانية، بهدف إيصال أفكاره إلى الآخرين، وعلى رأسهم الطلبة، حيث كان يدرك ما يحمله علم التوحيد من تعقيد، فحاول بهذه الشروح أن يقربه من الأفهام وقد كان حريصا على ذلك[3].

ويعد **ابن زكــري (ت899هـ/1493م)** «أهم مرجعية علمية عقائدية في القرن التاسع رفقة السنوسي، ارتفع بالدرس العقدي إلى مستوى عال من حيث اعتناؤه بالآراء الكلامية للمدرسة الأشعرية المتأخرة»، اشتهر بمنظومته "**محصل المقاصد فيما به تعتبر العقائد**" التي تحوي أكثر من 1500 بيت، فرغ من تأليفها سنة (890هـ/1484م)، وجعلها منجما علميا زاخرا بالمقالات العقدية المؤسسة على القواعد العلمية الرصينة المستندة إلى المنطق والبرهان[4]، كما وضح فيها المبادئ العشرة لعلم العقائد في قوله:

فَأَوَّلُ الأَبْــوَابِ فِي المَبَـــــادِي   وَتِلْكَ عَشَــرَةٌ عَلَى مُــــــــرَادِي
الحَــدُّ وَالمَوْضُــوعُ ثُمَّ الوَاضِـــعُ   وَالإِسْمُ الإِسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّـــارِعْ
تَصَــــوَّرُ المَسَـــائِلِ الفَضِيـــلَه   وَنِسْبَـــــةُ فَائِــــدَةٍ جَلِيـــــلِه
حَقٌّ عَلَى طَالِبِ عِلْـمٍ أَن يُحِيــط   بِفَهْــمِ ذِي العَشْـرَةِ مَيْزُهَا يُنِيــط[5].

ويضاف إلى هؤلاء العلماء علماء آخرون اكتفى البعض منهم "**بشرح أسماء الله الحسنى**" أمثال الفقيه **أبي زكرياء يحى بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي**

---

[1]- عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ص112-114.
[2]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص86.
[3]- عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف**...المرجع السابق، ص308.
[4]- محمد عبد الحليم بيشي، المقال السابق، ص ص170-171.
[5]- سعيد العقباني، **الوسيلة**...المصدر السابق، ص10.

(ت677هـ/1278م): الذي رآه الغبريني وأثنى عليه ووصفه بالحسن[1]، **والباهلي محمد بن يحى أبو عبد الله البجائي المعروف بالمسفر** (ت744هـ/1343م)[2]، **والخزرجي التلمساني محمد بن أبي عيش** (ت911هـ/1505م)[3]، أما **المقري الجد** (ت758هـ) فقد اختصر "**المحصل للرازي**" ولم يكمله[4]، و**عبد الرحمن بن خلدون** (808هـ/1405م) الذي درس المحصل على شيخه الآبلي، ولاحظ أن فيه الكثير من الإسهاب والإطناب لذا قام باختصاره وسماه "**لباب المحصل في أصول الدين**"، حسبما وضحه في مقدمته[5]، وهذا الكتاب يكشف مدى تمكن ابن خلدون في مسائل علم الكلام وإحاطته بمختلف فروعه...

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص120.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص402.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص253.

[4]- المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص285.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، **لباب المحصل في أصول الدين**، تحقيق: عباس محمد حسن سليمان وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص ص59-60.

6- علـــــــم التصـــــــوف:

أ- مفهومــــه:

يعد التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية[1]، إلا انه لم يسبق أن دار نقاش وجدال حول موضوع بقدر ما دار حوله، فمن الصعوبات التي يواجهها الباحث فيه هو إيجاد تعريف دقيق وشامل له، حيث وقع خلاف كبير حول لفظه وأصله ومصدره واشتقاقاته، رغم محاولة العلماء الوصول إلى المعنى الأصلي له، وباعتباره تجربة روحية ذاتية اختلف كذلك في تعريفه كمفهوم، لذا تعددت تعاريفه[2]، سواء عند الصوفية أو المشتغلين بدراسته كلا حسب طريقته أو وجهة نظره[3]، إلا أن أصله كما ذكره بن خلدون «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه»[4].

ب- أنواعـــــــه:

ينقسم التصوف إلى نوعين: **التصوف السني** ذو البعد العملي والتربوي، ويعني الالتزام بأوامر الله ونواهيه وإتباع سيرة المصطفى عليه السلام، وما تنطوي عليه من زهد وتقشف، يتميز ببساطته وتقيده بتعاليم الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح، لذا حظي بإقبال كبير وانتشار واسع بالمغرب عامة والأوسط خاصة، لذا يسمى تصوف العامة، أما النوع الثاني يسمى: **التصوف الفلسفي** وهو الذي يتحدث عن وحدة الوجود والانقطاع، يحتاج الدارس لفهم مسائله وأبعاده إلى جهد ذهني غير عادي، وباعتباره فكرا غريبا مشبعا بأفكار الفلسفة

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص505.

[2]- **للتفصيل ينظر**: ابن خلدون، **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996، ص52-؛ الغزالي، **الإحياء**...المصدر السابق، ج5، ص60-؛ أحمد زروق الفاسي، **قواعد التصوف**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 2005، ص24؛ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، المصدر السابق، ورقة17؛ منال عبد المنعم جاد الله، **التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف، الإسكندرية، (دت)، ص115-؛ عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص31-؛ إحسان الهي ظهير، **التصوف المنشأ والمصادر**، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986، ص36-؛ علاء بكر، **مختصر تاريخ التصوف**، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2012، 11-؛ ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، **التصوف**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1984، ص25-؛ ص51-.

[3]- منال عبد المنعم جاد الله، المرجع السابق، ص115؛ عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص31.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص489.

اليونانية وغيرها، لم يحظ بنفس القبول ولم تمنحه البيئة المغاربية حظا عكس التصوف السني، لذا يسمى تصوف النخبة[1].

ج- نشأتـــه وتطـــوره:

إن التصوف حركة بدأت بالزهد والورع ثم تطورت إلى علم ونظام شديد في العبادة، وصارت اتجاها نفسيا وعقليا وسلوكا وعملا وعبادة، فمن مرحلة الزهد خلال القرنيين (1و2هـ/7-8م) إلى لقب ومصطلح في القرن (3هـ/9م) اعتنى فيه المتصوفة بالنقاش في دقائق الأصول وتغلب عليهم الطابع الأخلاقي والتربوي، وفي القرن (5هـ/11م) أرسيت قواعده خاصة السني منه، وبالتالي «فمن تيار يبالغ في الزهد والرهينة إلى مذهب عقائدي كامل له غايته ووسيلته ومنهجه وتحول من مذهب عملي إلى مذهب نظري»[2].

وعلى الرغم من ظهور التصوف وانتشاره في بلاد المشرق الإسلامي إلا أن مجتمع المغرب الإسلامي كان بمعزل عنه ولم يعرفه أهله حتى أوائل القرن الخامس هجري على أكثر تقدير[3]، لأن البداية الأولى له يعتريها الكثير من الغموض بسبب شحة النصوص التي اعتنت بالتأريخ لهذا التيار الديني[4]، الذي بدأ محتشما وتعرض للرفض من قبل المرابطين ليعود بقوة في عهد الموحدين الذين فكوا القيود التي فرضها عليه المرابطون، فكان ذلك الانطلاقة الحقيقية للتيار الصوفي وأثرا في تنميته وانتشاره في بلاد المغرب الإسلامي، حيث اخذ حجم ذلك منحى تصاعديا وباستمرار خلال القرون الثلاثة التي تشكل الإطار الزماني لهذه الرسالة بعد أن عم مختلف شرائح المجتمع بما فيهم العوام، حيث لعبت الزوايا دورا كبيرا في ذلك، وأضحت كل من تلمسان وبجاية منارة للإشعاع الصوفي ومركزا لاستقبال المتصوفة من مختلف المناطق، خاصة بعد قدوم الشيخ القطب أبي مدين شعيب دفين العباد وأبي الحسن الشاذلي...، حيث حرص هؤلاء المتصوفة على العمل بالكتاب والسنة والاعتناء

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص45-؛ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص ص360-362؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص386؛ ص420 هامش رقم 86.

[2]- المرجع نفسه، ج2، ص383؛ ص419؛ علاء بكر، المرجع السابق، ص24.

[3]- منال عبد المنعم جاد الله، المرجع السابق، ص125.

[4]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص363.

بالجانب التربوي العملي من التصوف والابتعاد عن التيار الفلسفي[1]، كما انتظم علم التصوف ضمن العلوم المدرسة في المساجد والمدارس الرسمية والزوايا، بل أصبحت له أوقات معلومة، فاحمد بن زاغو (ت845هـ) كان يدرّسه لطلبته يومي الخميس والجمعة بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان[2].

لقد كان الإقبال على التصوف كبيرا وحظي مدرسوه بمكانة خاصة لدى العامة، لذلك انتحله العديد ممن ليس له علاقة بالتصوف وجعلوه سلما لتحقيق أغراض مختلفة: «...وهذا حال الكثير من الناس في الوقت، اتخذوا علم الرقائق والحقائق سلما لأمور لاستهواء أمور العامة، وأخذ أموال الظلمة، واحتقار المساكين، والتمكن من محرمات بينة وبدع ظاهرة، حتى إن بعضهم خرج من الملة، وقبل منه الجهّل ذلك، بادعاء الإرث والاختصاص في الفن...»[3].

د- أهم كتب علم التصوف المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

*"**إحياء علوم الدين**"[4] **للغزالي:** يعد أهم كتاب أثّر في التيار الصوفي ببلاد المغرب والأندلس، جمع فيه مؤلفه بين علمي الظاهر والباطن، ورغم إقدام المرابطين على حرقه إلا أن ذلك لم يحد من انتشاره، حيث كان الأكثر انتشارا وذيوعا بدون منازع، وظل مرجعا رئيسيا لمتصوفة المغرب الأوسط وغيرهم، وانتظم في حلقات الدرس واقبل عليه كبار المتصوفة، في حين أنكر العديد قراءته وطعنوا فيه واعتبروه ليس بإحياء علوم الدين وإنما إماتتها[5]، ويضاف للغزالي كتاب: "**ميزان العمل**"[6] هو الآخر من الكتب الرئيسية لعلم التصوف، برمج في آخر مراحل التدريس بعد أن يصبح الطالب مهيأ لفهم محتواه[7].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص ص384-387؛ عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص ص81-102.

[2]- القلصادي، المصدر السابق، ص104.

[3]- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص91.

[4]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص503؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص206.

[5]- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص ص88-89. **لأكثر تفصيل عن الكتاب ينظر:** صالح احمد الشامي، **الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة (450-505هـ)**، دار القلم، دمشق، ط2، 2002، ص145-.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص118.

[7]- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص87.

*"**الرسالة القشيرية**" لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (456هـ/1073م)، و"**الحكم**" لابن عطاء الله الشاذلي الاسكندري (ت709هـ/1309م)؛ و"**المقامات**" لعبد الله الهروي، و"**الرعاية لحقوق الله**" للحارث بن أسد المحاسبي (ت243هـ/853م)[1]، بالإضافة إلى "**رسالة في فضل مكة**" لأبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، وكتاب "**قوت القلوب ومعرفة الطريق إلى معاملة الحبيب**" لأبي طالب محمد بن علي المكي[2].

هـ- أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم في علم التصوف:

عرف التصوف خلال العهد المدروس منحى تصاعديا، وكثر مريدوه وعلماؤه الذين لم يقتصر عملهم على دراسة وتدريس كتب التصوف المشرقية، بل خاضوا تجربة التأليف حيث تنوع إنتاجهم العلمي بين كتب التراجم للمتصوفة، وأخرى تناولت الطريق الصوفي وكيفية تخطي مقاماته، والبعض الآخر تناول قضايا أثيرت حول موضوع التصوف والمتصوفة، بينما اقتصر عمل البعض على شرح مؤلفات من سبقوهم في هذا الفن، والظاهر أن هذه المؤلفات كانت واسعة الانتشار، ولعل ابرز الأسماء في هذا الحقل:

أبو زكرياء يحى بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي (ت677هـ/1278م) يعد من الأولياء الصالحين، المتعبدين الزهاد الذي تخلى عن الدنيا وزخرفها، كان في علم التصوف مقدما، صاحب التقاييد الكثيرة وله نظم حسن، وقطع مستحسنة كلها في المعاني الصوفية[3].

و**المقـري الجد (ت758هـ)** «كان يتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال، ويعتني بالتدوين فيها»[4]، حيث ترك جملة من الأعمال أهمها: "**كتاب الحقائق والرقائق**" قال في مقدمته: «...هذا كتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق، ومزجت فيه المعنى بالفظ الرائق، فهو زبدة التذكير، وخلاصة المعرفة، وصفوة العلم، ونقاوة العمل، فاحتفظ بما يوحيه إليك

1- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص507؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص24؛ 206؛ 246؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص73؛ عبد الجليل قريان، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص253.

2- مختار حساني، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج4، ص123.

3- الغبريني، المصدر السابق، ص120.

4- ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص195.

فهو الدليل ، وعلى الله قصد السبيل»[1]، وهو كتاب بديع لطيف الإشارة، عرف اهتماما وإقبالا كبيرا لدراسته وشرحه[2]، كان هدف المقري منه هو التعبير عن خواطره وارتساماته وما ينقدح في ذهنه من تعليقات على الحوادث التي مرت به، أو المجالس التي حضرها، أو الأخبار التي تلقاها من أفواه الرجال، بنظرة صوفية وتفسير ما جاء فيها تفسيرا صوفيا، قوامه رفض الأعراض والعوائق المادية التي تنزل بالإنسان إلى حضيض المادة، والإقبال على الحقائق ورياضة النفس بكل عمل يقربها إلى الله جل وعلا[3]، كما صنف "**لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض**" وهي منظومة شعرية لابن الفارض (ت632هـ/1234م) تشتمل مائة وسبعة وسبعين بيتا، بالإضافة إلى "**رحلة المتبتل**" و"**إقامة المريد**"[4].

أما **ابن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ/1375م)** فقد ولي مشيخة الصوفية في القاهرة، له أكثر من ثمانين مصنفا أشهرها في مجال التصوف: "**دفع النقمة وقيل رفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة**" **في الأحاديث والأدعية**"، و"**النعمة الشاملة في العشرة الكاملة**"، وأيضا كتاب" **عنوان السعادة ودليل الموت على الشهادة**"،"**جوار الأخيار في دار القرار**"، و"**البيوت المضية في الدار البدرية**"[5].

في حين صنف **عبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1405م)** "**شفاء السائل في تهذيب المسائل**" أجاب فيه عن مسألة اتخاذ الشيخ في سلوك طريق التصوف، وأحاط فيه بالعديد من قضايا التصوف ومصطلحاته[6].

وابن **قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1408م)** صاحب كتاب "**انس الفقير وعز الحقير**" ترجم فيه لأهل التصوف كأبي مدين وأصحابه وتلامذته، حيث يعد من أهم الكتب التي

---

[1]- أبو عبد الله المقري، **الحقائق والرقائق**، تحقيق:عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، لبنان، (دت)، ص151.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص163.

[3]- عبد القادر رزمامة، "**أثر فريد لأبي عبد الله المقري: الحقائق والرقائق**"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، السنة4، العدد9، جوان1966، ص93.

[4]- ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص203؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص310؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المصدر السابق، ج2، ص404.

[5]- عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص ص364-365؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص221؛ بوزياني الدراجي، **أدباء وشعراء من تلمسان**، ج3، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2011، ص ص307-308.

[6]- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص92.

اهتمت بالتصوف وعبرت عنه، حيث يضم مشاهداته الشخصية برجال هذا الفن وذكر أخبارهم ومجاهداتهم، والإشارة إلى ما تمتاز به سيرة كل واحد منهم[1].

أما **ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)** فقد ألف كتاب "**نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين**" في شأن البدلاء، كما له كتاب آخر رد فيه على معاصره الإمام قاسم العقباني وخالفه في فتواه المتعلقة بمسألة الفقراء الصوفية سماه "**النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل الناقص**" في سبعة كراريس[2].

و**محمد بن عمر الهواري (ت843هـ/1439م)** «فقيه متصوف زاهد متقشف، ساهم في علم التصوف من خلال زاويته بوهران التي درس بها مختلف العلوم الدينية، والقى بها محاضراته في الوعظ والإرشاد، والدعوة الى العمل الصالح والزهد والورع»، صاحب المنظومات الثلاثة في التصوف والأخلاق: "**التسهيل**" و"**التبيان**" و"**تبصرة السائل**" بالإضافة إلى "**السهو والتنبيه**"[3].

أما **أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني (ت845هـ/1441م)** فله قدم راسخة في التصوف، وهم ممن عنى بتدريسه بالمدرسة اليعقوبية، من مصنفاته "**شرح حكم ابن عطاء الله**" وشرحها لابن عباد، و"**لطائف المنن**"[4].

وصنف **قاسم بن سعيد العقباني (854هـ/1450م)** أرجوزة تتعلق بالصوفية في اجتماعهم على الذكر وغيره[5]، وله أيضا فتاوى في مسألة الفقراء الصوفية وهي التي نقدها ابن مرزوق الحفيد من خلال كتابه "**النصح الخالص**"[6].

و**إبراهيم التازي (ت866هـ/1462م)** الذي أثرى هذا العلم بلسانه وزاويته بوهران وقلمه، اشتهر بقصائده التي نظمها في التصوف والمديح، يكشف من خلالها عن جانب

1- ابن قنفذ، **أنس الفقير**...المصدر السابق، مقدمة المحقق ص "ز" .

2- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص507؛ السخاوي، المصدر السابق، ج7، ص ص50-51.

3- عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص337.

4- ابن مريم، المصدر السابق، ص42.

5- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص92.

6- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص507.

كبير من الفكر الصوفي لهذا العالم، والموضوعات التي أثارها ومساره العام[1]، ولعل أشهر قصائده "**المرادية**"، – نسبة لافتتاحها بقوله "**مرادي**"، وهذه مقتبسات منها:

مُرَادِي مِن المَوْلَى وَغَايَةُ آَمَالِي دَوَام الرِّضَى وَالعَفو عَنْ سُوءِ أَعْمَالِي

وَتَنْوِيرُ قَلْبِي بِانْسِلَالِ سَخِيمَــة بِهِ اخْلَدَتْنِي عَنْ ذَوِي الخُلْــقِ العَــالِ

وَإِسْقَاطُ تَدْبِيري وَحَوْلِي وقُوَتِــي وَصِدْقِي فِي الأَحْوَالِ وَالفِعْلِ وَالقَــالِ[2].

أما **عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1490م)** لم يكن عالما مصنفا فحسب، بل كان وليا صالحا عاكسا بذلك ثقافة واتجاه عصره، حسبما وصفه التنبكتي في قوله: «كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين»[3]، «جاء تصوفه متماشيا مع نوع الثقافة التي تشرب منها، بعيدا عن مظاهر الشطح والانحراف، حريصا على التمسك الشديد بالأصلين، محاولا أن يوفق ظاهره بباطنه في كل ما يصدر عنه من سلوكات»[4]، من مؤلفاته "**الدر الفائق**" في الأذكار والدعوات،"**قطب العارفين**"، "**نور الأنوار ومصباح الظلام**" و"**العقد النفيس**"، "**رياض الأنس**"، "**جامع الخيرات المصنف لقرب الممات**"، "**اليواقيت الحسان**"، و"**رياض الصالحين**"، و"**الإرشاد في مصالح العباد**"، "**كتاب الرؤية المباركة**"، و"**كتاب النصائح**"، "**العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة**" في مجلد ضخم[5].

و**محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م)** ألف في التصوف بعض المختصرات والشروح والرسائل مثل "**مختصر رعاية المحاسبي**" و"**شرح أبيات الإمام الالبيري (ت537هـ)**"، "**وبعض أبيات العارفين**"، وله "**مختصر بغية السالك في أشرف المسالك للساحلي (ت754هـ)**"[6]، و"**نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير**" ومدافعا فيها

---

[1]– عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص295.

[2]– **ينظر القصيدة كاملة:** الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص327-329.

[3]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص258.

[4]– عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص300.

[5]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص ص259-260؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج**...المصدر السابق، ج1، ص ص279-280؛ الثعالبي، **الجواهر الحسان**...المصدر السابق، ج1، ص36؛ عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص ص90-91؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص228.

[6]– ابن مريم، المصدر السابق، ص246.

عن فضل التصوف ورجاله، فرغ من تأليفها سنة (885هـ/1480م)، نشرها جمال الدين بوقلي كملحق لكتابه "**الإمام السنوسي وعلم التوحيد**"[1].

كما شارك السلطان الزياني **أبو زيان محمد الثاني** (ت801هـ) في علم التصوف من خلال كتابه "**الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة**"[2]، أما **محمد بن عبد الكريم المغيلي** (ت909هـ/1503م) فقد صنف كتابا يرد فيه على غلاة المتصوفة سماه "**تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين**"[3]...إلى غيرهم ممن أثرى هذا الحقل الديني خاصة والعلوم الدينية عامة، والملاحظ عليها أنه أعطيت لها عناية فائقة، وأخذت حصة الأسد، فأصبحت هي الوحيدة المهيمنة في مجال التدريس والتأليف، إلا أنها طغت عليها الشروح والمختصرات من خلال الانكباب على كتب السابقين.

1- عبيد بوداود، **التصوف**...المرجع السابق، ص309؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص441.

2- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص211.

3- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص578؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص256.



الفصـــــل الثاني:

العلوم اللسانية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة

1- علـــوم اللغــــــــــــــة:

2- علـــم الصـــرف والنحــــــو:

3-علـــم البيـــــان والبديــــع:

4-علـــم العـــــروض والقوافــي:

5-علـــــــــــــــــم الأدب:

تنقسم علوم اللسان العربي إلى أربعة أركان هي: **اللغة والنحو والبيان والأدب**، ومعرفتها ضرورية للقائمين على الفقه، ذلك أن الأحكام الشرعية مستنبطة من الكتاب والسنة ولا تقوم المعرفة بهما، إلا لمن تمكن من أدوات التعامل مع هذه اللغة[1]، لذا حظيت هذه العلوم باقبال كبير من قبل الكتّاب والشعراء، وكذلك علماء الدّين لما لها من اتصال وثيق بعلمي القرآن والحديث خاصة وبالعلوم الدينية على وجه العموم، لأن الدارس لا يستطيع أن يصل الى أسرار القرآن وفهم معانيه دون الالمام بمبادئ اللغة[2]، لذا كانت الدعوات للأخذ بهذا العلم لما لها من أهمية على حد لسان عمر بن الخطاب «تعلموا العربية فانها تشبّب العقل، وتزيد في المروءة»[3].

وتبعا لذلك ازدهرت هذه العلوم وازدادت فعاليتها في العهد الزياني ونمت حركتها وازدهرت خاصة عند الابتعاد عن الازدواج اللغوي الذي شجعه الموحدون لنشر دعوتهم باستعمال اللسان البربري الى جانب اللغة العربية، وقد لعبت المجالس اللغوية والعلمية وحلقات الدرس التي كانت تقام بين الأدباء وعلماء اللغة والنحاة دورا في ترقيتها وتنشيطها والتأكد من سلامة اللسان وصفائه وخلوه من التصحيف[4].

1- علـــم اللغــــــــــة:

أ- مفهومــــــــه:

هو علم يتناول بيان الموضوعات اللغوية[5]، «باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية، يقوم بايضاح المعاني بالألفاظ الفصيحة والأقوال البليغة، والغاية منه الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية، ولتحقيق ذلك يحتاج هذا العلم إلى علمي

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص583.

[2]- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص50؛ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص332.

[3]- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت)، ص13.

[4]- خالد بلعربي، **أضواء على الحركة العلمية**...المقال السابق، ص172.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص583.

النحو والصرف»[1]، وللغة أهمية كبيرة اعتبرها القلقشندي: «رأس مال الكاتب، وأسّ كلامه، وكنـز إنفاقـــه»[2].

ب- أهم كتب اللغة المدروسة بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس:

*"**كتاب العين**" للخليل بن أحمد الفراهدي (ت170هـ/786م).

*"**الصحاح**" لاسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ/1003م).

*"**المحكم والمحيط الأعظم**" لابن سيده الأندلسي (ت458هـ/1066م).

*"**الألفاظ**" لابن سكّيت أو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت244هـ/858م).

*"**فقه اللغة وأسرار العربية**" لأبي منصور الثعالبي (ت430هـ/1038م).

*"**الفصيح**" لأبي العباس ثعلب (ت291هـ/903م)[3].

ج- أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم في علم اللغة:

شرح **المقري الجد (ت759هـ/1358م)**[4] "**لغة قصائد المغربي الخطيب**" كما درس "**فصيح ثعلب**" وهو من المختصرات الرائجة في علم اللغة موجه للطلاب[5]، أما **عبد الله محمد بن احمد الشريف التلمساني** (ت792هـ/1389م) فقد درّس علوم العربية ردحا من الزمن، حتى صار قطبا من أقطابها[6]، وساهم **ابن مرزوق الحفيد** (ت842هـ) في إثراء علم اللغة بشرح **قصيدة الشقراطيسي** لأبي محمد عبد الله بن يحى بن علي بن زكرياء الشقراطيسي (ت466هـ/1073م) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي سيرة الصحابة الكرام[7]، تحت عنوان "**المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية**" حسب التنبكتي[8]، و"**الغاية**

---

[1]- ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص111؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص100.

[2]- القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص150.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمــة**...المصدر السابق، ص585-587؛ القلقشندي، **صبـــح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص467-468؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص106-.

[4]- **ينظر ترجمته:** ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص191؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص420-؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص280-.

[5]- المقري الجد، **عمل من طب**...المصدر السابق، ص18، المقري الجد، **القواعد**...المصدر السابق، ص78.

[6]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص455.

[7]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص ص1339-1340.

[8]- **الابتهاج**... المصدر السابق، ص506.

القرطيسية في شرح الشقراطيسية" حسب المقري[1]، أما **عبد الكريم المغيلي** (ت909) فله "**مقدمة في العربية**"[2]، بالاضافة إلى علماء آخرون ساهموا بالدرجة الأولى باختصار وتفسير وشرح الكتب الصعبة وتحليلها ونقدها، كان لها انعكاس ايجابي ودور في تطور اللغة العربية بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث.

2- علـــم الصــــرف والنحــــو:

أ- مفهوم علـــم الصـرف:

الصرف في اللغة معناه: **التغيير**، وفي الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها[3]، أما اصطلاح فهو «العلم الباحث عن الكلمة المفردة من حيث ما يعرض لها من صحة واعتلال وابدال...»[4]، أو كما عرفه طاش كبرى زاده بأنه «علم يعرف منه أنواع المفردات الموضوعة بالوضعي النوعي ودلولاتها والهيئات الاصلية العامة للمفردات والهيئات التغيرية، وكيفية تغيراتها عن هيئاتها الاصلية على الوجه الكلي بالمقاييس الكلية»[5]، وهو كذلك «علم بأصول أبنية الكلم وأحوالها قبل تركيبها، يبحث عن بنية الكلمة وتحويلها من هيئة الى هيئة أخرى، إما لتغيير في المعنى وإما لتسهيل في اللفظ»[6].

وتكمن أهميته في التعرف على أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها فيتصرف فيها بالجمع والتصغير والنسبة إليها[7]، يرتبط في غرضه وغايته بعلم اللغة، من حيث أنه يهدف للابتعاد عن الخطأ وتحصل ملكه ما يذكر بها من الأحوال[8].

1- **نفح الطيب**... المصدر السابق، ج5، ص429.

2- ابن مريم، المصدر السابق، ص256.

3- نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي، **زبدة الصحائف في أصول المعارف**، ج1، دون دار نشر، بيروت، 1874، ص139.

4- أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، **القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**، تحقيق: حميد حماني، مطبعة شالة، الرباط، ط1، 1998، ص224.

5- **مفتاح السعادة**... المصدر السابق، ج1، ص127.

6- جرجي شاهين عطية، **سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان**، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط4، (دت)، ص02؛ **ينظر أيضا**: السكاكي، **مفتـــاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، دار اكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص10.

7- القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص467-468.

8- ابن الاكفاني، المصدر السابق، ص113.

ب- مفهوم علـــم النحو:

يعتبر **النحو** «أصل علوم العربية وأقدمها نشأة وأغزرها مادة وتأليفا، إذ يعد قانون اللغة العربية، وميزان تقويمها»[1]، معناه في **اللغة: القصد**، أو **الاعراب**، اورده ابن منظور في قاموسه «النحو: اعراب الكلام العربي»[2]، أو في قوله: «والاعراب الذي هو النحو انما هو الابانة عن المعاني بالألفاظ»[3]، ثم غلب استخدام مصطلح النحو، وصار علما على المباحث المتعلقة بقواعد اللغة العربية، سواء كان ذلك من ناحية المفردات والتركيب[4].

وفي **الاصطلاح** هو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناءً[5]، عرفه ابن الأكفاني بأنه «علم يتعرف منه أحوال اللفظ المركب من جهة ما يلحقه من التغايير المسماة بالاعراب والبناء، وأنواعها من الحركات والحروف، ومواضعها ولزومها، وكيفية دخولها في الجمل لتبين دلالتها»[6]، أو هو علم «باحث عن أحوال المركبات الموضوعة وضعا نوعيا لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها»[7].

إنّ نشأة النحو له علاقة بمجيء الاسلام وفتوحاته ودخول أقوام جديدة (العجم) فيه لا تعرف اللغة العربية، وخوفا من فساد اللغة والفهم الخاطئ للقرآن والحديث وضعوا علم النحو، وعن ذلك يقول الزبيدي (ت379هـ) «ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر اسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان، فدخل فيها الناس أفواجا، وأقبلوا فيه أرسالا، واجتمعت فيه الالسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منه في الاعراب الذي هو حليها، والموضح لمعانيها، فتفطن لذلك من نافر

---

[1]- القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص167.

[2]- **لسان العرب**...المصدر السابق، ج15 **(مادة نحا)**، ص309.

[3]- المصدر نفسه، ج1 **(مادة عرب)**، ص589.

[4]- غانم قدوري الحمد، **أبحاث في العربية الفصحى**، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص46.

[5]- نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي، المرجع السابق، ج1، ص127.

[6]- **ارشاد القاصد**...المصدر السابق، ص122.

[7]- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص138. **ينظر أيضا**: أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصـــائص**، ج1، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دت)، ص34؛ محمد الشيباني الجزري أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير، **البديع في علم العربية**، ج1، تحقيق: فتحي احمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1420هـ، ص07؛ ضياء الدين ان الأثير الجزري، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، تحقيق: مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956، ص07-؛ جرجي شاهين عطية، المرجع السابق، ص135.

بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الاشفاق من فشوّ ذلك وغلبته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه»[1]، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون في قوله: «وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قونين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الاشباه بالاشباه، مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وامثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو»[2]، فكان أول من أصل ذلك وأعمل فكره فيه، ووضع للنحو أبوابا وأصل له أصولا هو: **أبو الأسود الدؤلي** (ت69هـ/688م) بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3]، ثم عرف النحو تطورا وانتشارا مع مرور الزمن[4]، نظرا لأهميته فبواسطته «تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الافادة»[5]، كما أنه معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه[6]، وبفضله يتم الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية[7]، بالإضافة إلى معرفة الإعراب[8].

إنّ ما يمكن توضيحه أن علم النحو لا ينفك عن علم الصرف، وهما علمان متزامنان متلازمان، فعلم الصرف يبحث عن الكلمة وهي مفردة فيبين ما لأحرفها من اصالة وزيادة

---

[1]– أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، المصدر السابق، ص11.

[2]– **المقدمة**...المصدر السابق، ص584.

[3]– أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، المصدر السابق، ص11؛ **وعن أبي الأسود الدؤلي ينظر:** المصدر نفسه، ص21–؛ أبو الطيب الحلبي، **مراتب النحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (دت)، ص06–.

[4]– **ينظر عن ذلك:** محمد الطنطاوي، **نشأة النحو وتاريخ أشهر الرواة**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995، ص34–.

[5]– عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص583.

[6]– عبد العزيز عتيق، **علم العروض والقافية**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص07.

[7]– طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص138.

[8]– نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي، المرجع السابق، ص138.

وصحة واعلال، وما يطرا عليها من تغيير من حالة إلى أخرى، وعلم النحو يبحث عنها وهي مركبة جملا، فيبين ما يجب ان تكون عليه أواخرها من رفع أو نصب أو جر أو جزم...، إلا أن علم الصرف مقدم على علم النحو، لأنه يبحث عن ذات المفردات والنحو عن صفة المركبات[1].

ج- أهم كتب النحو والصرف المدروسة بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس:

*"**الجمل**" لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت340هـ/951م).

*"**الجازولية**" لابن موسى الجازولي (ت607هـ/1210م).

*"**الأجرومية**" لأبي عبد الله محمد الصنهاجي المعروف بابن اجروم (ت723هـ/1323م).

*"**مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**" و"**الإعراب عن قواعد الإعراب**" لعبد الله بن هشام الأنصاري (ت761هـ/1360م).

*"**الألفية**" و"**التسهيل**" والمسمى "**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**" لأبي عبد الله محمد بن مالك الأندلسي (ت672هـ/1273م).

*"**الايضاح للفارسي**" لأبي علي الفارسي (ت377هـ/977م)

*"**كتاب النحو**" للسيبويه أبي بشير بن عمر (ت180هـ/680م).

*"**المفصل في النحو**" للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ/1143م).

*"**الكافية**" لعثمان بن عمر بن الحاجب (ت646هـ1248م)[2].

د- أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم في علم النحو والصرف:

لقد كانت دراسة النحو ومبادئه الأولية على الأقل ضرورة في جميع الأوساط المثقفة، بما في ذلك أوساط العلماء الذين كان شغلهم الشاغل في العلوم الدينية والشرعية، وقد انجرت عن ذلك بالضرورة عبر التاريخ زيادة تكون متواصلة في عدد المؤلفات النحوية،

---

[1]- جرجي شاهين عطية، المرجع السابق، ص3.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص585؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص170-؛ الغبريني، المصدر السابق، ص103؛ 126؛ 318-319؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص117؛ ص126؛ 143؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص253؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص171؛ ص469؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص74؛ عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص49؛ عثمان الكعاك، المرجع السابق، 248.

سواء كانت شروحات أو مؤلفات أصلية[1]، ولعل أهم علماء المغرب الأوسط الذين أثرو علمي الصرف والنحو إما تدريسا أو تأليفا، **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون القلعي (ت673هـ/1274م)** الذي تتلمذ على يده الغبريني لأكثر من عشر سنين، ويعتبره أفضل من لقيه في علم العربية التي كان فيها بارعا، محكما لجميع فنونها خاصة اللغة والأدب والنحو والصرف الذي كان فيه قويا محبا فيه للتعليل، كما كان مجلسه يغص بجمع كبير من الطلبة، يقرؤون عليه مختلف الكتب النحوية واللغوية والأدبية «ويقوم على جميعها أحسن قيام»[2]، خاصة كتاب "الإيضاح للفارسي" في النحو الذي كان يؤثره على غيره من الكتب، ومما ألفه ودرّسه "**الموضح في النحو**" و"**حدق العيون في تنقيح القانون**" و"**نشر الخفي في مشكلات ابن علي الفارسي**"[3]، وكذلك **أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري** الأديب النحوي واللغوي، له علم بالعربية بمختلف فنونها وكان فيها جيدا، قرأ عليه الغبريني العديد من كتب النحو، وكان مجلسه يطول لكثرة الطلبة وكثرة تفننهم فيما يقرؤون[4].

وكذلك **المقري الجد (ت759هـ)** الذي "**شرح التسهيل**" لكنه لم يكمله، كما له "**شرح النظائر**" وهو كتاب" الإشباه والنظائر النحوية" لجلال الدين السيوطي، بالإضافة إلى **إعرابه للقرآن الكريم**[5]، أما **ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1408م)** فقد شرح ألفية ابن مالك وسماها "**هدية أو هواية السالك في بيان ألفية ابن مالك**" وهو اليوم ضائع، و"**الابراهيمية في مبادئ العربية**" في قواعد النحو أهداه إلى أحد الأمراء[6]، أما **أحمد بن علي بن منصور البجائي (ت837هـ/1433م)** فقد شرح هو الآخر "**الأجرومية**"[7].

---

[1]- برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص419.

[2] – الغبريني، المصدر السابق، ص94.

[3]- المصدر نفسه، ص95.

[4]- نفسه، ص103.

[5]- المقري الجد، **عمل من طب**...المصدر السابق، ص18؛ المقري الجد، **القواعد**...المصدر السابق، ص78؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص345.

[6]- ابن قنفذ، **الوفيات**...المصدر السابق، ص ص14-15؛ يوسف قرقور، "**مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين لابن قنفذ القسنطيني رياضي مغاربي من القرن (8هـ/14م)**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، السنة17، العدد67، اكتوبر2009، ص175.

[7]- بشير ضيف، المرجع السابق، ص332.

أما **ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)** فقد كانت له مشاركة قيمة في علم النحو حتى قيل عنه: «لو رآه محمود (الزمخشري) لتلجلج في قراءة المفصل واستقل ما عنده من القدر المحصل،... بل لو رآه الخليل لقال: هذا هو القصد الجليل وأثنى عليه بكل جميل، وقال لفرسان النحو، ما لكم إلى لحوق عربيته من سبيل»[1]، ولعل أهم إسهاماته "**شرح التسهيل**" والألفية[2]، سماها "**ايضاح المسالك في ألفية ابن مالك**"، وهو مجلد في غاية الاتقان انتهى فيه الى اسم الاشارة والموصول، كما نظم أرجوزة اختصر فيها الألفية، وله أيضا "**المعـــراج إلى استمطار فؤاد الأستاذ ابن سراج**" أجاب فيه ابن سراج (قاضي غرناطة) في مسائل نحوية ومنطقية[3]، كما شرح" **شواهد شراح الألفية**" وصل فيه إلى باب كان وأخواتها[4]، بالإضافة إلى تميزه بتدريس إعراب القرآن الكريم[5].

أما **قاسم العقباني (ت854هـ/1450م)** المجتهد الذي «اتحد في علمي اللسان والبيان»[6]، فقد ألف "**قواعد النحو**"[7]، و**إبراهيم بن فائد بن موسى الزّواوي القسنطيني (857هـ/1458م)** الذي شرح "**ألفية بن مالك**" في مجلد واحد[8]، وله أيضا "نظما **في العربية**"[9]، به أربعة أبواب: الأول بعنوان: **الجملة وأحكامها**، والثاني خاص: **بالجار والمجرور**، والثالث: **في كلمات يحتاج اليها المعرب وهي عشرون كلمة**، والباب الرابع: **في الاشارات الى عبارات محررات مستوفيات**، يعالج في كل باب عدة مسائل[10]، وكان الهدف من كتابه حصر قواعد الاعراب حصرا موجزا ليسهل على الطلاب فهمها في أربعة أبواب

---

[1]– المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص422.

[2]– الشوكاني، المرجع السابق، ج2، ص120.

[3]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص507.

[4]– المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص430.

[5]– القلصادي، **الرحلة**...المصدر السابق، ص97.

[6]– المصدر نفسه، ص107.

[7]– بشير ضيف، المرجع السابق، ص332.

[8]– السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص116؛ ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج1، ص193.

[9]– محققة ومنشورة تحت عنوان: "**نظم الزواوي**" ضمن كتاب "**نصوص في علم النحو والصرف**" من طرف عبد الكريم قبول سنة 2005. **ينظر**: مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص334.

[10]– الحسين مرداس السباعي، **القبس النحوي في شرح نظم الزواوي للشيخ أبي الفداء زيان بن فائد الزواوي**، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 2004، ص ص13-113.

على شكل نظم يتكون من مائة وخمسين بيتا[1]، وله أيضا "**أرجوزة في الجمل والمجرورات وكلمات يحتاج إليها المعرب**" اعتمد في تأليفها على أمهات كتب اللغويين والنحاة كالزمخشري وابن الجني وابن مالك والفارسي...[2]، أما **عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1669م)** فقد أثرى علم النحو من خلال كتبه في إعراب القرآن وغريبه مثل: "**الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز**" و"**تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن**"[3].

بالاضافة إلى **أبي عبد الله محمد بن العباس (ت871هـ)** فقد ألف "**تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال**" في الصرف[4]، وللقلصادي **أبي الحسن علي (ت891هـ/1487م)** تآليف كثيرة منها "**غنية النحاة**" وشرحاه الأكبر والأصغر[5]، وشروحه على **ألفية ابن مالك والأجرومية وجمل** الزجاجي بالاضافة إلى "**ملحة الاعراب**" للحريري[6]، في حين شرح **محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) الآجرومية** في كتاب سماه "**الدر المنظوم في شرح قواعد ابن آجروم**" في النحو والإعراب[7].

أما **أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1508م)** فقد كان «فصيح اللسان والقلم حتى قال بعض طلابه لو حضر مجلسه سيبويه لأخذ النحو من فيه»[8]، كما يضاف الى هؤلاء النحاة الفقيه النحوي **محمد بن محمد بن العباس التلمساني** (توفي بعد 920هـ) صنف مجموعا فيه فوائد ومرويات وعمديات وأبحاث في النحو[9].

1- الحسين مرداس السباعي، المرجع السابق، ص11؛ ص113.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص335-336.

3- التنبكتي، **كفاية المحتاج**...المصدر السابق، ج1، ص280؛ الثعالبي، **الجواهر**...المصدر السابق، ج1، ص37.

4- محمد مخلوف، المرجع السابق، ص264.

5- المرجع نفسه، ص261.

6- ابن مريم، المصدر السابق، ص143.

7- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص572.

8- أحمد المنجور، المصدر السابق، ص53.

9- ابن مريم، المصدر السابق، ص259.

3- علـــم البيـــان والبديــــع:

أ- مفـــهوم علم البيان:

معناه في اللغة: **الكشف** و**الايضاح**، وفي الاصطلاح هو معرفة «ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»، والهدف منه هو تحصيل ملكة الافادة بالدلالة العقلية وفهم مدلولاتها، واختيار الأوضح منها مع فصاحة المفردات[1]، وتكمن ثمرة هذا العلم في فهم الاعجاز القرآني[2]، يشتمل على: **التشبيه والمجاز والكناية**[3].

ب-مفهوم علم البديــع:

معناه في اللغة: **المُختَرَع والمُوجَد** على غير مثال سابق، واصطلاحا هو«علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء»[4]، أو هو«علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»[5]، وهو ضربان: معنوي ولفظي[6]، أو هو حسب ابن خلدون «النظرُ في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنمق، إما بسجعِ يفْصِلُه، أو تجنيس يشابِهُ بين ألفاظه، أو ترصيع يقطعُ أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنًى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباقٍ بالتقابل بين الأضداد»[7]، وقد نال حظه عند أهل المغرب الذين اهتموا به وقاموا بتزين ألفاظه وجعلوه من جملة الأدب الشعرية، وفرعوه له ألقابا وعددوا له أبوابا ونوعوا له أنواعا لأنه سهل المأخذ،

---

[1]- القزويني، **تلخيص المفتـــاح**، تحقيق: نصر الله داغر، طبع في بيروت، 1306هـ، ص53؛ **ينظر أيضا**: عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، المصدر السابق، ورقة12؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص168؛ السكاكي، المصدر السابق، ص242؛ احمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت، (دت)، ص216؛ محمد علي سلطاني، **المختار من علوم البلاغة والعروض**، دار العصماء، دمشق، ط1، 2008، ص83؛ اليوسي، المرجع السابق، ص229.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص590.

[3]- القزويني، **التلخيص**...المصدر السابق، ص53.

[4]- احمد الهاشمي، المرجع السابق، ص299.

[5]- القزويني، **الايضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص255. **ينظر أيضا**: القزويني، **التلخيص**...المصدر السابق، ص78.

[6]- **ينظر**: السكاكي، المصدر السابق، ص423-432.

[7]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص589؛ **ينظر أيضا**: عبد العزيز عتيق، **في البلاغة العربية: علم البديع**، دار النهضة العربية، بيروت، (دت)، ص07.

في حين تجافوا علم البيان وما تعلق بأمور البلاغة الأخرى لدقة انظارها وغموض معانيها، وقد كان هذا العلم محل اهتمام عند المشارقة لأنه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في العمران، والمشرق أوفر عمرانا[1].

ج- أهم كتب علم البيان والبديع المدروسة بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس:

اهتم علماء المغرب الأوسط بكتاب "**تلخيص المفتاح في المعاني والبيان**" للخطيب جلال الدين القزويني (ت739هـ/1338م)، وهو من أجود المختصرات تعهده العلماء بالشرح والتدريس، وله شرح يسمى "**إيضاح التلخيص**"، بالاضافة إلى "**المصباح**" لابن مالك[2]، وكذلك قصيدة "**بالبردة**" للامام شرف الدين ابي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري(ت696هـ/1295م)، لكونها تعد ضمن علم البديع[3].

د- أهم انتاج علماء الأوسط في علم البيان والبديع خلال العهد المدروس:

اقتصر أهر المغرب الأوسط في هذا المجال على مصنفات المشارقة فشرحوا كتاب "**تلخيص المفتاح**" للقزويني، ولعل أبرز شراحه **ابن قنفذ** (ت810هـ/1407م) وسماه "التلخيص في شرح التلخيص"[4]، **وابن مرزوق الحفيد** (ت842هـ/1438م) نظم عليه ارجوزة بعنوان "**مواهب الفتاح في نظر تلخيص المفتاح**" توجد منها نسخة في دار الناصرية بتامكروت تحت رقم1659[5]، وكذلك **ابن زاغو** (ت845هـ/1441م)، كما قام بتدريس البيان والعربية بالمدرسة اليعقوبية وكان القلصادي واحد من الطلبة الذين استفادو من ذلك[6]،

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص589- 590.

[2]- المصدر نفسه، ص589؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص194-؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص75.

[3]- تسمى "**بالكواكب الدرية في مدح خير البرية**" تعتبر من أفضل وأشهر وأعجب القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الهجري، عرفت انتشارا واسعا وسريعا بين المسلمين، فكان مصدر الهام لهم يحذون حذوها وينسجون على منوالها وينهجون نهجها. **ينظر عنها وعن صاحبها**: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص1331-.

[4]- مختار حساني، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج4، ص164.

[5]- صباح مجاهدي، **المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبابا الخزرجية لابي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد العجيسي (842-766هـ) تحقيق ودراسة**، رسالة دكتوراه في العلوم العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014-2015، ص35.

[6]- القلصادي، المصدر السابق، ص104.

وإبراهيم بن فائد بن موسى الزّواوي (ت857هـ/1458م) هو الآخر شرح التلخيص وسماه "**تلخيص التلخيص**"[1]، أما **عبد الكريم المغيلي** (ت909هـ/1503م) فله شرحان على "مختصر تلخيص المفتاح" سماه "**التبيان في علم البيان**" أو "**مقدمة في التبيان في علم البيان**" يمثل مزجا بين تلخيص المفتاح للقزويني ومختصر تلخيص المفتاح للتفتازي، وهو محقق من قبل ابو ازهر بلخير هانم (دار الكتب العلمية، بيروت، 2010)، كما شرح كتابه السابق وسماه "**شرح التبيان في علم البيان**"[2].

أما **عبد الله محمد بن احمد الشريف التلمساني** (ت792هـ/1389م) فيعتبر من أهم علماء المغرب الأوسط الذي درّس علم البيان وكتب السابقين كالايضاح والتلخيص بالاضافة إلى اللغة العربية مدة طويلة حتى صار قطبا من أقطابها وعلما من أعلامها[3]، في حين يعد **ابن مرزوق الحفيد** أهم واحد أثرى هذا الحقل الأدبي فقد كان يدرس علم البيان والبلاغة لطلابه، كما له "**خطبا جمعية**" بليغة البيان تكتسي قيمة أدبية عالية[4].

أما أهم عمل قام به وأثرى به علم البيان والبديع هو شرحه لقصيدة "**البردة**" حيث أقام عليها ثلاثة شروح: الأكبر والأوسط[5] والأصغر[6]، مبتدئا بالشرح الأصغر مدفوعا بحبه واعجابه لهذه القصيدة ورغبته العارمة في التأليف، بعدما تذوق هذا المحتوى ولمس جماليته وبديعه، وممتثلا لطلب بعض اصدقائه حسبما وضحه في قوله: «...وليس لي من البضاعة ما أحصل به منها ما إاليه النفس تتوق، فلم أصل إلى التلذذ ببعض ما فيها إلا بالنظر، ولم أنقلب عن نيل ادراك ما أنويه من ذلك إلا بالعيّ والحصر، حتى دعاني بعض اخواني من الأصحاب إلى التكلم على ما في القصيدة من ألباب البديع والاعراب فأجبته إلى ذلك،

1- التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص53؛ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص334.

2- المغيلي، **مختصران**...المصدر السابق، ص33.

3- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص455.

4- بشير ضيف، المرجع السابق، ص374.

5- هذا الشرح لم يثبت له عنوان في شتى التراجم التي ذكرته، ومن المحتمل أن يكون شرحا مختصرا للشرح الأكبر.

6- المقري، **نفح الطيب**... المصدر السابق، ج5، ص429.

ووضعت فيه مجموعا سميته "بالاستيعاب"»[1]، فكان بذلك أول اشتغاله على البردة وسماه: "**الاستيعاب لما فيها (البردة) من البيان والإعراب**"[2]، مركزا على الاعراب والبديع، وقد لقي هذا الشرح قبولا واستحسانا كبيرين بين الناس، مطالبين من ابن مرزوق الحفيد المزيد، فأكمل شرح القصيدة بشكل أوسع وأضخم حسبما وضحه في قوله: «فوقع من الاخوان لفضلهم موقع التعظيم والتبجيل فاستدعوا مني أن أضم إلى ذلك المؤلف بالشرح ليقع التكميل،...ولم أجد بدا من امتثال ما إليه أشاروا ولا سبيلا إلى خلافهم، فوضعت عليها شرحا بذلك من اللفظ صعابه ويحط عن وجه المعنى نقابه...وسميت المجموع المذكور "**بإظهار صدق المودة في شرح البردة**"»[3]، استوفى فيه غاية الاستفاء ضمنه سبعة فنون في كل بيت حسبما رواه المقري[4]، حيث قام **بشرح** غريب ألفاظها و**تفسير** أبياتها واستخراج ما فيها من **المعاني** و**البيان** و**البديع** و**اعرابها** والتنبيه **لاشاراتها الصوفية**[5].

بالاضافة إلى **عبد الرحمن بن خلدون (ت808ه) الذي** "**شرح البردة**" شرحا دل على مقدرته في الادب والعلوم العربية[6]، وكذلك **سعيد العقباني (ت811ه/1480م)** الذي لازال شرحه مخطوطا بالمكتبة الوطنية الجزائرية[7]، وغيرهم من العلماء الذين أثرو هذا الحقل الأدبي.

---

[1]– محمد فلاق، **اظهار صدق المودة في شرح البردة لأبي عبد الله بن مرزوق الحفيد التلمساني: دراسة وتحقيق**، رسالة ماجسيتر من كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم الأدب العربي تخصص اللغة والأدب العربي، فرع نقد وبلاغة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2009–2010، ص61.

[2]– المقري، **نفح الطيب**... المصدر السابق، ج5، ص429.

[3]– محمد فلاق، المرجع السابق، ص ص61–62.

[4]– **نفح الطيب**... المصدر السابق، ج5، ص429.

[5]– محمد فلاق، المرجع السابق، ص61.

[6] – محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، المرجع السابق، ج4، ص85.

[7]– السخاوي، المصدر السابق، ج6، ص181؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص190. **ينظر عنه:** سعيد العقباني، **شـــرح البـــردة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 26أ.

4- علـــم العـروض والقوافـــي:

أ- علم العروض:

لغة يعني **الناحية**، أما اصطلاحا فهو «علم يتعرف منه صحيح الشعر من فاسده، وما يعتريه من زحافات وعلل»[1]، أو هو «علم يتعرف منه صحيح أوزان الشعر وفاسدها، وأنواع الأوزان المستعملة المسماة بالبحور، وكيفية تحليلها إلى أجزائها المسماة بالتفاعيل»[2]، وبالتالي يتم الاحتراز عن الخطأ في ايراد الكلام على الإيقاعات المعتبرة وهذه هي الغاية المستنبطة منه، أما مبادؤه هو مقدمات حاصلة من تتبع أشعار العرب[3]، فهو «ميزان الشعر أو موسيقى الشعر، به يعرف مكسوره من موزونه»[4].

ب- علم القوافي:

هو «علم يتعرف من أحوال نهايات الشعر على أي وجه تكون وكم هي، وأي النهايات بحرف، وأيها بأكثر من حرف، وكم أكثرها، وما يجوز أن يبدل منا بما يساويه في الزنة»[5]، أو كما عرف طاش كبرى زاده في قوله: «علم يبحث فيه عن تناسب أعجاز البيت وعيوبها، غرضه: تحصيل ملكة ايراد الأبيات، على أعجاز متناسبة خالية عن العيوب التي يتنفر عنها الطبع السليم، على الوجه الذي اعتبره العرب»[6].

ج- أهم علماء وانتاجهم في علمي العروض والقوافي:

رغم أهمية هذا العلم في الدراسات اللغوية إلا أنه لم ينل حظه من العناية والتأليف، فما زال علم العروض والقوافي يشهد نفورا كبيرا من قبل الباحثين والمؤلفين، بدعوى أنه علم صعب لا يسهل ارتياضه، وهو عند البعض مجرد وسواس وهذيان وأنه غير نافع ولا مفيد،

---

[1]- محمد بن حسن بن عثمان، **المرشد الوافي في العروض والقوافي** دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص06.
[2]- ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص119.
[3]- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص198.
[4]- عبد العزيز عتيق، **علم العروض**...المرجع السابق، ص07؛ ص11.
[5]- ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص121.
[6]- **مفتاح السعادة**... المصدر السابق، ج1، ص202.

بل هو علم مستغنى عنه، بدليل أن ثعلب أبو العباس كان واحدا في عصره وفريدا في دهره ولم يكن يحسن العروض ولم يضره ذلك[1].

وخلال فترة البحث توجهت اهتمامات علماء المغرب الأوسط على دراسة وتدريس وشرح أهم كتاب ألف في علمي العروض والقوافي **لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي (ت626هـ/1229م)** وهو "**الرامزة الشافية في علم العروض والقافية**" والمعروف باسم "**الخزرجية**"[2] نسبة الى اسمه، حيث شرحها **ابن قنفذ القسنطيني** (ت810هـ/1407م) سماها "**بسط الرموز الخفية في عروض الخزرجية**"[3]، وكذلك **أحمد بن أحمد البسيلي أبو العباس (ت830هـ/1427م)**[4]، و**القلصادي أبي الحسن علي (ت891هـ/1487م)** بالإضافة إلى "**مختصره في العروض**"[5]، و**للونشريسي أحمد بن يحي (ت914هـ/1508م) شرحا على الخزرجية** لا يزال مخطوطا بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1061/ق[6].

إلا أن أهم شرح وصلنا يعود إلى **ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1438م)** سماه "**المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية**"[7]، كما ورد بعنوان "**المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية**" في مقدمة صاحبه[8]، شرحه بأسلوب علمي سهل وعبارات واضحة سلسة، مثريا كتابه بالشرح الطويل والتعليل العلمي الدقيق، مظهرا بذلك كل الأسرار والخبايا التي انطوت عليها القصيدة الخزرجية، ومستدركا ما أغلفه بعض العلماء

---

[1]– أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، **الجامع في العروض والقوافي**، تحقيق: زهير غازي زاهد وهلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996، ص35.

[2]–هي قصيدة في علمي العروض والقافية، ذاع استعمالها بين المعلمين والمتعلمين نظرا لما يتضمنه متنها من أبواب ومواضيع أساسية تخص هذين العلمين، تتكون من ستة وتسعين بيتا، بها مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة. **ينظر عنها**: صباح مجاهدي، المرجع السابق، ص ص16–23.

[3]– يوسف قرقور، "**مبادئ السالكين**...المقال السابق، ص175.

[4]– بشير ضيف، المرجع السابق، ص432.

[5]– ابن مريم، المصدر السابق، ص143.

[6]– الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج1، مقدمة المحقق الصفحة هـ.

[7]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص506.

[8]– صباح مجاهدي، المرجع السابق85.

السابقين في شروحهم على القصيدة[1]، حسبما وضحه في قوله: «...وتكلم عليها سادات وأعلام فسهلوا منها ما بقي صعبا على الأفهام، واستدركوا شيئا يسيرا من محاسنها التي أغفل ذلك الإمام...ثم جئت على الأثر والفضل عندهم، فظهر لي أنه بقي من حل تركيب ألفاظها ما لا بد من ذكره، ومن محاسن معانيها وايضاح بيانها، وزينة بديعها ما ينبغي التنبيه عليه، ولا يغفل بعظم قدره فوضعت عليها شرحا جليلا، بكل مليحة كما تراه كفيلا، وسميته: "**المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبابا الخزرجية**»[2].

تحمل هذا الفقرة المقتطفة من مقدمته سبب شرحه لكتاب الخزرجية، إلا أن هناك سببا آخر، يكمن في ضرورة المساواة بين علم النحو والعروض، فالأول يحتل صدارة علوم اللغة وخاصة في دراسة القرآن وتفسيره، أما الثاني فمستغنى عنه قليل التأليف والخوض فيه، رغم أنه يماثله ويساويه في المرتبة حسب رأيه، ودليله في ذلك أن الشريعة الاسلامية خصت موضوع علم العروض الذي هو الشعر بالعناية والاهتمام، لذا اختار الخزرجية التي تعد أهم متون اللغة العربية المشهورة في علمي العروض والقوافي لفك مقفلاتها ورموزها بطريقة علمية سهلة وواضحة[3]، وقد فرغ من ذلك سنة (819هـ) بتونس[4].

كما شارك **عفيف الدين الكومي التلمساني** (ت690هـ) في هذا العلم من خلال "**كتاب في العروض**"[5]، **ولابراهيم بن أبي بكر التلمساني** (ت690هـ) "**مقالات في العروض**"[6]، أما **محمد بن عبد الكريم المغيلي** (ت909هـ) فقد صنف "**المعروض في علم العروض**"[7].

1- صباح مجاهدي، المرجع السابق، ص42.
2- المرجع نفسه، ص85.
3- نفسه، ص38.
4- نفسه، ص384.
5- بشير ضيف، المرجع السابق، ص432.
6- ابن مريم، المصدر السابق، ص56.
7- بشير ضيف، المرجع السابق، ص434.

5- علـــــــــم الأدب:

أ- مفهومـــــه:

«هو علم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم»[1]، وبتعبير آخر هو ما يعبر عن معنى الحياة بأسلوب لطيف جميل سواء أكان ذلك شعرا أو نثرا[2]، و ينقسم الأدب حسب ابن خلدون إلى قسمين: «اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين: في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية (ومنه المدح والهجاء والرثاء)، وفي النثر: وهو الكلام غير الموزون، وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام»[3]، ويتطلب التمكن من هذا العلم بين الحفظ والدراسة: لأشعار العرب وأنسابهم الشهيرة وأخبارهم العامة، وعلوم اللسان العربي وبالخصوص اللغة والنحو، والقرآن والحديث[4]...

ب- علم الأدب بالمغرب الأوسط وإنتاج العلماء فيه:

لقد عرف الأدب خلال فترة البحث ازدهارا كبيرا وتطورا محسوسا من حيث الكم والكيف، حيث كان لسلاطين وحكام المغرب الأوسط دور كبير في ذلك من خلال عنايتهم وتنشيطهم للحركة العلمية والأدبية، وميولات البعض منهم حيث العديد منهم كان عالما أديبا يقرض الشعر ويحب أهله[5]، كما كان لجمال وسحر طبيعة المغرب الأوسط وبالخصوص تلمسان أثر في تحريك إحساس الأدباء والشعراء حيث فجرت مواهبهم وشحنت قرائحهم[6]، وبذلك استطاعت أن تنال حظا وافرا من الاهتمام والاعتناء، فاحتفى بها الشعر وأشاد بمجدها النثر[7]، وعن ذلك يقول رشيد مصطفاي: «تلمسان من المدن التي حظيت بعناية

1- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص590.

2- عوض عبد الكريم ذنيبات، المرجع السابق، ص155.

3- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص605.

4- صابرة خطيف، المرجع السابق، ص331.

5- محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص221.

6- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ص241.

7- جلول بدوي، "**تلمسان موطن السحر والشعر**"، **مجلة الأصالة**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، السّنة 4، العدد 26، 1975، ص361.

الشعراء والكتاب، فقالوا فيها قصائد رائعة وحبروا فيها رسائل بليغة، لأن جمال طبيعتها الفتان يجعل الأديب لا يمتلك إذا علقت عيناه به أن ينشر محاسنها في أبيات ينظمها أو رسالة يحبرها...»[1]، بالإضافة إلى هجرة الأندلسيين خاصة أرباب القلم، كما كان لسقوط المدن الأندلسية في يد النصارى تأثيرا كبيرا في في تنشيط حقل الأدب بفنيه حيث حفز ذلك الأدباء الذين خاضوا المعركة بالشعر والكتابة والخطابة بالدعوة إلى إنقاذ الفردوس المفقود[2].

كل هذه العوامل ساهمت في تقدم علم الأدب نثرا وشعرا، وجعلته محط اهتمام واحترام كل الطبقات والفئات الاجتماعية، حيث تأثر أدب المغرب الأوسط بأدب المشرق والأندلس دون أن يفقد شخصيته وما له من خصائص ومميزات[3]، وقد برز في هذا المجال كوكبة كبيرة من الأدباء والشعراء ولعل أبرزهم فـــــــــي:

❖ **النثـــــــر:**

هو خلاف الشعر، وهو شكل أدبي للكلام غير الموزون[4]، يمكن أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه[5]، فيكون إما نثرا مسجوعا وهو الذي يؤتى قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، أو نثرا مرسلا وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا، ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالا من غير تعبير بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء والترغيب والترهيب[6]...

وقد بلغ هذا الفن خلال العهد المدروس درجة كبيرة ومنزلة هامة، حيث «كان يشع من وقت لآخر، حيث دفعه الكتّاب دفعة فنية، فزينوه بالخيال الفسيح الذي لائم الجمال الطبيعي البديع، وحسنوه بالتشبيهات والاستعارات والعبارات الراقية، ونمقوه بالسجع الذي تضمن أحيانا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار العربية والأمثال والحكم، حيث اشتمل كل مظاهر

---

[1]- محمد المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص321.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص583.

[3]- لخضر العبدلي، **الحياة الثقافية**...المرجع السابق، ص183.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص605.

[5]- أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، **نقد النثر (كتاب البيان)**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980، ص93. **وللتعريف بهذه الفنون ينظر**: المصدر نفسه، ص ص93-97.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص603.

الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية»، وإلى جانب هذا النثر الفني نجد نثرًا مرسلا في الأسلوب العلمي والكتابة التاريخية كالذي انفرد به يحي بن خلدون وأبي عبد الله التنسي[1].

بالاضافة الى المقدمات السجعية التي كان الكتاب يتفننون فيها، وفي الاجازات التي كانوا يتلقونها عن بعضهم، وفي الرسائل الاخوانية التي كانوا يتبادلونها، والرسائل السلطانية التي كانوا ينشوؤنها ويتضلعون فيها[2]، إلا أنه نتيجة ضياع المصادر كاد ينحصر النثر في الرسائل وعدد الكتب التاريخية والأدبية لاندثار معظم الأغراض النثرية الأخرى وضياعها ولاسيما المقامات والخطب[3].

ومن الطبيعي أن ينال ميدان النثر الفني نصيب الأسد من الاهتمام، بعد أن اتسع نشاط الحركة العلمية في المغرب الأوسط خلال العهد المدروس، وشكلت الكتابة أحد أبرز الفنون النثرية وتبوأت مكانة رفيعة، حيث كان للكاتب في المغرب الأوسط منزلة عظيمة في نفوس الملوك وعامة الناس، ولذلك لا يتولى هذا المنصب إلا من أوتي قدرا كبيرا من العلم والمعرفة لأن من نال شرف اسم الكاتب وخوطب به لا يجوز في حقه الغلط البيّن، لأن الناس يترصدون عثراته، ولا يكادون يغفلون عنها لحظة مهما كانت منزلته الاجتماعية وقرابته من الحاكم[4]، وتبعا لذلك كان من أهم صفات الكاتب (السرّ) أن يكون «فصيح اللسان مريد الجنان، بليغ البيان عارفا بالآداب، سالك طريق الصواب، بارع الخطب حسن الضبط، عالما بالحل والربط، كاتما للأسرار ...»[5]، وكل ذلك «لأن الكاتب عنوان المملكة»[6].

لذا تنافس السلاطين في تقريب الكتّاب وإكرامهم، وسعى كل واحد منهم إلى ضم أشهرهم، أمثال **أبا بكر محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب المرسي الأندلسي** (ت686هـ/1238م)، يعد «خاتمة أهل الأدب المبرز في عصره على سائر الكتّاب، ومن

1- محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص221.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص75؛ **لأكثر تفاصيل ينظر**: عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص ص457-463.

3- المرجع نفسه، ج2، ص457.

4- المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ص217.

5- السلطان أبو حمو، المصدر السابق، ص122.

6- المصدر نفسه، ص123.

أبرعهم خطا وأدبا وشعرا»[1]، وصفه لسان الدين بن الخطيب في قوله كان «كاتبا بارعا شاعرا مجيدا...مع نباهة وحسن فهم»[2]، أما التنسي قال عنه: «بوفاته انقرض علم الكتابة»[3]، لمكانته الأدبية اتخذه يغمراسن صاحب القلم الأعلى، واستعمله في الكتابة السلطانية للرسائل التي كان يوجهها لسلاطين وأمراء الدولة آنذاك، فكانت رسائله نماذج يحتذى بها نظرا لبلاغتها وترسلها وقوتها، وأضحت تراثا أدبيا يدرس ويحفظ، لكن ضاع أغلبها، ولم يبق منها الا النذر القليل جمعها مؤلف مجهول في كتاب سماه "**فصل الخطاب في نثر أبي الخطاب**"[4].

وأبو **عبد الله محمد بن خميس** (ت708هـ/1309م) الذي كان لا يجارى في البلاغة والشعر[5]، قلده أبو سعيد عثمان الزياني خطة الكتابة ورئاسة ديوان الإنشاء[6]، وهو نفس المنصب تقلده **محمد بن عمر بن علي بن ابراهيم المليكشي** (ت740هـ/1340م) في البلاط الحفصي، وصفه لسان الدين بن الخطيب في قوله: «كاتب الخلافة ومشعشع الأدب، المزري بالسلافة كان يرحمه الله بطل مجال ورب روية وارتجال»[7]، **وأبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية** (ت735هـ/1335م) يعد من أئمة اللسان والأدب بصير بالوثائق، أنشأ ديوان الرسائل في عهد أبي حمو موسى الأول[8].

غير أن الملفت للانتباه في هذا الحقل الأدبي أن بعض الأدباء لم يتقيدوا بأسلوب النثر الفني، وإنما أضافوا إلى أعمالهم بعض الأبيات الشعرية، حسبما ذكره ابن خلدون في قوله: «وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض وصار هذا المنثور من باب الشعر وفنه»[9].

---

[1] – ابن مريم، المصدر السابق، ص227.
[2] – **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص426-427.
[3] – التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص128.
[4] – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص321؛ ص456.
[5] – عبد الرحمن ابن خلدون، **التعريف**... المصدر السابق، ص832.
[6] – يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص208.
[7] – **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص563.
[8] – ابن مريم، المصدر السابق، ص225.
[9] – مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص341.

❖ **الشعـــــــر:**

ازدهر الشعر بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث، ازدهارا ملحوظا كغيره من العلوم والفنون، بفضل نمو الحركة الفكرية والأدبية، حيث لم يكن قول الشعر مقتصرا على الشعراء والأمراء فحسب، بل تعدى ذلك إلى الوزراء والكتّاب والأطباء والفقهاء والقوم[1]...، ولعل أشهرهم: **أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون القلعـي (ت673هـ/1274م)** كان بارعا في علم العربية والخط، حسن الشعر حتى اشتهر بالأديب، يعد أكثر الناس شعرا، حيث بدأ في تدوينه سنة (630هـ/1233م)، قال عنه الغبريني: «في كل عام يقول منه ما يكتب في ديوان وعاش بعد شروعه في تدوين شعره ثلاثة وأربعين سنة، ولو تم له تدوينه لكان في مجلدات، ولكن بأيدي الناس منه كثير، وتواشيحه حسنة»[2]، ومن روائع خاصة تلك التي في الزهد وفي مـدح النبـــــــي صلى الله عليه وسلم حيث قـــــال:

وَإِنِّي لَأدعُو الله دَعـــوَةَ مُذنِـبٍ ... عَسَى أَنظُرَ البَيتَ العَتِيـقَ وَأَلثَمُ

فَيَا طُولَ شَوقِي للنَّبِيّ وَصَحبِــهِ ... وَيـا شَدَّ مَا يُلقَى الفُـــؤَادَ وَيكْتُمُ

إِلَيكِ رَسُولَ الله أَرفَــعُ حَاجَـتِي ... فَأَنتَ شَفِيعُ الخَلقِ وَالخُــلُقُ هَيِّمُ

فَيَا سَامِعَ الشَّكْوَى أَقِلنِي عَثرَتِـي ... فَإِنَّكَ يَا مَوْلَاَيَ تَعفُـــو وَتَرحَـمُ[3].

***أبو محمد بن يحى بن عبد السلام (من أهل القرن 7هـ/13م)** من تدلس، رحل الى بجاية واستقر فيها، فقيه وكاتب وأديب برع في الأدب رغم أنه من الفقهاء، له خط بارع وكتابة حسنة، له أشعار مطولات ومختصرات رائقة فيها مسحة صوفية، ومنها قوله: (الوافر)

وَلَوْ لَمْ يُبنِي غَيــــرَ أَنّي أُحِبُّـهُ ... سَعِـدتُ بِذَاكَ القَدَرِ عُمرِي وَلاَ أَشـــقَى

كَفَى بِي عِـــزًّا أَنَّهُ لِـي سَيِّـدٌ ... وَأَنِّي عَبــــدٌ لاَ أُرِيـدُ لَهُ عِتقًـــــــا

وَمَا لَي وَالعِتقُ المُكَدَّرُ عِيشَـــتِي ... رَضِيتُ بَأَنْ أَبْـــقَى لِمَنْ شَفَّنِي رِقـــا

وَصَبرِي عَلَى ذُلِّ الغَـرَامِ وَهَونِـهِ ... وَمَا زَادَ عَلَّي مِن حَمْلٍ عَلَيَّ وَمَا أَلقَــى[4].

---

[1]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص463.

[2]– **عنوان الدراية**...المصدر السابق، ص94؛ ص99.

[3]– المصدر نفسه، ص96.

[4]– المصدر نفسه، ص ص294-297.

***ابن خميس (ت708هـ/1308م):** من فحول الشعراء وكبار العلماء التلمسانيين «لا يجارى في البلاغة والشعر» حسب شهادة ابن خلدون[1]، في حين قال في وصفه ابن الخطيب بأنه كان «..نسيج وحده...عالما بالمعارف القديمة، مضطلعا بتفاريق النحل، قائما على صناعة العربية والأصليين، طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوان في النظم المطول»[2]، أما المقري فقد وصفه بالشاعر المجيد من «فحول الشعراء وأعلام البلغاء، يصرّف العويص، ويرتكب مستصعبات القوافي، ويطير في القريض مطار ذوي القوادم الباسقة والخوافي، حافظا لأشعار العرب وأخبارها»[3]، أما العبدري فقد قال عنه بأنه كان له «حظ وافر من الأدب، وطبع فاضل في قرض الشعر»[4].

ولابن خميس شعر كثير كله «حسنات ولطائف وبراعات وطرائف»[5]، جمعه ودونه "**القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي**" في ديوان سماه "**الدر النفيس من شعر ابن خميس**"[6]، ومن أشهر قصائده تلك التي يمدح فيها السلطان الزياني أبي زيان بن عثمان الأول وهذه مقتبســـــــات منها:

أَرَّقَ عَيـنِي بَـارِقٌ مِن أُثَـــالِ	كأَنَّهُ فِـي جُنــحِ لَيلِـي ذُبَـــالْ
أَثَارَ شَوقًا فِي صَمِيمِ الحَشَـــى	وَعَبرَتِي فِي صَحـنِ خَدِّي أَسَـالْ
لَولاَ بَنُو زِيَّانِ مَا لَذَّ لِـي العَيْـ	شُ وَلاَ هَـانَت عَلَـــيَّ اللِيَــــالْ
هُم خَوّفُوا الدَهرَ وَهُم خَفَّفُـــوا	عَلَّي بَنِي الدُنيَا خُطَـاهُ الثِّقَــــالْ
خُذْهَا أَبَا زِيَّـانِ مِن شَاعِـــــرٍ	مُستَعذبِ النَزْعَـةِ عَذبُ المَقَـالْ
يَلتَقِطُ الأَلفَاظَ لفــظَ النَّـــوى	وَيُنظِـــــــمُ الآَلاَءِ نَظُـــــمَ الآَلْ
مُجَارِيًـــا مِهيـارَ فِــــي قَولِـهِ	مَا كُنتَ لَولاَ طَمَعِــي فِي الخَيَـالْ[7].

---

[1]- **التعريف**...المصدر السابق، ص832.
[2]- **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص529.
[3]- **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج2، ص302.
[4]- **الرحلة المغربية**...المصدر السابق، ص53.
[5]- محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص223.
[6]- المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج2، ص303.
[7]- **ينظر القصيدة كاملة**: ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص552-.

لقد نالت تلمسان حظا وافرا من شعر ابن خميس باعتبارها مسقط رأسه ومربع صباه، وهذه مقتطفات حول التغني بها واشتيقاه لها:

تِلمسانُ لَو أَنَّ الزَّمانَ بِهَـا يَسخُـو مُنَى النَّفسِ لاَ دَارَ السَّلاَمِ وَلاَ الكَرْخُ

وَدَارِي لَهَا الأَولَى التِّي حِيلَ دُونهَا مَثَارُ الأَسَى لَو أَمكَنَ الحَنِقَ اللَّبْـخُ

وَعَهْدِي بِهـَا وَالعُمرُ فِـي عُنفُوَانِـهِ وَمَـاءُ شَبَـابِي لاَ أَجْيَـنُ وَلاَ مَطْـخُ[1].

وله قصيدة أخرى حول تلمسان والحنين والشوق إليها جاء في مطلعها:

تِلمسـانُ جَادتهَا الغَوادِي الرَوائـحُ وَأرسـتْ بَوَادِيهَا الرِّيَـاحُ اللَوَاقـحُ

وَسحَّ عَلـى سَاحاتِ بَاب جِيـادِها مُلِثٌّ يُصَـافِي تُربَـهَا ويُصَافِـحُ

يَطِيرُ فُـؤادِي كُلَّـما لاَحَ لاَمـعٌ وَينهـلُ دَمعِي كُلَّـما نَاحَ صَـادحُ[2].

لقد ترك ابن خميس الكثير من تراثه نثرا، إلا أن شعره أحسن من نثره وأوفر، حيث يمتاز بذكاء وقاد وعاطفة صافية وبراعة في التعبير، يجمع بين السهولة والفخامة والمتانة، والمسحة الصوفية التي تحليه وتحببه، لذا يعد رافع راية الشعر في عصره، وهناك من الدلائل ما يوضح ذلك حيث وصفه **ابن الخطاب** (ت636هـ/1238م) مبرزا مكانته في ميدان الأدب في قوله:

رَقت حَوَاشِي طَبعِكَ ابنُ خَمِيـس فَهَفَـا قَرِيضُـكَ لِي وَهَـاج رَسِيسِـي

وَلِمثلِهِ يَصْبُـو الحَلِيـمُ وَيمتَـرِي مَـاء الشُّـؤونِ بِه وَسَيـر العَيـسِ

لَكَ فِي البَلاَغَةِ، وَالبَلاَغةُ بَعضُ مَا تَحـوِيهِ مِن أَثرِ، مَحـل رَئِيسِـي

نُظـم ونَثـرٌ لاَ تُبـارَى فِيهِمَـا عَزِزتَ ذَاكَ وَذَا بِعلـمِ الطُوسِـي[3].

كما أن هناك قصة تناولها الخلف عن السلف توضح ذلك وتبرز أن شعر ابن خميس كان من الجودة والقوة ما جعل نفوذه يمتد الى المشرق، وقد تناوله كبار العلماء بالتحلية والتقدير، جاء فيها «..لما توجه الشيخ الصالح الشهيد أبو اسحاق التنسي من تلمسان الى بلاد المشرق، اجتمع هنالك بقاضي القضاة تقيالدين ابن دقيق العيد، فكان من قوله له: كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله ابن خميس؟ وجعل يحليه بأحسن الأوصاف ويطنب في ذكر

---

[1]- المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج2، ص ص323-.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص329-.

[3]- محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص ص222-223.

فضله، فبقي الشيخ أبو إسحاق متعجبا وقال: "من يكون هذا الذي حليتموه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلدي؟"، فقال له: "هو القائل: "عجبا لها أيذوق طعم وصالها"[1]، فقلت له: "إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم، انما هو عندنا شاعر فقط"، فقال له: "إنكم لم تنصفوه، وإنه لحقيق بما وصفناه به"»، ولقد نالت هذه القصيدة لدى القاضي منزلة كبيرة حيث جعلها بخزانته قرب موضع مطالعته، حيث كان يكثر تأملها والنظر فيها وقيل لم يقرأها حتى قام إجلالا لها[2].

*__أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري:__ من شعراء القرن الثامن هجري، أتقن الأدب ورزق حظا وافرا من الشعر وبرز فيه، أعزه السلطان السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني واصطفاه، واتخذه كاتب وشاعر البلاط[3]، نظّم الكثير من القصائد خاصة تلك التي كان يلقيها خلال الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ومن أجلّها وأشهرها ما كان مدح تلمسان وسلطانها أبي حمو موسى الثاني جاء فيها:

تَـاهتْ تِلمســـانُ بِحسنِ شَبابِهَـــا ... وَبدَا طِرازُ الحُسنِ من جِلْبَابِـهَا

فَالبِشرُ يَبدُو من حبَـابِ ثُغورهَـا ... مُتَبسِّمًا أو مِن ثُغـورِ حِبَابِهَـــا

قَد قَابلَتْ زُهرَ النُّجُـــومِ بِزَهْــرِهَا ... وبُروجَـــهَا بِبرُوجِـهَا وَقِبَابِهَـــا

حَسُنتْ بِحُسنِ مَلِيكِها المَولَى أَبِــي ... حَمُّو الذِّي يَحمِي حِمَى أَربَابِها

مَلكٌ شَمائلُـــــهُ كَزهـرِ رِيَّاضِــهَا ... ونَدَاهُ فَـاضَ بها كَفيضِ عُبابِهَا

أَعلَى المُلوكِ الصَيدُ من أَعلاَمِـهَا ... وأجلَّهَا من صَفوِهَـا وَلُبابِهَـــا[4].

وقال أيضا في قصيدة أخرى هذه منتقيات منها:

قُمْ مُبصرًا زَمنَ الرَّبيعِ المُقبـــلِ ... تَـرَ مَا يَسُرُ المُجْتَـنَى والمُجتَلِـى

وَانشَقْ نَسِيمَ الرَّوضِ مَطْلُولاً وَمَـا ... أَهْدَاكَ مَن عَـرْف وَعَرْف فَاقْبِـلِ

1– عَجبَا لَها أَيـــذوقُ طَعـمُ وِصَالِهَا ... من لَيـــسَ يَطمــعُ أَن يَمــرَ بِبَالِهَـــا

وهي قصيدة مكونة من 46 بيتا، **ينظر عنها:** المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج2، ص322؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص554–.

2– المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج2، ص322.

3– محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص275؛ عادل نويهض، **الأعلام**...المرجع السابق، ص92.

4– المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج2، ص332.

سُلطَانُها المَولَى أَبُو حَمُو الرِّضَــا ذُو المَنصِبِ السَّامِي الرَّفيعِ المُعتَلِي

تـاهَت تِلمسَـــان بِدولتــهِ عَلَـــى كُلِّ البِلاَدِ بِحُسنِ مَنظَرِهَـــا الجَلِيّ

رَاقَت مَحاسِنُــهَا وَرقَ نَسِيمِهَـــــا فَحلاَ بِهَا شِعْــرِي وَطَابَ تَغَـــزُّلِي

فُرسَانُ عَبدِ الوَادِ أُسَــادُ الوَغــى حَامُــوا الذِّمَارِ أُولُو الفخَارِ الأَطْوَلِ

بُشرَى لِعبدِ الـــوَادِ بالمَلِكِ الــذِّي خَلَصُــوا بِـه مِن كُل خَطْب مُعضَل

وَكَفاهُم سَعدًا أَبُو حَمُو الذي يَحمِي حِمَاهُـــم بِالحُسَـــــامِ الفَيصَـــل[1].

لم يقتصر شعر الثغري على المدح والفخر وإنما كان له في الرثاء باع طويل صادق العاطفة بيّن اللوعة، وتجلى ذلك في قصيدته التي رثا فيها والد أبي حمو "أبي يعقوب" مما يدل على إخلاصه وولائه، ونظرا لطولها انتقينا منها هذه الأبيات:

المَرءُ في الدَنيَا رَهينُ خَطـــــوبْ وَالدهرُ أَفصحُ من خطابِ خَطِيـبِ

من صَاحبَ الدُنيَا الدَنِيـــةِ لَم تَــزَل تَأتِيـــــهِ بِالمكـــــروهِ في المَحبوبِ

يَا نفسِي خَلِّي الصبرَ وَادرَعِي الأَسَى وَإذَا دُعِيتِ فَبِالوَجِيـــبِ أَجِيـــبِي

نَادي بِنَادِي المَجدُ صَرخَـــــةَ نَادبِ أَسفًـا عَلَـى المَولَى أَبي يَعقُـــوب

فَعَليه يا نفسي الكَئيبَــــــةَ فَانْدُبِــي وَعَليــهِ يَا كَبِـــدِي القَريحَـــةِ ذُوبِي

وَبكتْ سُيوفُ الهِندِ فـــي أغمَادِهَـــا بِدمٍ بمــــاءٍ فَرندُهـــا مَخْضُوب

وَلَقد بَكتــهُ جِيـــادُهُ بَصَهِيلِــــهَا وَغَدَت تَحِــنُّ لَــهُ حَنين النيـــب

حَفـتْ مَلاَئِكته السَّمــــاء بِنعشِــهِ وَالخَلقُ حَـــولَ سَرِيرِهِ المَنصُــوب

فَتعَزِيــــــا مَــــولاَيَ عَنهُ فإنــه قَد فَـــــازَ مَن مَولاَه بِالمَرْغُوب[2].

*أبو عبد الله التلاليسي: الطبيب الخاص بالسلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، وشاعرا بارزا من الشعراء الذين تزين بهم بلاطه، نظم قصائد كثيرة ورائعة في المدح والرثاء والموشحات[3]، قال في تلمسان وفي مدح السلطان الكثير مثـــــل:

1- محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص ص278-279.

2- **ينظر القصيدة كاملة:** يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص234-238.

3- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص ص173-174.

سَقَى اللهُ مِن صَوبِ تِلمسانَ الحَيا هَاطِلاً وَبَلاً   رُبوعَ تِلمسانَ التِّي قَدرُهَا اسْتَعلَـــى
رُبُـــوعٌ بِها كَـانَ الشَّبــــابُ مُصَاحِــــــبي   جَررت إلى اللَذاتِ فِي دَارِها الذيــلا
فَكم نِلـــتَ فِيهـــــا مِنْ أَمانٍ قَصِيـــــةٍ   وَكمْ مَنحَ الدَّهرُ الضَنِين بِها النِيـلاَ
إِمَـــامٌ حَبـَـــــاهُ اللهُ مُلكًــــــا مُؤَزَّرا   فلَا مُلـــــــكَ إلاّ لِعزتِـــــهِ ذُلاَ[1].

وقال عنــــه أيضا (مقتبسات):

أَشْهَرُ رَبيــعِ أنتَ رَبيـــــعُ قَلبِي   لَقَـدْ كَانَ الفُــؤَادُ إليـكَ هَــادِ
هُو المَولَــى أبُو حَمُــــــو وَقدمَا   سَنَا المُـلكُ كَـانَ عَليـهِ بَـــادِ
أَتَـاهُ المُلكُ عَفْـوًا دُونَ حَـــــربِ   وَكَـانَ لِغَيـرِه صَعـبَ القِيَـــادِ
إِمــامُ عَـادلٌ شَهْــــمٌ جَـــوادُ   هَيَّـأَ للصَّـــلاَحِ وَللسَّـــــدَادِ
لِطَاعَتِـهِ دَعَـانَا فَاسْتَجَبنَـــــــا   رَعَــاهُ اللهُ مِـن مَـــلكٍ وَهَـــادِ[2].

وفي رثاء والد أبي حمو موسى له رائعة شعرية هذه مقتبسات منها:

كَأسُ الحَمــامِ عَلى الأَنَامِ تـــدورُ   مَا إن لَهَا إلا القَضَاء مديــــــرُ
وَكَذَا اللَيَـــالِي لاَ وَفاءٌ لِعَهدِهَـــا   إن أَقسَطَت يَومًا فَسوفَ تَجُـــورُ
كَم شَتَّتْ مِن جَمعِ شَملٍ لَمْ يَكُـــن   يَخْشَى الشَّتَات وَكُل ذَا مَشهُـــورُ
فَجَعتَ بِمـــولاَنَا الأَمِير وَخلَفَـــت   فِي الدَّمعِ آمَاقَ الجُفُـــونِ تَغَـــورُ
كنا نأمـــل أن تـــــدوم حياته   لكنـــه ثوب الحيـــاة قصيـــر[3].

***ابن مرزوق الخطيب (الجد) (ت781هـ):** كان شاعرا مجيدا ينظم الشعر في كل الأغراض والمناسبات منها قصيدته الطويلة الذي القاها في ليلة المولد النبوي سنة (763هـ) بفاس وقد استحسنها شعراء العدوتين، تتكون من مئة وسبعة بيتا، جاء في مطلعهـــا:

---

[1] – محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص ص284-285.
[2] – مؤلف مجهول، **زهر البستان**...المصدر السابق، ص ص89-90.
[3] – يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص239-241.

قُـلْ لِنَسيمِ السَّــــحرِ　　　للهِ بَلِّـــــغْ خَبَـــرِي
إِنْ أَنتَ يَــومَا بالحِمَى　　　جَـــرَرتَ فَضــلَ المِئـزَرِ
ثُمَّ حَثَثْتَ الخَطْــوَ مِن　　　فَـــوْقِ الكَثِيـبِ الأَعْفَرِ[1].

ومن نظمه أيضا ما قاله في الصبر: (الوافر)

وَجَدتُ الصَّبرَ مُشْتَمِلاً　　　عَلَــــى الطَّاعَاتِ مُجتَمعهِ
به الحَسنَـاتُ حَاصلـة　　　به الدَّرجَـــاتِ مُرْتَفَعِـــهِ
وَمَن يَحرُم فَضِيلتـــه　　　يَرى الخَيـــرَاتَ مُمتَنِعَـــه
فَيأتِي كَـل فَاقِـــرَة　　　إِذَا مَـــالَ الهَـوَى تَبِعَـــه
كَذَا الشَيطَـــان يَملكُـه　　　فَمَهْمَـا سَــارَ سَارَ مَعَـــه[2].

ومن روائع شعره ما قاله مــودعا أهل تـونس:

أُوَدِعُكُم أُثْنِي ثـمَّ أُثْنِـي　　　عَلَـى مَلِكٍ تَطَاوَلَ بالجَميـلِ
وَاسْأَل رَغبَة مِنكُـم لِرَبّي　　　بِتَيسِيــرِ المَقَاصِدِ وَالسَّبِيـلِ
سَلاَمُ اللهِ يَشمَلُنا جَمِيعًا　　　فَقدْ عَزَمَ الغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيـلِ[3].

***يحى بن خلدون (780هـ/1378م)**: كاتب ومؤرخ وشاعر نبغ في سائر فنون الأدب، كان ميالا إلى البديع في المنثور والمنظوم، نظم قصائد عديدة في مدح أبي حمو الثاني، والاحتفال بليلة المولد الشريف تشهد بملكته الشعرية الصادقة والرقة والنباهة، ولعل أروع أشعاره تلك التي أنشدها في **وصف ساعـــة المنجانـــة**، وهذه مقتطفات منها حيث قال:

عن الساعة الأولـــى:

مَضَتْ سَاعَةٌ لَيتَ لَـو تَثْــنِي　　　فِـإنَّ الحَيَـــاةَ بِكُـــــمْ تُغْتَنَــــمْ

وعن الساعة الثانيــــة:

وَاللَّيلُ منهُ سَاعتَــانِ قَد انْقَضَت　　　تَثْنِي عَلَيكَ ثَنَا الرّيَاضِ عَلَى المَطَـرِ

وعن الساعة الثالثـــة:

---

[1]- ابن الخطيب، **الاحاطة**...المصدر السابق، ج3، ص111-؛ المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص397-.
[2]- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص217.
[3]- ابن مرزوق، **تيسير المرام**...المصدر السابق، ص ص53-59.

تَوَالَت ثَلاَثُ مِنَ الليْـــــلِ أبْــ قَتْ لَكَ الفَخْرَ فِي عُجْمــــها وَالعَرَبِ

وعن الساعة الرابعـــة:

مَـــوْلاَيَ دُمْـــتَ عَلِيّـــــا مَضَـــت لِلَيْـــلِكَ أَرْبَـــعٌ

وعن الساعة الخامسة:

قَـد مَضَـــت لِلّيـلِ خَمـــسٌ حُسْنـــــها رَاقَ العُيُـــــونَا

وعن الساعة السادسة:

سِـــتٌّ من اللَّيـــلِ وَلَّـــت مَـــا إنْ لَهَـــا مِـــن نَظَائِـــرْ

وعن الساعة السّابعـة:

مَـــرَّتْ مِنَ اللَّيْـــلِ سَبْـــعٌ مَـــــا إنْ لَهَـــا مَثْنوِيَّـــهْ

وعن الساعة الثّامنــــة:

مَـــرّتْ ثَمَـــانُ وَأبْقَـــتْ فِي القَلْـــبِ مِنّـــيَ حَســـرهُ

وعن الساعة التّاسعـة:

مَولاَي تَاسِعَةُ السَّاعَاتِ قَد ذَهَبتْ واللَيـــلُ مِن بَعْـــدِها قَدْ عَـــادَ ذَا هَرَمِ

وعن الساعة العاشـرة:

للهِ عَشرٌ مِنَ السَّاعَـات بَاهِـــرَةٌ مَضَيْنَ لاَ عَــن قِلى مِنَّـا وَلا مَلَـــلِ[1].

إن هذه القصيدة ما هي إلا نموذج من قصائده الكثيرة التي نظمت في مناسبات عديدة كإحياء الأعياد وتخليد الأحداث الهامة، كلها تشهد على مواهب أدبية حقيقية، وعلى الرغم من أنه لم يصل إلى درجة فحول الشعراء إلا أن شعره نال إعجاب المعاصرين له، وحظي بإقبالهم عليه، نظرا لممارسته الجدّية لهذا الفن مع سعة اطلاعه على الأدب العربي، مع سهولة في نظم المقطوعات الشعرية الطويلة[2].

---

[1]- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص414-420.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص63.

***السلطان أبو حمو موسى الثاني (ت791هـ/1389م):** لم يقتصر قرض الشعر خلال هذه الفترة على العلماء والشعراء، فقد كان للسلاطين حضور قوي كأبي حمو الذي تألق بصفة خاصة كشاعر «مفوه وناثر ممتاز وأديب يحب الأدباء ويجير الشعراء الذين نالوا حظا من عطائه وكرمه»[1]، لذا وصف بفريد عصره أشاد به المؤرخون وأطنبوا، وصفه المقري بأنه «يقرض الشعر ويحب أهله»[2]، أما ابن الأحمر فقال عنه: «تمسك بالعلم فسما في سماء المعالي وتحلى بالحلم فعلا على المعالي وبرع في نظم القريض»[3]، فكان شعره معين لا ينضب وإن كثر الوارد وجمالياته لا يحيط بعدها النقاد وإن اجتهدوا، حيث ذاع صيته في مجال الأدب فنال بجدارة لقب "**السلطان الأديب**"[4].

خاصة وأنه سن للمجتمع التلمساني ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف منذ اعتلائه العرش سنة (760هـ/1359م) «وأرجعه عيدا سنويا يتبارى فيه الشعراء في شكل مجالس أدبية خاصة يحضرها كبار العلماء وفحول الشعراء تناقش فيها قضايا العلم والأدب والسيرة، وكان له فيها نقد بناء ورأي محمود ومشاركات كثيرة»[5]، تاركا تراثا أدبيا قيما يعكس الثقافة السائدة في عصره أنذاك، ولعل أهم روائعه الشعرية تلك التي اختلفت مابين الفخر والمدح والرثاء ...قصيدة انتصاره على السلطان المريني أبي عنان ودخوله تلمسان تظم حوالي مائة بيت، وهذه مقتطفات منها: (البحر الطويل):

جَرتْ أَدمُعِي بَينَ الرُّسُومِ الطَّوَاسِم   لِمَا شَحَطَتـهَا من هُبوبِ الرَّوَاكِمِ

وَقَفتُ بِهَا مُسْتخْبِــــــرًا لِخِطابِهَا   وَأيُّ خِطابِ العِصَابِ الصَّـلاَدِمِ

وَهَبَّت رِيَاحُ النَّصـرِ مِن كُلِّ جَانبٍ   وَكَانــت إلينَا مُبهجَاتُ الغَنَائِــمِ

وَجِئتُ تِلمســان التَّي كُنتُ أَرتجِـي   كَمَا ذَكَرُوهُ في كِتابِ المَلاَحِــمِ[6].

---

[1] – عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص159.

[2] – المقري، **أزدهار الرياض**...المصدر السابق، ج1، ص249.

[3] – **نثير الجمان**...المصدر السابق، ص110.

[4] – سليم بوزيدي، المقال السابق، ص208.

[5] – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص323.

[6] – **ينظر القصيدة كاملة**: مؤلف مجهول، **زهر البستان**...المصدر السابق، ص ص25-31.

ولأبي حمو قصيدة حنين واشتياق للأهل والوالد والولد والمال، بعث بها إلى والده "أبي يعقوب" الذي كان في سجن المرينيين بفاس، حيث أجاد في نظمها، وبين فيها عن حاله بحسن البيان الفائق جاء فيها: (البحر الكامل)

حَانَ الفُراقُ فكنـتُ مِنـهُ بِمنـــزلِ ودنَا الرَّحيلُ فكنـتُ فيـهِ بِـأوَّلِ

وَتحكَّمَ البَيْنُ المُشَتَّــتُ والنَّـوى فِينَا بِفتكَـةِ سَيفِــهِ المُتكَلِّـلِ

وَجَذَا عِذَابُ البَينِ فِي عَرَصَــاتِهَا يُرثِي عَليهـا مُنـزِّلاً في مَنــزِلِ

فَأبلِغْ سَلامي يَا نُسَيمَـاتِ الصَّــبَا نَحو الشَّفِيقِ الوَالـدِ المُتَفَضِــلِ

أَعنِي أَبا يَعقُــوبَ مَولاَنَــا الذِّي نَرجُوا رِضَـاهُ وهو غَايةُ من يَلِ[1].

وفي الرثاء له رائعة شعرية رثى فيها والده جاء فيها: (البحر الكامل)

دَنفٌ تَذكَّــرَ حَسرةَ التَّوديــــعِ وَهَنِيٌّ وَصــلِ بالنَّـوَى مَقطـوعِ

وَلما عَــرا مِن فَقدِ خَيرِ أَحِبــتِي وَمَــرَارَةِ التَّوديـــعِ وَالتَّشْييـــعِ

فَبَكَيتُ مِــن أَسَفٍ لِذَاكَ كَمْ بَكتْ حُـــزْنًا عَليهِ مَنَازِلي وَرُبُوعِــي[2].

*إبراهيم التازي (ت866هـ/1462م): كان مقدما في علم اللسان، له قصائد رائقة أنيقة له مولديات وانشادات لا تحصى، منها قصيدته الدالية المسماة بالنصح التام للخاص والعام ينصح فيها المسلمين في قوله:

إن شِئتَ عَيشًا هَنِيئًا وَاتِّبَاع هُدَى فَاسمَع مَقَالِي وَكُن بِاللهِ مُعتَضِدَا[3].

وله قصيـــدة في ذم الدنيـا وزخرفها جاء فيها:

وَعُـد عَن الرَّبَـابِ وَعن سُعَــاد وَزَينَـــب وَالمعَـــارِفِ وَالعَقَــارِ

فَمَا الدُّنْيَــا وَزُخْرُفُــهَا بِشَيــئٍ وَمَـــا أَيَامُــــهَا إلاَّ عَـــوَار

وَلَيـسَ بِعَاقِـــل مَن يَصطَفيهَا أَتشـرِي الفَـوزَ وَيحـكَ بِالتَّبَــارِ

فَتُب وَاخلَع عذارك فِي هَوَى من لَـــهُ دَار النَّعِيـــمِ وَدار نَـــارِ

وَذِكْرُ اللهِ أَشرف كُـــلَّ أُنـسِ فَـــلاَ تَنسَ التَّخلق بِالوَقَـــارِ[4].

---

[1]– ينظر القصيدة كاملة: مؤلف مجهول، زهر البستان...المصدر السابق، ص ص19–22.

[2]– ينظر القصيدة كاملة: يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص229–233.

[3]– ابن مريم، المصدر السابق، ص ص58–60.

[4]– المصدر نفسه، ص ص61–62.

***الحافظ التنســـــي (ت899هـ):** وصف الونشريسي «بالأديب الشاعر»[1]، من روائع شعره ما قاله في مدح السلطان المتوكل واولاده، وهي قصيدة طويلة تضم اربعة ومائة بيت، ولعلها القصيدة الوحدية التي وصلتنا من نظم التنسي[2]، وهذه مقتطفات منها(الطويل):

وَيظفر مَولاَنَا بِشَرقِ وَمغـــــرب	بِدَولَةِ مُــلك تَسْتمِـــرُ وَتَمتَـــــط
حَوى فِي صِباه مِن وَثاقةِ رَأيــــهِ	مَع الحَزمِ مَالَم تَحوه اللِمَـــمُ الشَمطُ
هُوَ البَحرُ جُودًا من جَميعِ جِهاتِهِ	فَمَعرُوفُه لَجٌ واحسَانُهُ الشَّـــــــطُ
بَرزَ مـن بَينِ المُلوكِ محليــــــا	وَأَعطاهُ رَبُ العَرشِ فَوقَ الذِّي أَعْطُوا[3].

❖ **الموشحـــــــات:**

«الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات»[4]، أي هو ضرب من ضروب الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوّع أوزانه أحيانا، وفي الخرجة التي يخرج بها الوَشّاح من الفصيح إلى العامّي تارة وتارة أخرى إلى العجمي، كما يختلف عنها أيضا في تسمية أجزائه، ويختلف في بعض هذه الخصائص عن الأراجيز والمسمطات، ولم يستحدث شعراء أهل الأندلس هذا اللون من النظم إلا لحاجتهم إلى التجديد الذي اضطرتهم إليه ظروف اللهْو والغناء الجماعي، فالموشح الأندلسي يُعد بذلك ثورة على الطريقة التقليدية المقيّدة التي تلتزم وحدة الأوزان ورتابة القوافي وليس تمرداً على الشعر العربي في جملته وتفصيله[5]، وقد تعرض ابن خلدون لذلك حيث قال: «وأما أهل الأندلس فلمّا كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سمّوه بالموشح، ينظِمونه أسماطا وأغصانا أغصانا، يكثرون

---

[1]- الونشريسي، **الوفيات** ....المصدر السابق، ص112.

[2]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص ص75-76.

[3]- **ينظم القصيدة كاملة:** المصدر نفسه، ص ص258-271.

[4]- ابن سناء الملك، **دار الطراز في عمل الموشحات**، تحقيق: جودة الركابي، دون دار نشر، دمشق، 1949، ص25.

[5]- محمد عباسة، **الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها فى شعر التروبادور**، دار أم الكتاب للنشر والطباعة، مستغانم، ط1، 2012، ص ص50-51.

منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمّون المتعدد منها بيتا واحدا، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد،... واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وسهولة طريقه»[1].

لم تقتصر الموشحات على أهل الأندلس، وانما «تبناها واهتم بها علماء المغرب الأوسط منذ عهد الحماديين، فاتخذوها معيارا ونسجوا على منوالها، ولكنها لم تتضج إلا خلال العهد المدروس، نتيجة تغلغل التصوف إلى الأدب، وتبعا لذلك نشأت المدائح والمولديات»[2]، ولعل من أبرز الشعراء الذين مالوا إلى هذا النوع من الشعر الشاعر **أبو عبد الله محمد بن البناء** (ت608هـ) في قولـــــه:

مَن أَطلع فَوقَ مَايِسِ الرَّيحَانِ   بَـــدر الأُفُـــــــقِ
يَهْتَزُّ مُنْعِمَـــا عَلى كُثبـــانِ   تَحـــتَ الفُســــــقِ
مَن نَمقَ خَـــدَّهُ بِروضِ أَنفِ   بَـــــادِي القَطــــفِ[3].

وكذلك الطبيب **محمد بن أبي جمعة التلالسي** جاد هذا الفن وشارك فيه ومن روائعه ما قاله ليلة المولد النبوي الشريف سنة (762هـ/1361م) في بلاط أبي حمو:

يَا وَيحَ صَبّ بَانَ عَنهُ الشّبَابْ *وَأَوْدعَ* لَهِيــبَ وَجْـدٍ عِندَمَـــا وَدَّعُـــوا
أَوْدَى بْهِ الوَجــدُ وفرطُ الجَـــوَى
وَهَــــدّ مِنـهُ الشَّيبُ كَلَّ القِـــوَى
وَلا لَــــهُ مِمَّـــا اعْتـَــــــراَه دَوَا[4].

---

[1]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص627.
[2]- محمد الطمار، **تاريخ الأدب**...المرجع السابق، ص221.
[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص466.
[4]- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص195-196.

وله موشحة سلسة أخرى ليلة مولد (763هـ/1362م) جاء في مطلعها:

سَخـــــي أَيَا مُقْلَتِـي وَأَنْهَلِـــي بِدَمْعِـــــكِ الوَاكِـــفِ المُنْهَـــلِ
عَلَـــى شَبَـــــابِي الذّي قَد وَلّـَى
آَهٍ لَقَـــد بَـــــانَ وَاضْمَحَـلاَّ
فَهَـــلْ لِقَلْبِـــي الشَّجِيّ أَنْ يُسَلَّى[1].

بالإضافة إلى علماء آخرين ساهموا في تطور وازدهر العلوم اللسانية والعربية بصفة عامة أمثال: **السلطان أبي زيان محمد الثاني (ت791هـ)** الذي كان ميّالا للأدب يحسن الشعر والنثر[2]، **وعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)** ذو «الشعر الرائق والنثر البديع الفائق ذو أسلوب في الانشاء مطبوع عليه وتاريخه بل تواليفه انشاء بديع عربي خالص»[3]...، وغيرهم من الأسماء التي تركت بصماتها في هذا الحقل الأدبي بمختلف فروعه: اللغوية واللسانية والأدبية، «وارتقت باللغة العربية إلى أعلى المراتب، باعتبارها من أغنى وأرقى اللغات السامية لتميزها بكثرة المفردات، وما اتصفت به من المرونة والقدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها مع سهولة التعبيرفي اطار من الجزالة وسمو البلاغة وسحر البيان»، وبفضل قوتها استطاعت أن تكون أداة للتعبير عن حضارة سادت خلال العصور الوسطى[4].

---

[1]– يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص222.
– عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص159. [2]
[3]– محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، المرجع السابق، ج4، ص85.
[4]– عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص452.



1- علم التاريـــــــــــــخ:

أ- مفهومـــه لغـــــة

ب- مفهومه اصطلاحــا

ج- نشأته وتطـــــوره

د- أهم مؤرخي المغرب الأوسط خلال العهد المدروس.

2- علم السياســــــــــة:

أ- مفهومـــــــــــها

ب- أهم علماء المغرب الأوسط وانتاجهم في علم السياسة:

يعتبر علمي التاريخ والسياسية ضمن العلوم الاجتماعية التي كان لها وجود بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس رغم التفاوت الكبيرين بين العلمين تدريسا وتأليفا، «فعلم التاريخ ثنائية منسجمة الايقاع بين الانسان وعالم الحياة على الأرض ضمن التجاذب بين الحقيقة والكذب والزيف، وذلك في التماهي والتمدد والتغلغل في ثنايا الدين والأدب والفلسفة والفن والآثار، والسياسة التي لها علاقة مشتركة مع علم التاريخ، فالتاريخ سياسة الماضي والسياسة تاريخ الحاضر، كما أن التاريخ مدرسة البحث السياسية ومستودع التقاليد السياسية وأساس الرقي السياسي»[1]، وإذا كانت السياسة وغيرها من العلوم الأخرى تعلم الحياة العربية الاسلامية وترسم لها آفاقها النظرية ومساريها العملية التي يجب أن تسلكها، فالتاريخ يصفها ويركز على جذورها ويصف رجالها وأحداثها[2]، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا الفصل.

1- علـــــم التاريـــخ:

أ- مفهومـــه لغـــــة:

هو تعريف بالوقت، وهو مشتق من الفعل الثلاثي "**أرخ**"، يقال: أرخت الكتاب وورخته أي: بينت وقت كتابته، وقد اختلف العلماء في أصل لفظ "**تاريخ**"، فذهب البعض أنه لفظ عربي خالص، وذهب آخرون أنه لفظ فارسي، والتاريخ على العموم يعني "التوقيت"، أي تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها[3].

---

[1]- فاطمة قدورة الشامي، **علم التاريخ: تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2001، ص7؛ ص16.

[2]- عبد الحليم عبد الرحمن خضر، **المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ**، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1993، ص63.

[3]- ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص04؛ البستاني، المصدر السابق، 07؛ الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص248؛ السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986، ص16؛ ابراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص13؛ السيد عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، (دت)، ص ص17-18؛ عبد الحليم عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص23-.

ب- مفهومه اصطلاحا:

يعرفه السخاوي في قوله: «هو فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم، وموضوعه الانسان والزمن، ومسائله أحوالهما المفصلة للجزيئات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للانسان، وفي الزمان، وأما فائدته فمعرفة الأمور»[1]، وهو حسب محي الدين الكافيجي «علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك توقيته»[2]، أما عبد الرحمن بن خلدون فله تعريفين، أحدهما تقليدي كان متعارفا عليه حتى عصره، لا يرتضيه ويقبل به ما دام ينعته بالظاهر، يقول عنه: «فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال،...إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال»[3]، والثاني هو باطني يرتضيه ويقبل به، يقول: «وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع أسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق»[4].

يمثل هذا التعريف الأخير لابن خلدون نقلة نوعية في النظرة الجديدة لعلم التاريخ القائمة على العلم والمعقولية والموضوعية، فهو في نظره علم قائم بذاته يرتكز على النظر والتعليل، لذا يعد تعريفه أدق ما قيل في هذا العلم عند العرب[5].

ومهما تعددت تعاريف العلماء واختلفت في ألفاظها وشكلها، إلا أنها اتفقت في حقيقتها وجوهرها، وتلاقت جميعها عند الغاية المرجوة من هذا العلم[6]، وهي تتبع أحداث

1- السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**...المصدر السابق، ص19.

2- **المختصـــر في علم التاريخ**، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1990، ص55.

3- **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص15-16.

4- المصدر نفسه، ص16.

5- قادة سبع، **"لفظة التاريخ جذورها وتطور دلالاتها الاصطلاحية في التراث العربي الاسلامي"، دورية كان التاريخية**، مجلة الكترونية، السنة 5، العدد16، 2012، ص19.

6- عبد الحليم عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص29.

الماضي تسجيلا ودراسة وتحليلا بحيث يمكن الافادة منها في فهم الحاضر والتنبؤ للمستقبل[1].

ج- نشأتـــه وتطـوره:

إنّ لفظة التاريخ استعملت في العصر الإسلامي الأول بمعنى: التقويم والتوقيت على أساس القمر، ثم كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، وكان يقوم مقامها في هذه العملية التاريخية كلمة "خبر وأخبار وأخباري"، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر، وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي، وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل متصل الزمن الموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعملية الاخبارية، وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثاني هجري، فما أطل القرن الثالث هجري حتى صارت لفظة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخبار الرجال وعلى الكتب التي تحوي ذلك، وحلت نهائيا محل كلمة الخبر والإخباري[2].

إلا أن بدايات علم التاريخ عند العرب المسلمين سارت في اتجاه ديني، وكانت نوعا من الحديث لإتصاله الوثيق به، نظرا لحاجة المسلمين الماسة إلى معرفة سيرة الرســـول صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله...، ثم أخذت الكتابة تنتقل من الحديث إلى التاريخ، وأخذ هذا الأخير يستقل تدريجيا بأسلوبه ومنهجه حتى أصبح علما قائما بذاته، وظل في كل العصور وثيق الارتباط بالتطور العام للحركة الفكرية الاسلامية[3]، فحظي باهتمام بالغ من لدن العلماء العرب لميلهم إلى معرفة مصائر الأمم السابقة وحوادث الأزمان الماضية ولاهتمامهم بالأنساب، قرأوا أخبارهم وجمعوا ما استطاعوا من الروايات وألفوا فيها، ولم يتركوا جانبا من جوانب النشاط الإنساني من القديم والوسيط والمعاصر لهم إلا ودونوا تاريخه، لذلك حفلت مؤلفاتهم بجوانب متعددة من أحوالهم، بالإضافة إلى ما تضمنه من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية، مما يمكن أن يؤلف تاريخا للحضارات العربية في العصور الاسلامية المختلفة[4]، وتبعا لذلك ظهرت كتب السير والمغازي، وكتب الأنساب والأمم والأديان والتراجم

---

[1]- محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص181.

[2]- قادة سبع، المقال السابق، ص19.

[3]- محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص ص182-183؛ عبد الحليم عبد الرحمن خضر، المرجع السابق، ص70.

[4]- قاسم يزبك، **التاريخ ومنهج البحث التاريخي**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص9.

والطبقات والحوليات والتواريخ المحلية والخطط، وغيرها من المصنفات ذات الصلة بعلم التاريخ[1].

د- أهم مؤرخي المغرب الأوسط خلال العهد المدروس:

يعد علم التاريخ من العلوم النافعة التي لا تعد فوائدها وغرائبها، يصفه الكافيجي في قوله: «بحر الدرر والمرجان، لا يحيط بمنافعه نطاق التحديد والتبيان، وفيه عجائب الملك والملكوت، وفيه ايصال إلى جانب الحق ذي العظمة والجبروت»[2]، كما اعتبره عبد الرحمن بن خلدون «فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، تكمن أهميته وفائدته في معرفة أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم»[3]، كما يعد أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما، كما يتم بواسطته كشف كذب الرواة وتزويرهم حتى قيل: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»[4]، فلولا أهمية التاريخ لما اندفعت الأمم إلى دراسته والسعي لادراك الماضي على حقيقته، ولعل أشهر مؤرخي المغرب الأوسط الذين سخروا أقلامهم ليتركوا بصماتهم في هذا العلـــــــــــم:

***أبو العباس أحمد الغبريني** (ت704هـ/1304م): اشتهر بكتابه "**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**"، يعد أثرا علميا نفيسا ومصدرا من أهم المصادر التاريخية في أدب التراجم، شرع في تأليفه ما بين سنتي (675-669هـ) وانتهى منه سنة (699هـ/1300م)، استعرض فيه نشاط حوالي 149 ترجمة، لمشاهير المائة السابعة من علماء بجاية الأصلاء أو الوافدين عليها، في شتى حقول المعرفة العلمية من الفقهاء والمحدثين والأدباء والصوفية والأطباء...، فأعطى كتابه بعدا اجتماعيا وحضاريا كاشفا من خلاله عن الازدهار العلمي والأدبي لبجاية، عاكسا بذلك صورة المغرب الأوسط خلال تلك الفترة، ولعل الذي ساعده في ذلك تكوينه العلمي ومنصبه كقاضي للدولة

1- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص466.

2- **المختصر في علم التاريخ**...المصدر السابق، ص51.

3- **المقدمة**...المصدر السابق، ص21.

4- السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ**...المصدر السابق، ص ص19-22.

الحفصية مكنه من الاطلاع على العديد من الكتب والحوليات والفهارس من خزائن الكتب وقصور الملوك[1]، بالاضافة إلى "**برنامج مشيخته**"[2].

*__أبو عبد الله محمدة بن منصور بن علي بن هدية (ت735هـ/1335م):__ فقيه وأديب وكاتب، بصير بالوثائق، أنشأ ديوان الرسائل في عهد أبي حمو موسى الأول، ألف كتابا قيما في التاريخ بعنوان "**تاريخ تلمسان**"[3].

*__يحى بن خلدون (ت780هـ/1378م):__ من طبقة الكتّاب المبرزين بالبلاط الزياني تقلد كتابة السر داخل هذا البلاط، كما سبق له العمل في البلاط الحفصي والمريني، ما أثرى رصيده المعرفي بالخبرة السياسية والاطلاع على الوثائق الرسمية لتلك الدول، مما أهله لأن يصنف كتابا يعد من أهم الكتابات الرسمية للدولة الزيانية سماه "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ألفه تخليدا لأمجاد ملوك بني عبد الواد وبالخصوص أبي حمو موسى الثاني، الذي انصرف الى مدحه والثناء عليه، حسبما وضحه في مقدمته: «...تخليد ما لدولته الكريمة من معال، وبأس ونوال... وما جمعته سيره الكريمة من حرب وسلم... وتدوين ما اشتملت عليه أيامه...»[4].

اشتمل على مقدمة طويلة، وأقسام تتدرج تحتها أبواب، يؤرخ فيه لدولة بني عبد الواد، بالإضافة إلى ذكر تراجم لعدد من أعلام تلمسان والنازلين بها، مع ذكر الأنساب البربرية ودول المغرب التي حكمت منطقة المغرب الأوسط من الأدارسة حتى الموحدين، فضلا عن تطورات علاقات بني مرين ببني عبد الواد إلى عصر المؤلف[5]، كما يتضمن هذا الكتاب وصفا للمملكة العبد الوادية سواء من الناحية السياسية أو من الناحية الأدبية وصفا اعتمد فيه على محفوظات الدواوين وعلى اتصاله بالرجال وعلى رواية الرواة، ومشاهداته الخاصة التي

1- الغبريني، المصدر السابق، ص35؛ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص347.

2- بشير ضيف، المرجع السابق، ص109.

3- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص116؛ عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو**...المرجع السابق، ص52.

4- **بغية الرواد**...المصدر نفسه، ج1، ص79.

5- محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الحديث**، ج1، مؤسسة منشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1983، ص102.

مكنته منها خدمته للدولة، فجاء كتابه اكثر أهمية من الكتب الأخرى الخاصة بني عبد الواد وتاريخ دولتهم، مرآة للحياة بالمغرب الأوسط على العموم وبتلمسان على الخصوص[1].

وللكتاب أهمية كبيرة حيث يعد تاريخا مفصلا لدولة أبي حمو ومن سبقوه، وتظهر أهميته أكثر كون صاحبه كان معاصرا لأبي حمو مشتركا في الحياة السياسية في المغرب مقربا من السلطان وكاتب سره، مطلعا على دقائق الأحداث التي كانت تجري في المملكة، وبالتالي كتابه يحوي تفصيلات مبينة دقيقة ومكتوبة بثقة العارف، واتساع المطلع واهتمام المولى، وكل هذه صفات تعيين الدارس على تصور عصر سيادة أبي حمو تصورا جيدا[2].

إلا أنه يحمل في طياته نقائص تظهر في سلبيات، فتوقفه عند سنة (777هـ/1375م) واسرافه في الثناء على أبي حمو في بعض الأماكن، كل هذا يستغلق على الدارس ما إذا كان ما يقوله أحيانا تقريرا للواقع أو مدحا للملك، «فالكتاب يحمل تحيزا لملوك تلمسان وتملقا لهم وغض الطرف على عيوبهم ونقائصهم، وسرده للعديد من الأخبار الغريبة والبعيدة عن الواقع والمنطق دون تعليق أونقد، بالإضافة إلى اعتماده على السجع والترادف المكثفين، هذا ما يجعل المعنى المقصود مبهما غير واضح»، ورغم هذا يعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ المغرب الأوسط ومن أنفسها، وفضله كبير على الدولة أو على الباحثين في تاريخها[3].

***ابن مرزوق الجد (الخطيب) (ت781هـ/1380م):** أثرى علم التاريخ بما خلفه من مصنفات: "**عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من اجاز من ائمة المغرب والشام والحجاز**"[4]، وهو عبارة عن ثبت بأسماء الشيوخ الذين سمع منهم والبالغ عددهم حوالي الألفين من القضاة والحفاظ والعلماء بالجهات التي بينها في العنوان[5]، وكتابه "**المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**" يتناول سيرة السلطان أبي الحسن المريني من جهة محاسنها، يشتمل على مقدمة ينوه فيها بسير أسلاف أبي الحسن، أما متنه

1- محمد بوعياد، "**من آثارنا المغمورة: بغية الرواد في اخبار بني عبد الواد لابي زكرياء يحى بن خلدون**"، **مجلة الاصالة**، الجزائر، السنة3، العدد13، 1973، ص220.

2- وداد القاضي، المرجع السابق، ص ص134-135.

3- المرجع نفسه، الصفحات نفسها؛ محمد بوعياد، **من آثارنا**...المقال السابق، ص221.

4- لسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة**....المصدر السابق، ج3، ص105.

5- محمد المنوني، **المصادر**...المرجع السابق، ص96.

يضم في طياته خمسة وخمسين بابا يرصد فيه مآثر السلطان في شتى الميادين: الإدارة والأمن والاجتماع والعلوم والفنون والعمارة...، فضلا عن ذكر أعماله في الدفاع عن الأندلس، وأنهاه بخاتمة تضمنت عدة فصول تحدث فيها عن لقائه بالسلطان في العباد، وتقليده لخطة الخطابة وإمامة الصلاة والتدريس[1].

وتظهر أهمية الكتاب بما يحتويه من معلومات قيمة نظرا لاحاطة ابن مرزوق الثقافية الشاملة ولمعاصرته ومعاشرته للسطان أبي الحسن ولمشاركة الفعالة المباشرة في أحداث الفترة ما بين (749-737هـ/1336-1348م)[2]، تم انتهاؤه منه سنة (772هـ/1370م)[3]، أي بعد اثني وعشرين سنة بعد وفاة المترجم له أبي الحسن، ولعل الباعث على انجازه هذا المصنف هو رغبة المؤلف في العودة للبلاط المريني عهد ابن أبي الحسن وهو أبي فارس عبد العزيز المستنصر (774-768هـ/1366-1372م)، ولكي يحظى بالترحيب والاستقبال جعله تمهيدا لقدومه، فكان في مجمله عبارة عن سرد لسيرة حياة السلطان، لكن هذه السيرة ليست تاريخية علمية محضة، بل إنها مدح وثناء على مزاياه الروحية الهدف منها اكرام ذكراه وجعلها خالدة[4].

كما صنف "**المجموع**" أو "**الديوان**" أو "**المناقب المرزوقية**" ورد في مقدمته قوله: «ورأيت بحول الله أن أصل بذكر الجد رحمه الله ومن عاصره وعاشره من صلحاء وقته وعلماء زمانه على سبيل الاختصار وكذلك لمولاي الوالد رحمه الله ذكرا جليا... »، يتضمن هذا المصنف سيرة أسرته وسيرته الذاتية، كاشفا من خلاله أهم القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية التي ميزت القرنين (8-7هـ/13-14م) في عدة فصول بأسلوب بسيط خال من تعقيدات المحسنات البديعية[5]، مركزا في كتابه على أسرته وشخصه من حيث المكانة العلمية وجانب الزهد والتصوف والصلاح والحظوة السياسية، بالاضافة إلى علاقة أسرته بالسلطتين الزيانية والمرينية، وتظهر أهمية الكتاب أيضا من خلال وجود عدد

1- ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص ص 85-87؛ محمد المنوني، **المصادر**...المرجع السابق، ص102.

2- المصدر نفسه، ص59.

3- نفسه، ص50.

4- نفسه، ص67؛ صابرة خطيف، المرجع السابق، ص40.

5- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص468.

هام من التراجم، إلا أن ما يمكن توضيحه حول دواعي تأليفه لكتابه هو دفاعه عن نفسه في ظل النكبات التي تعرض لها بعد عهد أبي الحسن وما ناله من أذى من قبل السلطة المرينية، انتهى من تأليفه سنة (763هـ/1361م) في ظل ظروف قاسية جدا، وحياة نفسية نكدة[1]، ويضاف إلى ثماره العلمية كتابه المسمى "**النور البدري في التعريف بالفقيه المقري**" الذي عرف فيه بجد صاحب نفح الطيب بناء على مذهبه[2].

***عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م):** يعد شيخ المؤرخين وإمامهم وله ينسبون، إشتهر بكتابه "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" الذي يعد من أمهات المصادر التاريخية التي تناولت الأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية للدول والمجتمعات والقبائل منذ بدء الخليقة إلى عصر المؤلف أجمع تأليف في حوادث الملوك والدول وسيرتهم[3]، يتضمن مقدمة وثلاثة كتب، وهي: **المقدمة** في فضل علم التاريخ، **والكتاب الأول** في العمران وما يعرض فيه من العوارض الذاتية وما لذلك من العلل والأسباب، وهي موضوع فلسفة ابن خلدون ونظرياته الاجتماعية تتناثر بها اشارات حضارية متنوعة تفيد المؤرخ، **والكتاب الثاني:** في أخبار العرب منذ بدء الخليقة والدول المعاصرين لهم، **والكتاب الثالث** في أخبار البربر بديار المغرب وهو كتاب مفيد جامع منافع لا توجد في غيره[4].

وله أيضا كتاب ضمن المذكرات الشخصية سماه "**التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**" ترجم فيه لنفسه ولشيوخه وأصحابه ممن ضمنهم مجلس أبي الحسن المريني، حيث وضح اسهامهم في المجال الفكري ودورهم في المجال السياسي كشاهد عيان لأحداث عصره[5].

---

[1]- صابرة خطيف، المرجع السابق، ص38-39؛ عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص37.

[2]- المقري، **نفح الطيب**..المصدر السابق، ج5، ص204.

[3]- عبد السلام ابن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الاقصى**، ضبط واستدراك: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ص1، 1997، ص113.

[4]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص1124.

[5]- صابرة خطيف، المرجع السابق، ص41.

***ابن قنفذ القسنطيني** (ت810هـ/1408م): ترك ابن قنفذ مصنفات عديدة تعكس اهتمامه المتنوع واطلاعه الواسع على مختلف علوم عصره، عرف ببراعته ومقدرته في استقصاء التاريخ وكتابة التراجم والسير، حيث ألف فيها كتبا قيمة ولعل أبرزها: كتاب "**الوفيات**" وهو عبارة عن ثبت مختصر وعام لوفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمفسرين والمؤلفين، استهله بوفاة الرسول عليه، مرتب على القرون إلى غاية سنة (807هـ/1404م) في تراجم مقتضبة بينها حوالي عشرين عالما ينتمون إلى المغرب الأوسط[1].

لقد جعله ابن قنفذ تكملة وذيل لكتابه "شرف الطالب في أسنى المطالب" لذلك لم يذكره في ثبت مؤلفاته ككتاب مستقل، ونظرا لأهميته وسهولة استعماله وكثرة اللجوء إليه فصل بينه وبين الكتاب السابق، ورغم أن تراجمه قصيرة جدا إلا أنه نال انتشارا كبيرا في الأوساط العلمية ونقل عنه عدد من كتاب التراجم والسير[2].

وله "**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**" ورد في مقدمته قوله: «...وبعد فهذا مختصر فيه ما تتشوف النفوس إليه من الاطلاع على مبادئ الدولة الحفصية، وما يتعلق بها من مهمات الوقائع الجلية، بكلام كليّ تحسن المحاضرة به، وتحصل الافادة بسببه»[3]، وهو تاريخ سياسي يغلب عليه الترتيب الزمني للأحداث والوقائع، يعد من المصادر الأساسية التي أرخت للدولة الحفصية وهو سرد مدقق للأحداث التاريخية منذ نشأة الدولة مبرزا حكامها وما حدث في عهدهم من حروب وتمردات وتوسعات إلى غاية عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز (796-839هـ/1334-1435م) مركزا على مجرياته عهده، وقد أهداه له وسماه باسمه "الفارسية"[4]، وانتهى من تأليف سنة 806هـ بقسنطينة حسبما وضحه في خاتمته[5].

وصفه برنشفيك في قوله: «بالرغم من ايجازه المفرط أحيانا لا يخلو من القيمة، وقد ألف حسب الاحتمال بالاعتماد على المعطيات الواردة في وثائق الدولة، وهو لا يدعي تصنيف الأحداث تصنيف جديدا، ولكنه يشتمل عموما على تواريخ مضبوطة وثابتة في

1- محمد المنوني، **المصادر**... المرجع السابق، ص95؛ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص226.

2- ابن قنفذ، **الوفيات**...المصدر السابق، ص ص14-15.

3- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص36.

4- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص230.

5- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص36.

الظاهر، ومعلومات مقبولة حول أهم الأحداث السياسية، وحول رجال الدولة، كما يتضمن على وجه الخصوص عددا كبيرا من المظاهر الخاصة بقسنطينة»[1].

بالإضافة إلى "**وسيلة الاسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام**" قال عنه صاحبه: «وهو من أجل الموضوعات في السير لاختصاره»[2]، وهو كتاب نفيس له قيمة كبيرة في السيرة النبوية، تضمن خمسة أبواب عن الرسول **صلى الله عليه وسلم** وأسمائه وولادته وحضانته وأزواجه وأولاده وقوانينه وخدمه، ومن مبعثه وبعثه إلى غزواته ومعجزاته ووفاته وفضل الصلاة عليه[3]، من خلال استطاع مؤلفه أن يوضح فيه أشياء في السيرة النبوية، ويسلط الضوء على جوانب فيها بحاجة إلى ايضاح وتبيين، بأسلوب جذاب يدل على مقدرته في التأليف وإحاطة شاملة ودقيقة بالسيرة النبوية الكريمة من جميع جوانبها، حيث أجاد فيها ببراعة فائقة في أخذ الحوادث التاريخية وضوغها بأسلوب شيق له اشراق ووضوح وفيه قناعة وتحقيق وتدقيق[4]، ورد في مقدمته قوله: «...وبعد. فإن أولى ما نظر في الطالب، وعنى به الراغب، سير الرسول عليه الصلاة والسلام، وخبره الذي يزيد في لايمان والاسلام ولامتداد مصنفاتها واتساع مجموعاتها، رغب الراكد في اقتضاب أزهارها ليكون كالمدخل إلى جميع أنوارها...وسميت هذا المجموع لظهور البركة بقراءة الحديث النبوي في السكون والحركة "وسيلة الاسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام" ورتبته في سبع وثمان مائة بقسنطينة المحروسة على خمسة أبواب»[5].

ويضاف إلى كتب ابن قنفذ في علم التاريخ وفروعه "**طبقات علماء قسنطينة**"، و"**المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية**" – والراجح أنه إما يكون مختصرا أو شرحا لرحلة العبدري "الرحلة المغربية"– وهما في حكم المفقود، بالاضافة الى "**إدريسية النسب في**

---

[1]– **تاريخ افريقية**...المرجع السابق، ج2، ص ص414-415.

[2]– ابن قنفذ، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص239.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص226-227.

[4]– ابن قنفذ، **وسيلة الاسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام**، تحقيق: سليمان الصيد المحامي، در الغرب الاسلامي، بيروت، (دت)، ص17.

[5]– المصدر نفسه، ص ص31-32.

الأمصار والقرى والعرب"، كما ترجم لأهل التصوف كأبي مدين وأصحابه وتلامذته في كتاب سماه: "**أنس الفقير وعز الحقير**"[1].

***عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1490م)**: له "**فهرسة**" عبارة عن ثبت لطيف ذكر فيه أهم المصنفات التي اتصلت به وبعض أسانيدها وأسماء مؤلفاته، وردت تحت عنوان "**غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد**"، وتكمن أهميتها في اعطاء فكرة عن الحركة العلمية بالمغرب الاسلامي خلال القرن التاسع هجري، وإبراز شخصية الثعالبي العلمية وعنايته بالحديث دراية ورواية[2]، ورد في مقدمته سبب تأليفه في قوله: «...لما تكرر سؤال السائلين عني الإجازة في ما أحمله من الروايات، وتعيين تلك الكتب المرويات، وكانت مروياتي كثيرة وطرق أسانيدها كثيرة، وكان يشق علي تتبع جميعها لكل انسان، اخترت من ذلك المهم مجردا من الأسانيد، ومن أرادها بأسانيدها وجدها في فهارسي التي عليها خطوط مشايخي...وسميت هذه العجالة "**بغنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد**"، وأنا أصدر بعون الله تعالى بكتبي التي ألفت والفوائد التي جمعت»[3].

كما صنف أيضا في ميدان السيرة النبوية "**الأنوار في آيات النبي المختار صلّى الله عليه وسلّم**"، حقّقه محمد الشريف قاهر، وكذلك صنف "**رسالة في أهل بدر**"[4]، كما ألف أيضا "**جامع الهمم في أخبار الأمم**" يقع في سفرين ضخمين[5]، ويضاف إلى أعماله "**رحلتـه**" التي حوت فوائد جملة، وردت ضمن مخطوط مبتور الأول موجود بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 851 عدد أوراقه 206 ورقة، والرحلة تبتدئ من الورقة 39 وتنتهي بالورقة 46 بخط مغربي واضح[6]، تتضمن الرحلة دخول الثعالبي لبجاية وتنقله من تونس الى مصر

1- ابن قنفذ، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص ص43 -44؛ ابن قنفذ، **وسيلة الاسلام**...المصدر السابق، ص14.

2- عبد الرحمن الثعالبي، **غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد**، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005، ص ص15-16.

3- المصدر نفسه، ص ص25-26.

4- بشير ضيف، المرجع السابق، ص99.

5- عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص90.

6- عبد الرحمن الثعالبي، **رحلة عبد الرحمن الثعالبي**، تحقيق: محمد شايب شريف، ضمن كتاب: **غنيمة الوافد**...المصدر السابق، ص103.

والمشرق ثم رجوعه، ذاكرا بعضا من شيوخه واجازاته، حققها "محمد شايب شريف" ضمن كتاب غنيمة الوافد[1].

***محمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/1494م):** اشتهر بكتابه "**نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الاعيان ومن ملك من اسلافهم فيما مضى من الزمان**" ألفه للسلطان الزياني محمد المتوكل الذي حكم مابين (866-873هـ/1461-1468م) اكراما وشكرا له «يشتمل على التعريف بنفسه وسلفه الكريم وبيان شرفه في الحديث والقديم ومتبعا بمجلة صالحة من مناقب الملوك وماثرها...»[2]، قال عنه الوادي آشي بأنه يقع في سفر كبير احتوى على فنون من الأدب جمة، وأفرد فيه للبديع بابا، استوعبه فيه استيعابا، وهو بالجملة من أدل الدلائل على فضل الرجل وحفظه واتساع باعه[3]، وقد ألف هذا الكتاب على غرار مصنفات ذلك العهد فهو ليس تاريخا فحسب، وإنما هو ديوان شعر وأدب وحجم ملح ونوادر أيضا[4].

قسم التنسي كتابه إلى خمسة أقسام تندرج تحتها عدة أبـــــواب:

***القسم1:** في سبعة أبواب ذكر فيه نسب الملك (محمد المتوكل)، وفضل العرب وقريش، وشرف عبد الله الكامل وبنيه وخصوصا الادارسة منهم، وشرف بني زيان، وتتبع دولتهم الى دولة المتوكل فخر الزمان.

***القسم2:** ذكر فيه خصال الملك المحمودة، من الجود والشجاعة والحلم والعدل في ثلاثة أبواب.

***القسم3:** يتضمن ستة عشر بابا في ملح ونوادر مستظرفة رويت عن أصناف الناس المختلفة من الملوك والخلفاء والشعراء والصلحاء والصبيان والنساء والمغنيين والمغفلين والنسابين والمجانين...

---

[1]- **ينظر نص الرحلة:** عبد الرحمن الثعالبي، **رحلة**... المصدر السابق، ص ص107-126.

[2]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص36.

[3]- الوادي اشي، **الثبت**...المصدر السابق، ص372.

[4]-التنسي، **الطراز**...المصدر السابق، ص135.

***القسم4:** في محاسن الكلام المتعملة المنثور، ويشمل على ثمانية أبواب من حيث البلاغة والفصاحة[1]...

***القسم 5:** خاص بالمواعظ والحكم عن الأنبياء والحكماء في أربعة أبواب[2].

يعد الباب السابع من القسم الأول الموسوم بعنوان: "**في بيان شرف بني زيان**" أجود باب من الأبواب، فهو موسوعة تاريخية وأدبية عن تاريخ بني زيان وتاريخ المغرب الأوسط ويعتبر المصدر العربي الوحيد لفترة من تاريخ الدولة تزيد على سبعين سنة، فقد رأى محققه الدكتور محمود بوعباد أنه فيما عدا **نظم الدر** لايتوفر للمؤرخ مصدر تاريخي عربي آخر شامل الأخبار، لدراسة تلك الفترة الطويلة نسبيا من تاريخ دولة بني عبد الواد التي أسسها يغمراسن بن زيان في المغرب الأوسط، وذلك رغم تأخر زمنها وقربه من عصرنا[3].

وتظهر أهمية الكتاب في كونه تاريخا مسلسلا وكاملا للدولة الزيانية، فبالرغم من قصره واختصار معلوماته، إلا أنه يعد المصدر الشامل لاخبار دولة بني عبد الواد، جمع بين صحة الأخبار والدقة في عرضها في مظهر شيق جذاب يتضمن معلومات انفرد بها دون غيره من الكتب ومن محاسن هذا الكتاب أيضا ما تضمنه من منجزات معمارية وقصائد شعرية، وبذلك يكون أنقذ شطرا من حضارة وأدب المغرب الأوسط، ولولاه لضاع هذا التراث نثرا وشعرا[4].

ورغم ايجابيات هذا الكتاب من نواحي كثيرة إلا أن افراطه في التملق لبني زيان والمبالغة في سرد خصال ملوكهم ومزاياهم وتعمد اغفال ذكر عيوبهم وكل مايسيء بسمعة دولتهم ...جعله محط نقد من العلماء لأن ذلك يعد اخفاء للحقيقة وتملقا صريحا للدولة[5].

---

[1]- هذا القسم حققه ابو طالب محي الدين، **ينظر: الجانب الادبي من مخطوطة الحافظ التنسي: نظر الدر والعقيان في بيان شرق بني زيان ملوك الدولة الزيانية الجزائرية**، الديوان الوطني للمطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999.

[2]- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص ص39-41.

[3]- المصدر نفسه، ص ص53-54.

[4]- نفسه، ص ص55-58.

[5]- نفسه، ص ص60-62.

كما يضاف الى مصنفات التنسي "**فهرسة**" بأسماء شيوخه، ولكنها اليوم في حكم المفقود[1]، و"**كتاب في اسلام أبي طالب**" قال عنه السخاوي: «وقيل أنه صنف في اسلام أبي طالب جزءا كما هو مذهب بعض الرافضة»[2].

***ابن صعد الأنصاري (ت901هـ/1495م):** هو محمد بن أحمد بن أبي الفضل سعد ابن صعد الأنصاري الأندلسي التلمساني، نشأ بتلمسان وأخذ العلم عن علمائها كالحافظ التنسي[3]، وصفه تلميذه الوادي آشي «بالفقيه الامام العلامة البارع المصنف المقيد المفيد التاريخي»[4]، أما ابـــــن الغرنـــاطي فقد قال فيه:

إِذَا جِئْــتَ لِتِلِمْسَـــانَ فَقُلْ لِصِنْدِيدِهَا اِبْنَ صَعـدٍ

عِلْمُكَ فَـــاقَ كُلَّ عِلْمٍ مَجْدُكَ فَــاقَ كُـلَّ مَجْــدِ[5].

اشتهر ابن صعد بعلمه وكتبه التي صنفها خاصة في التراجم، ولعل أبرز ما صنفه كتاب "**النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب**"[6]، بطلب من السلطان الزياني محمد المتوكل، عبارة عن تراجم مرتبة على حروف المعجم، قال عنه صاحب دوحة الناشر: «هو كتاب شريف في فنه كثير الفائدة، رأيته في أربع مجلدات، وقد استحسنه سلطان تلمسان وكتبت تراجمه وفصوله بماء الذهب وحق له ذلك»[7]، أما الوادي آشي فقد قال عنه: «ألفه مترجما باسم سلطان بلده (المتوكل)، سمعت أنه خرج في ثمانية أسفار محشو بالفوائد»[8].

1- التنسي، **الطراز**...المصدر السابق، ص133؛ عادل نويهض، **الأعلام**....المرجع السابق، ص85.

2- **الضوء اللامع**....المصدر السابق، ج 8، ص210.

3- **ينظر ترجمته:** الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص414؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص575؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص251-252؛ الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص147...

4- **ثبت**...المصدر السابق، ص414.

5- ابن مريم، المصدر السابق، ص252.

6- حقق جزءه الأول محمد بلحاج، تحت عنوان: **مخطوط النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاخر المناقب، ج1، دراسة وتحقيق**، رسالة ماجستير من كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران 2007-2008؛ أما الجزء الثامن حققه: الطاهر منزل، تحت عنوان: **النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق للجزء الثامن**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط الاسلامي علم المخطوط العربي، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2011-2012.

7- محمد بن عسكر الشفشاوني، المصدر السابق، ص24.

8- **ثبت**...المصدر السابق، ص416.

وله كتاب آخر سماه "**روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين**"[1] وهم: محمد بن عمرالهواري (ت843/1439م)، وتلميذه ابراهيم التازي (ت866هـ/1462م)، والحسن ابركان (ت857هـ/1453م)، واحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م)[2]، وهو«مقتطف من كتابه الكبير، محشو بفؤائد نفيسة، ومحاسن عديدة تدل على فضل الرجل واطلاعه ونبله وامتداد باعه»[3].

وفي السيرة صنف كتابا سماه "**مفاخر الاسلام في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم**"، قرأه الوادي آشي عن أستاذه، موضوعه حافل جليل حشد فيه وحشر وجمع من ذيول هذا المعنى وما انتشر وهو سفر في القالب الرباعي[4].

***أحمد بن يحى الونشريسي (ت914هـ/1511م):** ألف في ميدان التراجم كتاب "**الوفيات**" هو ذيل لكتاب "شرف الطالب في أسنى المطالب" لابن قنفذ، تناول فيه رجال الفقه والحديث والتفسير والتصوف في بلاد المغرب والاندلس مركزا على تاريخ وفاتهم منذ عام 701حتى 912هـ، مشيرا لعدد من المصنفات والمخطوطات والمؤلفات في شتى مجلات العلوم خاصة في التصوف والفقه المالكي[5].

كما ألف كتابا في "**ترجمة المقري الجد**" بطلب من صديقه ابن غازي، ورد على شكل رسالة لا تزيد عن سبع عشرة صفحة، شملت التعريف بالمقري وتآليفه...، انتهى منها سنة 876هـ[6]، قال عنه المقري: «وقفت له بالمغرب على مؤلف عرّف فيه بمولاي الجد وذكر جملة من أحواله، وذلك أنه طلبه بعض أهل عصره في تأليف أخبار الجد، فألف فيه ماذكر»، ومما قاله الونشريسي عن الجد: «القاضي الشهير الامام العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المقري، التلمساني المولد والمنشأ، الفاسي المسكن، كان رحمة الله تعالى عالما

1- حققه يحي بوعزيز، منشورات ANEP ، الجزائر، ط1، 2004.
2- ابن مريم، المصدر السابق، ص252.
3- الوادي آشي، **ثبت**...المصدر السابق، ص416.
4- المصدر نفسه، ص417.
5- الونشريسي، **الوفيات**...المصدر السابق، ص 02 (مقدمة المحقق).
6- محمد بوشقيف، **تطور العلوم**...المرجع السابق، ص ص229-230.

عاملا ظريفا نبيها ذكيا نبيلا فهما متيقظا جزلا محصلا...»[1]، وله أيضا "**فهرسة**" ترجم فيها لنفسه ولمشيخته وما أخذ عنهم[2].

بالاضافة إلى علماء آخرين أمثال: **ابن مرزوق الحفيد** (ت842هـ) فقد صنف كتابا "**في مناقب شيخه ابراهيم المصمودي**"[3]، كما هو الحال للملالي **محمد بن عمر بن ابراهيم** (كان حيا سنة 897هـ/1492م) فقد ترجم لشيخه محمد بن يوسف السنوسي تحت عنوان "**المواهب القدسية في المناقب السنوسية**"، قسمه إلى عشرة أبواب[4]، أما **محمد بن عبد الكريم المغيلي** (ت909هـ/1503م) فله "**فهرسة**" لمروياته لكنها في حكم المفقود[5]، **وللباهلي محمد بن يحى أبي عبد الله البجائي المعروف بالمسفر** (ت744هـ/1343م) رسالة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، على شكل قصيدة سماها: "**نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر**"[6]، كما كتب **أبي عبد الله الشريف التلمساني (ت771هـ/1369م)** هو الآخر في السيرة كتابا بعنوان "**روضة الأزهار في التعريف بآل محمد المختار صلى الله عليه وسلم**"[7]، أما **ابن زكــري (ت899هـ/1493م)** فشرح "**الشمائل النبوية**"[8]، ويضاف إلى كتب التاريخ خلال فترة البحث كتاب قيّم **لمؤلف مجهول الهوية** – لعله ممن خدم البلاط الزياني– بعنوان "**زهر البستان في دولة بني زيان**"، لم يبق منه إلا السفر الثاني الذي خصصه للحديث عن تاريخ أبي حمو موسى الثاني خلال الخمس سنوات الأولى من حكمه ما بين (760-765هـ/1358-1363م)، يشتمل أخبار دقيقة ومفصلة ودقيقة على شكل شواهد ونصوص أدبية ونثرية عن الدولة الزيانية والدول المجاورة

---

[1]– المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج 5، ص207.

[2]– أحمد المنجور ، المصدر السابق، ص12؛ عبد السلام ابن سودة، المرجع السابق، ص211.

[3]– المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص430.

[4]– محمد المنوني، **المصادر**...المرجع السابق، ص127.

[5]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص578.

[6]– المصدر نفسه، ص402؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص102.

[7]– المرجع نفسه، ص104.

[8]– نفسه، ص101.

لها والقبائل المنتشرة في تلك الديار، وهذا له دلالة على انتمائه صاحبه للبلاط الزياني، هذا ما أكسبه قيمة علمية كبيرة [1]...

2- علــم السياســـــة:

أ- مفهــومـــــها:

لغـــــة: السياسة مصدر **لسَاس يسوسُ**، وتطلق على اطلاقات كثيرة يجمعها «القيام على الشيء بما يصلحه»، يقال: «سوّس الرجل أمور الناس على ما لم يسم فاعله إذا ملك أمرهم»، والسوس: الرياسة[2].

اصطلاحــا: يعد علم السياسة أحد العلوم الاجتماعية، يدرس السلطة في المجتمع وكيفية ممارستها وما هي أهدافها ونتائجها[3]، و«هو علم يعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها...، موضوعه المراتب المدنية وأحكامها»، وهذا العلم مهم يحتاج إليه الملوك والسلاطين أولا، وكذا عامة الناس لمعرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة، واستبقاء كل واحد منها ودفع علل زوالها وجهات انتقالها، ومن جملة مسائله: معرفة ما ينبغي عليه الملك والسلطة في نفسه وحال أعوانه وأمور رعاياه وعمارة المدن[4].

والسياسة في مفهوم الإسلام بمعنى «القيادة والرياسة أو بمعنى قواعد الحكم والتعاليم والمبادئ التي يجب أن تتحكم في مواجهة الموقف أو هي بمعنى أسلوب الحكم، باعتبار أن السياسة إحدى أدوات الحكم أو هي بمعنى السلوك، وهو الاستجابة أو رد الفعل إزاء حدث معين»[5].

ب- أهم علماء المغرب الأوسط وإنتاجهم في علم السياسة:

إن السياسة في الإسلام أصل من أشرف الأصول التي لا قوام للعالم إلا بها لأنها تستهدف صلاح البشر دون تمييز تحقيقا لإنسانية الإنسان وعمارة الدنيا، وإقامتها على

---

[1]- مؤلف مجهول، **زهر البستان**...المصدر السابق، ص ص7-9.

[2]- **ينظر مادة سوس:** ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص107؛ الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص551.

[3]- المعهد التطويري لتنمية المواد البشرية، **المدخــل لعلم السياسة**، دار المعمورة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بغداد، (دت)، ص17.

[4]- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص386؛ ابن الاكفاني، المصدر السابق، ص221.

[5]- عبد الرحمن خليفة، **في علم السياسة الاسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989، (دت)، ص ص59-60.

أساس من الحق والعدل المطلق والفضائل والوحدة الإنسانية ومصلحتها العليا، وما يستلزم ذلك من تحقيق التكافل الإنساني الملزم في مجالات الحياة كلها عملا[1]، وبالتالي تهدف إلى توحيد وتماسك المجتمع، فهي عكس المقولة «ما دخلت سياسة شيئا إلا أفسدته»، لذا تعد أسمى النشاطات البشرية التي من خلالها يحقق الإنسان وجوده، فطبيعتها هي نشاط بشري يمتاز به الإنسان عن سائر الكائنات الحية، وإطار هذا النشاط هو المجتمع، والمجتمع لا يشكل إطار النشاط السياسي وحسب، وإنما يعتبر المادة التي يعطيها هذا النشاط شكلا معين، فالسياسة تعني تنظيم المجتمع وتحقيق وحدته وتدعيمها[2].

ونظرا لأهميتها داخل المجتمع نالت اهتماما لدى العلماء المسلمين حيث بدأت كتابة السياسة لديهم في وقت مبكر من تاريخ الاسلام، حيث يعود الاهتمام بهذا الفن إلى القرن الثاني هجري، وفي ظل تطوره ظهرت عدة كتب في هذا المجال، لعل أبرزها "**التاج في أخلاق الملوك**" للجاحظ (ت255هـ/869م) تحدث فيه عن كيفية تعامل الملك مع بطانته وعامة أفراد رعيته، مصحوبا بمجموعة من النصائح إلى الملك[3]، و"**الأحكام السلطانية والولايات الدينية**" للماوردي أبو الحسن علي بن حبيب (ت450هـ) تناول فيه مجمل المسائل الفقهية المتعلقة بالخليفة والوزراء والأمراء باختلاف أصنافهم[4]، كما ظهرت كتب أخرى تحدثت عن أخلاق الملوك منها "**التبر المسبوك في نصيحة الملوك**" لأبي حامد الغزالي (ت505هـ) و"**سراج الملوك**" لمحمد الوليد الطرطوشي (ت520هـ)، و"**المنهج المسلوك في سياسة الملوك**" لعبد الرحمن بن عبد الله الشيرزي (ت589هـ)، بالإضافة إلى "**سلوان المطاع في عدوان الإتباع**"[5] لابن ظفر الصقلي (ت570هـ)[6]...

---

[1]- المرجع نفسه، ص50.

[2]- عصام سليمان، **مدخل الى عالم السياسة**، دار النضال، بيروت، ط2، 1989، ص ص9-10.

[3]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص32 -34.

[4]- الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد أمبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قنيبة، بيروت، ط1، 1989.

[5]- **ينظر عنه:** حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص998.

[6]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص35.

وقد سلك التأليف في الفكر السياسي عند العلماء السابقين منهجيين: «أولهما قام على توجيه النصائح إلى الملوك حول ما يجب أن يتحلوا من الأخلاق، وبيان القواعد التي يقوم عليها الملك، والثاني سلك أصحابه المنهج الفقهي القائم على بيان الأحكام الشرعية التي تبنى عليها الخلافة والوزارة وغيرها من المناصب الشرعية»، ووفق هذين الاتجاهين واستنادا لكتب السابقين صنف العديد من علماء المغرب الأوسط كتبهم في مجال السياسة[1]، ولعل أبرز من ترك بصماته في هذا العلم:

***المقري الجد (ت759هـ):** شارك من خلال مقالته المسماة: "**طلعة المملكة**" التي تمحورت نظرته فيها على أنه لا ملك في الشريعة الإسلامية، وهو ما طبقه الخلفاء الراشدون بعد الرسول **صلى الله عليه وسلم**[2]، وبناء على ذلك فهو يقترح بشكل غير مباشر، النظام الخلافي المبني على أساس الانتخاب، لأن قلة من الملوك فقط أحوالهم مرضية[3].

*و**لابن مرزوق الجد (ت781هـ)** كتابين في الخلافة وما يتعلق بها من أمور الحكم وهما: " **كتاب الإمامة**"، و "**إيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد**"[4].

كما لم يقتصر مجال السياسة على العلماء فقط فقد شارك فيه السلاطين، أمثال **أبي حمو موسى الثاني** الذي كان أديبا مفكرا وسياسيا ماهرا، مدحه ابن الخطيب في قوله:

أَمَّــا سِيَاسَتُكَ التِّـــي أَحْكَمْتَـــــهَا وَرَمَيْـتَ بِالتَّقْصِـــيرِ رَسْطَالِيسَا

فَلَوْ أَنَّ كِسْرَى الفُرسِ أَبصَرَ بَعْضَهَا مَا كَانَ يَطْمَـــعُ أَنْ يُعَدِّي سُوسَا[5].

صنف "**كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك**"، ضمن مرايا الملوك كتبه ليتحف به ابنه وولي عهده ووارث مجده والخليفة، عالج فيه بدقة القواعد التي على السلطان وحاشيته

1- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص ص35-36.

2- المقري الجد، **القواعد**...المصدر السابق، ج1، ص78.

3- محمد بوشقيف، **تطور العلوم**...المرجع السابق، ص238.

4- عادل نويهض، **الأعلام**...المرجع السابق، ص290.

5- **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج6، ص198.

اكتسابها وما يجب أن يجتنبوه، حيث ضمنه «وصايا حكمية وسياسة عملية، مما تختص به الملوك وتنتظم بها أمورهم انتظام السلوك في سياسة الملوك»[1].

وصفه المقري في قوله: «له رحمة الله تأليف حسن في السياسة لخض فيه "سلوان المطاع" لابن ظفر وزاد عليه فوائد، وأورد فيه جملة من نظمه، وأمورا جرت له مع معاصريه من ملوك بني مرين وغيرهم، وصنفه برسم ولي عهده أبي تاشفين وسماه "**نظم السلوك في سياسة الملوك**"»[2].

تناول الكتّاب أهم المسائل المتعلقة بالنظام السياسي العادل المستمر والمستقر وفق ما رآه مؤلفه حيث تضمن الكتاب على أربعـــة أبـــــواب وهي:

***الباب1:** في الوصايا والآداب والحكم المرشدة إلى طريق الصواب يضم أربعة توصيات: العمل، والعقل، وحفظ المال، وحفظ الجيوش والأحفاد[3].

***الباب2:** في قواعد الملك وأركانه وما يحتاج إليه الملك في قوام سلطانة، يضم أربعة قواعد لحفظ الملك وهي: قاعدة العقل والسياسة والجيش وقاعدة جمع المال والجيش[4].

***الباب3:** في الأوصاف التي هي نظام الملك وكماله وبهجته وجماله ويضم أربعة أوصاف محمودة للملك وهي: الشجاعة والكرم والحلم والعفو[5].

***الباب4:** في الفراسة وهي خاتمة السياسة وتتضمن فراسة الملك مع وزيره وجلسائه وكاتبه وقضاته وقادته وجيشه وصاحب أشغاله وحكّامه وكذلك مع عدوه ورسله[6].

ولعل من روائع وصاياه لابنه ما تعلق بالعدل لأنه هو الضمان الأكبر لدوام المملكة جاء في قوله: «يابني العدل سراج الدولة فلا تطف سراج العدل بريح الظلم، إذا عصفت نصفت، وريح العدل إذا هبت ربت، ومن شروط الإمارة العدل في الأحكام»[7]، وعن العدل

---

[1]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص47.

[2]- **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج1، ص249.

[3]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص ص49-78.

[4]- المصدر نفسه، ص ص79-208.

[5]- نفسه، ص ص209-225.

[6]- نفسه، ص ص226-252.

[7]- نفسه، ص50.

قال أيضا: إنه «أسّ الدولة وإقامة الملة، ورأس السياسة ومدار الرياسة»[1]، وقال أيضا «اعلم يابني أن الملك بناء، والعدل أساسه، وإذا قوى الأساس دام البناء، وإن ضعف الأساس إنهار البناء، فلا سلطان إلا بجيش ولا جيش إلا بمال، ولا مال إلا من جباية، ولا جباية إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل، فالعدل أساس»[2].

وتظهر الأهمية العلمية للكتاب في كونه يقدم معلومات هامة حول الأسس الأخلاقية والاجتماعية والسياسية التي يقوم عليها أي نظام سياسي، كما أن الذي ميز الكتاب كون صاحبه مفكر سياسي جمع بين الخبرة العلمية في ممارسة السلطة مده تفوق ثلاثين سنة، وتشربه معارف عصره واطلاعه على آراء وأقوال سابقيه من الملوك والعلماء، كما اعتمد في انجازه على تراث سياسي ضخم متنوع بين الآداب والآحكام السلطانية، فهو يكشف عن جانب هام من الفكر السياسي لهذا السلطان، لذا كانت نظريته في السياسة[3] أصلية وجديدة، بالإضافة إلى توظيفه لأحداث تاريخية وأدبية تعكس مستواه الثقافي[4].

أما الذي أثرى مجال السياسة خاصة فيما يعرف بالفقه السياسي المبني على أساس تسيير الحكم وفق النظرية الإسلامية البحتة، هو **محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)** وذلك خلال رحلته التي قادته باتجاه الصحراء إلى توات اليهود الذين استفحلوا فيها وتجاوزوا حدود الشرع، وبعد ذلك سافر إلى الممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي والتكرور وبدأ عمله الإصلاحي سواء الديني أو السياسي[5]، ومما قدمه في هذا المجال مجموعة حول شؤون الإمارة وتنظيم الدولة، أهمها: "**رسالته لأمير كانو في شوؤن الإمارة**" ولهذه الرسالة عدة عناوين وكلها لمسمى واحد منها: "**التزامات الأمير وما ينبغي عليه في تطبيق الشريعة**"، "**رسالة في الإمارة**"، "**واجبات الأمراء**"، "**رسالة في السلطنة**"، "**مصباح الأرواح**

1- نفسه، ص197.

2- نفسه، ص196.

3- **عن النظرية السياسة لأبي حمو وشرحها. ينظر**: وداد القاضي، المرجع السابق، ص ص168.

4- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص40؛ صابرة خطيف، المرجع السابق، ص57.

5- محمد بوشقيف، **تطور العلوم**...المرجع السابق، ص ص239-240.

وميزان الأرباح لمن حض بحقيقة السلاح في الكفاح"، "**فيما يجب عل الأمير من حسن النية**"[1]، "**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**"[2].

ولعل سبب تأليفها أن أمير **كانو محمد بن يعقوب زنقا** هو الذي طلب من الإمام المغيلي أن يكتب له رسالة في أمور السلطنة وشؤون الإمارة، يطلعه فيها على واجبات الأمير ومهامه، ويعلمه كيف يسيّر إماراته وفق الشريعة الإسلامية، فكتبها له عام (897هـ/1492م)[3]، وهي الفترة التي كثرت فيها النزاعات والخصومات وضعفت فيها المقاومة والذود عن الدين، وانغمس فيها الأمراء والملوك في ملذات الحياة مما جعلهم لقمة سائغة في يد أعدائهم، فكان هدفه من رسالته ما يساعده على كيفية وسير إمارته تفاديا لذلك[4]، حسبما وضحه التنبكتي في قوله: «واجتمع بصاحب كانو واستفاد منه، وكتب له رسالة في أمور السلطنة يحضه فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرر له أحكام الشرع وقواعده»[5].

وتتضمن هذه الرسالة التي نشرها محمد خير رمضان يوسف تحت عنوان "**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**" على ثمانيـة أبـــواب وهي:

*الباب الأول: فيما يجب على الأمير من حسن النيـة في الإمارة.

*الباب الثاني: فيما يجب على الأمير من حسن الهيئة.

*الباب الثالث: فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته.

*الباب الرابع: فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسفر.

*الباب الخامس: فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور.

*الباب السادس: فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام.

*الباب السابع: في مجبي الأموال من وجوه الحلال.

---

[1]- **نشرها بهذا العنوان**: مبروك مقدم ضمن كتابه، **الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ودوره في تأسيس الإمارة الأسلامية بإفريقيا الغربية، خلال القرن التاسع للهجرة الخمس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (دت)، ص ص83-128.

[2]- المغيي، **مختصران**...المصدر السابق، ص ص39-40.

[3]- يحى بوعزيز، **تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دت)، ص138.

[4]- مبروك مقدم، المرجع السابق، ص77.

[5]- التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص577.

*الباب الثامن: في مصارف أموال الله[1].

ومما جاء في هذه الرسالة حول الإمارة قوله: «الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى، فعلى كل ذي عقل أن يبعد عنها، إلا إذا لم يكن له بعد منها، فتوكل على الله واستعن في أمرك كله بالله، وليكن عملك كله لوجه الله»[2]، وقوله أيضا: «الإمارة سياسة في ثوب رياسة، فعلى كل أمير أن يرتب نظام مملكته لسكونه وحركته، على ما يتمكن به من صلاح رعيته»[3].

إن ما ميز هذه الرسالة هو «ترتيب المغيلي لأركان الإمارة ترتيبا تسلسليا، مع ايضاح العلاقة بين تنظيم الإمارة والأحكام الشرعية، وبالتالي نسج العلاقة بين الراعي والرعية، وتظهر أهمية الرسالة في كون المغيلي يعرف لمنطقة جيدا وعلى دراية جيدة بأحوالها وأوضاعها، لذا جات تصوراته وآراؤه واستنباطاته واقعية مستنبطة من الواقع المعاش، لذ لم يجد امير كانو صعوبة في استعمالها واستغلالها فعمل على تطبيق محتوياتها بهدف اصلاح حال مجتمعه وفقا للتقاليد الاسلامية»[4].

ثم كتب لنفس الحاكم وصية أخرى في "**ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام**"[5]، يدعوه فيها لإتباع الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ألفها طلبًا من أمير كانو السابق الذي طلب منه أن يوضح له فيها كيف يقوم بردع الناس عن ارتكاب الحرام، فأجابه لرغبته وكتب له هاته الرسالة وشرح له فيها كيف يمكن أن يحكم بلاده وشعبه ورعيته، وفق الشريعة الإسلامية، ومقاومة العادات الوثنية، ولعل الذي ساعد المغيلي في ذلك أنه كان على إطلاع واسع بأوضاع السودان الغربي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعاداته وتقاليده، بالإضافة إلى حرصه على أن يسود الشرع الإسلامي في هاته البلدان، شعبا وحكاما قولا وعملا[6].

---

[1]- المغيلي، **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1994، ص ص61-62.

[2]- المصدر نفسه، ص17.

[3]- نفسه، ص25.

[4]- مبروك مقدم، المرجع السابق، ص78.

[5]- **ينظر الملحق رقم: 09 (رسالة المغيلي الى أمير كانو).**

[6]- المغيلي، **تاج الدين**...المصدر السابق، ص25.

ومما جاء فيها قوله: «فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه»[1]، ومن جملة نصائحه تلك التي تتعلق بعقاب المفسدين فأعطى الحلول للحكام في معاقبتهم بالطعن والحبس والضرب والصلب والقتل فقال: «ولكل داء دواء ولكل مقام مقال»، ثم أمر بالابتعاد عن الكبائر ومحاربة جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر، وأكل الميتة، والدم والزنا،...إلى غيرها من الكبائر المنتشرة في بلاد السودان والسودان الغربي، فأعطى في عقاب المفسد قاعدة أصولية وهي قوله: «لا تفعل بالمفسد ما ذكر في ردعه إلا إذا رأيت أنه لا يرجع بغيره»[2]، ومن وصاياه أيضا حثه للأمير على إزالة الفساد حتى وإن تعارضت مفسدة ومصلحة، فدرء الفساد مقدم على جلب المصالح، فان تعارضت مفسدتاه إحداهما دينية والأخرى دنيوية فدرء لمفسدة الدينية أولى...ألفها عام (897هـ/1492م)[3].

وله أيضا أجوبة لسبع مسائل طرحها عليه أمير مملكة سنغاي **أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الملقب بأسكيا**[4]، في السياسة الشرعية وعلاقة الراعي بالراعية، وتكتسي هذه الأسئلة والأجوبة أهمية كبيرة، لكونها تكشف لنا عن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لدولة سنغاي في عهد الأسقيين، وهي مطبوعة تحت عنوان"**أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**"[5].

كما شارك **الونشريسي أحمد بن يحي** (ت909هـ) في علم السياسة من خلال "**كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**" وهو رسالة صغيرة الحجم يعالج فيها سبع عشرة ولاية، وضحها في مقدمته في قوله:

---

[1]- عبد الله بن محمد بن فودي، **ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل**، تحقيق: أحمد محمد كاني، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1988، ص82.

[2]- عبد الله بن محمد بن فودي، المرجع السابق، ص82.

[3]- المرجع نفسه، ص ص84-85.

[4]- **ينظر عنه وعن مملكته:** المغيلي، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق: عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص10-؛ حاج أحمد نور الدين، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بثها للملوك والأمراء والعلماء**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية، قسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلام، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، ص146-.

[5]- المغيلي، **أسئلة**..المصدر السابق، ص ص17-18؛ **ينظر أيضا:** حاج أحمد نور الدين، المرجع نفسه، ص158-.

«اِعلم أن للحكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ولايات وخططًا، أولاها وأجلها وأعظمها الخلافة الكبرى والإمامة العظمى، وولاية الوزارة، وولاية القضاء، وولاية الشرطة، وولاية الإمارة على البلاد، وولاية الإمارة على الجهاد، وولاية المظالم، وولاية الحسبة والسوق، وولاية الرّدَة، وولاية عقود الأنكحة والفسوخ، وولاية التحكيم، وولاية السعاية وجباية الصدقة، وولاية الخرص، وولاية صرف النفقات والفروض المقرّرة على مستحقيها وإيصال الزكاة لأصنافها وقسمة الغنائم وإيصال مال الغائبين إليهم وولاية القسم، وولاية الكتب والترجمة والتقديم، وولاية الحكمين في جزاء الصيد، وولاية الكمين في الشقاق»[1]، ولعل أبرزها القضاء الذي يعتبر من أهم المناصب التي يطمح إليها العالم في ذلك العصر، لما لهذا المنصب من اتصال وثيق بالسياسة وتقلباتها، ولهذا خصص له الونشريسي القسم الثاني من كتابه بعنوان: "**الأقضية**" كونها أعظم قدرا وأعلاها ذكرا وأجلها خطرا[2].

وصفوة القول أن علم السياسة عرف مشاركة علماء المغرب خلال فترة البحث وذلك بسبب ظهور ظواهر في مجتمعاتهم، وكذا تجاوز الحكام لحدود الحكم، فأدى ذلك إلى سيادة الظلم وطغيان الحكام، ومحاولة منهم في الدعوة إلى الإصلاح وتغيير الأمور، مساهمة منهم في كيفية الحفاظ وصيانة الملك وإشاعة العدل والأمن بين الرعية، ولكن يبقى التأليف في هذا المجال قليل مقارنة بالعلوم الأخرى.

---

[1]- الونشريسي، **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، تحقيق: محمد الأمين بلغيث، لافوميك، 1985، ص ص21-22.

[2]- الونشريسي، **كتاب الولايات**...المصدر السابق، ص ص38-76.



الفصـــــل الــرابع:

العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة

1- العلـــوم الرياضيـــة:

2- علــــم المنطـــق:

3- علــــم الطــــب:

4- علــــم الصيدلـــة:

5-علــــم الهيئـــة:

6-علــــم الفلسفــــة:

7- علــــم الموسيقـــى:

العلوم العقلية تسمى: **علوم الفلسفة والحكمة**، وهي العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره، أي التي يقوم فيها النظر على العقل وحده[1]، وتنقسم إلى أربعة أقسام هي: **المنطق، والعلوم الطبيعية والعلوم الإلهية** وأخيرا **التعاليم**، التي نالت حظها عن بقية العلوم الأخرى حيث بلغ انتشارها أوجه خلال القرن الثامن هجري، فانكب العلماء على دراستها وتدريسها، وهي الناظرة في المقادير وتسمى بالرياضيات[2]، جَمعُها رياضي نسبة للرياضة، سميت بها «لارتباض الذهن أي انقياده بسبب الاشتغال بها إلى درك المعقولات»[3]...، ارتضى به الحكام مبدءا في تعاليم الصبيان، لذا سمي علما تعليما، وهي العلوم الباحثة عن أمور يصح تجردها عن المادة في الذهن فقط، ومهما اختلفت تعاريفها وتنوعت، إلا أن العلماء اتفقوا أن لهذا العلم أربعة أصول وهي: **الهندسة والهيئة والعدد والموسيقى ولكل منها فروع**[4]، كما أن لها علاقة ارتباط وظيفية بينها وبين العلوم النقلية، خاصة العلوم الشرعية، فلعلم الحساب والجبر والمقابلة علاقة بعلم الفرائض، وعلم الفقه علاقة بعلم الهيئة، والمنطق علاقة بعلم الأصول فلا تتحقق هذه العلوم الشرعية إلا بها، لذا اعتنى بها العلماء[5].

1- العلــوم الرياضيــــــــة:

أ- علم العدد (الأرثماطيقي) وفروعـــه:

هو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو بالتضعيف، وهو أول أجزاء التعاليم وأثبتها ويدخل في حساب البراهين[6]، أو هو«علم يتعلم منه أنواع العدد وأحوالها

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص471-472.

[2]- المصدر نفسه، ص516.

[3]- ساجقلي زاده، **ترتيب العلوم**، تحقيق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1988، ص179-180.

[4]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص939؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص347؛ اليوسي، المرجع السابق، ص151؛ صديق بن حسن القنوجي، **أبجد العلوم**، ج2 **(السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم)**، تحقيق: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978، ص306-207.

[5]- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص244.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**..المصدر السابق، ص ص519-520.

وكيفية تولد بعضها من بعض، وموضوعه الأعداد من جهة لوازمها وخواصها»[1]، ومن فروعـــــــــه:

***علم الحساب:** وهو صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق[2]، أو هو حسب الساجقلي «علم بقوانين يستخرج بها المجهولات العددية من معلوماتها، موضوعه: الكم المنفصل وهو العدد...، يعد "ربع العلم" لأنه نصف الفرائض»[3].

***علم الجبر والمقابلة:** هي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك، مبني على ثلاثة أسس: وهي **العدد والجذر والمال**[4]، وهي حسب الخوارزمي: صناعة من صناعات الحساب وتدبير حسن لاستخراج المسائل العويصة في الوصايا والمواريث والمعاملات والمطارحات، وسميت بهذا الاسم لما يقع فيها من جبر النقاصات والاستثناءات ومن المقابلة بالتشبيهات[5]، أي هي نوع من تبسيط المسائل الحسابية المعقدة وتسهيل الطرق المؤدية إلى حلها، حيث تستخرج منها المجهولات باستخدام حروف وأرقام وعلامات[6]، اشتغل بها العرب وأتوا فيها بالعجب العجاب، كيف لها وهم أول من أطلق لفظة **جبر** على العلم المعروف الآن بهذا الاسم[7]، ويعتبر **الخوارزمي محمد بن موسى** (ت235هـ/850م) مؤسس هذا العلم، ألف فيه كتابه "**الجبـــر والمقابلة**"[8].

***علم حساب الفرائض:** يعد جزءا من علم الفقه، وأصعب أبوابه لأنه خاص بأحكام الوراثة، ونظرا لصعوبته سمي "**بنصف العلم**"، أفرزه العلماء ليعظم الاهتمام به لكثرة الاحتياج

1- ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص210.

2- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص520.

3- **ترتيب العلوم**...المصدر السابق، ص181. **ينظر أيضا**: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص662-663.

4- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص521.

5- الخوارزمي، **مفتاح العلوم**...المصدر السابق، ص200.

6- محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص200؛ عوض عبد الكريم ذنيبات، المرجع السابق، ص193.

7- عبد الكريم محمد نصر، **علوم العرب والمسلمين وأثرها في حضارة المغرب**، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2012، ص36.

8- **ينظر عنه وعن كتابه**: الخوارزمي، **كتاب الجبر والمقابلة**، تحقيق: علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي احمد، مطبعة بول باربيه، 1937، ص10-؛ عبد المجيد نصير، "**تطور علم الجبر في الحضارة العربية الإسلامية**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد، الإمارات العربية المتحدة، السنة6، العدد24، 1999، ص110.

إليه، وهو «علم يبحث فيه عن أحوال قسمة التركة بين الورثة»[1]، يتعرف منه قوانين تتعلق بحساب الفرائض المتعلقة بقسمة التركة، ويعد فرعا من فروع علم العدد لأن قواعده حسابية رغم أن تفاصيله مستوفاة في كتب الفرائض[2]، لذا اعتبره عبد الرحمن بن خلدون «صناعة حسابية من أجلّ العلوم»، ترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها[3].

***علم المعاملات:** هو «تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها»[4].

إن الاهتمام بالعلوم العددية يرجع إلى الدين الإسلامي الذي بفضله لجأ إلى الاعتماد عليها خاصة في مجالات الشريعة الإسلامية التي لا تحل قضاياها إلا باللجوء إليها، فالقانون لقسمة التركات الذي شرعه الإسلام أدى إلى الاهتمام بعلم الحساب خصوصا باب الكسور منه[5]، كما لها منفعة كبيرة تكمن في ضبط المعاملات وحفظ الأموال وقضاء الديون وقسمة التركات...، فالرياضيات يحتاج إليها في سائر العلوم الفلكية، والمساحة والطب...، ولا يستغنى عنها ملك ولا عالم[6]...، وهو ما وضحه الخوارزمي في كتابه أن الناس احتاجوا إليها في «مواريثهم ووصياهم وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجارتهم وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرضيين وكرى الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه»[7].

ونظرا لأهميتها ألف فيها الكثير وعلمت للولدان[8]، وفق طريقتين: طريقة الكتابة في اللوح أو الورق لإثبات التمارين الحسابية، وطريقة الحساب الذهني دون اللجوء إلى آلات

1- ساجقلي زاده، المصدر السابق، ص162؛ **ينظر أيضا:** القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص396.

2- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص371.

3- **المقدمة**...المصدر السابق، ص522.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- محمد إبلاغ، **الرياضيات في الأندلس مابين القرن (9-3هـ/7-15م)**، ضمن كتاب **الأندلس في التقلبات والعطاءات**...المرجع السابق، ص33؛ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص183.

6- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص368؛ ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص212؛ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص663.

7- الخوارزمي، **كتاب الجبر**...المصدر السابق، ص16.

8- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص520.

الكتابة خاصة إذا غابت، وهي طريقة الحساب الهوائي أي في الخيال، وهذا النوع عظيم النفع للتجار في الأسفار ولأهل الأسواق الذين لا يعرفون الكتابة[1].

ب- مفهوم الهندســــــة[2] وأهميتها:

عرفها ابن خلدون بأنها «النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم، وإما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية»[3]، تفحص في الخطوط، وفي السطوح وفي المجسمات...، عن أشكالها ومقاديرها وتساويها وتفاضلها، وعن أصناف أوضاعها وترتيبها، وهي نوعان: **هندسة نظرية** وأخرى **عملية**[4]، وبها حوالي عشرة فروع[5].

لها أهمية بالغة في حياة الإنسان عبر عنها عبد الرحمن بن خلدون في قوله: «واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره لأن براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع»، وبذلك يكتسب الذهن حدة ونفاذا ويُروض الفكر، ونظرا لما في الهندسة من علم الحركة والحيل أخذ بها الناس واستفادوا منها في أعمالهم الخاصة، كما أن «فائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الأجسام مثل: النجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغريبة والهياكل النادرة، وكيف يتحيل على جر الأثقال ونقل الهياكل بالهندام والميخال...»[6]، ويستفاد منها في ترتيب بناء الحصون والعقود

1- المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص328.

2- كلمة فارسية معربة أصلها "**أندازة**" أي المقادير، وتسمى باليونانية "**جومطريا**" وهي صناعة المساحة. **ينظر**: الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**...المصدر السابق، ص202؛ اليوسي، المرجع السابق، ص151؛ جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص523.

3- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص524.

4- **إحصـــاء العلـــوم**... المصدر السابق، ص ص51-52؛ **ينظر أيضا**: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص2046؛ ساجقلي زاده، **ترتيب العلوم**...المصدر السابق، ص180؛ ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص189؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص347؛ اليوسي، المرجع السابق، ص151؛ إخوان الصفا، **كتاب إخوان الصفا وخلان الوفــــا**، ج1، تحقيق: أحمد بن عبد الله، مطبعة نخبة الأخيار، بهندي بازار، 1305هـ، ص43.

5- **ينظر: الملحق رقم: 10 (فروع علوم الهندسة).**

6- **المقدمة**...المصدر السابق، ص524.

والقناطر...، وشق الأنهار، وعمل المرايا المحرقة والآلات الفلكية والحربية والروحانية...، وبالجملة لا يمكن الاستغناء[1].

لذا نشطت بصفة عامة في المغرب الأوسط خلال فترة البحث نظرا للنهضة العمرانية التي شهدها المغرب الأوسط، وتقدمت تبعا لذلك الآلات والأجهزة الهندسية كالإسطرلابات والساعات مثل: **ساعة المنجانة** وهي الساعة الآلية الضخمة التي وصفتها الكتب أدق وصف، وكلها تعبر على ما تحويه من فنون هذا العلم من خلال حركتها العجيبة، وتؤكد مدى تطور علم الهندسة واستخدامه في الصناعة الميكانيكية، ويكشف عن رسوخ هذه العلوم ووصولها إلى حد الاستعمالات العلمية[2].

وكذلك **شجرة الفضة** التي صنعت في عهد أبي تاشفين الأول واحدة من أهم الشواهد على ما وصلت إليه علوم الهندسة من تطور، وصفها التنسي في قوله: «وكانت عنده شجرة من فضة على أغصانها جمع أصناف الطيور الناقصة وأعلاها صقر فإذا استعمل المنفاخ في أصل الشجرة وبلغ الريح مواضع الطيور صوتت بمنطقها المعلوم لمشابهها، فإذا وصل الريح موضع الصقر صوت فانقطع صوت تلك الطيور كلها»[3].

وتبعا لهذه الشواهد يتضح أن انعكاسات الهندسة كانت ايجابية على تطور المجتمع، حيث أثمرت أعمالا هندسة وآلية تعبر فعلا عن تطور جدير بالاحترام لهذه العلوم.

ج- كتب العلوم الرياضية المدروسة بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس:

تركزت أكثر الدراسات في **الحساب والجبر** على "**أرجوزة ابن الياسمين**" **لعبد الله بن محمد بن حجاج الفندلاوي الفاسي** المعروف **بابن الياسمين** (ت601هـ/1204م)[4] في

1- ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص190.

2- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص ص246-247.

3- التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص141.

4- هو **عبد الله بن محمد بن حجاج الفندلاوي الفاسي المعروف بابن الياسمين** برع في عدة علوم كالهندسة والمنطق والتنجيم والهيئة ، وخاصة الحساب والعدد بالإضافة إلى الشعر، توفي ذبيحا بمراكش سنة (ت601هـ/1204م). **ينظر:** ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**...المصدر السابق، ص423؛ ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة**...المصدر السابق، ص39؛ العباس بن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام**، ج8، تحقيق: عبد الوهاب ابن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993، ص204؛ عبد الله كنّون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، دون دار نشر ومكان نشر، ط2، 1961، ص157.

الجبر والمقابلة، عبارة عن قصيدة عدد أبياتها 53 بيتا[1] لخص فيها قواعد الجبر، لتسهيل حفظ أدواته وأركانه الثلاثة: المال والأعداد والجذر، مع تعريف وترتيب المعادلات الستة فيه، وإعطاء حلولها وبعض العمليات الحسابية حول الأشياء الجبرية بعبارات دقيقة واضحة سهلة المأخذ، لذا اهتم بها العلماء وانكبوا عليها دراسة وتدريسا، وأقيمت عليها الشروحات، فتجاوزت شهرتها المغرب[2]

بالإضافة إلى كتب **ابن البناء المراكشي** (ت721هـ/1321م)[3] التي أضحت معتمد الدارسين والباحثين ككتاب "**تلخيص أعمال الحساب**" يحتوي أكثر المسائل العددية من أعمال الصحيح إلى الكسور إلى الجذور، بالإضافة إلى قوانين استخراج الأعداد المجهولة[4]، و"**رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب**" وهو كتاب صغير الحجم كثير المنفعة، صعب على المبتدئين لما يحتويه من براهين، نال حظه من تعظيم المشايخة لذا انكبوا عليه، وهذا ما عبر عنه عبد الرحمن بن خلدون في قوله: «مُستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني، وهو كتاب جليل القدر أدركنا المشيخة تُعظّمه، وهو كتاب جدير بذلك، وإنما جاءه الاستغلاق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لأن مسائلها وأعمالها واضحة كلها، وإذا قصد شرحها فإنما هو إعطاء العلل في تلك الأعمال، وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد في أعمال المسائل فتأمّله»[5]، شكّل هذا الكتاب محور تركز أغلب دراسات الجبر والحساب، وصار معتمد الدارسين والباحثين داخل وخارج بلاد المغرب، كما سيطر على

1- **ينظر الملحق رقم: 11 (الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة).**

2- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص63؛ محمد العربي الخطابي، **فهارس الخزانة الحسينية**، مج3 **(الفهرس الوصيف للمخطوطات: الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا)**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983، ص ص27-28؛ يوسف قرقور، **مبادئ السالكين**...المقال السابق، ص173-177.

3- هو **أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي** المعروف **بأبي العباس بن البناء المراكشي**، ولد في مراكش (654هـ/1256م)، وتوفي بها (721هـ/1321م)، نبغ في الرياضيات حتى وصل فيها درجة عالية لذا لقب بالعددي، كما عرف بشيخ المعقول والمنقول، حظي بتقدير ملوك المرينيين. **ينظر**: أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص05.

4- محمد المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص331.

5- **المقدمة**...المصدر السابق، ص521.

الحلقات التعليمية والمؤلفات الشارحة لمسائله، وكذلك كتابه "**الحصار الصغير**" فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله، وهو كتاب مفيد[1].

وفي **حساب الفرائض** اشتهر"**مختصر الحوفي**" للقاضي **أحمد بن محمد بن خلف أبو القاسم الحوفي الاشبيلي** (ت588هـ/1192م)، بالإضافة إلى "**القصيدة التلمسانية**" المسماة: "**تبصرة البادي وتذكرة الشادي**" **لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (ت697هـ/1298م)** حيث لم يصنف في فنها أحسن منها[2].

أما في **الهندسة** فقد أعتبر "**كتاب الأصول**" أو ما يسمى "**كتاب الأركان**" **لأوقليدس اليوناني** أبسط ما وضع للمتعلمين، يضاف إليه "**كتاب الحيل العلمية**" أو "**كتاب حيل بني موسى**" نسبة إلى **بني موسى بن شاكر**، يتضمن الصناعات والحيل الغريبة، إلا أنه يمتاز بصعوبته لصعوبة براهينه[3].

د- أهم رياضيو المغرب الأوسط وإنتاجهم في علم العدد والهندسة:

عني علماء المغرب الأوسط بالرياضيات وفروعها من حساب وجبر وهندسة عناية كبيرة لا تقل عن العلوم الأخرى، حيث احتلت حيزا كبيرا من نشاطهم وجهودهم، ونبغ فيها رياضيون أكفاء كانوا في طليعة هذا العلم، وكان لهم نصيب وافر في إثرائه، فصنفوا فيه وألفوا ولعل أبرزهم: **الآبلـــــي (ت758هـ/1357م)** الذي نشأ على حب العلم ورغب فيه، كان ميالا للعقليات متقدما في علم الحساب، لذا اختاره السلطان أبي حمو موسى الأول لمزاولة مهنة الجباية، لكنه لم يستطب هذه الوظيفة التي أكره عليها، فغادر تلمسان باتجاه المغرب، ولزم مراكش عند عالمها الشهير **أبي العباس ابن البناء** فتضلع عليه في المعقول والحكمة والتعاليم، ثم غادر إلى فاس وذاع صيته وقصده طلبة العلم[4] أمثال: عبد الرحمن بن خلدون الذي قال عنه: «ومنهم شيخ أهل المغرب لعصره في العلوم العقلية ومفيد جماعتهم أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الآبلي قرأت عليه بعض وأجازني بسائره»[5]، وقال أيضا:

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص521؛ محمد المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص331.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص470؛ محمود بوعياد، المرجع السابق، ص76.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص523-525.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص ص828-829.

[5]- المصدر نفسه، ص1130.

«لزمت مجلسه فأخذت عنه وافتتحت العلوم العقلية بالتعاليم، ثم قرأت المنطق وما بعده من الأصليين وعلوم الحكمة»[1]، كما وصفه المقري بأنه: «نسيج وحده ورحلة وقته في القيام على الفنون المعقولية وإدراكه وصحة نظره»[2].

ولعل ما يؤكد تفوقه في العقليات اكتشافه لتصحيف عرضه عليه طلبته جاء في نصه: «ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأن الجنس أقوى من الفصل»، فصححه الآبلي في قوله: «وأصله أن المركب قبل البسيط في الحس، والبسيط قبل المركب في العقل، وأن الحسن أقوى من العقل»[3].

ورغم ذيوعه في العلوم العقلية والتعاليم وهو الذي قال عنه ابن مريم «اعلم خلق الله في الفنون المعقولية»[4]، إلا أن كتب التراجم والتاريخ لم تذكر لنا شيئا عن تآليفه، ولعل ذلك راجع إلى اقتناعه بنظرته المتمثلة في أن فساد العلم كثرة التآليف والمختصرات، وهو صاحب المقولة المشهورة: «إنما أفسد العلم كثرة التواليف، وإنما أذهبه بنيان المدارس»[5].

أما **منصور بن علي الزواوي** (توفي بعد 770هـ/1368م)[6] كان من المثابرين على تعلم العلم وتعليمه، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية: في الأصول والمنطق وعلم الكلام والحساب والهندسة والآلات[7]، ثم اتجه إلى تلمسان المزدهرة بعلومها وفطاحل علمائها وعن ذلك يقول: «ثم ثنيت العنان بتوجهي إلى تلمسان راغبا في علوم العربية والفهوم الهندسية والحسابية»[8].

أما **أبو عبد الله الشريف التلمساني** (ت771هـ/1370م) فيعد «فارس المعقول والمنقول، تميز بغزارة علمه وسعة اطلاعه، كان إماما في العلوم العقلية كلها منطقا وحسابا

---

[1]– عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص830.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص214.

[3]– المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج5، ص246.

[4]– **البستان**...المصدر السابق، ص214.

[5]– المصدر نفسه، ص216.

[6]– من أهل زواوة نشأ في بجاية وتعلم على يد شيوخها، ثم رحل إلى الأندلس سنة (753هـ) ثم اتجه إلى تلمسان واستقر يقرئ ويدرس. **ينظر ترجمته**: التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص611؛ العسقلاني، **الدرر الكامنة**...المصدر السابق ،ج4، ص 365؛ عادل نويهض، **معجم الأعلام**...المرجع السابق، ص166.

[7]– لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة**...المصدر السابق، ج3، ص325.

[8]– المصدر نفسه، ج3، ص328.

وتنجيما وهندسة موسيقى وطبا وتشريحا وفلاحة»[1]، ولكن للأسف ليس بين أيدينا تآليفه في هذا المجال، ولعل ذلك راجع لضيق وقته لشدة عنايته بالإقراء والتعليم مع إشرافه على المدرسة اليعقوبية[2]، ومهما يكن فلقد كانت له جهود علمية كبيرة ضمنت له شهرة وصيتا حتى قيل فيه: «ملأ المغرب معارف وتلاميذ»[3]، «وبموته ماتت العلوم العقلية»[4].

في حين أثرى **ابن قنفذ القسنطيني** (ت810هـ/1408م) علم الرياضيات بعد من الأعمال القيمة لعل أهمها "**حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب**" وهو شرح لتلخيص أعمال الحساب لابن البناء، ذكره ابن قنفذ في ثبته لكتبه[5]، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم2429 بخط مغربي جميل جدا، وضح في مقدمته سبب تأليفه في قوله: «الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما...، وبعد فهذا كتاب سميته **حط النقاب عن وجود أعمال الحساب**، قصدت به – والله ينفعني- إيضاح عمل التلخيص لمن أراده من ذوي الألباب بأمثلة بسيطة»[6]، وختمه في قوله: «...وهاهنا انتهى العرض في هذا الكتاب المبارك...وذلك في آخر شوال من عام اثنين وسبعين وسبعمائة، وجمعته في نحو خمسة وعشرين يوما بمدينة فاس المحروسة، والحامل على وضعه على التلخيص رغبة بعض الأخيار من أصحابنا الطلبة...والله ينفعني بقصدي في ذلك...وحسبي الله وكفى»[7].

ويعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات ابن قنفذ في الرياضيات اتبع في شرحه الطريقة التقليدية بإعطاء جملة ثم شرحها رياضيا وحتى لغويا في بعض الأحيان، وقد تميز بجملة من الأمور: تعددت الأمثلة مع غياب البراهين، واستعماله للترميز خاصة عند تمثيله للمعادلات الجبرية، خاصة ذات الطرف الصفري، بالإضافة إلى اعتماده على طرق رياضية لم ترد في تلخيص ابن البناء، حيث لم تكن من ابتكاره وإنما مرجعها إلى رياضيين مغاربة وأندلسيين، وهي كثيرة حيث: قسم باب الضرب إلى ستة مواضيع وهي: حقيقته واستعماله

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص164، ص173.

[2]- الشريف التلمساني، **مفتاح الوصول**... المصدر السابق، ص117.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص857.

[4]- ابن مريم، المصدر السابق، ص170.

[5]- ابن قنفذ، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص239؛ ابن قنفذ، **الفارسية**...المصدر السابق، ص72.

[6]- محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص57.

[7]- المرجع نفسه، ص58.

وطبيعته، وأقسامه وأنواعه وقواعده، أما الجبر قسمه إلى ثلاثة عشر موضوعا أبرزها: حقيقة معنى المعادلة وأنواعها وأسماؤها في الجبر والقواعد الأساسية كلها[1]...

و"**مبادئ السالكين في شرح أرجوزة ابن الياسمين**"[2] وهو شرح لأرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة، أضاف إليه الرموز الرياضية في حل المعادلات وفي تمثيله لكثير الحدود، بهدف إعانة الطالب على فهمها لأهميتها[3]، حسبما صرح به في قوله: «...حمدا لله فاني قصدت هنا شرح ابن الياسمين في الجبر والمقابلة بأمثلة وجيزة، تعين الطالب على فهمه وسميته مبادئ السالكين في شرح ابن الياسمين، ولله الموفق للصواب بفضله»[4]، وله أيضا "**التلخيص في شرح التلخيص**" وهو شرح وجيز لكتابه السابق "**حط النقاب**" مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم (5/939)[5]، وكذلك بالزاوية الناصرية بتمكروت بخط مغربي بعنوان: "**التمحيص في شرح التلخيص**" تحت رقم 1753[6].

أما **سعيد العقباني** (ت811هـ/1408م) فقد وصفه تلميذه المجاري «بوحيد أهل زمانه في المعقول وقدوتهم في المنقول»[7]، أما ابن فرحون فقال عنه «عالم فاضل... متفنن في العلوم... وصدارته في العلم المشهورة»[8]، لقب **برئيس العقلاء**، واقبل عليه طلبة العلم من كل حدب وصوب ولعل أبرزهم إبراهيم المصمودي، وابن مرزوق الحفيد، وأبي العباس ابن زاغو، والمجاري[9]...، حيث ساهمت تآليفه بقسط كبير في تقدم علم الحساب والجبر

---

[1]- يوسف قرقور، **مبادئ السالكين**...المقال السابق، ص ص171-172.

[2]- يوجد مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 2193، حققه يوسف قرقور لنيل شهادة الماجستير من المدرسة العليا للأساتذة بالجزائر سنة 1986، تحت عنوان: "**دراسة عن ابن قنفذ وتحقيق شرحه لأرجوزة ابن الياسمين**". **ينظر**: حساني مختار، **تاريخ الجزائر الوسيط**...المرجع السابق، ج4، ص167.

[3]- يوسف قرقور، **مبادئ السالكين**...المقال السابق، ص174.

[4]- المقال نفسه، ص182.

[5]- نفسه، ص174.

[6]- محمد المنوني، **دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1985، ص108.

[7]- المجاري، **البرنامج**...المصدر السابق، ص129.

[8]- **الديباج**...المصدر السابق، ص ص204-205.

[9]- التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص190.

والفرائض مثل: "**شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة**"[1]، و"**شرح التلخيص لابن البناء المراكشي**" الذي يعد من أهم ما ألفه العقباني في الرياضيات توجد منه نسخة بمكتبة الاسكوريال باسبانيا تحت رقم (935) مكونة من 108 ورقة بخط مغربي مقروء يغيب فيه اسم الناسخ، يضم بعض التصحيحات على هوامش الأوراق وتاريخ نسخه، مما حال دون معرفة مقدمة الكتاب وأهدافه ومشروعه، أما ما تبقى منه فقد قسمه صاحبه إلى 14 بابا تضمن الخوارزميات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة وعملية التجذير...، وجعل آخره خاص بباب الجبر والمقابلة الذي قسمة إلى حقيقة معنى المعادلة وعدد أنواعها وطرق حلها...مستعملا في ذلك الطريقة التقليدية، بعرض الجملة ثم شرحها رياضيا ولغويا أحيانا مع تنويع الأمثلة وإعطاء البراهين (لحل الشكوك والتحقق من صحة القضايا والعلاقات والخوارزميات الحسابية)[2]، التي لا وجود لها في كتاب التلخيص لابن البناء – كما هو الحال للرموز الرياضية التي كثف العقباني استعمالها في شرحه–، وهي ثلاثة أنماط:

* البرهان بالاستقراء ويظهر في باب الجمع.
* البرهان بالخلف نجده في باب القسمة حول تحليل الأعداء إلى جداء عوامل أولية
* البراهين الهندسية بالاعتماد على كتاب الأصول لإقليدس لاسيما المقالتين: الأولى والثانية[3].

كما "**شرح الحوفية في الفرائض**" استخدم فيها الكسور الاعتيادية بحيث لم يؤلف عليه مثله[4]، مبرزا مكانة علم الفرائض في الشريعة الإسلامية، ومشيرا إلى تقسيماتها وشرح أركانها بالاستدلال المنطقي والبراهين الرياضية والمعالجات الحسابية نظرا لإلمامه بالعلوم النقلية والعقلية وخاصة الرياضيات[5]، لأن تعليمه وتكوينه في هذا الجانب كان قويا، فقد تتلمذ على يد كبير مدرسي الحوفية وأستاذ شراحها بالمغرب الإسلامي وهو **السطي أبو عبد الله محمد**

---

[1]– التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص190؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص205.

[2]– يوسف قرقور، "**العالم الرياضي السعيد العقباني التلمساني (ت811هـ/1408م)**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، العدد المزدوج (4–3)، افريل – ماي، 2011، ص87.

[3]– المقال نفسه، ص88.

[4]– التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص190.

[5]– نصر الدين داود، المرجع السابق، ص230.

بن سليمان[1]، حيث قرأ عليه كتاب الحوفي قراءةَ تفقهٍ وتحقيق لأحكامه الفقهية وتصويرا لأعماله الجزئية[2].

أما **علي بن موسى بن محمد بن هيدور التادلي البجائي** (ت816هـ/1413م) فيعتبر من شيوخ عبد الرحمن الثعالبي، كان إمام الفرائض والحساب، قام بشرح ووضع تقييدات على كتب ابن البناء في الحساب[3]، أما **ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ)** فقد ترك ثروة علمية كبيرة في شتى العلوم والفنون حوالي أربعين مؤلفا، أبرزها في مجال الرياضيات تلخيصه لكتاب ابن البناء سماه "**نظم تلخيص أعمال الحساب**" في أرجوزة قصد تسهيل تحصيله وحفظه[4].

ولمحمد بن النجار التلمساني (ت845هـ/1442م) كانت له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية[5]، وصفه عبد الرحمن بن خلدون "**بشيخ التعاليم**"، تلقى تعليمه الأولي على يد الآبلي، وبالمغرب على يد أبي العباس بن البناء، ثم رجع إلى تلمسان بعلم كثير[6].

كما ساهم **أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الشهير بالزيدوري** (ت845هـ/1441م) الفقيه المتفنن في المعقول، وكانت له مشاركة ممتازة وقدم في علوم الرياضيات، درّس العديد من كتب الرياضيات: كتلخيص ابن البناء، وكتاب الحوفي بطريقتي: التصحيح والكسور، وبعض الأصول في الجبر والمقابلة لابن البناء، ويعتبر القلصادي من أهم تلامذته[7]، قال

---

[1]- هو **أبو عبد الله محمد بن علي بن سليمان السطي**، الإمام الفقيه الفرضي حافظ المغرب وشيخ الفتيا وهو من قبيلة سطّة من بطون أوربة بنواحي فاس، يعتبر «خزانة مذهب مالك مع مشاركة تامة في الحديث والأصلين واللسان العربي وديانة شهيرة وصلاح متين»، له شرح على المدونة وتقييد على فرائض الحوفي...، مات غريقا في نكبة الأسطول المريني في سنة .(749هـ/1348م). **ينظر ترجمته**: ابن مرزوق، **المسند**...المصدر السابق، ص261؛ المقري، **أزهار الرياض**...المصدر السابق، ج5، ص56.

[2]- المجاري، **البرنامج**...المصدر السابق، ص130؛ يوسف قرقور، **العالم الرياضي**...المقال السابق، ص86.

[3]- يوسف قرقور، **مبادئ السالكين**...المقال السابق، ص182.

[4]- محمد المنوني، **ورقات** المرجع السابق، ص335؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** المرجع السابق، ج2، ص471-470.

[5]- القلصادي، المصدر السابق، ص102.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...المصدر السابق، ص840.

[7]- القلصادي، المصدر السابق، ص102، ص101.

عنه البقاعي (ت885هـ/1480م) من أراد البحث عن هذا العالم (الزيدوري) فسيجده في الفرائض والحساب والمنطق[1].

ويضاف إلى هؤلاء **أبو الفضل المشذالي** (ت865هـ/1460م)[2] من قبيلة زواوة ببجاية، اشتغل في الفنون على يد والده ومشايخ بلده، ثم اتجه صوب تلمسان فدرس بها أنواع العلوم العقلية خاصة: الجبر والمقابلة والهيئة والمرايا والمناظر والأوقاف والطب والإسطرلاب والارتماطيقي، فاتسعت معارفه وبرز على أقرانه ومشايخه، وشاع ذكره فكان أعجوبة الزمان في الحفظ والذكاء والفهم[3]، «فبهر العقول وأدهش الألباب»[4]، ومما يدل على سعة معارفه وعلو كعبه كان الشيخ **عبد الله محمد بن النجار** الملقب بساطور القياس إذ ما أشكل عليه شيء في هذا الفن يأمر تلاميذته بعرض الإشكال على أبي الفضل لكشف اللبس عنه[5].

كما ساهم **محمد بن احمد بن أبي يحي التلمساني الحباك** (ت867هـ/1463م) بتلخيص ودراسة من سبقوه، حيث وضع "**شرحا على التلمسانية**" في الفرائض، وشرح "**تلخيص ابن البناء**"[6]، في حين برع **أبو عبد الله محمد الثغري (القرن 8هـ/14م)** في علوم كثيرة كالرياضيات، ويعد من شيوخ المجاري الذي درس عليه الهندسة والجبر والحساب، وعن ذلك يقول: «ومنهم الشيخ الفقيه العددي الفرضي الكاتب البارع أبو عبد الله محمد الشهير بالثغري قرأت عليه كتاب أوقليدوس في الهندسة في أوله إلى نصف العاشرة منه بلفظي تصورا، وسمعت عليه بقراءة غيري تلخيص ابن البناء وكتاب الجبر والمقابلة لابن الياسمين تصورا وعملا»[7].

---

[1]- إبراهيم بن حسن البقاعي، **عنوان الزمـــان بتراجم الشيوخ والأقـــران**، ج4، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ص101.

[2]- **ينظر ترجمته**: السخاوي، المصدر السابق، ج9، ص ص180-188، جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة**...المصدر السابق، ج2، ص247؛ جلال الدين السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الزمان**، تحرير: فليب حتي، المكتبة العلمية، لبنان، 1927، ص160؛ الشوكاني، المرجع السابق، ج2، ص247.

[3]- الشوكاني، المرجع نفسه، الصفحة نفسها؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص542.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**...المصدر السابق، ج9، ص181.

[5]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص351.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص219؛ محمد المنوني، **ورقات**...المرجع السابق، ص334.

[7]- **البرنامج**...المصدر السابق، ص137.

إلا أن الذي أثرى الرياضيات خلال القرن التاسع هجري هو **القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي**(ت891هـ/1487م)[1] نزيل تلمسان أقام بها ثماني سنوات وسبعة أشهر، نهل من مشيختها كابن مرزوق الحفيد، وأبي عبد الله الشريف التلمساني، وقاسم العقباني، وابن زاغو الذي درّسه التفسير والحديث والفقه والفرائض والحساب والهندسة...، كما نهل منه طلبتها فكان مدرسا ومصنفا[2]، له تآليف كثيرة لا تحصى في كل فن خاصة في علم الحساب[3]، ولعل أبرزها: "**تحفة الناشئين على أرجوزة ابن الياسمين**" وهو شرح لأرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة انتهى منه سنة (849هـ) بتونس[4]، و"**القانون في الحساب**" وشرحه المسمى "**انكشاف الحجاب عن قانون الحساب**"[5] ورد في أول النسخة قوله: «الحمد لله فاتح الأبواب...أما بعد فانه تعلق بضميري أن أتمسك بطريق من علم الحساب...للحاجة إليه في علم المواريث فظهر لي أن أقيد فيه شيئا يكون تذكرة لنفسي ولمن شاء الله من أبناء جنسي»، يبحث هذا الكتاب في: صناعة العدد والمقطوع، والجمع والطرح والضرب والقسمة والكسور والجذور واستخراج المجهول، الأعداد المتناسبة...وهو مكتوب بخط مغربي[6].

بالإضافة إلى كتاب "**كشف الأسرار (الأستار) عن علم حروف الغبار**" ورد في مقدمته «الحمد لله سريع الحساب...فهذه نبذة شافية كافية وعن جانب الإخلال والإملال متجافية، اقتطفتها من الكتاب المسمى بكشف الجلباب عن علم الحساب لتكون غايته بعض الطلاب وتذكرة لذوي الألباب وتسميته **بكشف الأستار عن علم حروف الغبار**»[7].

وهو ملخص وجيز في الحساب والجبر مكون من 36 ورقة في متناول المبتدئين، «سهل العبارة يسير الإدراك متنوع الأمثلة والتمارين، كان الهدف من ورائه توضيح القواعد،

---

[1]- هو **علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن** الشهير بالقلصادي، ولد ببسطة الأندلسية شمال شرق غرناطة سنة 815هـ بدأ رحلته عام 840هـ نحو المغرب والمشرق. **ينظر**: القلصادي، المصدر السابق، ص30؛ إبراهيم بن حسن البقاعي، المصدر السابق، ج4، ص ص99-100.

[2]- المصدر نفسه، الصفحات نفسها؛ القلصادي، المصدر نفسه، ص ص32-33.

[3]- ابن القاضي، **درة الحجال**...المصدر السابق، ج3، ص252.

[4]- محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص ص42-43.

[5]- إبراهيم بن حسن البقاعي، المصدر السابق، ج4، ص100.

[6]- محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص ص32-34.

[7]- القلصادي، **كشف الأستار عن علم حروف الغبار**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، رقم:5951، الورقة1. **ينظر: الملحق رقم:12 (صورة للمخطوط الورقة الأولى والأخيرة)**

وتصوير العمليات جليا، بأسلوب تدريسي تعليمي يخاطب فيه القارئ مباشرة بإتباع أسلوب الحوار، يتضمن مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، وقسم فيه كل باب إلى ثمانية فصول، **فالباب الأول** خاص بالعدد الصحيح من جمع وطرح وضرب وقسمة»[1]، أما **الباب الثاني** فيتضمن الكسور، في حين جعل **الباب الثالث** خاصا بالجذور واستخراجها والعمليات التابعة لها...، **والباب الأخير** في استخراج المجهول وفي الأعداد المتناسبة... ثم ختم كتابه **بخاتمة** في المتواليات العددية والمتواليات الهندسية وتجميعها، فكان لهذا الكتيب الصغير الحجم كبير الأثر، شكّل المرجع الأول لأهل الحساب والجبر، صنفت عليه شروحات عديدة[2]، وله أيضا "**التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد**" فرغ من تأليفه سنة (847هـ/1443م) وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 4804، و"**كشف الجلباب في علم الحساب**"، و"**رسالة في معاني الكسر والبسط**" و"**رسالة في معرفة استخراج المركب البسيط**" كما له عدة كتب في الفرائض مثل: "**الضروري في علم المواريث**"، و"**الكليات في الفرائض**" **بغية المبتدي وغنية المنتهي في علم الفرائض**"، "**شرح أرجوزة الشران**" **في الفرائض، وأرجوزة التلمساني في الفرائض**"[3]...

أما **محمد بن يوسف السنوسي** (ت895هـ/1490م) فقد كثرت مؤلفاته وتنوعّت فشملت جميع العلوم، وهي بهذا تدلّ دلالة واضحة على سعة علم هذا الإمام ومدى تبحّره في العلوم، الأمر الذي أكسبه منزلة عظيمة بين العلماء، ولعل أهم إسهاماته في علم الرياضيات شرحه "**لمنظومة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة**"[4]، بالإضافة إلى شرحه الكبير على **الحوفية في الفرائض** سماه "**المقرب المستوفى في شرح فرائض الحوفي**"، وهو شرح كبير الحجم كثير العلم، ألفه وهو ابن تسع عشرة سنة، أثنى عليه شيخه **الحسن أبركان**

---

[1]– محمد السويسي، "**عالم رياضي أندلسي تونسي (القلصادي)**"، **مجلة للبحث العلمي**، جامعة تونس، العدد9، 1972، ص47.

[2]– المقال نفسه، ص48.

[3]– القلصادي، المصدر السابق، ص33؛ البقاعي، المصدر السابق، ج4، 100؛ يوسف الياس سركيس، المرجع السابق، ص1520؛ محمد السويسي، المقال السابق، ص ص43–45.

[4]– ابن مريم، المصدر السابق، ص246؛ عبد العزيز صغير دخان، المرجع السابق، ص133.

وأعجب به وأمره بإخفائه حتى يبلغ مؤلفه أربعين سنة، إذ اعتبره لا نظير له، وهذا دليل على نبوغ السنوسي وذكائه[1].

ومن أهم علماء القرن التاسع هجري **محمد بن القاسم بن توزت (تومرت) التلمساني** من كبار العلماء في العلوم النقلية والعقلية خاصة في الحساب والفرائض والخط والهندسة، يعتبر السنوسي أهم تلامذته الذي أثنى عليه كثيرا قائلا عنه: «ما رأيته قط نظر في كتاب إلا مرة واحدة أشكلت عليه مسألة هندسية فنظر فيها كتبا كثيرة أياما فلم يجدها»، فتخلى عن الكتب وتدبر المسألة وحلها بعقله حتى أتقنها، وهذا دليل على غزارة علمه في تحصيله في الهندسة[2].

بالإضافة إلى علماء آخرين ساهموا في الرياضيات وصنفوا بالدرجة الأولى في علم الهندسة أمثال: **عيسى المنكلاتي الزواوي** (ت743هـ/1342م) وهو **عيسى بن مسعود بن منصور بن يحي شرف الدين المنكلاتي الزاوي الحميري** صاحب كتاب "**علم المساحة**"[3]، **وسليمان بن يوسف بن إبراهيم الحسناوي البجائي** (ت877هـ/1482م) المكنى **بأبي الربيع**، فإلى جانب إسهاماته العلمية في الفقه وأصوله إلا أنه تقدم في الفرائض والحساب والمنطق التي كان يدرسها ببجاية، وله فيها تصانيف كثيرة إلا أن المصادر سكتت عن الإفصاح عنها[4]، وغيرهم ممن لم تفصح عنهم الكتب التاريخية.

---

[1]- ابن مريم، المصدر السابق، ص245.

[2]- المصدر نفسه، ص237؛ عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ص94.

[3]- ابن فرحون، المصدر السابق، ص283؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص469.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**...المصدر السابق، ج3، ص270؛ التنبكتي، **الابتهاج**...المصدر السابق، ص186؛ عادل نويهض، **الأعلام**...المرجع السابق، ص35.

2- علـــــم المنطـق (علم الميزان):

أ- مفهومـــــه:

عرفه الفرابـي بأنه «القوانين التي من شأنها أن تقوّم العقل وتشدد الإنسان نحو طريق الصواب، ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات، والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط في المعقولات»[1]، أما ابن خلدون فيقول عنه بأنه: «هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرّفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات»، وفي تعريف آخر له هو: «هو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تمييز الخطأ عن الصواب»[2]، إلا أنه مهما تعددت التعاريف[3] إلا أن أشملها وأوضحها قول الجرجاني بأن «المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، فهو علم عملي آلي»[4]، منفعته تقويم الفكر عن الزيغ وحراسته عن الخطأ في المدارك...فهو المعيار على العلوم كلها، لذا قيل: «من لا معرفة له به لا وثوق بعلمه»[5].

ب- حكـــم وجوبـــه:

اختلف العلماء في تحريم علم المنطق من عدمه، فالحرام منه هو المخلوط بعقائد الفلسفة والفلسفة حرمها المسلمون، وأما المجرد منها كما هو المتداول اليوم فلا وجه لتحريمه، لأن من فوائد الاشتغال به: تشحيذ الخاطر[6]، ويرى الذهبي في كتابه أن المنطق «فن خبيث مذموم يحرم الاشتغال به، نفعه قليل وضرره وبيل، وما هو من علوم الإسلام»[7]، أما

---

[1]- **إحصاء العلوم**...المصدر السابق، ص27.

[2]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص 516، ص527.

[3]- **ينظر**: ابن بطلموس، **المدخل لصناعة المنطق**، ج1، نشره: ميكائيل أسين بلاصيوس السرقسطي، مطبعة الأبيرقة، مدريد، 1916، ص16، ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص126؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص272؛ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص1872.

[4]- **التعريفات**...المصدر السابق، ص251.

[5]- اليوسي، المرجع السابق، ص164.

[6]- ساجقلي زاده، المصدر السابق، ص114.

[7]- الذهبي، **زغـل العلم**، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية، دار نشر وتاريخ، ص43.

السيوطي فاعتبر أن الاشتغال بهذا العلم حرام، وقد صح بتحريمه أئمة الإسلام لذا وضع كتابه: "**القول المشرق في تحريم المنطق**"[1].

ورغم هذا الاختلاف أصبح المنطق جزءا من الثقافة الإسلامية، حيث أشاد به ابن حزم، وعارض الفقهاء الذين أنكروه في كتابه: "**التقريب لحد المنطق والمدخل إليه**"، ثم جاء الغزالي وجعله منهجا وقدم به كتابه: "**المستصفى في أصول الفقه**"[2]، وقد بين الساجقلي المقبول منه من المنبوذ في قوله: «يعد المنطق من آلات الشرع من تفسير وحديث وفقه، المنطق الذي بأيدي الناس اليوم، فانه علم مقيد لا محذور فيه، وإنما المحذور في المنطق المخلوط بالفلسفة المنابذة للشريعة»، والمنطق المتداول اليوم هو قوانين عقلية خالصة عن ذكر عقائد الفلاسفة[3].

ومن هذا المنطلق للمنطق أهمية كبيرة وبالغة يمكن استنتاجها من خلال الألقاب التي أطلقها عليه كبار العلماء حيث سماه الفرابي "**رئيس العلوم**" لكونه حاكما على جميع العلوم في الصحة والسقم والقوة والضعف، لذا يعد أجل العلوم وأعظمها، و"**خادم العلوم**" حسب **ابن سينا** لكونه يعتبر آلة في تحصيل العلوم الكسبية والعملية، و"**معيار العلوم**" حسب **الغزالي** الذي اعتبر أن كل من لم يعرف المنطق فلا ثقة له في العلوم أصلا[4].

ج- نشأتـــه وتطـوره:

يعد ظهور المنطق وابتكاره إلى علماء اليونان ويعد **أرسطو طاليس**[5]، أول من تكلم فيه حيث هذب مباحثه ورتب مسائله، وفصوله في كتابه "**النص**" الذي اشتمل على ثمانية كتب وهي: المقولات، العبارة، القياس، البرهان، الجدل، السفسطة، الخطابة، الشعر[6]، ثم ترجمت هذه المصنفات إلى اللغة الإسلامية فانكب عليها علماء المسلمين بالشرح والتلخيص أمثال:

---

[1]- السيوطي، **القـــول المشرق في تحريم المنطق**، تحقيق: السيد محمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص132.

[2]- عمار طابي، المقال السابق، ص57.

[3]- ساجقلي زاده، المصدر السابق، ص139.

[4]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص1872؛ القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص52.

[5]- **ينظر ترجمته:** السيوطي، **صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام**، ج1، تحقيق: علي سامي النشار، وسعاد علي بن الرزاق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، دار النصر للطباعة، القاهرة، ط2، (المقدمة كتبت 1970)، ص36.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص528-529.

الفرابي وابن سينا وابن رشد، ثم جاء المتأخرون فالحقوا به علم الكلام والجدل، واعتبروه آلة للعلوم، وأول من بادر إلى ذلك الإمام "**فخر الدين بن الخطيب**"، ومن بعده **فضل الدين الخونجي** (ت646هـ/1248م)[1].

ورغم تشديد متقدمي السلف من العلماء والفقهاء على عدم انتحال هذا العلم والمبالغة في الطعن فيه والتحذير منه وحظر تعلمه وتعليمه[2]، وعدّه من العلوم الضارة التي ينبغي الاحتراس والابتعاد عنها، إلا أن الغزالي والإمام الخطيب تسامحوا فيه واظهرا مرونة في ذلك، فبينوا فضائله وفوائده كالتخلص من حاكم الحس والهوى والتمسك بحاكم العقل والتوصل إلى السعادة، والرقي بالعلوم نحو العقلانية والموضوعية، فلقيت دعوتهم صدى كبير عند المفكرين المسلمين، وما يعكس ذلك مؤلفاتهم العلمية، واستعماله في مباحثهم الكلامية والفقهية، أما في بلاد المغرب فكان المنطق مذموما قبل الموحدين وكل من يشتغل به يسمى "**بالزنديق**"، إلا أن هذه النظرة تغيرت حيث كان لرجوع "**المهدي بن تومرت**" تأثير كبير في ذلك فحبب إليهم كتب الغزالي فانكب الناس على دراستها، فأزيل ما كان في نفوسهم من رفض وكراهية، وأحدث فيهم مناخا علميا ملائما للجدل والمناظرة وذلك خلال القرن (6هـ/12م)، إلا أن انتشاره الفعلي في بلاد المغرب لم يتحقق إلا في القرن (ق7هـ/13م) حيث اعتمد كمنهج في تبويب المسائل والاستدلال به في علوم الفقه والأصول فاندمج في سائر العلوم، واندمجت هي الأخرى فيه[3].

هـ- أهم كتب علم المنطق المدروسة بالمغرب الأوسط خلال العهد المدروس:

***"كتاب الجمل في مختصر نهاية الأمل" للخونجي أبي عبد الله أفضل الدين** (ت646هـ/1248م) قال عنه ابن خلدون «أخذ بمجاميع الفن وأصوله، فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به»[4]، وهو «من أجل كتب الفن انتفع به العلماء، وأكبو عليه قراءة

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص529-530.

[2]- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص348.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص476؛ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص ص470-471.

[4]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص530.

ونسخا فانتشر»[1]، فكان عمدة المشارقة والمغاربة في تعلمهم وتعليمهم، بعدما هجروا كتب المتقدمين، بالإضافة إلى كتابه الآخر "**كشف الأسرار عن غوامض الإبكار**"[2].

*"**المختصر في علم المنطق**" **لمحمد بن يوسف السنوسي** حيث دُرّس في عصره وفي العصور الموالية[3]، حيث علق عليه شارحه «إن من اشتغل في التعليم بغير طلبه موسوم بقلة الرشاد وبالجهل اللازم المألوف»[4].

*"**المطالع**" **للسراج الأرموي** (594هـ/682هـ/1197-1283م)، وهو من الكتب المختصرة في المنطق والحكمة، والتي لقيت إقبال العلماء تدريسا وشرحا[5].

ج- إنتاج علماء المغرب الأوسط في علم المنطق خلال العهد المدروس:

لقي علم المنطق في بلاد المغرب الأوسط خلال فترة البحث إقبالا وانتشارا ولعل أهم العلماء الذين برزوا فيه **ناصر الدين المشذالي** (ت731هـ/1331م) حاز السبق في علوم كثيرة، واستبحر وتفنن فيها وتكلم في أنواعها وناظر في جميعها، خاصة علم المنطق الذي كانت له مشاركة فيه، حيث لم تخلو مجالسه العلمية من كثرة الاستدلال والاستشهاد والبحث واعتماد النظر في القوانين[6]، وهو الذي «أحدث ثورة فكرية في أساليب التعليم وطرق التدريس لاعتماده على الحوار والمنافسة والتعمق في البحث والتعليل واستغلال الجدل في المبحث والمناظرات، والتي انتشرت في أواخر القرن (7هـ/13م) وباقي القرون، فكان لها أثر كبير في تنشيط الدراسات الفقهية النظرية والدراسات العقلية والمنطقية»[7].

أما **عمران بن موسى المشذالي** (ت745هـ/1344م) فقد نبغ في علوم كثيرة كالفقه والمنطق والجدل، وجلس للتدريس بالمدرسة التاشفينية بتلمسان بطلب من السلطان أبي

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص173؛ ص92.

2- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص529-530؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص274.

3- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص 113.

4- مختار حساني، **الدولة الزيانية**...المرجع السابق، ج2، ص301.

5- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص298؛ صابرة خطيف، المرجع السابق، ص369.

6- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص609؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص ص200-201.

7- رابح بونار، **عبقرية المشذاليين**...المقال السابق، ص307.

تاشفين، عرف بمناظراته ومجادلاته لأبي زيد بن الإمام[1]، كما هو **لمنصور بن علي بن عبد الله الزواوي** (كان حيا بعد770هـ/1368م) الذي كانت «له مشاركة في كثير من العلوم النقلية والعقلية وإطلاع وتقييد، ونظر في الاصول والمنطق، مثابرا على التعلم والتعليم»، ويرى أن «العالم لا يسمى بعلم ما عالما بذلك العلم على الاطلاق حتى تتوفر فيه أربعة شروط: أحدها كونه محيط بمعرفة أصول ذلك العلم على الكمال، ثانيها: كونه قادرا على التعبير عن ذلك العلم، ثالثها: كونه عارفا بما يلزم عنه، رابعا: كونه قادرا على رفع الإشكالات الواردة عليه»[2].

أما **أبو عبد الشريف التلمساني** (ت771هـ/1370م) كان قمة في العلوم العقلية، ساهم في علم المنطق من خلال شرحه "**جمل الخونجي**" الذي به تنضبط قواعد المنطق وأحكامه[3]، بدأه في قوله: «...أما بعد فإن العلم أشرف المناقب، وأسنى المكاسب...ولما كان مختصر الامام الاوحد الاعظم الفن افضل الدين الخونجي رضي الله عنه، قد بلغ الغاية الى حيث لا يعدل به ولا تنثني العقول الصحيحة عن قويم مذهبه، فهو وإن صغر حجمه فقد كثر علمه، أجبت إلى تعبير الفاظه وبيانها، وتمثيل دعاويه وبرهانها،...فشرحت هذا المختصر شرحا يستوعب بيان معانيه، وإيضاح مشكلاته، وتحقيق مبانيه، غير موجز فيه إيجازا مخلا ولا مطنبا إطنابا مملا»[4]، وله كتاب آخر يسمى "**مثارات الغلط في الأدلة**" وسبب تأليفه هو إجابة عن سؤال ورد للشريف التلمساني يرغب فيه سائله «حصر مثالات الغلط في الأدلة بالوجه الصناعي مع التمثيل بأمثلة عقلية وفقهية لتسهيل الوثوق عليها عند الاستقراء»، ولعل السائل هو السلطان أبي عنان المريني[5].

في حين أثرى **ابن قنفذ القسنطيني** (ت810هـ/1407م) علم المنطق من خلال شرحه كتاب الجمل للخونجي سماه "**تلخيص العمل في شرح كتاب الجمل**"[6]، بالإضافة الى "**ايضاح**

---

[1]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص351؛ التنسي، **نظم الدر**...المصدر السابق، ص ص141-142.

[2]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص ص612-613.

[3]- **البستان**...المصدر السابق، ص173.

[4]- الشريف التلمساني، **مفتاح الوصول**...المصدر السابق، ص ص122-123.

[5]- الشريف التلمساني، **مثارات الغلط في الأدلة**، تحقيق: محمد على فركوس، مؤسسة بيروت والمكتبة المكية، السعودية، ط1، 1988، ص763.

[6]- ابن قنفذ، **أنس الفقير**...المصدر السابق، ص03؛ ابن قنفذ، **الوفيات**...المصدر السابق ص13.

المعاني في بيان المباني" وهو شرح لرجز في المنطق نظمه الفقيه الحافظ "**أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن المراكشي**"[1]، وكذلك **احمد الندرومي الملقب بابن الاستاذ الندرومي** (كان حيا بعد 830هـ/1427م) تلميذ ابن مرزوق الحفيد، ارتحل الى القاهرة وتصدر فيها للتدريس، واحد من علماء ورواد هذا العلم، صنف فيه "**كفاية العمل**" اختصر فيه شرح شيخه ابن مرزوق على جمل الخونجي، فكان شرحا حسنا[2].

وكذلك **أبو الفضل المشذالي** (ت865هـ/1460م) الذي وصفه القلصادي «بالإمام الفن في وقته ذي العلوم القائمة والمعاني الرائقة، لم أر مثله في تحصيل العلوم وتحقيقها، أخذ في كل علم بأوفر نصيب، وضارب فيه بشهم مصيب»[3]، كان «اعجوبة الزمان في الحفظ والذكاء والفهم، اتسعت معارفه في مختلف انواع العلوم العقلية والنقلية حتى برز على اقرانه ومشايخه»، من اسهاماته في علم المنطق شرحه لكتاب "**الجمل للخونجي**"[4].

أما **محمد بن يوسف السنوسي** (ت895هـ/1490م) فيعتبر موسوعة علمية صنف في مختلف العلوم النقلية والعقلية، أولى اهتماما كبيرا بعلم المنطق حيث يرى أنه قبل الاشتغال بالعلوم الواجبة الشرعية، لابد له ان يأخذ نصيبه الضروري من علم المنطق، لاعتبار أن المنطق قانون عقلي لأداة غزو المجهول وتوسيع آفاق الفكر وعصمته من الخطأ حيث يقول في شرح مختصره «المنطق قانون يعصم...بتوفيق الله تعالى الذهن من الخطأ في فكره، كما يعصم النحو اللسان من اللحن في قوله»، وأن «علوم المنطق عقلية محضة، بخلاف النحو، فانه نقلي محض...فتعلم فن المنطق وحفظ قواعده وفهمها، كل ذلك يسهل للعقل وعر الأنظار ويتسع به مجال الفكر مع الراحة والأمن من الخطأ»، لذا فإن الغرض منه هو «التوصل الى المطالب المجهولة، وهي منحصرة في التصور والتصديق»[5].

لقد أثرى السنوسي علم المنطق بعدة شروحات ومصنفات كشرحه لكتاب "**الجمل للخونجي**"[6]، كما له "**مختصر في علم المنطق**" قال عنه التنبكتي «مختصره العجيب فيه

1– ابن مريم، **البستان**...المصدر السابق، ص308.

2– المصدر نفسه، ص44؛ عادل نويهض، **الاعلام**...المرجع السابق، ص329.

3– **الرحلة**...المصدر السابق، ص127.

4– التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص542؛ الشوكاني، المرجع السابق، ج2، ص249.

5– **نقلا عن**: الدين بوقلي حسن، المقال السابق، ص111.

6– ابن مريم، المصدر السابق، ص246.

زوائد على الجونجي وشرحه حسن جدا»[1]، حيث أصبح هذا المختصر محور تعاليق وشروح علماء الخلف[2]، ثم قام السنوسي بشرحه وفق منهجية محددة كان الهدف منها حسب قوله: «هذا تقييد قصدت به شرح مختصري في علم المنطق بطريق الايجار والعدول عن الاكثار والاقتصار على المهم دون الزيادة التي تعطل عن المسارعة إلى المقاصد الشرعية الأخروية»[3]، كما شرح "**مختصر الامام محمد بن عرفة الورغمي التونسي**" حيث تمكن من حل صعوباته، «ان كلامه صعب سيما هذا المختصر، تعبت كثيرا في حله، لصوبته...لا أستعين عليها إلا بالخلوة»[4]، وله أيضا "**شرح الموجهات**"[5]، و"**شرح ايساغوجي في المنطق**" – المدخل إلى المنطق– للإمام أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت885هـ)[6].

ولمحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م) اهتمام بهذا العلم، حيث أثراه بمصنفاته ونظمه ومناظراته للدفاع عنه، ومن جملة ما خلفه "**شرحه لكتاب الجمل للخونجي**"[7]، بالإضافة إلى "**لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب**" وهو مقدمة في علم المنطق يجيب فيه الشيخ عن مسائل أهمها ما المنطق؟ هل هو علم أو آلـة؟[8]، ورد في مقدمته قوله: «الحمد لله ..اما بعد، فإن أول ما يتقرب به العبد إلى الله طلب العلم لوجه الله على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يطلب العلم بالنظر، وليس النظر بمصيب أبدا ولا بمخطئ أبدا، بل بعضه مصيب وبعضه مخطئ»[9].

---

[1]– **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص571.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص 113.

[3]– مختار حساني، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج4، ص ص364–365. هذا الكتاب حققه: سعيد عليوان، "**محمد بن يوسف وشرحه لمختصره في المنطق دراسة وتحقيق**"، رسالة دكتوراه من جامعة الجزائر، الحلقة الثالثة معهد الفلسفة، الجزائر،1987.

[4]– ابن مريم، المصدر السابق، ص246؛ عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ص ص130–131.

[5]– بشير ضيف، المرجع السابق، ص449.

[6]– عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ص131.

[7]– بشير ضيف، المرجع السابق، ص35.

[8]– عبد الكريم المغيلي، **لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب**، تحقيق: ابو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006، ص25.

[9]– المصدر نفسه، ص23.

أما كتابه الثاني فهو عبارة عن منظومة في المنطق تتكون من65 بيتا، سماها "**منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب**" وهي محققة ومنشورة[1]، ثم وضع لها ثلاثة شروح[2] ورد في واحد منها قوله: «بسم الله...قال الشيخ العالم العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التلمساني المغيلي ....أما بعد، فهذا شرح موجز للبيان المهم من رجزي الملقب بمنح الوهاب في رد الفكر الى الصواب، فأقول مستعينا بالله...»[3].

كما سجل لنا التاريخ مساجلة لطيفة له مع **جلال الدين السيوطي** (ت911هـ/1505م) فيما يخص مكانة المنطق مع أنه الوسيلة الضرورية لإدراك الحق، لذا لا يجب التنفير من دراسته، وإنما الترغيب في فهمه لصقل الفكر وشحن الذهن في شأن المنطق، فكتب اليه المغيلي في هذا الشأن قصيدة أرسلها إليه جاء فيها:

سَمِعتُ بِأَمرٍ مَا سَمِعْتَ بِمِثْلِـهِ وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكمَ أَصْلِـــــهِ

أَيُمْكِنُ أَنَّ المَرءَ فِي العِلْمِ حُجَة وَيَنْهَى عَنِ الفُرقَانِ فِـي بَعضِ قَوْلِهِ

هَلْ المَنطِقِ المَعْنَى لاَ عِبَــارَة عَنِ الحَقِّ أَو تَحْقِيقُهُ حِيـنَ جَهْـــلِهِ

مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الكَلاَمِ قَبلَ تَرَى دَلِيـلاً صَحِيحًا لاَ يُرَدُ لِشَكْـلِـــــــهِ

أَرِينِي هَـذَاكَ الله مِنْهُ قَضِيَــةً عَلَى غيرِ هَذَا تَنفِهَـا عَنْ مَحَلِـــــهِ

فرد عليه السيوطي بقصيدة اخرى أبدى من خلالها تعجبه في ميل كثير من العلماء بما فيهم المغيلي لدراسة المنطق، وتحجج بأنه من علوم الكفرة وانه لا يجوز للمسلمين الاشتغال به، ودافع عن كتابه الذي صنفه في تحريم علم المنطق، حيث قال:

عَجِبتُ لِنُظْمٍ مَا سَمِعْـتُ بِمِثْلِـهِ أَتَــانِي عَن حِبرٍ أَقَــرَّ جبلــــهِ

تَعَجَبتَ مِنِّي حِينَ أَلَفْت مُبدِعًـا كِتَابًــا جُمُوعًـــا فِيهِ جِسْـم بِنَقْلِهِ

أَقَرَّ فِيهِ النَّهيَ عَن عِلم مَنْطِـقِ وَمَــا قَالَــهُ مَنْ قَالَ مَنْ ذَمِّ شَكْلِهِ

وَسَمَّاهُ بِالفُرقَانِ يَا لَيتَ لَمْ يَقُـلْ فَذا وَصــفُ قُـرآنٍ كَرِيمٍ لِفَضْلِـهِ

1- عبد الكريم المغيلي، **مختصران**... المصدر السابق، ص35-36.

2- ابن مريم، المصدر السابق، ص255؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص578.

3- عبد الكريم المغيلي، **شرح منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب**، مخطوط بجامعة الملك سعود، الرياض، رقم 4260، ورقة 2. **ينظر: الملحق رقم: 13 (صورة لمخطوط: شرح منح الوهاب)**

وَقَدْ جَاءتْ الآثَارُ فِي ذَمِّ مَنْ حَوَى عُلُــومَ يَهُود أَو نَصَارَى لِأَجْلِهِ[1].

كما ساهم كل من **سعيد العقباني** (ت811هـ/1408م)[2]، **وابن مرزوق الحفيد** (ت842هـ/1438م) في شرح "**كتاب الجمل للخوجي**"، حيث شرحه هذا الأخير في صغره وسماه "**نهاية الامل في شرح الجمل**"[3]، أما **القلصادي** (ت891هـ/1486م) فقد ترك كتابين في علم المنطق أحدهما عبارة عن شرح لكتاب "**ايساغوجي**"[4]، والآخر بعنوان "**تلبية الانسان إلى علم الميزان**"[5]، بالإضافة إلى **سليمان بن يوسف بن ابراهيم الحسناوي البجائي المكنى أبي الربيع** (ت887هـ/1482م) الذي صنف الكثير من العلوم في الفرائض والحساب والمنطق، لكن للأسف لم تكشف المصادر عنها شيئا، وصفه الشيخ زروق بأنه «الفقيه الإمام الصدر العالم أبو الربيع مفتي بجاية من صدور الاسلام في وقته علما وديانة»[6].

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص256-257.

2- سعيد العقباني، **الوسيلة**... المصدر السابق، ص26.

3- ابن مريم، المصدر السابق، ص210.

4- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص209.

5- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص324.

6- التنبكتي، **نبل الابتهاج**...المصدر السابق، ص186.

3-علـــــــــم الطـــب:

أ- مفهوم الطـــــب:

هو فرع من فروع الطبيعيات[1]، وهو «علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة»[2]، أو هو العلم الذي «يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض لالتماس الصحة وإزالة المرض»[3]، وفي تعريف مختصر هو حفظ الصحة وإزالة العلة[4]، بمختلف الأدوية والأغذية النافعة لذلك، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، ومعرفة أسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها[5].

ب- مكانتـــه وأهميتـــه:

باعتبار الطب حافظ للصحة الموجودة وراد للصحة المفقودة، جُعل من اشرف الصنائع واربح البضائع، ذات شرف وفخر، ورد تفضيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية حتى جُعل علم الأبدان قرينا لعلم الأديان[6]، وعن ذلك يقول الإمام الشافعي: «العلم علمان: علم طب للأبدان وعلم فقه للأديان»[7]، ومن هذا المنطلق يرى ابن أبي اصبيعة أنها بهذا الشرف والحاجة اليومية إليها، لذا يجب أن يكون الاعتناء بها أشد والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية أكد وأجد[8].

ج- نشأته وتطوره وواقعه بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

عرف العرب الطب قبل الإسلام حيث بنو معرفتهم بالتجربة مستعملين في ذلك السحر والشعوذة والنجوم والكي والبتر والحجامة، ولما جاء الإسلام حضّ على التداوي، في قول

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص530-531.

[2]- ابن سينا، **القانون في الطب**، ج1، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ص13.

[3]- ابن الاكفاني، المصدر السابق، ص171.

[4]- القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص353.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص531.

[6]- ابن أبي اصبيعة، **عيـــون الأنباء في طبقات الأطبـــاء**، تحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت)، ص07.

[7]- القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص353.

[8]- **عيـــون الأنباء**...المصدر السابق، ص07.

النبي صلى الله عليه وسلم « **تَدَاوُوا عباد الله فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَه لَم يَضَع دَاءً إلاَّ وَضَعَ مَعَهُ شِفَاء، إلاَّ الهَرَمَ**»[1]، وقوله أيضا: «**لِكُلِ دَاءٍ دَوَاء**»[2]، وقوله أيضا: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاء إلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاء**»[3]، لتقوية نفس المريض والطبيب، فحث على معرفة أسباب الأمراض والكشف عن علاجها، فقوّم وعدّل ما اعتمد عليه القدامى، وحرّم ما تنافى مع مبادئه، بالنهي عن الرجوع إلى العرافين والكهنة كما حارب الشعوذة والأوهام وأبطل الطلاسم والسحر[4].

فتطور الطب تطورا بارزا مع تطور الإسلام والدولة الإسلامية في مختلف مراحلها[5]، وسار في عزها خطوات نحو التجديد والإبداع، فكان له الدور الفعال في فتح الباب على مصراعيه للطب التجريبي القائم على القياس والتجربة، فأعلى بذلك من شأن الصناعة الطبية وأحدث نقلة حضارية وعلمية هائلة في مجال الطب، بل تعداه من العلاج إلى تأسيس منهج تجريبي أصيل انعكست أثاره الراقية على جميع جوانب الممارسة الطبية: وقاية وعلاجا أو مرافق وأدوات أو أبعادا إنسانية وأخلاق تحكم الأداء الطبي، فكان لكل ذلك سببا في ظهور التخصص الطبي كالطب الجراحي وطب العيون[6]...

لقد أعطى الإسلام للطب نكهة خاصة من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أي ما يسمى "**بالطب النبوي**" وهو العلاج الروحي والنفسي والعقلي، فضلا عن البدني للفرد وللمجتمع، وبقيت أقواله الشريف تحتل مكانتها في الممارسات الطبية على امتداد العصور[7]،

---

[1]- ابن ماجة، المصدر السابق، ج2، ص1137؛ **ينظر رواية أخرى**: ابن القيم الجوزية، **الطب النبوي**، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق وآخرون، دار الفكر، بيروت، (دت)، ص08.

[2]- **صحيح مسلم**، ج2 (باب الطب)، ص1050.

[3]- **صحيح البخاري**، ج4 (باب الطب)، ص32.

[4]- محمد محاسنة، المرجع السابق، ص207؛ عبد الكريم محمد نصر، المرجع السابق، ص127؛ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، **الطب من الكتاب والسنة**، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1994، ص05-.

[5]- **للتعرف على مراحل تطور الطب ينظر**: راغب السرجاني، **قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية**، مؤسسة اقرأ القاهرة، ط1، 2009، ص ص28-؛ منصور أبو الحسن بن نوح القمري، **التنوير في الاصطلاحات الطبية**، تحقيق: غادة حسن الكرمي، مكتب التربية العربي، دول الخليج، 1991، ص09؛ عبد الرحمن مرحبا، **المرجع في تاريخ العلوم عند العرب**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988، ص278-؛ إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص177.

[6]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص09؛ 28؛ 43.

[7]- أبو عبد الله الذهبي، **الطب النبوي**، تحقيق: أحمد رفعت البداوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط3، 1990، صص7-9.

حيث تضمنت مجموعة كبيرة من النصائح التي تتعلق بالطب الوقائي كقواعد حفظ الصحة والحث على النظافة، والطب العلاجي والنفسي، جمعها البخاري في صحيحه في جزئه الرابع[1].

أما في العهد المدروس فقد عرف سكان المغرب الأوسط علوم الطب كغيرهم من المسلمين، يهتم بجسم الإنسان وقت الصحة وأثناء المرض، وجعلوه من العلوم المستحبة والضرورية للإنسان واعتنوا بدراسته[2]، آخذين بقول الإمام الشافعي: «لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب»، الذي كان يتحسر على ما ضيّع المسلمون من الطب في قوله: «ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى»، لذا كان لا بد على المسلمين تحريك الهمم وحث العزائم على تعلم الطب[3].

خاصة وأن مجتمع المغرب الأوسط قد تأثر تأثرا شديدا بالكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض الفتاكة، وبالمجاعات الناتجة عن الجفاف والأعاصير والجراد وبالأزمات السياسية التي كانت تحدث من حين إلى آخر متسببة في حروب مدمرة، كل ذلك انعكس سلبا على المجتمع، وساهم في صعوبة العيش، وفي حصد الكثير من الأرواح خاصة وباء الطاعون الذي يعد اشد الجوائح الطبيعية، وأكثرها فناء وأشدها فتكا للبشرية حيث ضرب تلمسان مرات عديدة[4]، بالإضافة إلى انتشار أمراض كثيرة مثل: السعال ومرض البلعوم والزكام والأورام والإسهال[5]...، كل هذا جعل أطباء المغرب الأوسط يعتنون بهذا العلم زيادة على شرفه ومكانته.

فحتى السلاطين الزيانيين أولوه الاهتمام والعناية لأهميته في المجتمع، فالسلطان أبي حمو موسى الثاني يوصي ولي عهده باتخاذ طبيب لنفسه يكون على قدر كبير من الثقة في

1- **صحيح البخاري**، ج4، ص ص23-47.

2- عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص110.

3- أبو عبد الله الذهبي، **الطب**...المصدر السابق، ص228.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص243؛ سمية مزدور، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص ص127-144؛ خالد بلعربي، "**المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-745هـ/1299-1442م)**"، **دورية كان التاريخية**، العدد4، 2009، ص ص23-24.

5- أبو عبد الله الذهبي، **الطب النبوي**... المصدر السابق، ص228.

قوله: «يا بني، واختر لنفسك طبيبا ماهرا عاقلا أديبا فاضلا ثقة محبا ناصحا، ومع هذه الصفات لا تمكنه من نفسك حتى لا يكون اعلم منك بنفسك، فإن اتخاذ الطبيب فيه قوة للقلب وراحة للنفس، وهو وان كان له في الحكمة أوضح دليل وكان كما وصفناه فهو في الحقيقة عليل، وإنما الطبيب آلة السماء فنعم الطبيب ونعم الوكيل»[1]، بالإضافة إلى تأسيس المارستانات وهي تكتسي أهمية قصوى، ووجودها يُحدَد من خلاله درجة تقدم المستوى الصحي أو تأخره داخل المجتمع، كما أنه يعكس مدى وعي الدولة واهتماماتها بصحة السكان وسلامتهم، كما أدى وجودها إلى ظهور التعليم الطبي النظامي ودورا في تدريس وتدريب الطلاب واستقبال الأطباء المشهورين والأكفاء[2]، الذين كانوا يزاولون مهامهم داخل المساجد والمدارس وفي المارستانات التي كانت تحتوي على كراسي لتدريس هذا العلم[3].

ومما يلاحظ أيضا أن جل الأطباء كان مقر استقرارهم بالأمصار الكبرى بالمغرب الأوسط ببجاية وتلمسان وقسنطينة ...، الأمر الذي يجعلنا نؤيد عبد الرحمن ابن خلدون الذي يرى أن صناعة الطب إنما يحتاج إليها في الأمصار الكبرى والمدن أكثر من البداوي لجملة من الاعتبارات التي تخص النظام الغذائي والجانب البيئي وكذا طبيعة عيش كل مجتمع وعاداته وتقاليده، وعن ذلك يقول: «إن صناعة الطب ضرورية في المدن أكثر منها في البادية لان أصل الأمراض الأغذية الغليظة والأغذية المعالجة بأنواع التوابل ثم الاهوية الفاسدة من تزاحم الناس في المدن وتراكم فضلاتهم وقلة الرياضة»[4].

ومما شك فيه بأن الطبيب كان يتقاضى أجرا شهريا يتحدد بأغلب الأحوال حسب سمعته الطبية ومهارته العلمية[5]، فأطباء السلاطين كانت لهم أجرة معلومة وأعطيات من الدولة عرفانا بمجهوداتهم، أما الطبيب العادي الذي يزاول مهنته في الدكان أو في منزله، فهو لا يتقاضى أجرا من المريض إلا بعد أن يشفى تماما، حسبما نصت عليه بعض

---

[1]- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص77.

[2]- محمد فؤاد الذاكري، "**وثيقة من التعليم الطبي في الحضارة الإسلامية**" **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، السنة4، العدد13، 1996، ص62.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **بحوث**...المرجع السابق، ص119.

[4]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص452-453.

[5]- فؤاد محمد الذاكري، "**الصناعة الطبية وأجور الأطباء في القرن السابع الهجري**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، السنة4، العدد15، ديسمبر1996، ص77.

الفتاوى، وعن ذلك يقول المازوني: «إذا استأجروا على العلاج فإنما هو على البرء فإن برء العليل فله حقه، وإلا فلا شك له»[1].

د- أهم كتب الطب والصيدلة المدروسة خلال العهد المدروس:

*"**كتاب القانون**" **لابن سينا** (ت428هـ/1037م)[2] الذي «أخرج الطب من التلفيق إلى التهذيب والترتيب، يعد كتابه من أجمع الكتب وأبلغها لفظا وأحسنها تصنيفا»[3]، حتى أضحى عمدة الدراسات الطبية[4]، بالإضافة إلى "**أرجوزته في الطب**"[5]، وتسمى بالمنظومة أو الألفية، وهي مختصر لكتابه القانون لتكون مرجعا للأطباء ويسهل حفظها للطلاب، يتراوح عدد أبياتها ما بين (1337-1326) بيت، واضحة المعاني غالبا لمن تمرس على المصطلحات الطبية القديمة، بينما تحتاج للشرح للمبتدئين[6]، اشتملت على أهم قواعد الطب[7].

*"**الموجز في الطب**" **لابن النفيس علاء الدين أبو الحسن علي** (ت687هـ/1288م)[8].

*"**كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف**" **لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي** (ت400هـ/109م)[9]، هذا الكتاب موسوعة في صنوف المعارف الطبية خاصة الجراحة، قال عنه ابن حزم: «قد ادركناه وشاهدناه، ولئن قلنا انه لم يؤلف في كتب الطب اجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن»[10].

---

[1]- مزدور سمية، المرجع السابق، ص165؛ بشير رمضان شنيتي، المرجع السابق، ص ص497-498.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص101.

[3]- القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص474.

[4]- **ينظر حوله:** محمد كامل حسين، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، (دت)، ص36؛ أحمد علي الملا، المرجع السابق، ص134-.

[5]- الغبريني، المصدر السابق، ص101.

[6]- ابن سينا، **الأرجوزة في الطب**، ضمن كتاب: **مصادر ودراسات في تاريخ الطب العربي - من مؤلفات ابن سينا الطبية-**، ج2، تحقيق: محمد زهير البابا، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية، 1984، ص ص77-79.

[7]- المصدر نفسه، ص90-92؛ **وللاطلاع عن الأرجوزة ينظر:** الصفحات ص ص90-194.

[8]- القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج1، ص473.

[9]- **ينظر ترجمته:** ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص501؛ كمال السامرائي، **مختصر تاريخ الطب العربي**، ج2، دار النضال، 1984، ص161-.

[10]- المقري، **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج3، ص175. **لأكثر تفاصيل عن هذا الكتاب ينظر:** كمال السامرائي، المرجع السابق، ج2، ص ص163-166.

***"كتاب تقويم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية" ليوحنا بن بختيشوع** (ت731هـ/1330م)[1]، و**"كتاب المنصوري"**[2] **لأبي بكر زكرياء الرازي** (ت313هـ/965م)[3].

هـ- أهم أطباء وصيادلة المغرب الأوسط وإنتاجهم العلمي خلال فترة البحث:

إن الاهتمام البالغ الذي حظي به علم الطب والمكانة الرفيعة التي تمتع بها الأطباء كانت له أثارا ايجابية في التطور الذي حصل للعلوم الطبية، ودافع قوي لحذاق الأطباء الذين أبدعوا فيه، وصنفوا كما هائلا من الدراسات الطبية الراقية[4]، والسمة التي امتازوا بها أنهم كانوا ذوي اختصاصات فهم عاملون بالطب مدرسون له ومعالجون، إلا أن عددهم كان قليلا جدا مقارنة بالأعداد الهائلة من الفقهاء والمحدثين والأدباء...، وذلك راجع ربما إلى صعوبة ممارسة المهنة فهي تحتاج إلى مهارة واسعة واطلاع كبيرين، ومن جهة أخرى ربما يكون هذا النقص سبب اندفاع النخبة العلمية إلى الاهتمام بالعلوم النقلية وإهمالهم لبعض العلوم العقلية ومن بينهما الطب، وعلى الرغم من ذلك سجل لنا التاريخ نماذج عن أطباء المغرب الأوسط ولعل أبرزهم وأشهرهم:

أبو القاسم الأموي المكنى بابن أندراس (ت674هـ/1274م) طبيب بارع ماهر متخصص في طب النساء والتوليد وصناعة الأدوية ومداوة المرضى، من أهل مرسية استوطن بجاية سنة (660هـ/1260م) وجلس للتطبيب بها فكان على رأس الأطباء المتخصصين، ونظرا لشهرته استدعاه السلطان الحفصي المستنصر بالله إلى تونس التي توفي بها سنة (674هـ)، له "**رجز في تنظيم الأدوية وصناعتها**"، يعتبر الغبريني أشهر تلامذته شارك معه في علم الطب وصناعة الأدوية تكليفا منه ومساعدة له، وصف أستاذه في قوله: «وتبسط للطب طبيبا باحثا جيدا...له حدة ذهن وجودة تبسط لإقراء الطب والعربية»[5]، «قرأت عليه أرجوزة ابن سينا قراءة إتقان وجودة بيان، وكان يحضر لذلك نبهاء

---

[1]- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص276.

[2]- عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص253.

[3]- **ينظر ترجمته:** ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص414؛ ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكام**، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985، ص77-.

[4]- مريزن سعيد مريزن عسيري، **تعلم الطب في المشرق الإسلامي (نظمه ومنهاجه) حتى نهاية القرن السابع هجري**، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412هـ، ص ص8-9.

[5]- **عنوان الدراية**...المصدر السابق، ص101-102.

الطلبة ويجري فيها من الأبحاث ما يعجز الكتب عنه،...وقرأت من كليات القانون...وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية»، أما عن طريقة تدريسه للعلوم الطبية فقد ذكرها تلميذه في قوله: «وكان إذا سئل عن المسألة الطبية لا يجيب في ساعته وإنما يتوقف عن الجواب إلا بعد نظر، ولا بد له أن يقع له النظر في الأسباب وتمييزها والحدس الفاعل إن تعارضت، وينظر أنسب الأدوية، وحينئذ يقع الجواب فهذا دليل الطبيب الحاذق»[1].

وأبو عبد الله محمد بن يحى بن عبد السلام أصله من تدلس فقيه وكاتب بارع، وطبيب مزاول ومعالجا علميا وعمليا، يجهل تاريخ وفاته ولعلها تعود إلى القرن (7هـ/13م)[2]، أما **أبو الحسن يحى المعافري المعروف بابن الحاج (ت718هـ/1218م)** فهو طبيب وصيدلاني من أهل شاطبة أخذ أصول هذه المهنة عن أبيه الطبيب الفقيه أبي إسحاق، وفد بجاية رفقة الأمير الحفصي أبي فارس، وجلس بها للتطبيب «فكم صنع من الأدوية للأرامل، وشفى من العلل أهل الأقلال والبلابل، تغنيك رؤيته عن رؤية جالينوس، ومنظره وعذوبة مقاصده كم نفت عن العليل البؤس، لم يضجر قط من ثقيل لا يحسن السؤال...معني عارفا بمقاصد الحكماء والأطباء»[3]، وصفه تلميذه الوادي آشي«بالشيخ المحدث الطبيب الماهر»[4].

ومن علماء القرن الثامن أيضا **أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الشاطبي** الطبيب الخاص لأبي تاشفين الأول (ت737هـ/1337م)، وصفه ابن مرزوق بالطبيب المبارك، وبالإضافة إلى الطب نبغ في الفقه والخطابة وإمامة الناس في الصلاة[5]، أما **ابن أبي حجلة التلمساني** تضلع في العلوم الدينية والأدبية، وساهم في الطب والتطبيب بحيث ترك مصنفين

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص102.

[2]- المصدر نفسه، ص294.

[3]- ابن الطواح، المصدر السابق، ص ص233-234.

[4]- الوادي آشي، **برنامج ابن جابر الوادي آشي**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1981، ص73.

[5]- عبد العزيز فيلالي، **بحوث**...المرجع السابق، ص120.

وهما "**الطب المسنون في دفع الطاعون**"، و"**أطيب الطيب**"[1]، توفي بالطاعون في القاهرة سنة (776هـ/1375م)[2].

في حين اشتغل الأديب المتميز **أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي (توفي بعد767هـ/1362م)**[3] بالطب حتى برع فيه ونما صيته إلى السلطان أبي حمو موسى الثاني فقربه إليه واتخذه طبيبه الخاص[4]، امتهن الجراحة فصار جراحا ممتازا بارعا أجرى عملية لأمعاء السلطان المريني أبي يعقوب بعد إصابته في بطنه في حصار المنصورة[5]، كما هو الحال **لإبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني (ق8هـ/14م)** الشاعر والطبيب فقد صنف "**قاموسا طبيا**" و"**رسالة في الطب حول الأدوية ومنافعها**"، وهي معجم أبجدي للأعشاب واستعمالاتها الطبية ومنافعها، تضمنت عدة أبواب: باب الاكتحال، باب صفة الأشربة، باب صفة المعاجين...باب الأدوية: كأدوية العينين، الأسنان، برد الدماغ...، وهذه الرسالة توجد منها نسخة بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم8544 في 09 ورقات يعود تاريخ نسخها إلى سنة (990هـ) [6].

بالإضافة إلى **أبي عبد الله الشريف (ت771هـ)** الذي كان إماما في العلوم العقلية كلها طبا وتشريحا[7]، **وابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ)** صنف هو الآخر كتاب سماه "**أنيس الحبيب عند عجز الطبيب**" وهو ضائع[8]، و**محمد بن علي بن فشوش** من أهل القرن (9هـ/15م) طبيب تلمساني ماهر وكفؤ ذاع صيته وقصده الطلاب من كل فج، أبرزهم الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الذي قال عنه: «ولقينا بها (تلمسان) جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والأطباء منهم محمد بن علي بن فشوش أحد أطباء تلمسان في

1- بوزياني الدراجي، **أدباء وشعراء**...المرجع السابق، ج3، ص305؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص455؛ مصطفى خياطي، "**الطب والأطباء في تلمسان**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3-4، أفريل – ماي، 2011، ص81.

2- ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**...المصدر السابق، ج1، ص331؛ عادل نويهض، **معجم أعلام**...المرجع السابق، ص ص364-365.

3- المرجع نفسه، ص63.

4- محمد الطمار، **تاريخ الأدب العربي**...المرجع السابق، ص284.

5- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص ص248-249.

6- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص ص105-106.

7- ابن مريم، المصدر السابق، ص173.

8- ابن قنفذ، **الوفيات**...المصدر السابق، ص14؛ بشير ضيف، المرجع السابق، ص455.

المزاولة والدراسة وسمعت من فوائدها وحضرت دروس بعضهم ونقلت عنه أشياء وأجازني»[1].

وبرز أيضا **أبو الفضل المشذالي** (ت865هـ) الذي رحل إلى تلمسان سنة 840هـ ودرس على يد كبار أساتذتها أمثال: ابن فشوش ومحمد بن مرزوق الحفيد، ثم عاد إلى بجاية سنة 844هـ بعلم غزير، فكان في مهنة الطب وحيد عصره وفريد دهره، يلجأ إليه الناس طلبا للدواء، حيث كانت له مقدرة فائقة في معالجة المرضى وصناعة الأدوية، ذاع صيته في المشرق العربي كطبيب فذ لا يجارى، ورغم هذا امتنع لكراهته أن يشتهر بالطب[2].

ولمحمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) مشاركة حسنة في هذا العلم حيث شرح "**أرجوزة ابن سينا**" في الطب لكنه لم يكملها[3]، بالإضافة إلى "**مقدمات فوائد**" الذي يتكون من 144 ورقة في الطب[4]، و"**مجربات في الطب**" جمع فيها ما جربه بنفسه من الفوائد والعلاجات والأدعية المستجابة[5]، كما صنف "**رسالة في الطب**" وردت بعدة عناوين لعل أبرزها: "**تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية**" تضمنت شرح "**المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وأصل كل داء البردة**"، وهي حكمة طبية وليست حديث نبوي شريف[6]، جاء في مستهلها: «فقد جرى بيني وبين إخوان نجباء لكلام في فصل صناعة الطب وأنها شطر العلم»، وختمها بقوله: «كذلك تقبل الأعضاء قبولا حسنا لاستفراغها من العضلات بسبب الرياضة فتستقيم الصحة بإذن الله عز وجل»[7]، وقد أوضح في هذا المصنف: الحمية والأغذية والفواكه والأشربة ومقاديرها اللازمة للجسم، حيث تحدث

1- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص249.

2- السخاوي، المصدر السابق، ج9، ص ص181-184؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص ص106-107.

3- التنبكتي، **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص572؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص246.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص250.

5- يرى الدكتور عبد العزيز الصغير أن هذا الكتاب يشكك نسبه إلى السنوسي، حيث اطلع عليه ورأى أن أفكاره تتعارض مع العقلية الفكرية المتحررة لدى السنوسي، وهو مطبوع بهامش مجربات الشيخ احمد الديزلي الكبير المسمى: "**فتح الملك المجيد المؤلف لنفع العبيد وقمع كل جبار عنيد**". **ينظر: الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي**...المرجع السابق، ص ص133-134.

6- ابن مريم، المصدر السابق، ص246؛ عبد العزيز الصغير، المرجع السابق، ص ص134-135.

7- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص250.

عن الحليب واللبن وفوائدهما، وعن الماء وتأثيره على الجسم، وعن الهضم والأخلاط وتأثيرهما على الصحة، كما تطرق إلى واجبات الإنسان في حفظ المعدة والعناية بها[1]...

كما اشتهر أيضا **موشي بن صموئيل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي** المعروف بابن الأشقر، يعد من أشهر أطباء تلمسان خلال القرن (9هـ/15م)، جلس بها للتطبيب والتدريس، فكان محل قبلة الطلاب مشرقا ومغربا ولعل أبرزهم الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الذي لازمه سنة (869هـ/1464م) وقال عنه: «ولازمت في الطب الرئيس الفاضل الماهر...موشي بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب،...لم أسمع بذمي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم،...ولد بمالقة قبل 820هـ، وأخذ عن أبيه وغيره وأجازني»[2]، ونظرا «لشهرته ومهارته وتفننه في الطب انتهت إليه رئاسة الأطباء في تلمسان»[3].

1- عبد العزيز فيلالي، **بحوث**...المرجع السابق، ص ص122-123.

2- **نقلا عن:** زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص175.

3- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

4- علـــــم الصيـــدلـــــة:

أ- مفهومـــــــــها:

تعرف أيضا **بالصيدنة**[1] أو **الاقرابادين**[2] بمعنى "**لعلم الأدوية**"، وهي مهنة علمية تختص بتحضير الأدوية، علم وفن وصناعة أساسها في مدلولها الحديث: «دراسة مفردات الأدوية من نباتية وحيوانية ومعدنية وكيماوية، ومعرفة شوائبها وغشها، وتعرف صفاتها وخصائصها وكيفية الحصول عليها وطرق الحفاظ عليها، وتأثيرها في جسم الإنسان»[3]، وفي تعريف آخر هي: «علم يبحث في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها»[4].

ب- نشأتها وتطورهـا وواقعها بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

تعد الصيدلة من العلوم التي ابتكرها المسلمون، وأسهموا فيها إسهامات واضحة، وارتفعوا بها عن مستوى تجارة العقاقير، وانشئوا المدارس لتعلميها، والحوانيت لبيعها وتصريفها، كما يعتبرون الأوائل الذين وضعوا الكتب الخاصة لتركيب الأدوية، كما أخضعوها لنظام الحسبة ليحولوا دون غش، وافتتحوا الصيدليات، والحقوا بكل مارستان صيدلية خاصة به[5]، كما جعلوها علما تجريبيا قائما على الدراسة والملاحظة[6]، وان كانت في بدايتها تابعة للطب، إذ كان الطبيب هو الصيدلاني الذي يقوم بالتطبيب ثم يصنع الدواء ويركبه ويقدمه للمريض، ومع كثرت عقاقير الأدوية وتشعب طرق تركيبها، استدعت الحاجة إلى من يتفرغ لها وحدها ويبحث عن الأعشاب ويصنع الأدوية، وهنا انقسمت صناعة الطب إلى قسمين: تشخيصي وعلاجي أو نظري وعملي[7]، وبذلك انفصلت صناعة الطب عن

---

[1]- **حول أصل الكلمة واشتقاقاتها ينظر**: عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص323؛ العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ج2، (موجز تاريخ الصيدلة)**، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، الجمهورية الليبية، (دت)، ص271-.

[2]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص136.

[3]- عبد العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر، المرجع السابق، ج2، ص269.

[4]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص111؛ **ينظر تعاريف أخرى**: كمال السامرائي، المرجع السابق، ص353؛ أحمد علي الملا، **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1981، ص143.

[5]- عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص ص324-325.

[6]- عبد العظيم حفني صابر وعبد الحليم منتصر، المرجع السابق، ص270.

[7]- **ينظر**: داود بن عمر الأنطاكي، **نزهة الأذهــان في إصلاح الأبــدان**، تحقيق: محمد ياسر زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2007، ص ص102-103.

صناعة العقاقير[1]، ولتفعيلها وتعميمها أُلحق بكل المارستانات صيادلة لصناعة الاشربة والادهان والاكحال[2]، تسمى **بخزانة الشراب**، أو **بالشراب خاناه** (أي بيت الشراب)، وفيها أنواع الاشربة والمعاجين النفسية والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية والعطريات الفائقة، وفيها من الآلات النفسية والآنية والصحون...[3]، كما هناك بعض الصيدليات التي كان يملكها الأطباء بسوق العطارين بتلمسان تباع فيها المواد المتعلقة بالعطارة والطب التي هيئها الأطباء والحكماء في منازلهم وتباع للمرضى مقابل وصفة طبية[4].

كما أن من أسباب تقدم الصيدلة توفر بيئة المغرب الأوسط على الأصناف العديدة من النباتات الطبية المستعملة في تركيب الأدوية مثل: **شجرة الحضض، القولوفند، وريون، البارباريس، القنطوريون الكبير، الزوارند، القيسطوس، الافنتستين...**، وغيرها من الأعشاب الموجودة خاصة بشمال بجاية[5]، ولقد ساعد وجود مثل هذه النباتات على ازدهار وانتشار الطب الشعبي وهو ما أكده ابن خلدون: «للبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه»[6].

ج- الحسبة[7] على الصيدلـــــــــة:

كانت الصيدلة تجارة حرة منذ زمن قديم وكانت الأعشاب هي مصدر تركيب الأدوية، ولم يكن الصيادلة كلهم من ذوي الأخلاق الكريمة مخلصين في أعمالهم، لذا تم إدخال الحسبة للصيدلة وللطب[8]، وفرض المجتمع رقابة صارمة على العشابين الذين يقومون ببيع الأدوية لما في ذلك من خطر جسيم على حياة المرضى، مما دفع بعض المهتمين بالتأكيد

1- عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص324.

2- احمد عيسى بك، المرجع السابق، ص281.

3- القلقشندي، **صبح الأعشى**...المصدر السابق، ج3، ص476.

4- عبد العزيز فيلالي، **بحوث**...المرجع السابق، ص119.

5- الإدريسي، المصدر السابق، ص115.

6- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص531.

7- وظيفة دينية تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **ينظر عنها:** الونشريسي، **الولايات**...، المصدر السابق، ص29؛ الماوردي، **الأحكام**...المصدر السابق، ص315؛ الماوردي، **الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: أحمد جابر بدران، دار الرسالة، القاهرة، ط1، 2002، ص63-.

8- حكمت نجيب عبد الرحمن، **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، الموصل، ص341؛ عمر فروخ، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، 1970، ص295.

على مراقبة هذه الأسواق وإنزال العقوبة الصارمة على المخالفين منهم، حيث أوكلت المراقبة للمحتسب شريطة أن يكون من ذوي الخبرة والاختصاص حتى تكون مراقبته أكثر نجاعة في ضبط المخالفين لقواعد ونوعية بيع الأعشاب (الأدوية)[1]، وعن ذلك قال الإمام **عبد الرحمن بن نصر الدين عبد الله الشيرازي** صاحب كتاب **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** «تدليس هذا الباب كثير ما لا يمكن حصر معرفته على التمام، فرحم الله من نظر فيه وعرف استخراج غشوشه فكتبها في حواشيه تقربا إلى الله تعالى، فهي اضر على الخلق من غيرها، لأن العقاقير والاشربة مختلفة الطبائع والأمزجة، والتدواي على قدر أمزجتها، فمنها ما يصلح لمرض ومزاج فإذا أضيف إليها غيرها أخرجها عن مزاجها فأضرت بالمريض لا محالة، فالواجب عليهم أن يراقبوا الله عز وجل في ذلك، فينبغي للمحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم بالعقوبة والتعزيز ويعتبر عليهم عقاقيرهم في كل أسبوع»[2]، كما يتعهد الأطباء كذلك بأن لا يعطوا للمريض دواء قاتلا، ولا يشيرون إليه، خاصة بالنسيبة للنساء لإسقاط الأجنة أو للرجال لقطع النسل، مع غض البصر عن المحارم، وعدم إفشاء أسرار المريض...[3]، ونظرا لذلك اهتم علماء المغرب الأوسط بعلم الصيدلة لعلاقته الوثيقة بالطب إذ أنه لا بد لكل مريض يتم تشخيصه من علاج مناسب ليحصل الشفاء، ومن ثم كان معظم أطباء المغرب الأوسط صيادلة يقومون بوصف وتحضير الأدوية ثم بيعها للمرضى[4]، وخير مثال على ذلك ما أورده ابن الطواح (توفي في القرن 8هـ/14م) أن **أبي الحسن يحي المعافري المعروف بان الحاج** صنع الكثير من الأدوية للأرامل وشفى الكثير من العلل[5]، وكذلك **ابن أبي أندارس** الذي اختص في صناعة الأدوية ومداواة المرضى خاصة في طب النساء والتوليد، ومما أوردناه من أمثلة عن أهم أطباء المغرب الأوسط خير دليل على ذلك.

---

[1]- بشير رمضان شنيتي، المرجع السابق، ص519.

[2]- احمد عيسى بك، المرجع السابق، ص ص57-58.

[3]- كمال السامرائي، المرجع السابق، ج2، ص ص422-423.

[4]- بشير رمضان شنيتي، المرجع السابق، ص512.

[5]- **سبك المقال**...المصدر السابق، ص234.

5- علـــــم الفـلك (علم الهيئة):

أ- مفهومــــه:

يعرف هذا العلم بعدة تسميات **كعلم الهيئة**، أو **علم هيئة العالم**، أو **علم هيئة الأفلاك**، وكانت العرب تسميه أيضا: **علم النجوم التعليمي وعلم النجوم وعلم صناعة النجوم** ويقابله **أحكام النجوم** أو **علم التنجيم**، وباليونانية **اصطرنوميا** وهي كلمة من قسمين: "**اصطر**" وهو النجم، و"**نوميا**" وهو العلم، أي: "**علم النجم**"، ويقال له في الاصطلاح الحديث **علم الفلك**[1].

وهو العلم الذي: «ينظر في حركات الكواكب الثابتة المتحركة والمتحيزة، ويستبدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية»[2]، أما ابن الأكفاني فيعرفه بأنه «علم يعلم منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعاد ما بينها، وحركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها، وموضوعه الأجسام من حيث كميتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها»[3]، وله عدة أقسام وهي: **علم الزيجات وعلم الميقات وكيفية الأرصاد** و**علم تسطيح الكرة وعلم الآلات الظلية**[4].

ب- عوامـــل تطــوره وأهميتــه:

يعتبر ابن خلدون علم الفلك بأنه «صناعة شريفة»[5]، كان معروفا عند العرب قبل الإسلام، لكن معرفتهم به كانت سطحية لا تتعدى الضرورات البدائية، ولما جاء الإسلام حدث تحول جذري في المسار التطوري لهذا العلم من الناحيتين: العلمية (النظرية) والعملية (التطبيقية) حيث ورد في القرآن الكريم إشارات كثيرة عن ذلك[6]، فكان العامل الذي حرك علم

1- محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص488؛ السنيور كرلونلينـو، **علـــم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، مكتبه الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 1993، ص ص18-19؛ عوض عبد الكريم ذنيبات، المرجع السابق، ص195.

2- **المقدمة**...المصدر السابق، ص525.

3- **إرشاد القاصد**...المصدر السابق، ص202؛ طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، 248؛ اليوسي، المرجع السابق، ص153؛ الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**...المصدر السابق، ص215؛ نوفل افندي نعمة الله نوفل الطرابلسي، المرجع السابق، ج1، ص300.

4- **ينظر عنها**: عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص526؛ اليوسي، المرجع السابق، ص153؛ ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص204.

5- **المقدمة**...المصدر السابق، ص526.

6- **ينظر: سورة الأنعام الآية 97 و سورة يـــس الآية 40.**

الفلك ودفعه دفعة قوية كما أفرد له مكانة رفيعة[1]، لذا اهتم به المسلمون اهتماما كبيرا لما تتطلبه الشريعة الإسلامية فعرف تطورا وازدهارا، من خلال حاجتهم إلى تحديد أوقات الصلاة والأعياد، وتعين أوائل الشهور القمرية خاصة وأنه يترتب على رؤيتها أحكاما كثيرة في الفقه الإسلامي، كما أنه اليقين من رؤية هلال الأشهر العربية فرض كفاية على المسلمين للتأكد من أوقات الإمساك والإفطار في رمضان، وكذلك معرفة تحديد اتجاه القبلة، وتحديد سبل سير القوافل في الصحاري وفي الليالي، ومعرفة الاتجاهات وطرق المواصلات، وبفضل انفتاح المسلمين على علوم الأمم الأخرى وحضارتها ونقل العديد من الكتب الفلكية، وتشجيع الحكام لعلماء الفلك وإنشاء المدارس والمراصد الفلكية، هو الذي أعطى له دفعا قويا وساعد المسلمين على الاهتمام بهذا العلم والتعمق فيه، فطهروه من علم التنجيم واعتبروه علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب وعلى فروض تفرض لتقليل ما يرى من حركات والظواهر الفلكية[2]، وأصبح بذلك علما مبنيا على الرصد والمشاهدة يعني برصد الكواكب والنجوم وحساب حركتها على منهج علمي وقواعد ثابتة، لا على علم الأوهام وهو التنجيم الذي ينظر في الكواكب والنجوم من حيث دلالتها على مصير الإنسان وأحوال العالم في المستقبل باستطلاع الخبايا ومعرفة الغيب على أسس فاسدة واعتقادات باطله لا تتناسب مع الدين الإسلامي لأنه يهتم بمعرفة الطوالع وقراءة الحظ نجما بالغيب[3].

وقد اعتبر المستشرق الايطالي السنيور كرلونلينو أن ارتباط أحكام الشريعة الإسلامية بظواهر الفلك زادت المسلمين اهتماما بمعرفة الأمور الفلكية باعتبار «أن أوقات الصلوات الخمسة تختلف من بلد إلى بلد ومن يوم إلى يوم، فيقتضي حسابها معرفة عرض البلد الجغرافي وحركة الشمس في فلك البروج وأحوال الشفق الأساسية، ومن شروط الصلاة الاتجاه إلى الكعبة فسيلتزم ذلك معرفه سمت الكعبة، ومن وجوب صلاة الكسوف يحصل حسن التأهب لها قبيل انكساف الشمس أو القمر فلا يمكن ذلك إلا بمعرفة حساب حركات اليزين، واستعمال الأزياج المتقنة، وكذلك لا تخلو أحكام انقضاء النذور وفرض الصوم

---

[1]– مصطفى محمد طه، "تراث المسلمين في علم الفلك"، **مجلة أفاق الثقافية والتراث**، السنة6، العدد22– 23، أكتوبر 1998، ص171.

[2]– عبد الكريم محمد نصر، المرجع السابق، ص ص52–53.

[3]– محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص488.

والفطر عما يحث الناس على الحسابات الفلكية، لأن ابتداء صوم رمضان وانتهائه يؤخذ من رؤية الهلال لا من مجرد تقويم السنين المدني»[1].

ج- كتب علم الفلك المدروسة بالمغرب الأوسط خلال فترة البحث:

*"**كتاب المجسطي**" **لبطليموس** يعد من أحسن التآليف في علم الفلك، لقي إقبالا كبيرا من طرف علماء المسلمين الذين اهتموا بشرحه[2].

*"**كتاب المنهاج**" واسمه الكامل: "**منهاج الطالب لتعديل الكواكب**" **لأبي العباس أحمد بن عثمان ابن البناء المراكشي** (ت721هـ/1321م) ولع الناس به لسهولة استعماله لذا نال حظا كبيرا في المغرب وانكبوا عليه بالشرح والدراسة[3].

*"**بغية الطلاب في علم الإسطرلاب**" **للحباك التلمساني** (ت867هـ/1463م)[4].

*"**عمده ذوي الألباب ونزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب**" **لمحمد بن يوسف السنوسي** (ت895هـ/1490م)[5].

د- أهم أعمال وابتكارات علماء المغرب الأوسط في علم الفلك خلال فترة البحث:

اهتم علماء المغرب الأوسط كغيرهم من علماء المسلمين بعلم الفلك وساهموا فيه نظرا لأهميته حيث صنف **ابن قنفذ القسنطيني** (ت810هـ) "**تسهيل المطالب في تعديل الكواكب**" ويسمى أحيانا "**تيسير المطالب**" وصفه بأنه «لم يهتد أحد إلى مثله من المتقدمين»[6]، توجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم512، ونسخة أخرى بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم5262، ورد في أولها سبب تأليفه للكتاب حسب قوله: «الحمد لله رب العالمين... وبعد، فإني لما رأيت صناعة الإمام أبي العباس أحمد ابن البناء، وهو كتابه المسمى بالسيارة في تعديل الكواكب السيارة، وضع فيه تعديل الكواكب على المقارنة، رأيت خللا في بعض المواضيع،... فوضعت هذا الكتاب يعلم منه مواضيع الكواكب على المقارنة من غير تطويل

---

[1]- السنيور كرلونلينو، المرجع السابق، ص ص229-230.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص526.

[3]- المصدر نفسه، ص527؛ **ينظر عنه:** محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص ص355-362.

[4]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص109.

[5]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص476.

[6]- ابن قنفذ القسنطيني، **شرف الطالب**...المصدر السابق، ص238.

ولا كبير عمل وضرب ولا قسمة»[1]، وألحق برسالته ثمانية جداول توضح مقصده[2]، كما قام بشرح هذا الكتاب وسماه "**تحصيل المناقب وتكميل المآرب**" لا يزال مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم512 ب، به حوالي 55-75 ورقة[3].

وله أيضا "**سراج الثقات في علم الأوقات**" منظومة في علم الإسطرلاب يبلغ عدد أبياتها 247 بيت في سبعة صفحات، فرغ من تأليفها سنة (759هـ/1374م) بفاس، موجودة كمخطوط في المكتبة القومية بتونس تحت رقم4620، تتضمن وصف رسوم الإسطرلاب وأجزائه وكيفية استعماله...، وهذه مقتطفـــــات منها:

الحَمدُ للهِ العَلــيّ القَـــــادرِ ... الأَحمدُ الفَردُ الحَكيمِ الفَاطِـرِ

يُعْرَف بِابنِ قُنفُذ اشْتِهَـــارُهُ ... مِن حِصنِ طِينَةٍ فتِـــلْكَ دَارُهُ

أَتَى بِهَذَا الرّجْـزِ المُهَـــذَّبِ ... بِفَاس الكُبرَى بِأَرضِ المَغـرِبِ

وَذَا فِي شَهرِ جُمَادَى الأُولَى ... مِن عَامِ خُطَّ بَعد إذ مَعْقُـــولِ

عُدَّتُهُ بِهَــذِه رَاء وَمَــــــــزّ ... سَمَّيتُهُ السرّاجَ أَعْنِى ذَا الرَّجْزِ[4].

بالإضافة إلى شرحه لمنظومة ابن أبي الرجال القيرواني أبي الحسن علي (ت432هـ) في النجوم المسماة: "**المنظومة الحسابية في القضايا النجومية**" حيث شرحها ابن قنفذ وأهداها إلى وزير مريني لاهتمامه بالعلوم العقلية، تحت عنوان "**شرح الدلالات الفلكية لابن أبي الرجال**"[5]، وكذلك صنف "**تسهيل العبارة في تعديل الإشارة**" يعد من كتب علم التوقيت والفلك، يشتمل على أربعين بابا وستين فصلا، ولكنه اليوم في حكم المفقود[6].

أما **ابن الحباك التلمساني** (ت867هـ) فيعد عمدة علم الفلك وشيخ الفلكيين، ترك الكتب القيمة في هذا المجال لعل أبرزها: منظومته المسماة "**بغية الطالب في علم الإسطرلاب**"، المكونة من 171 بيت تتضمن أجزاء الإسطرلاب ورسومه وما يتعلق به، تعتبر

---

[1]- محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، مج3، ص160.

[2]- المرجع نفسه، ص161.

[3]- ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية**...المصدر السابق، ص71.

[4]- المصدر نفسه، ص78؛ محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص ص290-291.

[5]- ابن قنفذ القسنطيني، **الفارسية**...المصدر السابق، ص73؛ أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص109؛ محمد المنوني، **دليل مخطوطات**...المرجع السابق، ص142.

[6]- مختار حساني، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج4، ص171.

من أشهر ما ألف في هذا العلم، لذا كانت مصدر الاعتماد من قبل العديد من العلماء، قامت عليها الشروحات والتعليقات وأضحت محل تدريس كما هو الحال عند تلميذه السنوسي[1]، كما صنف "**نيل المطلوب في العمل بربيع الجيوب**" وهو عبارة عن رسالة تتحدث عن كيفية استخدام آلة "**الربع المجيب**"، التي اعتبرها الحباك «أحسن الآلات شكلا، وأحفها عملا وأخفها حملا، تساعد على معرفة الوقت وأوقات الصلاة وحركة النجوم والشمس والقمر»، لذا هجس في خاطره تقييد رسالة عن هذه الآلة حسبما أورده في قوله: «الحمد لله كثيرا إلى يوم الدين... وبعد... فانه لما كان الربع المجيب أحسن الآلات شكلا...هجس في خاطري أن أقيد عليه رسالة تذكرة لنفسي، ولمن شاء الله من بني جنسي»[2]، قسمها إلى:

***مقدمة:** تضمنت تسمية الربع المجيب وما يتصل بذلك، و10 أبواب:

***الباب1:** لمعرفة الجيب والجيب التمام والسهم والقوس والوتر واستخراج احدهما من الآخر.

***الباب2:** في معرفة الغاية وبعد القطر والأصل.

***الباب4:** لمعرفة نصف الفضلة وساعات الليل والنهار المستوية.

***الباب5:** في معرفة الدائر وفضله.

***الباب6:** معرفة الارتفاع من فضل الدائر.

***الباب7:** معرفة سعة المشرق والمغرب.

***الباب8:** لمعرفة الارتفاع الذي لا سمت له.

***البـــاب9:** في معرفة الظهر والعصر والفجر والشفق.

***الباب10:** في الجمع والطرح والضرب والقسمة[3].

كما ألف "**تحفة الأحباب في عدد السنين والحساب**"[4]، وله شروحات لكتب السابقين في علم الفلك مثل: شرحه **لرسالة الصفاري** (ت639هـ/1241م) سماها "**نظم رسالة الصفار في الإسطرلاب**"[5]، بالإضافة إلى شرح رجز الجادري "**روضة الأزهار في علم وقت**

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص ص109-110.

[2]- محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص387.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص ص111-112.

[4]- بشير ضيف، المرجع السابق، ص463.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص220.

الليل والنهار" سماه "**تفجير الأنهار خلل روضة الأزهار**" وهو شرح قصير لا يتجاوز 20 صفحة لكنه مفيد[1].

في حين أثرى **محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1490م)** هذا العلم من خلال "**عمدة ذوي الألباب ونزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب**" وهي شرح لأرجوزة ابن الحباك[2]، شرحها السنوسي شرحا جميلا حسبما أورده التنبكتي[3]، «ربط فيه بين علم الإسطرلاب والقيام بالواجبات الدينية لمعرفة أوقات الصلاة، واعتبره من أشرف العلوم الشرعية المبنية على دقة الحساب، ومساعدة الناس في معرفة حركات الأفلاك والكواكب...، لذا قام بمدح فائدته الكبيرة وزينته من نقوش ورسومات...، لذا حظي هذا الكتاب بمنزلة عظيمة عند السنوسي لذا جعله مقررا دراسيا»[4]، ولعل سبب تأليفها حسب السنوسي أنها تعتبر أفضل رسالة في علم الفلك قرأها، فكان الهدف من شرحها تسهيل حفظها على الطلاب وجعلها درسا عذبا سائغا، لأنها وردت بمفاهيم صعبة يصعب على الكثير من الناس فهمها والاستفادة منها، لذا كان لا بد من بسط حديثها وتفسير تراكيبها وتوضيح غوامضها وألفاظها، فكان ذلك سببا في شرحها[5].

كما ساهم في **ابن مرزوق الخطيب (الجد)** (ت781هـ) من خلال "**كتاب في التنجيم**"، **وحفيده** (ت842هـ) "**المقنع الشافي**" وهو أرجوزة في علم الميقات والفلك والحساب تتضمن 1700 بيت شعري[6]، أما **القلصادي** (ت891هـ) فله شرح لأرجوزة "**ابن فتوح في النجوم**"[7].

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص112.

2- عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ص136.

3- **نيل الابتهاج**...المصدر السابق، ص571.

4- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص476.

5- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ج1، ص111.

6- بشير ضيف، المرجع السابق، ص463.

7- القلصادي، المصدر السابق، ص46.

4- علـــم الفلســـــفة:

أ- مفهومـــــها:

هي فرع من العلوم العقلية، مشتقة من اللفظ اليوناني "**فيلا سوفيا**" ومعناها: "**محبة الحكمة**"، والفيلسوف **محب الحكمة**، أما اصطلاحا فهي: «علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح»[1]، أو هي حسب ابن خلدون «علم يدرك الوجود كله الحسي منه وغير الحسي بالأنظار الفكرية والقيسية وبالأدلة العقلية، وتصحيح العقائد اليمانية والتمعن فيها للوصول إلى المعرفة الحقيقية»[2]، وتنقسم إلى قسمين: **فلسفة قولية** من خلال قول الحق، وأخرى **فعلية** من خلال فعل الصواب[3].

ب-واقع الفلسفة ببلاد المغرب الأوسط وموقف العلماء منها:

كانت الفلسفة على قائمة العلوم المحرمة وغير المرغوب فيها خلال الفترة الوسيطية سواء في بلاد المغرب أو الأندلس، حيث لم تلق الاهتمام الكبير، وعن ذلك كتب عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته محور بعنوان: «**في إبطال الفلسفة وفساد منتحليها**»[4]، أما المقري فقد أشار بأنها لم تنل حظها من الاهتمام كسائر العلوم، وسميّ منتحلها **بالزنديق** وذلك في قوله: «وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فانه كلما قيل "فلان يقرأ الفلسفة" أو "يشتغل بالتنجيم" أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان، أو يقتله السلطان تقربا إلى قلوب العامة، وكثيرا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت»[5].

أما ابن سعيد الغرناطي فقد اعتبر الفلسفة «علم ممقوت لا يستطيع صاحبه إظهاره وتخفى تصانيفه، وتعرض الكثير من منتحليها للاضطهاد وحتى القتل»[6]، لذا كان وجودها

1- الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**...المصدر السابق، ص131.

2- **المقدمة**...المصدر السابق، ص551.

3- ساجقلي زاده، المصدر السابق، ص223.

4- **المقدمة**...المصدر السابق، ص551.

5- **نفح الطيب**...المصدر السابق، ج1، ص221.

6- عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية**...المرجع السابق، ص89.

ضعيفا عند المغاربة والأندلسيين، هذا ما دفع ابن طفيل إلى اعتبارها «أعدم في المغرب من الكبريت الأحمر»، والسبب راجع إلى الملة الحنفية والشريعة الإسلامية التي منعت الخوض فيها وحذرت منها[1]، فلم يكن لها مجالا لتعيش وتترعرع وتنتشر خاصة وأنها اصطدمت بقوة المذهب المالكي في بلاد المغرب الأوسط خاصة خلال العهد الزياني[2]، فالسلاطين كانوا يتدخلون لمنع تدريس بعض العلوم المشبوهة كالفلسفة التي تخالف مذهبهم ويشجعون على تدريس علوم أخرى، وتبعا لذلك كان «الأساتذة مضطرين إلى توجيه ونصح طلابهم بالابتعاد عن دراستها، وحتى المكتبات كانت ملزمة بعدم اقتناء كتب الفلسفة التي تتعارض محتوياتها مع أفكار بعض الفقهاء والمتشددين أو السلفيين»[3]، لأن قراءة هذه الكتب تكسب المطلع عليها «جرأة على المعاني وتسهيلا للهجوم على الحقائق» لأن الفلاسفة لا يتقيدون بحكم الشرع ولا يخافون من مخالفة أئمة يتبعونهم[4].

وهذا ما حذر منه ابن خلدون ودعا إلى الإعراض عنها لأن ضررها في الدين كثير[5]، فابن هدية القرشي اعتبر أن الفلسفة عند أهل السنة كفر صريح حيث قال: «والفلسفة عند أهل السنة وكافة الأشعرية عبارة عن الزندقة البحتة والضلالة المحضة والكفر الواضح، الناشئ عن مطلق الخلاف الواضح...فوجب تكفيرهم وتكفير شعثهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفرابي وغيرهم من المهتدين بهديهم المقتدين برأيهم عليهم لعنة الله أجمعين»[6]، وقد قال الإمام السنوسي عنها في شرحه عقيدته: «وقل أن يفلح من أولع بصحبة كلام الفلاسفة، أو يكون له نور إيمان في قلبه أو لسانه، وكيف يفلح من والى من حادّ الله ورسوله»، أما السيوطي قال عنها: «قوم غلب عليهم الجهل... وأعماهم حب الرياسة وأصمهم، قد نكبوا (عدلوا) عن علوم الشريعة ونسوها، وأكبوا على علوم الفلاسفة وتدارسوها،

1- لطيفة بنت محمد البسام، **الحيـــاة العلمية في افريقية في عصر بني زيري**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 2001، ص231.

2- محمد الطمار، **الأدب الجزائري**...المرجع السابق، ص221.

3- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص ص348-350.

4- تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية**...المصدر السابق، ج6، ص241.

5- **المقدمة**...المصدر السابق، ص551.

6- المهدي البوعبدلي، **أهم الأحداث**...المقال السابق، ص131.

يريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيرا، ويبغي العز ولا علم عنده فلا يجد له وليا ولا نصيرا»، لذا أفتي بتحريم الاشتغال بها[1].

ج- أبرز فلاسفة المغرب الأوسط خلال فترة البحث:

وجدت الفلسفة خلال فترة الدراسة وجودا ضعيفا كما وضحناه لذا كان من الصعب إعطاء نماذج عن علماء اشتغلوا بها، فما توفر لدينا هو فقط الحديث عن **ابن خميس** (ت708هـ/1308م) أوردناه فيما سبق شاعرا وأديب لكنه في الوقت نفسه فيلسوف له "**رسالة في الفلسفة**" أوردها لسان الدين بن الخطيب في كتابه وهذه مقتطفات مما جاء فيها: «...وجاء بها قدماء الحكماء كل أوحدى الأحوذية، فباتت تخب إليه وتوضع، باحثة عن دارتهم الفيثاغورية، آخذة في إصلاح هيئتهم الانكساغورية، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا علوم مقايسهم البرهانية، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نواميسهم الكلدانية، من مأثور تأثير لاهوتية قوامهم السيماوية، راغبة فيما يفاض على مادتها الجسمانية، ويطرأ على عاقليتها الهيولانية، من علويات آثار مواهبها الربانية، موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة، موافقة لما وافق من شوارد آرائهم الموفقة أحسن موافقة...»[2].

إن هذه الرسالة تبرز «بوضوح نزعة ابن خميس الفلسفية فلا يستطيع فك رموزها وحل أقفالها إلا فيسلوف متخصص لذا أثارت عليه حفيظة بعض الفقهاء وأثرت على مكانته بتلمسان، حيث اتهموه بالكفر والزندقة خاصة **ابن هدية القرشي (ت736هـ)** الذي اتهمه بأنه يتفلسف ويحيد عن الشرع علما وعملا وينحرف»، باعتبار أن الفلسفة في تلك الفترة، وعند أهل السنة كفر صريح، لذا تمت محاكمته في فاس بتدبير من ابن هدية وبحضور جملة من علماء الأشعرية وفقهاء المالكية **كالشريف أبي بركات** لكشف مذهبه الفلسفي، وعن ذلك يقول ابن هدية: «ففتحوا باب المذاكرة وسلكوا سبيل المناظرة، وتفننوا في الكلام إلى أن أخذوا في الكلام استدراجا لابن خميس، واستخراجا لخب مذهبه الخسيس»، فدافع ابن خميس عن آرائه وأفحم خصومه بحجج قاطعة، ويردف ابن هدية قائلا: «فلم يلبث أن فاوضهم فيما عنده وكشف لهم معتقده، فانبرى له الشريف أبو البركات معارضا، ولمذهبه السيئ مناقضا،

---

[1]- ساجقلي زاده، المصدر السابق، ص223.

[2]- **الإحاطة**...المصدر السابق، ج2، ص559.

وكثر القول بينهما، وتخلى القوم عنهما فامتد مجال الجدال بينهما فلم يكن بأسرع من أن خاس ابن خميس، وخاست الفلسفة وسكت مدحوض الحجة، فلم ينطق ببنت شفة، ثم نظر في القول الصادر منه، وما ينشأ في الحكم الشرعي الصادر عنه»[1].

إن سكوت ابن خميس لم يكن بدحض حجته كما أورد ابن هدية، وإنما كان نتيجة اكتشافه للكمين الذي نصب له من قبل خصومه وبالخصوص الشريف أبي بركات الذي كان يستدرجه ليسجله في دفتر الزنادقة «فرسمه في ديوان الضلال والكفر ورسمه مع ما وسمه الله من التفلسف بانتحال الشعر»، لذا وجب هدر دمه، لكن فراره من فاس حال دون ذلك[2].

إن غياب أمثلة أخرى عن فلاسفة لا يعني عدم وجودهم، وإنما راجع لاحتياطهم وكتمان آرائهم الفلسفية خوفا على أنفسهم في بيئة جعلت من الفلسفة علما محرما وعاقبت كل من سولت له نفسه الأخذ بها، لأنها لم تكن يوما موضع الرضا والقبول من عامة المسلمين، وكان لها حظ من التعاسة والنكسة على غرار العلوم الأخرى، وقد يصبح الفيلسوف إذا افتضح أمره موضع السخرية المبتذلة والحقيرة من العامة، وقد تبلغ الشبهة بصاحبها أن تعطى خاتمة حياته شكلا مأساويا[3]، كما أن الفلسفة لم تدخل المغرب الإسلامي والأندلس «صريحة ظاهرة بوجه مسفر، وإنما وفدت عليه صحبة العلوم التطبيقية كالفلك والرياضيات والطب، أو تسربت إليه متسترة في ثنايا بدع الاعتزال وبعض مذاهب الباطنية»[4].

1- المهدي البوعبدلي، **أهم الأحداث**...المقال السابق، ص ص131-132.

2- المقال نفسه، ص132.

3- خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ص69-70.

4- انجل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، (دت)، ص ص325-326.

5- علــم المــوسيقـــــى:

أ- مفهومـــــــها:

عرفها أرسطو طاليس بأنها «أعلى نمط من المعرفة»[1]، أما الخوارزمي فاعتبرها «تأليف الألحان»[2]، وهي «صناعة في تأليف النغم والأصوات ومناسباتها وإيقاعاتها وما يدخل منها الجنس الموزون والمؤتلف بالكمية والكيفية» حسب الفرابي[3]، الذي قسمها إلى نظرية وعملية[4]، أما ابن خلدون فسماها «صناعة الغناء»، وقال بأنها تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة ومعروفة، وتأليف النغم الذي يلذ سماعه والصوت وحدة نغمية معدودة، وحركات الأنغام هي بمثابة أعداد بانتظام وتتحد[5]، وقال في موضع قال إنها فرع من الرياضيات تصنف ضمن العلوم العقلية، وهي «معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء»[6].

أما اليوسي فعرفها بأنها «العلم الباحث عن النغمات وما يعتريها من الإيقاعات وانتظام اللحون المختلفة، وإيجاد الآلات الصالحة، موضوعها الصوت، ومنفعتها التأثير في النفوس بسطا وقبضنا، وما ينشأ عنه من الالتذاذ والاهتزاز إلى أقوال وأفعال»[7]، كما أن العلم بالموسيقى يختلف من المبدأ عن بقية العلوم والفنون الأخرى بسبب انعدام صورة المادة في موضوعها، فالأصوات لا هي منظورة ولا هي ملموسة، يشترك فيها السمع والبصر مع الإحساس والإرادة في تحليل التراكيب الصوتية[8]، وعلم الموسيقى ينقسم إلى خمسة أجزاء وهي: في المبادئ وكيفية استنباطها، وفي النغم وأحوالها، وفي الإيقاع وفي كيفية تأليف الألحان، وأخيرا في إيجاد الآلات الموسيقية[9].

---

[1]- عبد الكريم ذنيبات، المرجع السابق، ص202.

[2]- الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**... المصدر السابق، ص239.

[3]- أبو نصر الفرابي، **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبه ومحمود احمد الحنفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (دت)، ص15.

[4]- **ينظر**: أبو نصر الفرابي، **إحصاء العلوم**...المصدر السابق، ص ص60-61.

[5]- **المقدمة**...المصدر السابق، ص459.

[6]- المصدر نفسه، ص516.

[7]- **القانون**...المرجع السابق ص154؛ **ينظر أيضا**: القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص532.

[8]- أبو نصر الفرابي، **كتاب الموسيقى**...المصدر السابق، ص17.

[9]- ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص ص218-219.

ب-واقع الموسيقى ببلاد المغرب الأوسط خلال فترة البحث:

عرف العرب الموسيقى قبل مجيء الإسلام واستخدموها في أحزانهم وأفراحهم، ولما جاء الإسلام حرم ما تنافى مع معتقداته ومنع الموسيقى والحفلات التي تؤدي إلى المنكر، وسمح بالعزف بالإنشاد وضرب الدفوف[1]، ورغم الاحترازات الدينية والتزمت من رجال الدين الذين كانوا مناهضين لكل الآلات الموسيقية -عدا الدّف- أمثال المهدي بن تومرت الذي حطمها أثناء دعوته الاصلاحية[2]، وإنكار الونشريسي لها في قوله: «ومنها متخذ للملاهي وأنواع الغناء المحرمات والآلات والمزامير صناعة وحرفة ويكتسبون بها ويستأجرون عليها عن السرور مثل الزفافين والمغنيين»[3]، إلا أن الميل للموسيقى كان منتشرا بما فيه الكفاية، فقد أشار الوزان إلى أن ببجاية أناسها طيبون ميّالون إلى المرح والموسيقى والرقص[4]، أما سكان دلس كانوا كلهم تقريبا يحسنون العزف على العود والقيتار[5]، حيث شاعت عدة آلات موسيقية منها:

***الشّبّابة:** وهي قصبة جوفاء بها ابخاش (ثقوب) في جوانبها ينفخ فيها فيصدر منها الصوت مع وضع أصابع اليدين على الثقوب للتحكم في الصوت وتقطيعه.

***المزمار:** ويسمى **الزّلاميّ** وهو قصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء بها ثقوب.

***البــوق:** وهو أحسن الآلات، مصنوع من النحاس أجوف ينفخ فيه بحيث صوتا ثخينا دويا

***آلات الأوتار:** وهي جوفاء إما على شكل كرة مثل **المربط والرباب** أو على شكل مربع **كالقانون**[6].

ولعل أهم المجالات التي استعملت فيها الموسيقى خلال العهد المدروس كثيرة، فكانت العديد من القصائد العربية والبدوية والحضرية تغنى لما للموسيقى من علاقة متينة بالشعر، كما كان بعض القراء وخلافا لتعاليم الدين الصارمة يميلون إلى قراءة النصوص الدينية

---

[1]- عوض عبد الكريم ذنيبات، المرجع السابق، ص ص202-203. **راجع عن ذلك:** عبد الرحمن مرحبا، المرجع السابق، ص456.

[2]- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص432.

[3]- الونشريسي، **المعيار**...المصدر السابق، ج5، ص276؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1،ص291.

[4]- **وصف إفريقيا**...المصدر السابق، ج2، ص51.

[5]- المصدر نفسه، ج2، ص42.

[6]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص 459-460.

النثرية بالتلحين، كما أن بعض الطرق الصوفية أقرت مبدأ إقامة الحفلات الموسيقية الروحية رغم أن استعمال الموسيقى لأغراض دينية، ممنوع من حيث المبدأ[1].

كما أن الموسيقى لم تكن تقتصر على إحياء الحفلات والأعراس التي كانت تحضرها فرق موسيقية وتقوم الجواري بالغناء فيها، وإنما كان لها حضور داخل المستشفيات، بحيث كان للموسيقيين وقف داخلها فكانوا يزورونها مرة أو مرتين في الأسبوع، وكانوا يقدمون للمرضى عامة وأصحاب مرض الحمق خاصة نغمات موسيقية مناسبة لهم، لما لها من دور في انشراح الصدر وإنعاش الروح وتقوية ضربات القلب وعودة الأعضاء الجسمية إلى تأدية وظائفها[2]، فقد صح عن أحد الأطباء الذي كان يداوي مرضاه بالموسيقى قوله: «قد صح عندي أن الموسيقى والرياضة ملائمان ومربيان للطبيعة، والذي يمكنه استعمال هاتين الصناعتين استعمال جيدا فانه يورث بدنه أدبا، ونفسه حسنا وسلامة»[3].

كما كان لها وجود داخل البلاطات السلطانية، ولعل الموسيقى الأندلسية هي التي كانت رائجة باعتبارها موسيقى راقية ومهذبة، مازالت آثارها باقية إلى اليوم تحت اسم "**المألوف**"، ومما لاشك فيه أن السكان الريفيين قد احتفظوا بموسيقى أبسط من الموسيقى الأندلسية إما ذات أصل عربي أو بربري أو خليط، كما كان الاحتفال بالمولد النبوي ذاته مناسبة لإقامة الحفلات الموسيقية، إلا أن ما يمكن توضيحه أن استعمال الآلات الموسيقية لم يقتصر على إقامة الحفلات والأفراح، وإنما استعملت الأبواق في المساجد خلال شهر رمضان، كما استعمل الطبل كأداة تنبيه ولكن لأغراض عسكرية فقط للإنذار بالخطر[4].

ويعدّ عبد الرحمن بن خلدون من أهم علماء المغرب الأوسط ومن القلائل الذين كتبوا عن الموسيقى خلال العهد المدروس، حيث أفرد فصلا في مقدمته سماه "**في صناعة الغناء**"، وضح فيه مفهوم الموسيقى التي يراها أنها صناعة، وهي آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كمالية، لا يحتاج إليها إلا في الفراغ والفرح تستعمل في الولائم

---

[1]- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص432.

[2]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج1، ص247، ص291.

[3]- لطيفة بنت محمد البسام، المرجع السابق، ص244.

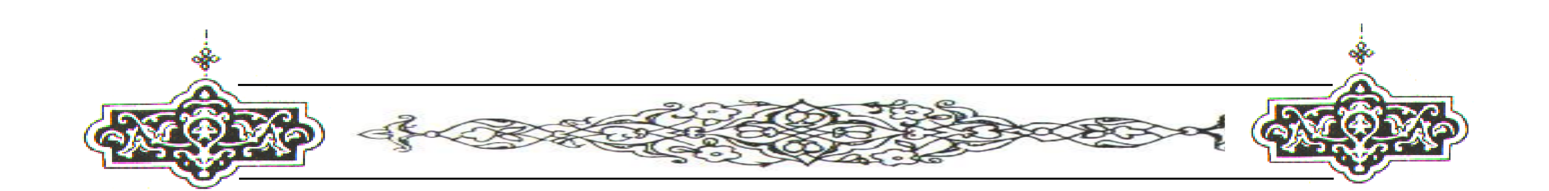
[4]- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص ص432-434.

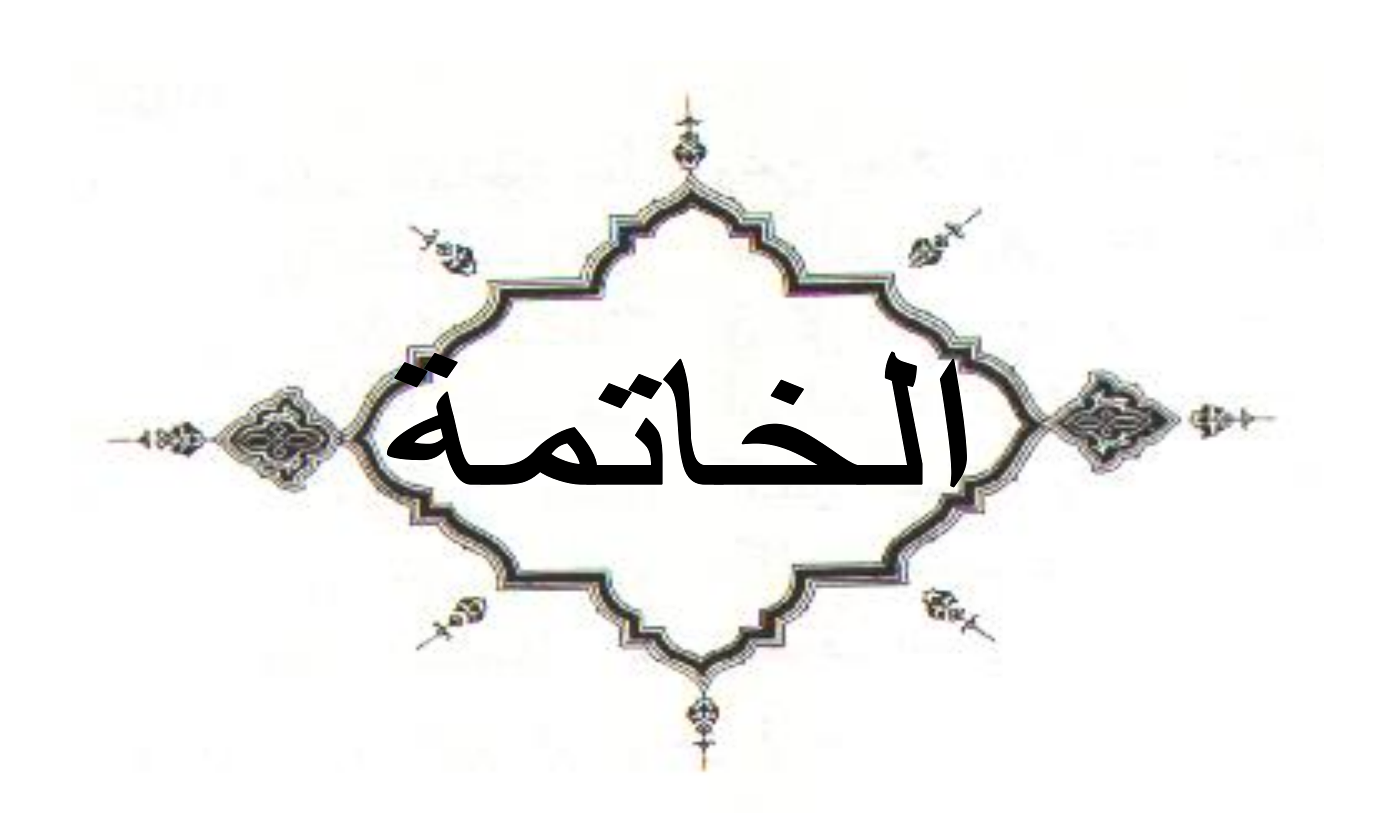
والأعراس والأعياد ومجالس الفراغ واللهو[1]، في حين تغيب نماذج أخرى لتعطينا تفاصيل عن هذا العلم الحيوي داخل المجتمع، ولعل أسباب ذلك راجع إلى تعارض هذا العلم مع الدين الإسلامي، كما هناك غياب تام لأهم موسيقيي المغرب الأوسط خلال العهد المدروس.

وصفوة القول أنه على الرغم من تنوع العلوم العقلية خلال العهد المدروس من رياضيات ومنطق وطب وصيدلة...، إلا أنها لم تحظ بالاهتمام الذي حظيت به العلوم النقلية وبالدرجة الأولى العلوم الدينية رغم أهمية هذه العلوم، كما توصلنا أنه زيادة على قلة الإنتاج العلمي فيها إلا أنها طغت عليها الشروح والاختصارات لعلوم السابقين وقلّ فيها الإبداع العلمي[2].

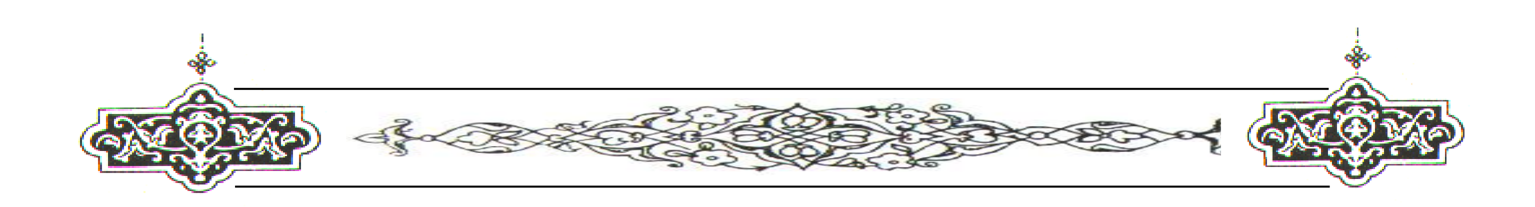
1- **المقدمة**...المصدر السابق، ص464.

2- **ينظر الملحق رقم: 14 (تقييم عام للعلوم بأصنافها وأنواعها خلال العهد الزياني).**





الخاتمة



خاتمـــــــة

وصفوة القول أن حقل العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م) قد ساهم في تطوره وتنوعه من علوم دينية ولسانية واجتماعية وعقلية، وانحطاطه جملة عوامل لعل أهمهـا:

دور السلاطين الزيانيين والحفصيين والمرينيين الذين تداولوا على حكم بلاد المغرب الأوسط الذين لم يجدوا من هذه البلاد بلادا قاحلة من المعارف بالعكس وجدوها بلغت شأنا كبيرا في هذا الميدان، لكن فضلهم كان كبيرا على المعارف عظيما، حيث حافظوا على ما اختاروه منها إلى حد كبير، وشجعوها كما شجعوا كثيرا من العلوم التي لم تكن رائجة أو كان محظورا رواجها في العهد المرابطي كالأصول مثلا، وتفننوا في تشجيعهم بكل الطرق والوسائل ماديا ومعنويا، فأسسوا المؤسسات خاصة المدارس والمكتبات واستقدموا إليها كبار العلماء، وأغدقوا عليهم الصلات والهدايا، وأمدوهم بكل ما يحتاجونه من سبل العيش الكريم، فكان لذلك نتائج ايجابية على المستويين الاجتماعي والثقافي - رغم الاضطرابات السياسية والتناحر الإقليمي، والخطر الخارجي الذي عاشه المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة-، خاصة في بث العلم ونشره في المجتمع، فكان عصرهم عصرٌ تحول فيه التعليم من تعليم مسجدي صرف إلى تعليم يعتمد على المدرسة كمؤسسة جديدة مهيمنة على التعليم والتوجيه.

وقد لعبت الرحلة العلمية دورا كبيرا في الحقل العلمي، حيث تعد شرف وفائدة للطالب في لقائه الشيوخ، وفي ذلك مزيد كمال من التعلم فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات وحصولها، وقد تزايدت الرحلات العلمية بنسبة كبيرة خلال فترة البحث، وقد كانت سببا في مد جسور العلم والثقافة، وتداول المعارف والكتب وتبادل الإجازات وبروز كوكبة من العلماء الذين تميزوا بغزارة التحصيل، حيث ادخلوا مؤلفات ومعارف عديدة وطرق تدريس جديدة وعديدة، باعتبارها أصل جمع العلم وخير حافز لدعم حركة التصنيف والإنتاج الأدبي والعلمي، والاستغناء عنها يؤدي إلى الجمود وهذا ما حدث فعلا خلال القرن التاسع هجري.

وهو الدور الذي قامت به الجالية الأندلسية التي استقرت بالمغرب الأوسط، حيث كان تأثيرها واضح في مختلف الميادين خاصة الجانب الثقافي، حيث ورّثوا علومهم ومعارفهم

للمغرب الأوسط فكان لهم دور في الريادة والإبداع، وكان نشاطهم استمرارا للإسهام الفكري والإنتاج العلمي الأندلسي.

كما أن الفضل يعود أيضا إلى ظهور وتطور العلوم إلى الوراقة وازدهار النسخ حيث ساهمت في إحداث ثورة علمية هائلة في جميع فروع العلم والمعرفة، إذ أصبح لمصطلح الناشر في عصرنا الحالي، حيث شملت عملية النسخ جميع مختلف ألوان الفنون والعلوم.

بالإضافة إلى المؤسسات التعليمية التي كانت فعلا مؤسسات تعليمية رائدة ساهمت مساهمة فعالة في تعليم المجتمع وتربيته، وعملت على ترقية العلوم وتوريثها للأجيال اللاحقة، وقد تخرج من أحضانها كبار العلماء، وعددا لا يحصى من الرواد المثقفين، فكانت سببا في الارتقاء بنوعية العلوم وفي تنوير المجتمع ، ولولاها لما استطاع العالم أن يصل إلى مستويات متميزة في إدرار العلوم وتنوعها وتوسعها وفي مد الحركة العلمية بنفس طويل.

لقد تظافرت جهود الحكام والعلماء ومختلف المؤسسات التعليمية في نشر العلوم والمعارف، والحرص على صيانتها واستمرارها، حيث تنوعت اختصاصاتها وتنوعت الكتب لدراستها وتدريسها، إلا أن العلوم النقلية استحوذت على حصة الأسد في التدريس والتأليف نظرا لشيوعها في المغرب الإسلامي كله، ولطبيعة العصر الذي اعتنق الرواية والنقل عقيدة راسخة لا يستطيع الخروج منها، وصارت النقول أهم ما يميز الحركة العلمية، فكان للعلوم الدينية النصيب الأكبر من قراءات وتفسير وحديث وفقه وأصوله وتصوف مع تفاوت فيما بينها، بالإضافة إلى العلوم اللسانية والتي رغم قلة الإبداع فيها وكثرت اجترار كتب السابقين باستثناء القصائد التي جادت بها قرائحهم في مختلف المناسبات.

وفي مجال التاريخ أبدعوا فكتبوا في مختلف فروعه من سيرة وتراجم ومناقب وفهارس...، فبرز أعلام لا زالت كتبهم شاهدة على حضارتهم، ورغم إنتاجهم القليل في مجال السياسة إلا أنهم دونوا ما تعلق بوصايا الملوك أو ما تعلق بالفقه السياسي في محاولة إلى إصلاح أوضاع المجتمع.

كما ما كان للعلوم العقلية حضورا كالحساب وعلم الفلك والمنطق والطب والصيدلة، وان كان اقل در ما هو عليه في العلوم النقلية، نظرا لسيطرتها على الحياة العلمية والثقافية للمجتمع المغاربي، بحيث قلصت من فرض انتشارها وتداولها الواسع بين طبقات الناس، أما باقي العلوم العقلية فلم تحظ بأي اهتمام في إنتاج العلوم إلا في النادر كما هو الحال لعلم الموسيقى الذي لا يتماشى مع مبدأ الدين الإسلامي، وعلم الفلسفة الذي يعد من العلوم المحرمة التي دفع أصحابها ثمن اشتغالهم بها.

كما سجلنا من خلال هذه الدراسة ارتفاع متزايد وكبير من فترة لأخرى خلال العهد المدروس لكتب الشروح والمختصرات للكتب القديمة، وانخفاض للإبداع والاجتهاد للتآليف، وبالتالي غلبت تلك التآليف تؤكد أن العصر انساق إلى الاستهلاك الثقافي والركون إلى العقل، وابتعد عن كل ما ينشط العقل ويحرك باب الاجتهاد ويخلق الإبداع، وبالتالي ساهم ذلك في جعل العلوم تدور في حلقات ثابتة، لا تعدو أن تكون عمليات اجترار لما كان، دون محاولة السير نحو الأحسن والإبداع وبالتالي السير باتجاه الانحطاط العقلي.

وما يمكن قوله أيضا أن الاهتمام المكثف بالعلوم النقلية في شروح ومختصرات قد ساهم بشكل غريب في تغطية مكثفة على العلوم العقلية التي تعتمد على الملاحظة والتجارب، في سد الطريق أمام نموها، وكيف تنمو الملاحظة أو تتطور التجارب، والعقل مشغول على مدار السنة بعالم من النقول التي كبلت حريتها وحركته وألزمته تتبع أقوال القدامى دون الخروج عنها، وبالتالي تلك الحركة غيبت العقل عن وظيفته الحقيقية في التفكير والإبداع والارتقاء بهما.

وفي الأخير توصلنا أن إهمال العلوم العقلية واجترار الكتب السابقة فيها وقلة الإبداع كانت سببا في تلقي العقل الإسلامي ضربات موجعة، جعلت منه وعاء ناقلا للعلوم السابقة وحجبت عنه بوادر الإبداع، وبالتالي الركود العقلي والعلمي والمضي في الانحطاط باطراد مستمر جعل من الأمة الإسلامية عامة والمغرب الأوسط فريسة سهلة لكل أنواع الاستعمار.

ورغم تنوع وكثرة تراثنا النقلي والعقلي سواء كان إبداعا أو شروحات إلا أن العديد منه مازال في طي النسيان مخطوطا مغمورا بين رفوف المكتبات ينتظر من ينفض عنه الغبار،

خاتمـــــــة

فتحقيقه ونشره سيساهم في إثراء الرصيد المعرفي لحضارتنا المجيدة على أتم وجه، كما أن دراسة جزء أحسن بكثير من الكل، وبالتالي الاقتصار على دراسة علم واحد من هذه العلوم بكل حيثياته ورواده كفيل بإعطاء نتائج جدا ايجابية، ولما لا نوحد الدراسات السابقة ونحاول كتابة تاريخ علومنا في قالب واحد، سيثري هذا العمل تاريخنا ويقوي حضارتنا.

وفي الأخير آمل أن يكون هذا العمل المتواضع قد أسهم بجديد في حقل تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، وهو ينتظر كلّ من يقف على أخطائه وتقصيراته وهفواته أن يصوبه ويعدله ويجنه الزّلل، وصفوة القول أدعو الله أن يعدّ جهدي هذا من العمل الصّالح، وهو الموفّق والهادي إلى سبيل الرّشاد.

والله من وراء القصـــد



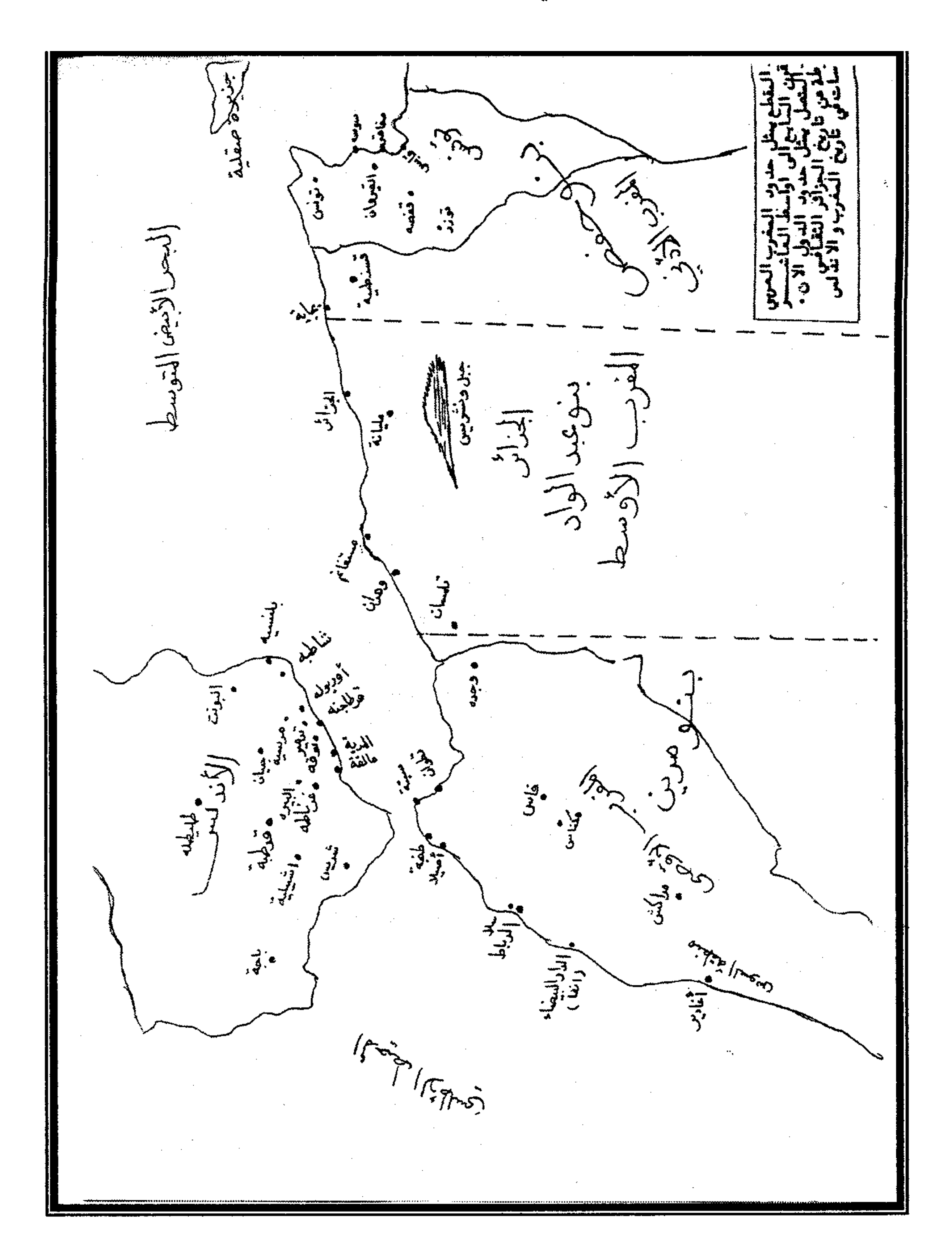


قائمة الملاحـــق



الملحـــق رقم 01:

خريطة المغرب الاسلامي ما بين القرنيين (9-7هـ/13-15م)



الملحــق رقم 02:

سلاطيـــن الدولـــــة الزيانيـــــــــة (633-692هـ/1235-1554م)[1]

1. أبو يحيى يغمراسن بن زيان: (633-681هـ/1235-1282م).
2. أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن: (681-703هـ/1282-1303م).
3. أبو زيان محمد بن عثمان الأول: (703-707هـ/1303-1307م).
4. أبو حمو موسى بن عثمان الأول: (707-718هـ/1307-1318م).
5. أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو الأول: (718-737هـ/1318-1337م).
6. أبو سعيد عثمان الثاني: (749-753هـ/1348-1352م).
7. أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف: (760-791هـ/1359-1389م).
8. أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: (791-795هـ/1389-1392م)
9. أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني: (795-796هـ/1392-1393م).
10. أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني: (796-797هـ/1393-1394م).
11. أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: (797-801هـ/1394-1399م).
12. أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو الثاني: (801-804هـ/1399-1402م).
13. أبو عبد الله محمد الأول المعروف بإبن خولة: (804-813هـ/1402-1412م).
14. عبد الرحمن الثالث: (813-814هـ/1411-1411م).
15. السعيد بن أبي حمو الثاني: (814-814هـ/1412-1412م).
16. أبو مالك عبد الواحد بن حمو الثاني (المرة الأولى): (814-827هـ/1412-1424م).
17. أبو عبد الله محمد الثاني المعروف بإبن الحمراء (المرة الأولى): (827-831هـ/1424-1428م).
18. أبو مالك عبد الواحد (المرة الثانية): (831-833هـ/1428-1430م).
19. أبو عبد الله محمد الثاني (المرة الثانية): (833-834هـ/1430-1431م).
20. أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني: (834-866هـ/1431-1462م).
21. أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله: (866-873هـ/1462-1468م).
22. أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي: (873-910هـ/1468-1505م).
23. أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي: (910-922هـ/1505-1516م).
24. أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الأولى): (922-923هـ/1516-1517م).
25. أبو زيان أحمد الثالث: (923-924هـ/1520-1521م)
26. أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الثانية): (924-934هـ/1521-1528م).
27. عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي: (934-947هـ/1528-1540م).
28. أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني: (947-949هـ/1540-1542م).
29. أبو عبد الله محمد بن أبي حمو: (949-949هـ/1542-1542م).
30. أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (المرة الثانية): (949-957هـ/1542-1550م).
31. الحسن بن عبد الله الثاني الزياني: (962-975هـ/1550-1554م).

1- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...المرجع السابق، ج2، ص ص500-501.

الملحق رقم 03:

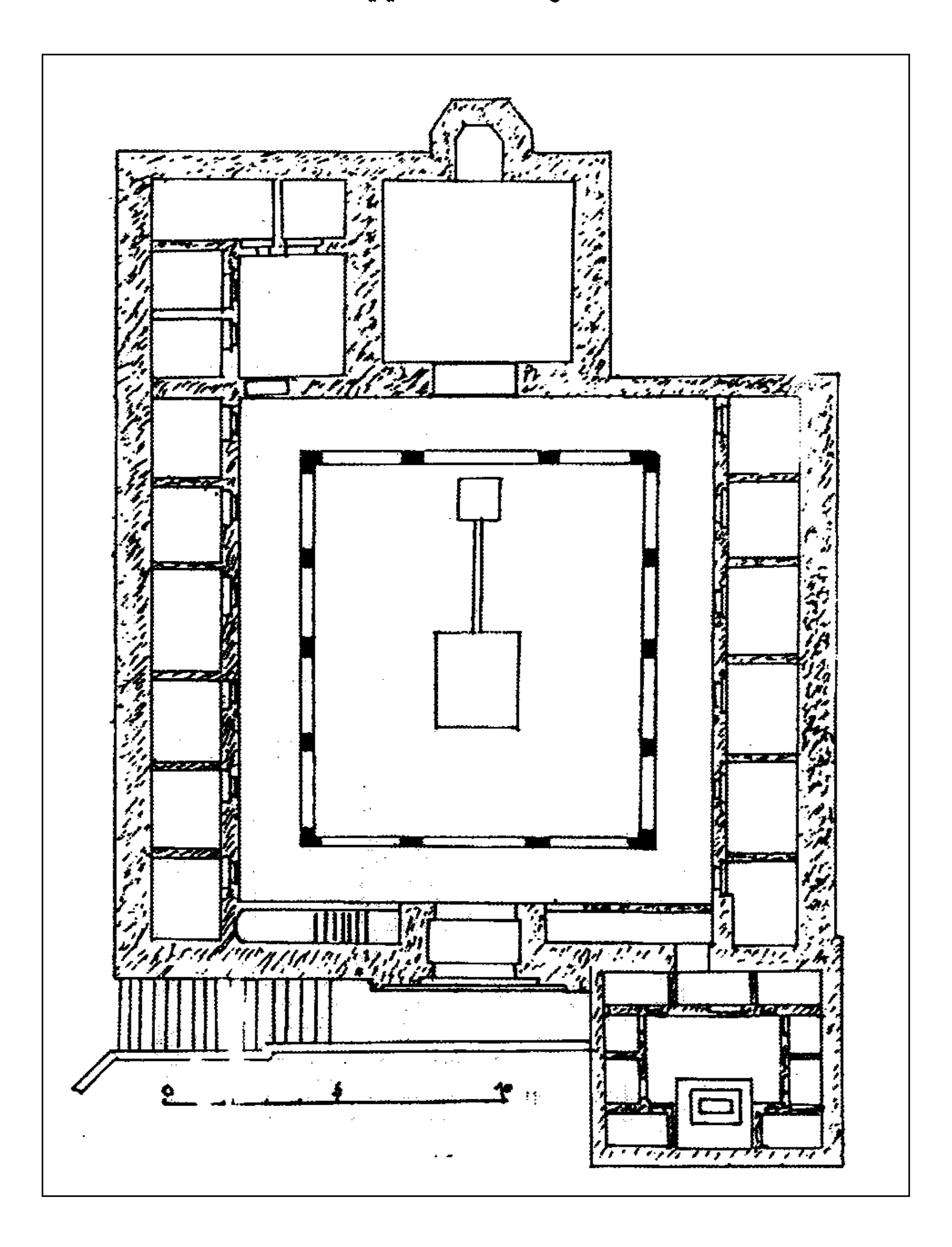
نَص الرُّخَامة الخاصة بالمسجد الكبير بمدينة مستغانم:
تَتَضَمَّن التَّأسيس والتَّوقِيف عَلَى المَسجِد.

«الحَمدُ لله رَبِّ العَالمَينَ والعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ أَمَرَ بِبِنَاءِ هَذَا الجَامِع المُبَارَك سَيِّدُنَا ومَولَانَا الأَعدَل عَبدِ الله عَلِي أَمِيرِ المُسلِمِينَ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ العَالمَينَ أَبُو الحَسَن بَن مَولَانَا أَمِير المُسلِمِينَ المُجَاهِد فِي سَبِيلِ رَبِّ العَالَمِينَ أَبِي يُوسَف بَن عَبدِ الحَقِّ وصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّهِ وبَلَغَه فِي فِعلِ الخَيرِ سَعيَهُ ومَقصُودَه وجَعَلَ مُلُوكَ الشِّركِ خَولَه وعَبِيدَه. وذَلِك فِي عَام إِثنَين وأَربَعِينَ وسَبعُ مَايَة، وحُبِسَ عَلَيهِ خُلدَ الله مَفَاخِرَهُ وأُرِيدَ آثَارُهُ الكَرِيمَة ومَآثِرَهُ حَانُوتَينِ ثنَتَينِ بِالسُّوقِ الكَبِيرِ فَتَحَ بَابَا هُمَا قِبلَة وهُمَا المُلَاصِقَتَانِ لِدَارِ إبنِ أَبِي عَرُوز وفَرنِي إِثنَينِ أَحَدُهُمَا قبلى هَذَا الجَامِع المُبَارَك والآخَر عَن يَمِينِ الخَارِج مِن بَابِ البَلَدِ وثَلَاثُ جِرَارٍ مِن الزَّيتِ المُستَفَادِ مِن العُشرِ لِتُصرَفَ غَلَّاتُ الرَّبِيعِ المَذكُورِ فِي مُرَتَّبِ الإِمَامِ الخَطِيبِ، وقُرَّاة الحِزبِ والمُؤَذِّنِينَ والحِصَر بَعدِ الدُّومِ، والإِصلَاحِ ويُصرَف مِن الزَّيتِ المَذكُورِ فِي الاِستِصبَاحِ ويَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي ذَلِكَ وصَرفِه حَيثُ ذَكَرَ القَاضِي والخَطِيبَ مَعًا، وعَشَرَة مِن أَهلِ الخَيرِ نَفَعَنَا الله بِذَلِكَ المَقَامِ العَلِيِّ وضَاعَفَ أَجرَهُ وأَطَالَ عِزَّهُ»[1].

[1]– مولاي بلحميسي، "**في تاريخ جامع مستغانم العتيق**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السّنة3، العدد12، 1973، ص134.

الملحق رقم 04:

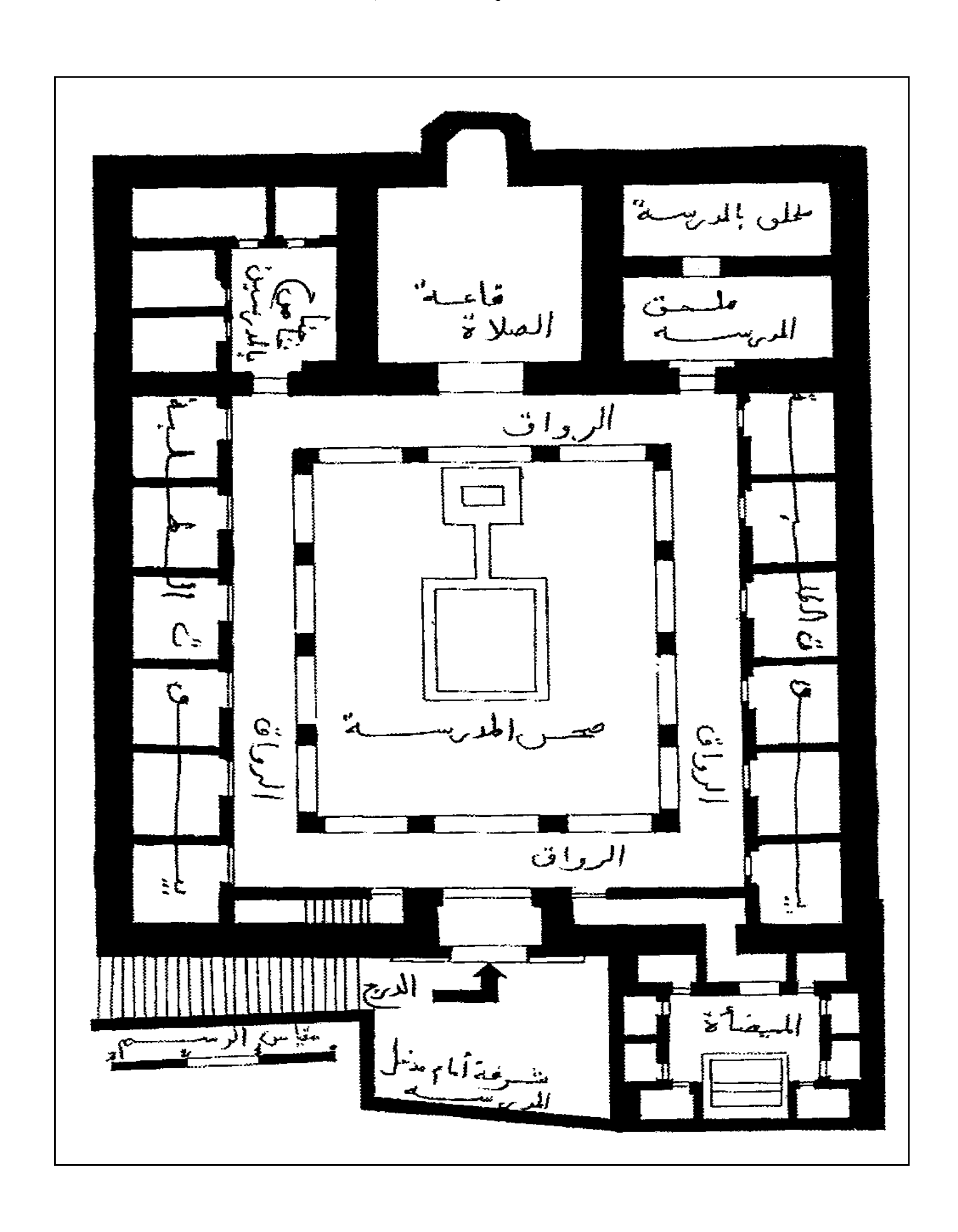
مخطط المدرســـــة التاشفينيــــــــة[1]:



[1]- صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص165.

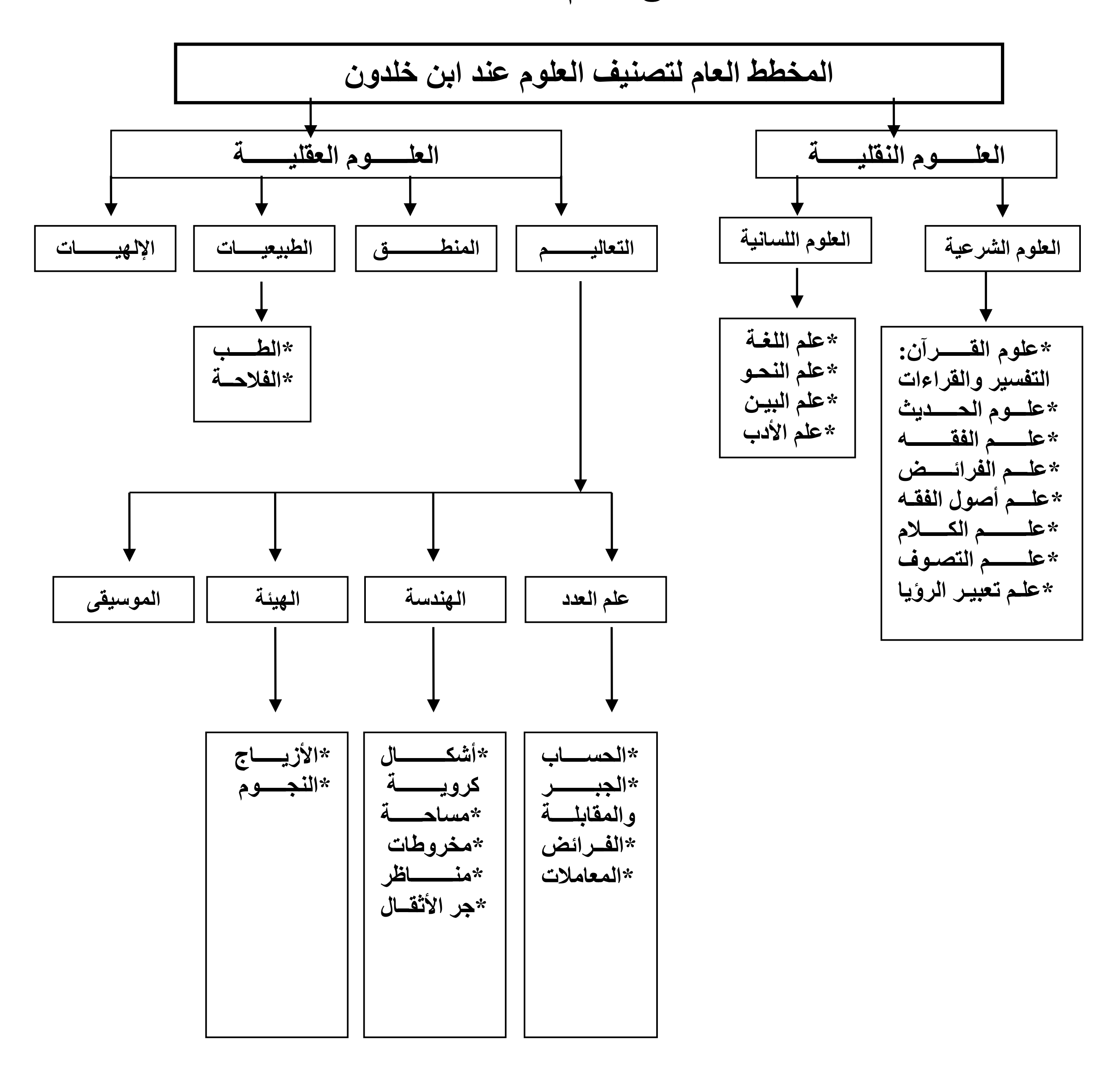
الملحق رقم 05:

مخطط مدرســـــة العبـــاد[1]:



[1]– صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص165.

الملحـــــق رقــم: 06



[1] عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**...المصدر السابق، ص ص471-541.

الملحق رقم: 07

المخطط العام لتصنيف العلوم عند القلقشندي[1]

الأصل 1 علم الأدب	الأصل 2 العلوم الشرعية	الأصل 3 العلم الطبيعي	الأصل 4 علم الهندسة	الأصل 5 علم الهيئة	الأصل 6 علم العدد	الأصل 7 العلوم العملية
*علم اللغة *علم التصريف *علم النحو *علم المعاني *علم البيان *علم البديع *علم العروض *علم القوافي *علم قوانين الخط *علم قوانين القراءة	*علم النواميس المتعلقة بالنبوات *علم القراءات *علم التفسير *علم رواية الحديث *علم دراسة الحديث *علم أصول الدين *علم أصول الفقه *علم أصول الجدل *علم الفقه	*علم الطب *علم البيطرة *علم البيزرة *علم الفراسة *علم تعبير الرؤيا *علم أحكام النجوم *علم السحر والحرف والأوفاق *علم الطلمسات *علم السيميا *علم الكيمياء *علم الفلاحة *علم ضرب الرمل	*علم عقود الأبنية *علم المناظر *علم المرايا المحرقة *علم مراكز الأثقال *علم المساحة علم أنباط المياه *علم جر الأثقال *علم البنكمات *علم الآلات الحربية *علم الآلات الروحانية	*علم الزيجات *علم المواقيت *علم كيفية الأرصاد *علم تسطيح الكره *علم الآلات الظلية	*علم الحساب المفتوح *علم حساب التخت والميل *علم الجبر والمقابلة *علم حساب الخطأين *علم حساب الدور والوصايا	*علم السياسية *علم الأخلاق *علم تدبير المنزل

1- **صبح الأعشى**، ج1، ص ص468-478.

الملحق رقم:08 مقتطفات من: الشاطبية "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني" للإمام الشاطبي (ت590ه/1193م) [1]

١- بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللهِ فِي النَّظْمِ أَوَّلاَ … تَبَارَكَ رَحْمَانًا رَحِيمًا وَمَوْئِلاَ

٢- وَثَنَّيْتُ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَى الرِّضَا … مُحَمَّدٍ الْمُهْدَى إِلَى النَّاسِ مُرْسَلاَ

٣- وَعِتْرَتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ … تَلاَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْخَيْرِ وُبَّلاَ

٤- وَثَلَّثْتُ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ دَائِمًا … وَمَا لَيْسَ مَبْدُوءًا بِهِ أَجْذَمُ الْعَلاَ

٥- وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ … فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلاَ

٦- وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلَقُ جِدَّةً … جَدِيدًا مُوَالِيهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلاَ

٧- وَقَارِئُهُ الْمَرْضِيُّ قَرَّ مِثَالُهُ … كَالْأُتْرُجِّ حَالَيْهِ مُرِيحًا وَمُوكِلاَ

٨- هُوَ الْمُرْتَضَى أَمًّا إِذَا كَانَ أَمَّةً … وَيَمَّمَهُ ظِلُّ الرَّزَانَةِ قَنْقَلاَ

٩- هُوَ الْحُرُّ إِنْ كَانَ الْحَرِيَّ حَوَارِيًا … لَهُ بِتَحَرِّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلاَ

١٠- وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ … وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلاَ

١١- وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ … وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاَ

١٢- وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ … مِنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلاَ

١٣- هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً … وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى

١٤- يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ … وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاَ

١٥- فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا … مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاَ

١٦- هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا … مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَى

١٧- فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ … أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلاَ

١٨- أُولُو الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى ... حُلَاهُمْ بِهَا جَاءَ الْقُرَانُ مُفَصَّلَا

١٩- عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِسًا ... وَبِعْ نَفْسَكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْعُلَى

٢٠- جَزَى اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أَئِمَّةً ... لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلَا

٢١- فَمِنْهُمْ بُدُورٌ سَبْعَةٌ قَدْ تَوَسَّطَتْ ... سَمَاءَ الْعُلَى وَالْعَدْلِ زُهْرًا وَكُمَّلَا

٢٢- لَهَا شُهُبٌ عَنْهَا اسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ ... سَوَادَ الدُّجَى حَتَّى تَفَرَّقَ وَانْجَلَى

٢٣- وَسَوْفَ تَرَاهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ... مَعَ اثْنَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ مُتَمَثِّلَا

٢٤- تَخَيَّرَهُمْ نُقَّادُهُمْ كُلَّ بَارِعٍ ... وَلَيْسَ عَلَى قُرْآنِهِ مُتَأَكِّلَا

٢٥- فَأَمَّا الْكَرِيمُ السِّرِّ فِي الطِّيبِ نَافِعٌ ... فَذَاكَ الَّذِي اخْتَارَ الْمَدِينَةَ مَنْزِلَا

٢٦- وَقَالُونُ عِيسَى ثُمَّ عُثْمَانُ وَرْشُهُمْ ... بِصُحْبَتِهِ الْمَجْدَ الرَّفِيعَ تَأَثَّلَا

٢٧- وَمَكَّةُ عَبْدُ اللهِ فِيهَا مُقَامُهُ ... هُوَ ابْنُ كَثِيرٍ كَاثِرُ الْقَوْمِ مُعْتَلَى

٢٨- رَوَى أَحْمَدُ الْبَزِّي لَهُ وَمُحَمَّدٌ ... عَلَى سَنَدٍ وَهْوَ الْمُلَقَّبُ قُنْبُلَا

٢٩- وَأَمَّا الْإِمَامُ الْمَازِنِيُّ صَرِيحُهُمْ ... أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِي فَوَالِدُهُ الْعَلَا

٣٠- أَفَاضَ عَلَى يَحْيَى الْيَزِيدِيِّ سَيْبَهُ ... فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مُعَلَّلَا

٣١- أَبُو عُمَرَ الدُّورِي وَصَالِحُهُمْ أَبُو ... شُعَيْبٍ هُوَ السُّوسِيُّ عَنْهُ تَقَبَّلَا

٣٢- وَأَمَّا دِمَشْقُ الشَّامِ دَارُ ابْنِ عَامِرٍ ... فَتِلْكَ بِعَبْدِ اللهِ طَابَتْ مُحَلَّلَا

٣٣- هِشَامٌ وَعَبْدُ اللهِ وَهْوَ انْتِسَابُهُ ... لِذَكْوَانَ بِالْإِسْنَادِ عَنْهُ تَنَقَّلَا

٣٤- وَبِالْكُوفَةِ الْغَرَّاءِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ ... أَذَاعُوا فَقَدْ ضَاعَتْ شَذًا وَقَرَنْفُلَا

٣٥- فَأَمَّا أَبُوبَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ الْمُبَرِّزُ أَفْضَلَا

٣٦- وَذَاكَ ابْنُ عَيَّاشٍ أَبُوبَكْرٍ الرِّضَا وَحَفْصٌ وَبِالْإِتْقَانِ كَانَ مُفَضَّلَا

٣٧- وَحَمْزَةُ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ إِمَامًا صَبُورًا لِلْقُرَانِ مُرَتِّلَا

٣٨- رَوَى خَلَفٌ عَنْهُ وَخَلَّادٌ الَّذِي رَوَاهُ سُلَيْمٌ مُتْقَنًا وَمُحَصَّلَا

٣٩- وَأَمَّا عَلِيٌّ فَالْكِسَائِيُّ نَعْتُهُ لِمَا كَانَ فِي الْإِحْرَامِ فِيهِ تَسَرْبَلَا

٤٠- رَوَى لَيْثُهُمْ عَنْهُ أَبُو الْحَارِثِ الرِّضَا

وَحَفْصٌ هُوَ الدُّورِي وَفِي الذِّكْرِ قَدْ خَلَا

٤١- أَبُوعَمْرِهِمْ وَالْيَحْصَبِيُّ ابْنُ عَامِرٍ صَرِيحٌ وَبَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا

٤٢- لَهُمْ طُرُقٌ يُهْدَى بِهَا كُلُّ طَارِقٍ وَلَا طَارِقٌ يُخْشَى بِهَا مُتَمَحِّلَا

٤٣- وَهُنَّ اللَّوَاتِي لِلْمُوَاتِي نَصَبْتُهَا

مَنَاصِبَ فَانْصَبْ فِي نِصَابِكَ مُفْضِلَا

٤٤- وَهَا أَنَا ذَا أَسْعَى لَعَلَّ حُرُوفَهُمْ يَطُوعُ بِهَا نَظْمُ الْقَوَافِي مُسَهَّلَا

٤٥- جَعَلْتُ أَبَا جَادٍ عَلَى كُلِّ قَارِئٍ دَلِيلًا عَلَى الْمَنْظُومِ أَوَّلَ أَوَّلَا

٤٦- وَمِنْ بَعْدِ ذِكْرِي الْحَرْفَ أُسْمِي رِجَالَهُ

مَتَى تَنْقَضِي آتِيكَ بِالْوَاوِ فَيْصَلَا

٤٧- سِوَى أَحْرُفٍ لَا رِيبَةٌ فِي اتِّصَالِهَا وَبِاللَّفْظِ أَسْتَغْنِي عَنِ الْقَيْدِ إِنْ جَلَا

٤٨- وَرُبَّ مَكَانٍ كَرَّرَ الْحَرْفَ قَبْلَهَا لِمَا عَارِضٍ وَالْأَمْرُ لَيْسَ مُهَوِّلَا

١١٦٧- عَسَى اللهُ يُدْنِي سَعْيَهُ بِجَوَازِهِ وَإِنْ كَانَ زَيْفاً غَيْرَ خَافٍ مُزَلَّلَا

١١٦٨- فَيَا خَيْرَ غَفَّارٍ وَيَا خَيْرَ رَاحِمٍ وَيَا خَيْرَ مَأْمُولٍ جَداً وَتَفَضُّلَا

١١٦٩- أَقِلْ عَثْرَتِي وَانْفَعْ بِهَا وَبِقَصْدِهَا
حَنَانَيْكَ يَا أَللهُ يَا رَافِعَ الْعُلَى

١١٧٠- وَآخِرُ دَعْوَانَا بِتَوْفِيقِ رَبِّنَا
أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَحْدَهُ عَلَا

١١٧١- وَبَعْدُ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ الرِّضَا مُتَنَخَّلَا

١١٧٢- مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ لِلْمَجْدِ كَعْبَةً صَلَاةً تُبَارِي الرِّيحَ مِسْكاً وَمَنْدَلَا

١١٧٣- وَتُبْدِي عَلَى أَصْحَابِهِ نَفَحَاتِهَا بِغَيْرِ تَنَاهٍ زَرْنَباً وَقَرَنْفُلَا

تم

وَالْحَمْدُ لِلّهِ أَوَّلاً وَآخِراً

1- الشاطبي، **متن الشاطبية المسماة: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط5، 2010، ص ص1-4؛ ص94.

الملحـــــق رقم 09:

وصية المغيلي إلى أمير كانو بعنوان: ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه:

«من عبد الله تعالى محمد عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان (كنو) وفقه الله لما يرضاه، وأعانه على ما ولاه من أمور دينه ودنياه، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فانك سألتني أن اكتب لك جملة مختصرة، فيما يجوز للحكام في درء الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، انه لابد من درء المفاسد الدينية والدنيوية بالمقاطع الشرعية على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساد مع إمكان رده عنه بسبب، أو حبس، أو ربط، أو ضرب، أو صلب، أو قتل، أو نفى، أو نهب ماله، أو حرق بيته، أو غير ذلك من العقوبات الشرعية، لكل داء دواء، ولكل مقام مقال وفعال، بحسب ما يظهر فيه من الأحوال فض مقامات الخلافة النبوية عن الاهانة برجم العامة عن سوء الادب بالأقوال والأفعال وسائر الأحوال، ولا تصبر لمن تعمد ذلك، ولم ينته عنه لان درء ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله، وأمنه جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك، وكشف العورة، وشرب الخمر، واكل الميتة والدم، وغير ذلك من المحرمات، وامنع الكفار من أن يظهروا شيئا من ذلك، ومن إظهار أكل وشرب ونحو ذلك في رمضان، لان كفر بلادكم بين المسلمين في الاسواق والمنازل وغيرها .فلو تركوا لإظهار شرك او شرب خمر في رمضان او زنا او غير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم، لكان ذلك ذريعة لان يفعل كفعلهم ضعفاء العقول من العامة، لا سيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى، وأصلهم كان ذلك وقد قال العلماء: الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى فإنهم عن ذلك كله، وأشهر إنكاره، وتوعد بالعقوبة لمن فعله، ثم بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه ويردع مثله، وان لم يمكنك ردعه ومنعه عن ذلك، إلا بقطع يده ، أو رجله، أو صلبه، أو قتله، أو غير ذلك من الروادع الشرعية فافعله، لأنه ظالم والظالم أحق أن يحمل عليه. لكن لا تفعل بالمفسد ما ذكر في ردعه، إلا إذا رأيت انه لا يرجع بغيره. مثال ذلك أن ترى أنهم لا يتركون عمل الخمر إلا بنهب أموالهم أو حرق بيوتهم أو إجلائهم أو غير ذلك فافعله ولا

تبال. ومن لم يستر أمته أو عبده ولم ينته إلا يبيعه عليه، أو بأخذه منه فافعل ذلك ولا تبال. وكذلك من يغش بمسحات ناقصات، وأبى أن ينتهي عن المعاملة بها، فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين. وأما من لا يغش بها لا أبى أن ينتهي فمره بإصلاحها، إن أراد المعاملة بها. وكذلك من ينتقى ما يأتي من السوق من طعام أو غير ذلك، فيشتريه قبل وصوله للسوق أو بعد وصوله ويبيعه. فان لم ينتهوا إلا بنفيهم أو نهب ذلك منهم فافعل ولا تبال. لان مقصد الشارع في الروادع درء المفاسد وجلب المصالح بحسب الإمكان، في كل زمان ومكان فليس الخبر كالعيان. ولذلك قال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: «تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور» فلا بد من إزالة الفساد على كل حال. وان تعارضت مفسدة ومصلحة، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وان تعارضت مفسدتان إحداهما دينية والأخرى دنيوية، فدرء المفسدة الدينية أولى. كذلك إذا تعارضت مفسدتان إحداهما اكبر من الأخرى فدرء المفسدة الكبرى أولى. وهذا الذي بيناه يكفيك أن شاء الله تعالى في تلك المذاكر وغيرها.

واعلم أن الناس في حكم الله ورسوله سواء، فلا تخرج من ذلك عالما ولا عابدا، ولا شريفا، ولا أميرا، وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى، ومن عارضك في شيء من ذلك عاقبه بما فيه ردع له ولمثله، وان لم يمكن إلا بقطع يده، أو رجله أو نفيه أو صلبه فافعله، ولكن بعد ثبوت وتثبت في ذلك كله. ومقابلة كل احد بما يليق به بحسب حاله من الخير والشر، والتواضع والطغيان. فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان، حتى يتعدّل الميزان فليس الخبر كالعيان والله المستعان.

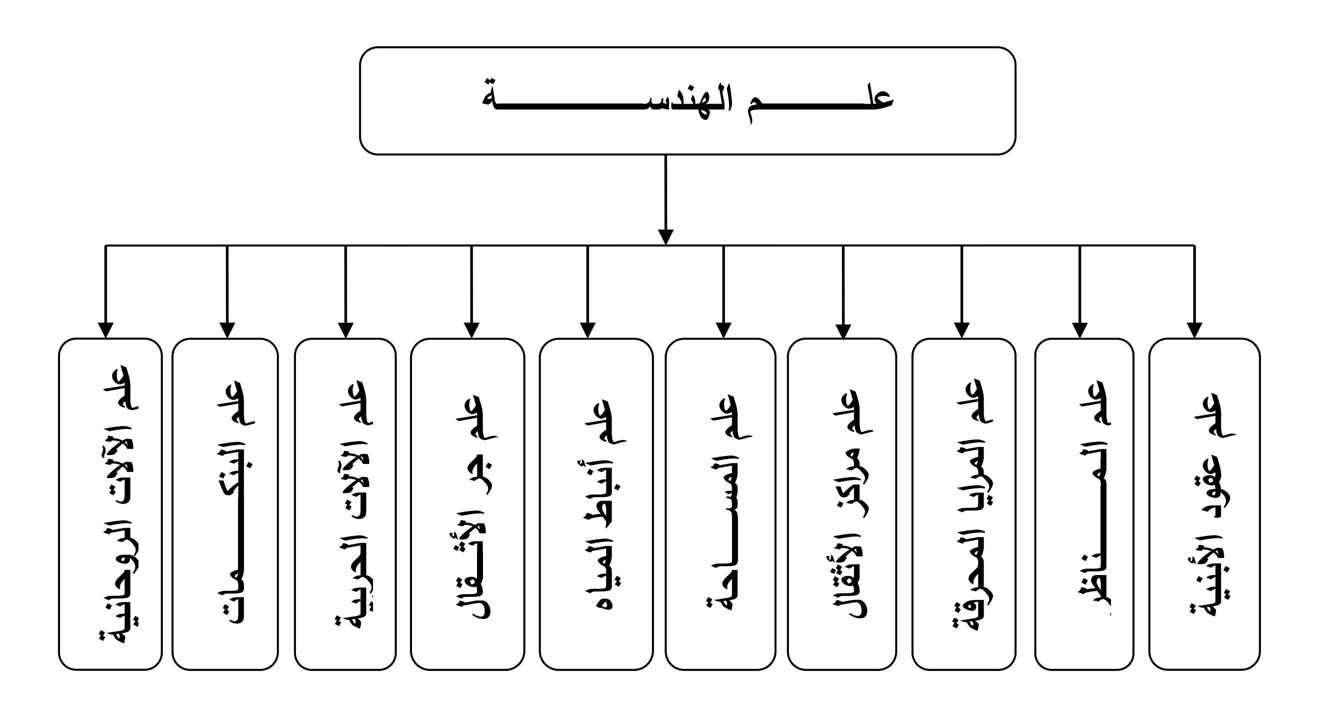
وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله العناية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكتبه عام سبعة وتسعين وثمانمائة. انتهى»[1].

---

[1]- عبد الله بن محمد بن فودي، المرجع السابق، ص ص81-85.

الملحق رقم:10

فروع علـــــــــم الهندســـــــــة



[1] – القلشندي، **صبح الأعشى**، ج1، ص475-476.

الملحق رقم11:

الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة لابن الياسمين

الحمد لله على ما أنعما　　ومن من تعليمه وفهما

ثم صلوات الله طول الأبد　　على النبي المصطفى محمد

والشكر للحبر الزكي العالم　　أستاذنا محمد بن قاسم

فهو الذي أوضح ما قد أشكلا　　وقرب القاصي حتى سهلا

جزاه رب الناس عنا خيرى　　وأجزل الأجر له في الأخرى

سأل من لابد من إسعافه　　ولا أرى وجها إلى خلافه

أن أجعل الجبر بذي المقدمة　　في أحرف قليلة منظمة

موزونة على عروض الرجز　　كثيرة المعنى بلفظ موجز

فلم أزل معتذرا عن هذا　　ولم أجد عن أمره ملاذا

فقلتها قولا على اعتذاري　　فليغفر الزلة فيها القاري

على ثلاثة يدور الجبر　　المال والأعداد ثم الجذر

فالمال كل عدد مربع　　وجذره واحد تلك الأضلع

والعدد المطلق ما لم ينسب　　للمال أو للجذر فافهم تصب

والشيء والجذر بمعنى واحد　　كالقول في لفظ أب ووالد

فبعضهما يعدل بعضا عددا　　مركبا مع غيره أو مفردا

فتلك ست نصفها مركبة　　ونصفها بسيطة مرتبة

أولها في الاصطلاح الجاري　　ونصفها بسيطة مرتبة

وإن تكن عادلت الأعدادا　　فهي تليها فافهم المرادا

وإن تعادل بالجذور عددا　　فتلك تتلوها على ما حددا

فاقسم على الأموال إن وجدتها　　واقسم على الأجدار إن عدمتها

فهذه المسائل البسيطة　　خارجها الجذر سوى الوسيطة

فإنما يخرج فيها المال　　حسب ما قد اقتضى السؤال

واعلم هداك ربنا أن العدد　　في أول المركبات ينفرد

ووحدوا أيضا جذور الخامسه　　وأفردوا أموالهم في السادسة

فربع النصف من الأشياء　　واحمل على الأعداد باعتناء

وخذ من الذي تناهى جذره　　ثم انقص التنصيف (وفهم) سره

فما بقي فذاك جذر المال　　وهذه رابعة الأحوال

واطرح من التربيع في الأخرى العدد　　وجذر ما يبقى عليه يعتمد

فاســـقطه من تنصيفك الأجذارا ... وإن تـــشأ جمـــعتـــه اختــــيارا

وذاك جــــذر الـــمال بالحملان ... فـــذاك جذر الــــــمال بالنقـصـان

وإن غـــدا التربيـــع مثل العدد ... فـــجذره التنصـــيف دون فـــــند

وإن يكـــن يربوا علـيه العدد ... أيقنــــت أن ذاك لا ينعـــــــض

وإذ فرغـــــنا من بيان الخامسة ... فلنوضــــح الآن بـيان الســـادسة

فاجمــــع إلى أعدادك التربيعا ... واستـخرجن جذرهـــما جمـــيعا

واحمــل على التنصيف ما أخذتا ... فـــذلك الجـــذر الـــــذي أردتا

وحـــط الأمـــوال إذا ما كثرت ... واجـبر كـــسورهما إذا ما قصرت

حتى يصـــير الكل مالا مفردا ... وخـــذ بذاك الاســــم مـــما عـدا

أو فاضــرب الأموال في الأعداد ... وكن علـــى مـــا مردا اعتــــماد

واقسـم نظير الجذر من بعد على ... عـــدد الأمـــوال وخذ ما فضـــلا

وكـــل ما استثنيت في المسائل ... صـــيره إيجابا مــــع المـــعادل

وبعـــد ما تجبر فلــــتقابل ... بطـــرح ما نظـــيره يــــماثل

ثم أقـــــول بعد في المنازل ... مــــقال ايـــجاز بلــفظ شـــامل

الـــجذر في الأولى يليه المال ... وبـــــعد كعــــب له استقــــلال

وهــكذا ركـــب عـليه أبدا ... مـــا بلـــغت وما تــــناهت عددا

وما ضــــــربته فخذ منازلة ... تـــــعرف بذاك الاخذ (أس الحاصلة

ثلاثة لكـــــــل كعب كررا ... وإثـــــنان للـــــــمال متى ما ذكرا

(وواحد للـــــجذر ولا ينحرف ... وليـــس للأعــــــداد أس يـــعرف)

وإن ضـــــربت عددا جنس ... فالخــــارج الــــجنس بغـــير لبس

وخــــارج لقسمة في النوعين ... مــــقامه عد بـــغير مـــــين

وقســــمة الأعلى من الجنسين ... خــــارجها زيـــــادة الأســــين

أعنــــي بهذا مالها من منزلة ... (وعكســــها جوابـــه) في المــسألة

وضــــربه كل زائد وناقــض ... في نوعـــه زيــــادة لـــلفاحص

وضـــــربه في ضده نقصان ... فافــــهم هداك المـــــلك الـــديان

ثم صـــــــلاة الله والسلام ... على الــــــــنبي ما انجلى الظـــلام

1- الارجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة – نسخة رقم: 7646748- www.academia.edu

الملحق رقم 12:

الورقة الأولى من مخطوط كشف الأستار عن علم حروف الغبار للقلصادي (ت891هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و[illegible]

يقول عبد الله تعالى علي بن محمد بن علي القرشي
الشهير بالقلصادي [illegible] الله له [illegible]

الحمد لله سريع الحساب مسهل التعلم وفاتح الابواب والصلاة والسلام
على سيدنا محمد سيد الكونين المبعوث الى الثقلين اما بعد فهذه نبذة
شافية كافية وعجالة [illegible] الاخلال والاملال ملخصة [illegible]
من الكتاب المسمى بكشف الجلباب عن علم الحساب لتكون غاية لبعض
الطلاب وتذكرة لذوي الالباب وتسميته بكشف الاستار عن علم حروف
الغبار والله اسأل الاعانة والارشاد الى سواء الطريق والسعادة والتو
فيق والسداد في هذه الدنيا وان يجعل ذلك من الاعمال التي لا تنقطع
بالموت ولا تتعقب عنها حسرة الفوت وتشتمل على مقدمة
واربعة اجزاء وخاتمة في كل جزء ثمانية ابواب فاما المقدمة ففي
في صفة وضع هذه الحروف وما يتعلق بذلك وهي تسعة اشكال
مختلفة اولها الواحد وبعده الاثنين والثلاثة [illegible] الواحد وبعده الاثنان
هكذا [illegible] واذا كان معك عشرة فانزل صفرا وهو حلقة صغيرة [illegible]
وبعد الواحد هكذا 10 واذا كان معك عشرون فانزل صفرا وبعده الاثنين
هكذا [illegible] وكذلك الى التسعين على هذه الصورة واذا كان معك
احد عشر فانزل واحد وبعده واحد هكذا [illegible] واذا كان معك اثني عشر فانزل
الاثنين وبعده واحد هكذا [illegible] وكذلك الى التسعة عشر واذا كان معك احد و
عشرون [illegible] فانزل الواحد في الاول والعشرات في الثانية والمئين في
الثالثة ومثال ذلك اذا قيل لك انزل احد عشر ومائة فانزل ذلك
هكذا 111 ثم اجعل الواحد في منزلة الاولى بواحد وفي الثانية
بعشرة وفي الثالثة بمائة ومثال ذلك انزل ثلاثة واربعين
وسبعمائة فانزل ذلك هكذا [illegible] وان قيل لك خمسة و
عشرين وتسعمائة فانزل ذلك هكذا [illegible] واذا
كان معك الف فانزله في الرابعة ومثال ذلك اذا قيل لك

الورقة الأخيرة من مخطوط كشف الأستار عن علم حروف الغبار للقلصادي (ت891هـ)

من كعب الاثنين الى مكعب الثمنية فاضرب الخارج وهو الثمانون
في ضلعه وهو ستون يخرج لك ثمانية آلاف هكذا 8000
واما الجمع على توالي الافراد فالعمل فيه ان تحمل على المنتهى
اليه واحدا وتربع نصف المجتمع وما كان فهو المطلوب ومثال
من ذلك اذا قيل لك اجمع من الواحد الى التسعة فاحمل على
التسعة واحدا تكن عشرة ونصفها خمسة اضربها في مثلها
يخرج لك خمسة وعشرون وهو المطلوب واما تربيع هذا النوع
فبان تضرب سدس المنتهى اليه في مسطح العددين اللذين بعده
ومثال من ذلك اذا قيل لك اجمع من مربع واحد الى مربع تسعة
فاضرب سدس التسعة وهو واحد ونصف في عشرة ومائة وهو
الخارج من ضرب العشرة في الاحد وعشر يخرج لك خمسة
وستون ومائة وهو المطلوب هكذا 165 واما تكعيب هذا
النوع فالعمل فيه ان تضرب المجموع في ضلعه غير واحد ومثال
من ذلك اذا قيل لك اجمع من مكعب الواحد الى مكعب التسعة
فاضرب خارج المجمع وهو خمسة والعشرون في ضلعه غير
واحد وهو تسعة واربعون يخرج لك المطلوب وذلك
خمسة وعشرون ومايتان والف هكذا 1225 وهذا
آخر ما قصدناه من هذا الموضوع وربنا
المسئول ان ينفع به كل من اشتغل به انه ولي التوفيق
[illegible] الشريف وسيد خالد والقلصادي بحمد الله تعالى وحسن عونه
والحمد لله على تمامه نسخته لنفسي ولمن شاء الله بعدي بيد العبد
الفقير الحقير الذليل الراجي عفو ربه الجليل محمد بن احمد بن محمد
بن مدحان [illegible]
غفر الله له ولوالديه ولاشياخه ولجميع المسلمين والمسلمات
والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم في شهر الله
المعظم جمادى [illegible] يوم الجمعة [illegible]
[illegible] من الهجرة [illegible] سنة 1054

الملحــق رقم:13

صورة للورقة الأول لمخطوط شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب للمغيلي[1]

1-المغيلي، **شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب**، مخطوط بجامعة الملك سعود، الرياض، رقم: 4260.

الملحـــق رقم:14

تقييم عام للعلـــوم بأصنافها وأنواعهـــا خلال العهد الزيانـــــــي

الشكل الأول: عدد ونسبـــة المؤلفات النقليـــة والعقليـــة:

المؤلفات	عـــددهـــا الإجمالي	النـــقليـــــــــــة		العقلـــــــــــية	
		عددها	نسبتها	عددها	نسبتها
النصف الثاني من القـــرن 7هـ	13	13	%100	00	%00
النصف الأول من القــــرن 8هـ	05	04	%80	01	%20
النصف الثاني من القـرن 8هـ	57	54	%95	03	%05
النصف الاول من القـرن 9هـ	62	51	%82	11	%18
النصف الثاني من الـــقرن 9هـ	147	112	%76	35	%24
النصف الاول من القـــرن 10هـ	43	37	%86	06	%14
القـــــــــــــرن 8هـ	62	58	%94	04	%06
القـــــــــــــرن 9هـ	209	163	%78	46	%22
العهد الزياني كله	237	270	%83	57	%17

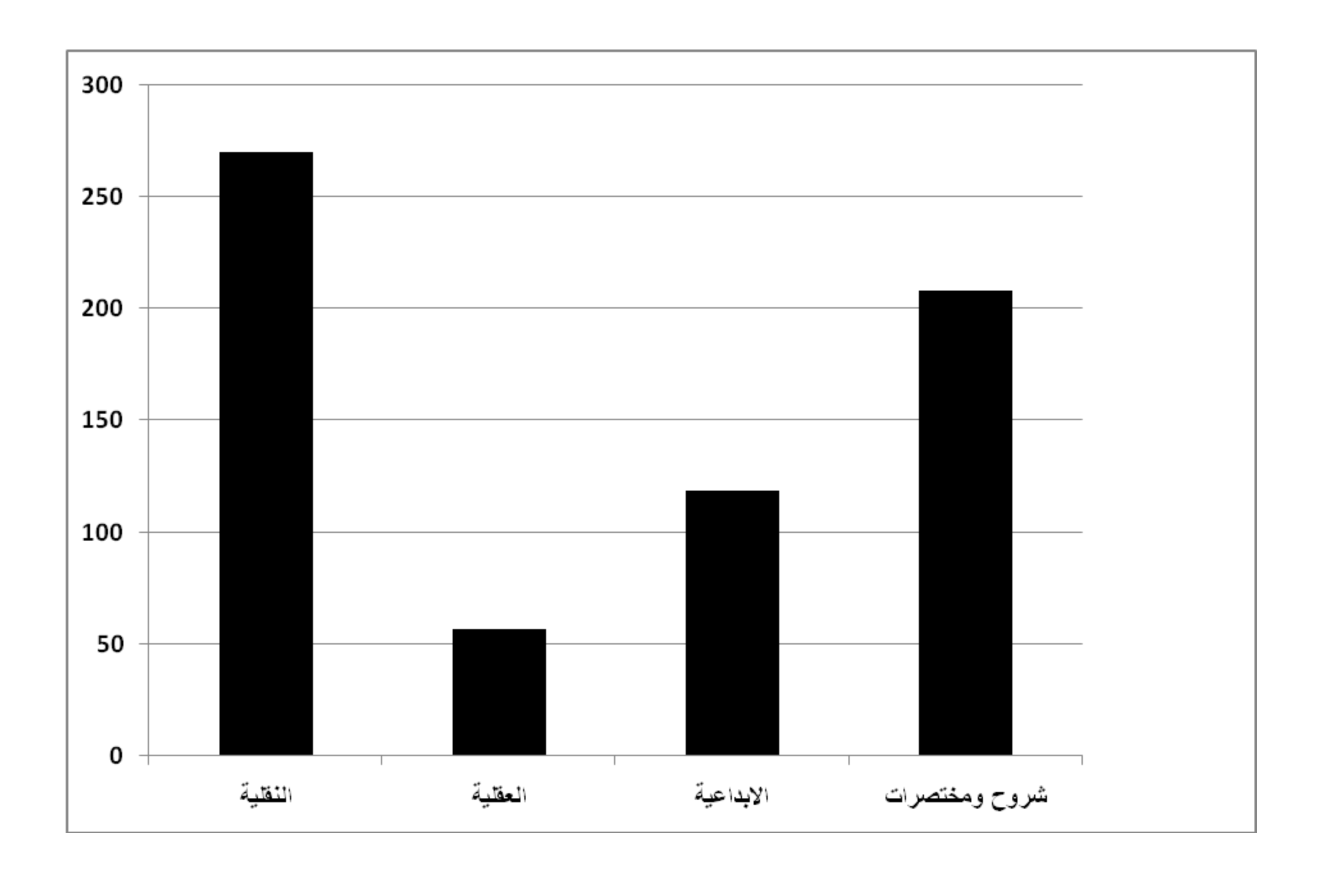
[1]– عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص305.

الشكل الثاني: عدد المؤلفات الإبداعية والشروح مع المختصرات ونسبها المئوية:

المؤلفات في	عددها الإجمالي	الإبداعية		الشروح والمختصرات	
		عددها	نسبتها	عددها	نسبتها
النصف الثاني من القرن 7هـ	13	06	%46	07	%54
النصف الاول من القرن 8هـ	05	02	%40	03	%60
النصف الثاني من القرن 8هـ	57	29	%51	28	%49
النصف الاول من القرن 9هـ	62	22	%35	40	%65
النصف الثاني من القرن 9هـ	147	46	%31	101	%69
النصف الأول من القرن 10هـ	43	14	%33	29	%67
القـــــــــرن8هـ	62	31	%50	31	%50
القـــــــــرن9هـ	209	68	%33	141	%67
العهد الزياني كله	327	119	%36	208	%64

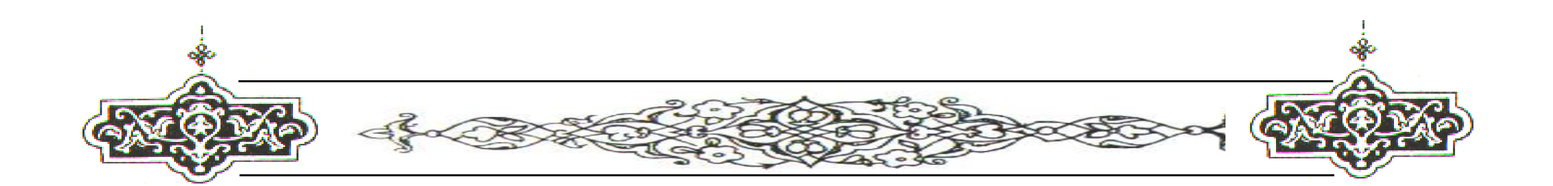
[1]- عبد الجليل قربان، المرجع السابق، ص306.

الشكل الثالث: منحنى بياني لعدد المؤلفات ونوعيتها خلال العهد الزياني:



---

[1]– عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص307.





قائمة المصادر والمراجع



القرآن الكريم: المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم.

1-المصـــــادر المخطوطــــــة:

❖ **أبو زيد الفاسي** (عبد الرحمن بن عبد القادر ت1096هـ/1685م)، **الأقنوم في مبادئ العلوم**، مخطوط بالخزانة الملكية، الرباط، رقم: 6585.

❖ **العقباني** (أبو عثمان سعيد بن محمد ت811هـ/1480م)، **شـرح البـردة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 26أ.

❖ **القلصادي** (أبو الحسن علي الأندلسي ت891هـ/1486م)، **كشف الأستار عن علم حروف الغبار**، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، رقم:5951.

❖ **المغيلي** (محمد بن عبد الكريم ت909هـ/1504م)، **شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب**، مخطوط بجامعة الملك سعود، الرياض، رقم: 4260.

2-المصـــــادر المطبوعــــــة:

❖ **ابن أبي أصبيعة** (موفق الدين أبو العباس أحمد ت668هـ/1270م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت).

❖ **ابن أبي جمعة** (أحمد بن محمد المغراوي ت920هـ/1514م)، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآداب الصبيان**، تحقيق: أحمد جلول بدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دت).

❖ **ابن أبي زرع** (علي بن عبد الله الفاسي ت714هـ/1340م):

❖ **ابن الآبار** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت658هـ/1260م)، **الحلـــة السّيراء**، ج1، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، بيروت، ط2، 1985.

✓**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

✓**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دون مكان نشر، الرباط، 1972.

❖ **ابن الأثير** (محمد الشيباني الجزري أبو السعادات مجد الدين ت606هـ/1210م)، **البديع في علم العربية**، ج1، تحقيق: فتحي احمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1420هـ.

❖ **ابن الأثير الجزري** (ضياء الدين ت637هـ/1240م)، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، تحقيق: مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956.

❖ **ابن الأحمر** (أبو الوليد إسماعيل ت810هـ/1408م):

✓ **أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن المعروف بكتاب: نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1987.

✓ **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2001.

✓ **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة المكتبة، الرباط، ط3، 2003.

❖ **ابن الأكفاني** (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ت749هـ/1348م)، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر وأحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، (دت).

❖ **ابن البناء المراكشي** (أبو العباس أحمد ت721هـ/1321م)، **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

❖ **ابن الجزري** (شمس الدين أبو الخير ت833هـ/1430م):

✓ **طيّبة النشر في القراءات العشر**، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، 1994.

✓ **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، اعتنى به: علي بن محمد العمران، طبعة عالم الفوائد، مكة، (دت).

✓ **النشر في القراءات العشر**، ج1، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت).

❖ **ابن الجوزي** (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت597هـ/1201م)، **زاد المسير في علم التفسير**، دار ابن حزم والمكتب الإسلامي، لبنان، ط1، 2002.

❖ **ابن الحاج** (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي ت737هـ/1336م)، **المدخـــل**، ج4، مكتبة دار التراث، القاهرة، (دت).

❖ **ابن الحاج النميري** (إبراهيم بن عبد الله بن محمد توفي بعد 774هـ/1332م)، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تحقيق: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

❖ **ابن الخطيب لسان الدين** (ت776هـ/1374م):

✓ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974.

✓ **تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: ليفي بروفسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956.

✓ **رقـــــم الحلل في نظـــم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.

✓ **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009.

✓ **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

❖ **ابن الزيات التادلي** (أبو يعقوب يوسف ت617هـ/1220م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: احمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997.

❖ **ابن السلاّر** (أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب ت782هـ/1380م)، **طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم**، تحقيق: احمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003.

❖ **ابن الشماع** (أبو عبد الله محمد بن أحمد ت861هـ/1457م)، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية الكتاب، تونس، 1984.

❖ **ابن الصلاح** (عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين ت643هـ/1245م)، **معرفة أنواع الحديث**، تحقيق: عبد الطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002.

❖ **ابن الطواح** (عبد الواحد محمد توفي في القرن 8هـ/14م)، **سبك المقال لفك العقال**، تحقيق: محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ط2، 2008.

❖ **ابن الفرات** (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت807هـ/1405م)، **تاريخ ابن الفرات**، ج9، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الامريكانية، بيروت، 1936.

❖ **ابن القاضي** (أحمد بن محمد بن أحمد ت1025هـ/1316م):

✓ **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

✓ **درة الحجال في أسماء الرجال**، ج2، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1971.

❖ **ابن القيم الجوزية** (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت751هـ/1350م):

✓ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ج2، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.

✓ **الطب النبوي**، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق وآخرون، دار الفكر، بيروت، (دت).

❖ **ابن تومرت** (أبو عبد الله محمد المهدي ت524هـ/1130م)، **أعز ما يطلب**، تحقيق: عمار طالبي، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، ط1، 2007.

❖ **ابن جلجل** (أبو داوود سليمان بن حين الأندلسي ت377هـ/987م)، **طبقات الأطباء والحكام**، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985.

❖ **ابن جماعة** (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بدر الدين ت733هـ/1333م):

✓ **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، تحقيق: عبد السلام عمر علي، دار الآثار للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2005.

✓ **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، 1986.

❖ **ابن جنـــي** (أبو الفتح عثمان ت392هـ/1002م)، **الخصـــائص**، ج1، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دت).

❖ **ابن حجر العسقلاني** (شهاب الدين أحمد بن علي ت852هـ/1448م):

✓ **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ج1، تحقيق: حسين حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1969.

✓ **الدرر الكامنـــة في أعيان المائة الثامنة**، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).

❖ **ابن حزم الأندلسي** (أبو محمد علي ت456هـ/1064م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق:محمد عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، (دت).

❖ **ابن حيان الأندلسي** (محمد بن يوسف ت745هـ/1344م)، **تفسير البحر المحيط**، **ج1**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

❖ **ابن خلدون** (أبو زكرياء يحي بن محمد ت780هـ/1378م):

✓ **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، 1980.

✓ **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج2، تحقيق: بوزيّاني الدراجي، دار الأهل للدّراسات والنشر والتّوزيع، الجزائر، 2007.

❖ **ابن خلدون** (أبو زيد عبد الرحمن ت808هـ/1405م):

✓ **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (دت).

✓ **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996.

✓ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، ج7، دار الكتاب اللّبناني، (دت).

✓ **لباب المحصل في أصول الدين**، تحقيق: عباس محمد حسن سليمان وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

✓ **المقدمــة**، تحقيق: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف ، بيروت، ط1، 2007.

❖ **ابن خلكان** (أبو عباس أحمد بن محمد ت681هـ/1283م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج2، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994.

❖**ابن زكري** (أبو العباس أحمد ت900هـ/1495م)، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، ج1، تحقيق: محند أودير مشنان، دار التراث ناشرون ودار ابن حزم، الجزائر وبيروت، ط1، 2005.

❖ **ابن سحنون** (محمد عبد السلام ت256هـ/870مـ)، **كتاب آداب المعلّمين**، تح: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

❖ **ابن سناء الملك** (السعيد أبو القاسم هبة الله بن جعفر ت608هـ/1211م)، **دار الطراز في عمل الموشحات**، تحقيق: جودة الركابي، دون دار نشر، دمشق، 1949.

❖ **ابن سينا (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين بن علي ت427هـ/1037م):**

✓ **الأرجوزة في الطــب**، ضمن كتاب: **مصادر ودراسات في تاريخ الطب العربي – من مؤلفات ابن سينا الطبية–**، ج2، تحقيق: محمد زهير البابا، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية، 1984.

✓ **القانون في الطب**، ج1، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.

❖ **ابن صعد** (محمد الأنصاري التلمساني ت901هـ/1496م)، **روضة النسرين في التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بوعزيز، منشورات ANEP ، الجزائر، ط1، 2004.

❖ **ابن طلموس** (أبو الحجاج يوسف بن محمد)، **المدخل لصناعة المنطق**، ج1، نشره: ميكائيل أسين بلاصيوس السرقسطي، مطبعة الأبيرقة، مدريد، 1916.

❖ **ابن عبد البر** (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري ت463هـ/1071م)، **جامع بيان العلم وفضله**، ج1، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي ودار الحرمين للطباعة، القاهرة، (دت).

❖ **ابن عذارى** (أبو العباس أحمد المراكشي كان حيا سنة 712هـ/1312م)، **المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: قسم الموحدين**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي والدار البيضاء، لبنان والمغرب، ط1، 1985.

❖ **ابن عمار الجزائري** (أبو العباس سيدي احمد ت1206هـ/1791م)، **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب**، مطبعة فونطانة، الجزائر، 1902.

❖**ابن غازي المكناسي** (أبو عبد الله محمد ت919هـ/1513م)، **فهرس ابن غازي**، تحقيق: محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1984.

❖ **ابن فارس** (أبو الحسين احمد بن زكرياء ت395هـ/1005م)، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، (دت).

❖ **ابن فرحون** (برهان الدين ت799هـ1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

❖ **ابن قنفذ** (أبو العباس أحمد القسنطيني ت810هـ/1407م):

✓ **انس الفقير وعز الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، 1965.

✓ **شرف الطالب في اسنى المطالب**، تحقيق: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003.

✓ **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، محمد الشاذي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

✓ **وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام**، تحقيق: سليمان الصيد المحامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (دت).

✓ **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983.

❖ **ابن ماجــــة** (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت275هـ/886م)، **سنــــن**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار احياء الكتب العربية، (دت).

❖ **ابن مرزوق التلمساني** (أبو عبد الله محمد الخطيب ت781هـ/1379م):

✓ **تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام**، ج1، تحقيق: سعيدة بحوت، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2011.

✓ **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981.

✓ **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2008.

❖ **ابن مريم** (أبو عبد الله محمد بن أحمد، كان حيا سنة 1014هـ/1605م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1908.

❖ **ابن منظور** (محمد بن مكرم بن علي ت711هـ/1211م)، **لسان العرب المحيط**، ج14، الدار المصرية، القاهرة، (دت).

❖ **أبو الفداء** (إسماعيل علي الأيوبي ت732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، التاريخ.

❖ **أبو حمو** (موسى الثاني الزياني ت791هـ/1389م)، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: محمود بوترعة، دار النعمان ودار الشيماء للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.

❖ **أبو شامة** (شهاب الدين عبد الرحمن الدمشقي ت665هـ/1267م)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصّلاحيّة**، ج1، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.

❖ **أبو عمرو بكر** (بن إبراهيم الاشبيلي ت629هـ/1232م)، **كتاب التيسير في صناعة التسفير**، تحقيق: عبد الله كنون، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية**، مدريد، المجلدان7-8، 1959و1960.

❖ **إخوان الصفا**، **كتاب إخوان الصفا وخلان الوفـــا**، ج1، تحقيق: أحمد بن عبد الله، مطبعة نخبة الأخيار، بهندي بازار، 1305هـ.

❖ **الإدريسي** (أبو عبد الله الشريف ت548هـ/1154م)، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتـاق**، تحقيق وترجمة: محمد الحاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر، 1983.

❖ **الاصطخــري** (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت339هـ/950م)، **المســالك والممــالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العالي ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961.

❖ **الأصفهاني** (أبو القاسم الراغب ت502هـ/1109م)، **مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ط1، 1984.

❖ **الأندلسي** (محمد بن محمد الوزير السراج ت1149هـ/1736مـ)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ج2، تحقيق: محمّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.

❖ **الأنطاكي** (داود بن عمر ت1008هـ/1599م)، **نزهة الأذهان في إصلاح الأبـدان**، تحقيق: محمد ياسر زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2007.

❖ **الإيــجي** (عضد الدين عبد الرحمن بن احمد ت756هـ/1355م)، **المواقف في علـم الكلام**، علم الكتب، بيروت، (دت).

❖ **البادسي** (عبد الحق بن إسماعيل ولد 650هـ/1252م)، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف بالتعريف بصلحاء الريف**، تحقيق: سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993.

❖ **البخاري** (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ت256هـ/870م)، **صحيح البخــاري**، ج1، تحقيق: محمد الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة، ط1، 1400هـ.

❖ **البستاني** (بطرس)، **محيط المحيط**، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.

❖ **البغدادي** (أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب ت377هـ/387م)، **نقـد النثر (كتاب البيان)**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980.

❖ **البغدادي** (موفق الدين عبد اللطيف ت629هـ/1232م)، **الطب من الكتاب والسنة**، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1994.

❖ **البقاعي** (إبراهيم بن حسن ت885هـ/1480م)، **عنوان الزمـــان بتراجم الشيوخ والأقـــران**، ج4، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009.

❖ **البكري** (عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دت).

❖ **البلوي الوادي آشي** (أبو جعفر أحمد بن علي ت938هـ/1532م)، **ثبت الوادي آشي**، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.

❖ **البوني** (أحمد بن قاسم بن محمد ساسي ت1133هـ/1721م)، **التّعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، تحقيق: سعيد دحماني، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، ط1، 2007.

❖ **البيذق** (أبو بكر علي الصنهاجي توفي أواخر القرن 6هـ/12م)، **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق:محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

❖ **البيضاوي** (عبد الله بن عمر الشيرازي ت685هـ/1286م)، **منهـــاج الوصـــول إلى علم الأصول**، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، 2006.

❖ **الترمـــذي** (محمد بن عيسى ت279هـ/892م)، **الجامـــع الكبير**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.

❖ **التنبكتي** (أحمد بابا ت1032هـ/1624م):

✓ **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ج2، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.

✓ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989.

❖ **التنسي** (محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ ت 899هـ/1493م):

✓ **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمد بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

✓ **الطراز في شرح ضبط الخراز**، تحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2000.

❖ **الثعالبي** (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ت875هـ/1470م):

✓ **تفسير الثعالبي المسمى: الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج1، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997.

✓ **رحلة عبد الرحمن الثعالبي**، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005.

✓ **غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد**، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005.

❖ **الجرجاني** (علي بن محمد الشريف ت816هـ/1413م)، **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.

❖ **حاجي خليفة** (مصطفى بن عبد الله ت1067هـ/1656م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).

❖ **الحضيكي** (محمد بن احمد ت1189هـ/1775م)، **طبقات الحضيكي**، ج1، تحقيق: أحمد بومزكر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006.

❖ **الحلبي** (أبو الطيب عبد الواحد بن علي ت351هـ/962م)، **مراتب النحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (دت).

❖ **الحموي** (ياقوت شهاب الدين ت626هـ/1128م)، **معجم البلدان**، ج5، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلميّة، بيروت، (دت).

❖ **الحميري** (محمد بن عبد المنعم السبتي توفي أواخر ق9هـ/15م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي)**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

❖ **الحنبلي** (تقي الدين المقدسي ت600هـ/1204م)، **العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986.

❖ **الحنبلي** (شمس الدين محمد بن مفلح ت763هـ/1362م)، **أصول الفقه**، ج1، تحقيق: فهد بن محمد السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1999.

❖ **الخطيب البغدادي** (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت463هـ/1071م)، **الرحلة في طلب الحديث**، تحقيق: نور الدين عتر، دون دار نشر ومكان نشر (سلسلة روائع تراثنا الإسلامي)، ط1، 1975.

❖ **الخوارزمي** (أبو عبد الله محمد بن موسى توفي بعد 232هـ)، **كتاب الجبر والمقابلة**، تحقيق: علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي احمد، مطبعة بول باربيه، 1937.

❖ **الخوارزمي** (محمد بن احمد بن يوسف أبو عبد الله ت387هـ/997م)، **مفاتيح العلوم**، تحقيق: ج، فان فلوتن (g.van .vloten)، Lugduni-Batavorum، 1895.

❖ **الداوودي** (محمد بن علي بن احمد شمس الدين ت945هـ/1538م)، **طبقات المفسريين**، ج1، تحقيق: لجنة علماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

❖ **الدباغ** (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت696هـ/1320م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج1، مكتبة الخانجي، مصر، 1968.

❖ **الذهبي** (أبو عبد الله شمس الدين ت748هـ/1348م):

✓ **زغــل العلم**، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية، دار نشر وتاريخ.

✓ **الطب النبوي**، تحقيق: أحمد رفعت البداوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط3، 1990.

❖ **الـــرازي** (محمد بن أبي بكر توفي بعد 666هـ/930م)، **مختار الصحاح**، تحقيق: دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

❖ **الرعيني الأندلسي** (أبو عبد الله محمد بن شريح ت476هـ/1083م)، **الكافي في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

❖ **الزبيدي** (أبو بكر محمد بن الحسن ت379هـ/989م)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت).

❖ **الزبيدي** (محمد مرتضى الحسيني ت1205هـ/1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج13، تحقيق: حسين نصار وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1974.

❖ **الزركشي** (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ت794هـ/1392م):

✓ **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، مطابع الأهرام التجارية، مصر، ط5، 1999.

✓ **البرهان في علوم القرآن**، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (دت).

✓ **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، ج1، تحقيق: زين العابدين بلا فريح، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1998.

❖ **الزركشي** (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم كان حيا سنة 894هـ/1488م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

❖ **الزرنوخي** (برهان الدين الحنفي القرن 6هـ/12م)، **تعليم المتعلم طريق التعلم**، الدار السودانية للكتب، السودان، ط1، 2004.

❖ **زروق** (أبو العباس أحمد بن أحمد الفاسي ت899هـ/1494م)، **قواعد التصوف**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 2005.

❖ **الزمخشري** (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت538هـ/1144م)، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009.

❖ **الزهري** (أبو عبد الله بن أبي بكر عاش في النصف الأول من القرن 6هـ/12م)، **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (دت).

❖ **ساجقلي زاده** (محمد بن أبي بكر المرعشي ت1145هـ/1733م)، **ترتيب العلوم**، تحقيق: محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1988.

❖ **السبكي** (أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب ت771هـ/1327م):

✓ **طبقات الشافعية الكبرى**، ج4، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1964.

✓ **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1993.

❖ **السخاوي** (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت902هـ/1497م):

✓ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.

✓ **التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر**، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة أضواء السلف، الرياض، (دت).

✓ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 9ج، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

❖ **السكاكي** (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ت626هـ/1229م)، **مفتـــاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، دار اكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

❖ **السمهودي** (علي بن عبد الحسني ت911هـ/1505م)، **جواهر العقدين في فضل الشرفين: شرف العلم الجلي والنسب العلي**، تحقيق: موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1984.

❖ **السيوطي** (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت911هـ/1505م):

✓ **الإتقـان في علوم القرآن**، ج6، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مكتبة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.

✓ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دون مكان نشر، ط2، 1979.

✓ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، ج1، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

✓ **التعريف بآداب التأليف**، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (دت).

✓ **صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام**، ج1، تحقيق: علي سامي النشار، وسعاد علي بن الرزاق، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، دار النصر للطباعة، القاهرة، ط2، (المقدمة كتبت 1970).

✓ **القـــول المشرق في تحريم المنطق**، تحقيق: السيد محمد عبد الوهاب، دار الحديث، القاهرة، 2008.

✓ **نظم العقيان في أعيان الزمان**، تحرير: فليب حتي، المكتبة العلمية، لبنان، 1927.

❖ الشاطبي (أبو محمد القاسم بن فيرة بن أحمد الشاطبي الرعيني ت**590هـ/ 1194م**)، **متن الشاطبية المسماة: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط5، 2010.

❖ **الشريف التلمساني** (أبو عبد الله محمد بن أحمد ت771هـ/1370م):

✓ **مثارات الغلط في الأدلة**، تحقيق: محمد على فركوس، مؤسسة بيروت والمكتبة المكية، السعودية، ط1، 1988.

✓ **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، تحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 1998.

❖ **الشفشاوني** (محمد بن عسكر الحسني ت986هـ/1578م)، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط2، 1977.

❖ **طاش كبرى زاده** (أحمد بن مصطفى بن خليل ت968هـ/1561م)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985.

❖ **الطرابلسي** (برهان الدين ابراهيم بن موسي)، **الإسعاف في أحكام الأوقاف**، مطبعة هندية، مصر، ط2، 1902.

❖ **الطرطوشي** (أبو بكر محمد بن الوليد ت520هـ/1126م)، **سراج الملوك**، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994.

❖ **العبدري** (أبو عبد الله محمد البلنسي ت725هـ/1325م)، **رحلة العبدري**، تحقيق: علي إبراهيم الكروي، دار سعد الدين، دمشق، ط2، 2005.

❖ **العروضي** (أبو الحسن أحمد بن محمد ت342هـ/953م)، **الجامع في العروض والقوافي**، تحقيق: زهير غازي زاهد وهلال ناجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996.

❖ **العقباني** (أبو عثمان سعيد بن محمد ت811هـ/1480م)، **كتاب الوسيلة بذات الله وصفاته**، تحقيق: انزار حمادي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 2008.

❖ **الغبريني** (أبو العباس أحمد بن أحمد ت704هـ/1304م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.

❖ **الغزالي** (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت505هـ/1111م):

✓ **إحياء علوم الدين**، ج1، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.

✓ **المستصفى من علم الأصول**، ج1، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، دون دار نشر ومكان وتاريخ نشر.

❖ **الفـــــارابي** (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ت339هـ/950م):

✓ **إحصاء العلوم**، تحقيق:علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1996.

✓ **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبه ومحمود احمد الحنفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (دت).

❖ **الفيروز أبادي** (محمد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ/1414مـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط8، 2005.

❖ **الفيومي** (أحمد بن محمد بن علي ت770هـ/1368م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ج1، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت).

❖ **القابسي** (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (ت403هـ/1012م)، **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تح: احمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، 1986.

❖ **القاضي عياض** (أبو الفضل اليحصبي السبتي ت544هـ/1149م)، **الشفـــا بتعريف حقوق المصطفــى**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.

❖ **القرافي** (بدر الدين محمد بن يحى بن عمر ت1008هـ/1599م)، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.

❖ **القزويني** (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب ت739هـ/1338م):

✓ **الايضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

✓ **تلخيص المفتاح**، تحقيق: نصر الله داغر، طبع في بيروت، 1306هـ.

❖ **القزويني** (زكريا بن محمد بن محمود ت682هـ/1283م)، آثار **البــلاد وأخبار العبـــاد**، دار صادر، بيروت، (دت).

❖ **القسطلاني** (أحمد بن محمد ت923هـ/1517م)، **لطائــف الإشــارات لفنــون القراءات**، ج1، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1434هـ.

❖ **القلصادي** (أبو الحسن علي الأندلسي ت891هـ/1486م)، **رحلة القلصادي المسماة: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

❖ **القلقشندي** (أبو العباس أحمد بن علي ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، المؤسّسة المصريّة العامّة، (دت).

❖ **القمري** (منصور أبو الحسن بن نوح ت390هـ/1000م)، **التنوير في الاصطلاحات الطبية**، تحقيق: غادة حسن الكرمي، مكتب التربية العربي، دول الخليج، 1991.

❖ **الكافيجي** (محي الدين محمد بن سليمان أبو عبد الله ت879هـ/1474م):

✓ **التيسير في قواعد علم التفسير**، تحقيق: محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998.

✓ **المختصر في علم التاريخ**، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1990.

❖ **مارمول كربخال** (ت1008هـ/1600م)، **إفريقيـــا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989.

❖ **المالكي** (أبو بكر عبد الله توفي في القرن 5هـ/11م)، **كتاب رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسيرهم وأخبارهم وفضائلهم**، ج1، تحقيق حسين مؤنس، ط1، القاهرة 1851.

❖ **الماوردي** (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت450هـ/1058م):

✓ **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد أمبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، بيروت، ط1، 1989.

✓ **الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: أحمد جابر بدران، دار الرسالة، القاهرة، ط1، 2002.

❖ **المجـــاري** (أبو عبد الله محمد الأندلسي ت862هـ/1458م): **برنامج المجاري**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1982.

❖ **المراكشي** (محي الدين عبد الواحد توفي في النصف الثاني من القرن7هـ/13م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق صلاح الدّين الهوّاري، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2006.

❖ **المرواوي** (علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان ت885هـ/1480م)، **تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول**، تحقيق: عبد الله هاشم، وهشام العربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 2013.

❖ **المغيلي** (محمد بن عبد الكريم ت909هـ/1504م):

✓ **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق: عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

✓ **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1994.

✓ **لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب**، تحقيق: ابو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006.

✓ **مختصران في الفرائض**، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2012.

✓ **مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ضمن كتاب: رسالتان في أهل الذمة**، تحقيق: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

❖ **مقديش** (محمود بن سعيد)، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ج1، تحقيق: علي زواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988.

❖ **المقري** (أبو عبد الله محمد ت759هـ/1359م):

✓ **الحقائـق والرقائـق**، تحقيق: عمرو سيد شوكت، دار الكتب العلمية، لبنان، (دت).

✓ **القواعـــــد**، ج1، تحقيق: احمد بن عبد الله بن حميد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (دت).

❖ **المقري** (شهاب الدين أحمد بن محمد ت1041هـ/1361م):

✓ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ج2، تحقيق: محمد السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

✓ **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004.

✓ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج5، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.

❖ **المقريزي** (أبو العباس تقي الدين ت845هـ/1441م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج3، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998.

❖ **المنجور** (أبو العباس أحمد الفاسي ت995هـ/1587م)، **فهـرس المنجور**، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، الرباط، 1976.

❖ **مؤلف** مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (دت).

❖ **مؤلف** مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979.

❖ **مؤلف** مجهول، **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان (760-764هـ/1359-1363م)**، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012.

❖ **مؤلف** مجهول، **تاريـــخ الأندلــــــــس**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.

❖ **مؤلف** مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، 2002.

❖ **النيسابـــوري** (أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت261هـ/875م)، **صحيـــح مسـلم**، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، 1426هـ.

❖ **النووي** (أبو زكرياء محي الدين بن شرف ت676هـ/1277م):

✓ **آداب العالم والمتعلم والمفتى والمستفتى وفضل طالب العلم**، تحقيق: أحمد جلول بدوي ورابح بونار، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1987.

✓ **التبيان في آداب حملة القرآن**، تحقيق: محمد حجار، دار ابن حزم، بيروت، ط4، 1996.

✓ **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985.

❖ **النويري** (شهاب الدين ت733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،ج4، عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، (دت).

❖ **الوزان** (حسن بن محمد الفاسي ت957هـ/1552م)، **وصف إفريقيا**، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983.

❖ **الونشريسي** (أبو العباس أحمد بن يحى ت914هـ/1511م):

✓ **أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية**، مدريد، المجلد5، العدد1-2، 1957.

✓ **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك**، تحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006.

✓ **درر القلائد وغرر الطرر والفوائد**، ضمن كتاب: **جامع الأمهات آو مختصر ابن الحاجب الفرعي**، تحقيق: أبو الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

✓ **عـدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفــروق**، تحقيق: حمزة أبو فارس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

✓ **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، تحقيق: محمد الأمين بلغيث، لافوميك، 1985.

✓ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيّة والأندلس والمغرب**، ج12، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

✓ **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، ج1، تحقيق: عبد الرحمن بن حمود بن عبد الرحمن الاظرم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2005.

✓ **الوفيـات**، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، دون مكان النشر والسنة.

3- المراجــــــــــع:

❖ **الإبراهيمـــــي** (أحمد طالب)، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، (1954-1964)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

❖ **إبلاغ** (محمد)، **الرياضيات في الأندلس مابين القرن (3-9هـ/7-15م)، السجل العلمي لندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الثالث، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996.

❖ **ابن الشيخ** (الأعرج طالب)، **كتاب المختصر في تاريخ العرب**، منشورات دار الأديب، وهران، 2006.

❖ **ابن تونس** (محمد الهادي)، **نيل المغانم في تاريخ وتقاليد مستغانم**، قدم وصحح له: يحيى الطاهر برقة، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1998.

❖ **ابن حموش** (مصطفى)، **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية**، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007.

❖ **ابن سودة المري** (عبد السلام)، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ضبط واستدراك: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ص1، 1997.

❖ **ابن شقرون** (محمد بن أحمد)، **مظاهر الثقافة المغربية: دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، المغرب، 1985.

❖ **ابن عاشور** (محمد الطاهر):

✓ **أليس الصبح بقريب (التعليم العربي الإسلامي): دراسة تاريخية وآراء إصلاحية**، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006.

✓ **تفسير التحرير والتنوير**، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

❖ **ابن فودي** (عبد الله بن محمد)، **ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل**، تحقيق: أحمد محمد كاني، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1988.

❖ **أبو راس الجزائري** (محمد)، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

❖ **أبو سليمان** (صابر حسن محمد)، **النجوم الزاهرة في تراجم القراء الأربعة عشر ورواتهم وطرقهم**، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1998.

❖ **أبو شهبة** (محمد بن محمد)، **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث**، عالم المعرفة، دون دار وتاريخ نشر.

❖ **أبو ضيف** (مصطفى)، **أثر القبائل العربيّة في الحياة المغربيّة خلال عصري الموحّدين وبني مرين (524-876هـ /1130-1472م)**، دار النّشر المغربيّة، الدّار البيضاء، ط1، 1982.

❖ **أبو طالب** (محي الدين)، **الجانب الأدبي من مخطوطة الحافظ التنسي: نظر الدر والعقيان في بيان شرق بني زيان ملوك الدولة الزيانية الجزائرية**، الديوان الوطني للمطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999.

❖ **أبو مصطفى** (كمال السّيد)، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدّينيّة والعلميّة في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندريّة للكتاب، الإسكندريّة، 1996.

❖ **أحمد** (رمضان احمد)، **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي، جدة، (دت).

❖ **أحمد شوحان** (أحمد)، **رحلة الخط المغربي من المسند الى الحديث-دراسة-**، من منشورات الكتاب العرب، دمشق، 2001.

❖ **الأزرق** (أحمد)، **الكتاتيب القرآنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها**، دار الغرب، وهران، 2002.

❖ **أسعد طلس** (محمد)، **التربية والتّعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1957.

❖ **إسماعيل** (شعبان محمد)، **المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية**، ج2، دار الأنصار، مصر، (دت).

❖ **الأشقر** (عمر سليمان)، **تاريخ الفقه الإسلامي**، قصر الكتاب، الجزائر، (دت).

❖ **أعراب** (سعيد)، **القراء والقراءات في المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

❖ **آل إسماعيل** (نبيل بن محمد إبراهيم)، **علم القراءات: نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية**، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 2000.

❖ **آل المغيلي** (حاج أحمد)، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2011.

❖ **الألباني** (محمد ناصر الدين)، **علوم الحديث**، جمع وإعداد: عصام موسى هادي، الدار العثمانية ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003.

❖ **الأهواني** (محمد فؤاد)، **التربيـــة في الإسلام**، دار المعارف، مصر، ط2، 1975.

❖ **بالنثيا** (انجل جنثالث)، **تـاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، (دت).

❖ **برنشفيك** (روبار)، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15**، ترجمة: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988.

❖ **بروسلارد** (شارل)، **كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان**، ترجمة: الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

❖ **البسام** (لطيفة بنت محمد)، **الحياة العلمية في افريقية في العصر بني زيري**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 2001.

❖ **البغدادي** (إسماعيل باشا ت1339هـ/1920م):

✓ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).

✓ **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، 2ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955.

❖ **بكر** (علاء)، **مختصـــــر تاريخ التصـوف**، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2012.

❖ **بلعربي** (خالد):

✓ **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55-633هـ/675-1235م)**، دار الالمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2011.

✓ **الدولة الزيانية في عهد السّلطان يغمراسن دراسة تاريخيّة وحضاريّة (633-681هـ/1235-1282م)**، مطبعة الرّيان، تلمسان، ط1، 2005.

❖ **بن أشنهو** (عبد الحميد بن أبي زيّان)، **دخول الأتراك العثمانيّين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (دت).

❖ **بن دهيش** (عبد اللطيف عبد الله)، **الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما**، مكتبة ليدن، هولندا، 1986.

❖ **بن عثمان** (محمد بن حسن)، **المرشد الوافي في العروض والقوافي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

❖ **بن عميرة** (محمد)، **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

❖ **بن قربة** (صالح) وآخرون:

✓ **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

✓ **من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الإسلامية**، دار الهدى، الجزائر، 2012.

✓ **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

❖ **بنعبد الله** (عبد العزيز)، **معلمة الفقه المالكي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983.

❖ **بوحوش** (عمار)، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005.

❖ **بوداود** (عبيد)، **ظاهرة التّصوّف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السّابع والتّاسع الهجريّين (15-13م)، دراسة في التّاريخ السّوسيو- ثقافي**، دار الغرب، الجزائر، 2003.

❖ **بورويبة** (رشيد) وآخرون، **الجزائر في التّاريخ**، ج3، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

❖ **بوطارن** (مبارك) وآخرون، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط**، دار القصبة، الجزائر، 2007.

❖ **بوعزيز** (يحى):

✓ **مدينة تلمســــــــــان عاصمة المغرب الأوسط**، دار الغرب، وهران، ط2، 2003.

✓ **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دت).

✓ **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، منشورات، ANEP، الجزائر، ط1، 2004.

✓ **وهــــــــــــران**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 1985.

❖ **بوعياد** (محمود)، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن (9هـ/15م)**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1982.

❖ **بيل** (الفرد)، **الفــــرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب، لبنان، ط3، 1987.

❖ **التازي** (عبد الهادي)، **التاريخ الدبلوماسي من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد 5: (المرابطون)**، مطابع فضالة، المحمدية، 1987.

❖ **تركي** (رابح)، **دراسات في التربية الإسلامية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1987.

❖ **التليسي** (بشير رمضان)، **الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (4هـ/10م)**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 2003.

❖ **التيجاني** (عبد الرحمن)، **الكتاتيب القرآنية بندرومة من (1900-1977)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

❖**الثعالبي** (محمد بن الحسن الحجوي)، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، ج4، مطبعة البلدية، فاس، 1345هـ.

❖**جـاد الله** (منال عبد المنعم)، **التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف، الإسكندرية، (دت).

❖ **الجزائري** (محمد بن عبد القادر)، **تحفة الزّائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، ج2، تحقيق: حقّي ممدوح، دار اليقظة العربيّة، ط1، 1964.

❖ **جوليان** (شارل أندري)، **تاريخ إفريقيا الشّماليّة، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1980**، ج2، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، ط2، 1983.

❖ **الجيلالي** (عبد الرحمن)، **تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، المدية، مليانة**، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007.

❖ **حاجيات** (عبد الحميد)، **أبو حمّو موسى الزّياني، حياته وآثاره**، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 1982.

❖ **الحازمي** (خالد بن حامد)، **أصول التربية الإسلامية**، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000.

❖ **حداد** (احمد بن عبد العزيز)، **من فقه الوقف**، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، ط1، 2009.

❖ **حركات** (حركات)، **المغرب عبر التاريخ**، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1978.

❖ **حســــاني** (مختار):

✓ **تاريخ الدولة الزيانية**، ج2 **(الأحوال الاقتصادية والثقافية)**، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007.

✓ **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية: مدن الشرق**، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

✓ **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، (مدن الشرق)، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1980.

❖ **حسن** (إبراهيم)، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج4، دار الجبل ومكتبة النهضة المصرية، بيروت، تونس والقاهرة، ط15، 2001.

❖ **حسن** (زكي محمد)، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، لبنان، 1981.

❖ **حسن** (علي حسن)، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مطبعة الخانجي، مصر، ط1، 1980.

❖ **حسين** (حسني محمود)، **أدب الرحلة عند العرب**، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983.

❖ **حسين** (محمد كامل)، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، (دت).

❖ **الحفناوي** (أبو القاسم محمد)، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، مطبعة بيير قوفتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

❖ **حكمت نجيب** (عبد الرحمن)، **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، الموصل.

❖ **الحمد** (غانم قدوري)، **أبحاث في العربية الفصحى**، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.

❖ **خضر** (عبد الحليم عبد الرحمن)، **المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1993.

❖ **الخطابي** (محمد العربي)، **فهـــارس الخزانة الحسينيـــــة**، مج3 **(الفهرس الوصيف للمخطوطات: الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا)**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983.

❖ **خطيف** (صابرة)، **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.

❖ **خلاّف** (عبد الوهاب)، **علم أصول الفقه**، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، ط8، (دت).

❖ **خلفات** (مفتاح)، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنيين (9-6هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

❖ **خليفة** (عبد الرحمن)، **في علم السياسة الإسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989، (دت).

❖ **الدائم** (عبد الله)، **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن 20**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984.

❖ **دخان** (عبد العزيز الصغير)، **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف**، دار كردادة، الجزائر، ط1، 2010-2011.

❖ **الدراجي** (بوزياني):

✓ **أدباء وشعراء من تلمسان**، ج3، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2011.

✓ **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزّيانيّة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1993.

❖ **دراجي** (محمد)، **محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين**، منشورات غبريني، الجزائر، ط1، 2005.

❖ **ديدي** (علي بن الحبيب)، **مذكرة في أصول الفقه المالكي**، دار العوادي، عين البيضاء، 2012.

❖ **الذنون** (عبد الحكيم)، **آفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي**، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1988.

❖ **ذنيبات** (عوض عبد الكريم)، **المختار من تاريخ العلوم عند العرب**، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، ط1، 2008.

❖ **رزوق** (محمد)، **دراسات في تاريخ المغرب**، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1991.

❖ **روجي** (ادريس الهادي)، **الدولة الصنهاجية: تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 20م**، ج2، ترجمة: حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.

❖ **ريبيرا** (خوليان)، **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة: طاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994.

❖ **الزحيلي** (وهيبة)، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ج1، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985.

❖ **الزرقاني** (عبد العظيم)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج1، تحقيق: فواز احمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995.

❖ **الزركلي** (خير الدين)، **قاموس الأعلام**، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986.

❖ **ساعاتي** (يحيى محمود)، **الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط2، 1996.

❖ **سالك معلوم** (أحمد)، **الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي**، مكتبة لينة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1993.

❖ **سالم** (عبد العزيز)، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (دت).

❖ **السامرائي** (كمال)، **مختصر تاريخ الطب العربي**، ج2، دار النضال، 1984.

❖ **سامعي** (إسماعيل)، **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

❖ **السائح** (الحسن)، **الحضارة الإسلاميّة في المغرب**، دار الثقافة، الدّار البيضاء، ط2، 1986.

❖ **السباعي** (الحسين مرداس)، **القبس النحوي في شرح نظم الزواوي للشيخ أبي الفداء زيان بن فائد الزواوي**، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 2004.

❖ **السباعي** (مصطفى)، **من روائع حضارتنا**، دار الوراق ودار السلام، القاهرة، ط1، 1998.

❖ **السرجاني** (راغب):

✓ **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2010.

✓ **قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية**، مؤسسة اقرأ القاهرة، ط1، 2009.

❖ **سركيس** (يوسف إلياس)، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (دت).

❖ **سعد الله** (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثّقافي من القرن (14-10هـ/16-20م)**، ج1، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981.

❖ **سعيدوني** (ناصر الدين):

✓ **التجربة الأندلسية بالجزائر: مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق6-7هـ/12-13م)**، السجل العلمي لندوة الأندلس: **قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الثالث، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996.

✓ **من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

❖ **سقال** (إلياس غربي)، **الولي الصالح سيدي أبي مدين**، منشورات سقال، تلمسان، 1993.

❖ **السلاوي** (أبو العبّاس أحمد الناصر)، **الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**، ج3، الدولة المرينيّة، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدّار البيضاء، المغرب، 1954.

❖ **سلسلة الفن والثقافة:**

✓ **المساجد في الجزائر**، منشورات وزارة الأخبار، إسبانيا، 1970

✓ **تلمسان**، منشورات وزارة الأخبار، إسبانيا، 1975.

❖ **سلطاني** (محمد علي)، **المختار من علوم البلاغة والعروض**، دار العصماء، دمشق، ط1، 2008.

❖ **سليمان** (عصام)، **مدخل إلى عالـــم السياسة**، دار النضال، بيروت، ط2، 1989.

❖ **السملالي** (العباس بن إبراهيم)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج8، تحقيق: عبد الوهاب ابن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993.

❖ **السنيور** (كرلونلينـو)، **علـــم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، مكتبه الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 1993.

❖ **السيد سالم** (عبد العزيز)، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، (دت).

❖ **الشافعي** (حسن محمود)، **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، إدارة القران والعلوم الإسلامية، باكستان، ط2، 2001.

❖ **الشامي** (صالح احمد)، **الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المائة الخامسة (450-505هـ)**، دار القلم، دمشق، ط2، 2002.

❖ **الشامي** (فاطمة قدورة)، **علم التاريخ: تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أقدم العصور إلى القرن العشرين**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2001.

❖ **شاوش** (محمد بن رمضان)، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

❖ **شلبي** (محمد مصطفى)، **أحكام الوصايا والأوقاف**، الدّار الجامعية، بيروت، ط4، ص1982.

❖ **الشوكاني** (محمد بن علي بن محمد عبد الله)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دت).

❖ **الصابوني** (محمد علي)، **التبيان في علوم القرآن**، مكتبة البشرى للطباعة والنشر، باكستان، طبعة جديدة، 2011.

❖ **الصالحي** (علي رجب)، **تحقيق مبادئ العلوم الإحدى عشر**، مطبعة وادي الملوك، ط2، 1936.

❖ **الصلابي** (علي محمد)، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي: ج5 دولة الموحدين**، دار البيارق، عمان، 1998.

❖ **صليبا** (جميل)، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

❖ **ضيف** (بشير)، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث: نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**، مراجعة: عثمان بدري، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2007.

❖ **الطرابلسي** (نوفل نعمة الله نوفل)، **زبدة الصحائف في أصول المعارف**، ج1، دون دار نشر، بيروت، 1874.

❖ **الطمار** (محمد):

✓ **تاريخ الأدب الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

✓ **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

✓ **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية، الجزائر، 1983.

❖ **الطنطاوي** (محمد)، **نشأة النحو وتاريخ أشهر الرواة**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995.

❖ **ظهير** (إحسان الهي)، **التصوف المنشأ والمصادر**، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط1، 1986.

❖ **عباسة** (محمد)، **الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور**، دار أم الكتاب للنشر والطباعة، مستغانم، ط1، 2012.

❖ **عبد الأمير** (شمس الدين)، **الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق**، الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل، لبنان، ط1، 1991.

❖ **عبد العزيز** (محمد عادل)، **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

❖ **عبد القادر** (نور الدين)، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، قسنطينة، ط2، 1965.

❖ **عبدلي** (الأخضر)، **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007.

❖ **العبيكان** (طرفة عبد العزيز)، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين (7-8 هـ)**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.

❖ **عتيق** (عبد العزيز):

✓ **علـــم العروض والقافيـــة**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.

✓ **في البلاغة العربية: علم البديع**، دار النهضة العربية، بيروت، (دت).

❖ **العثيمين** (محمد بن صالح)، **شرح الأصول من علم الأصول**، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط4، 1435هـ.

❖ **العروسي** المطوي (محمد)، **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1926.

❖ **عسيري** (مريزن سعيد مريزن)، **تعلم الطب في المشرق الإسلامي (نظمه ومنهاجه) حتى نهاية القرن السابع هجري**، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412هـ.

❖ **عطية** (جرجي شاهين)، **سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان**، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط4، (دت).

❖ **العظيم حفني** (صابر) **ومنتصر** (عبد الحليم)، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ج2، (موجز تاريخ الصيدلة)**، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، الجمهورية الليبية، (دت).

❖ **العك** (خالد عبد الرحمن)، **أصـــول التفسيـــر وقواعـــده**، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986.

❖ **عليان** (ربحي مصطفى)، **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999.

❖ **العمري** (عبد الله)، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار محمد الهادي للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 1990.

❖ **عنان** (محمد عبد الله)، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج4 (**نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.

❖ **عون** (فيصل بدير)، **علم الكلام ومدارسه**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دت).

❖ **عويس** (عبد الحليم)، **دولة بني حماد صفحات رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الشروق، الجزائر، ط1، 1980.

❖ **عيسى** بك (أحمد)، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981.

❖ **الغنيمي** (عبد الفتاح مقلد)، **موسوعة المغرب العربي**، ج5، المجلد3، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994.

❖ **فرحات** (يوسف شكري)، **غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)**، دار الجبل، بيروت، ط1، 1993.

❖ **فروخ** (عمر)، **تارخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، بيروت، 1970.

❖ **فويال** (سعاد)، **المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

❖ **فيلالي** (عبد العزيز):

✓ **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، دار الهدى، الجزائر، 2014.

✓ **تلمسان في العهد الزّياني**، 2ج، موفم للنشر، الجزائر، 2002.

❖ **القاضي** (وداد)، **النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها**، ضمن كتاب **مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا**، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، (دت).

❖ **القحطاني** (سعيد بن علي بن وهف)، **المساجد: مفهوم وفضائل وأحكام وحقوق وآداب في ضوء الكتاب والسنة**، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، (دت).

❖ **قحف** (منذر)، **الوقف الإسلامي: تطوره إدارته تنميته**، دار الفكر، دمشق، ط2، 2006.

❖ **قريان** (عبد الجليل)، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.

❖ **قسوم** (عبد الرزاق)، **عبد الرحمن الثعالبي والتصوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

❖ **القضاة** (محمد أحمد مفلح) وآخرون، **مقدمات في علم القـراءات**، دار عمار، عمان، ط1، 2001.

❖ **القنوجي** (صديق بن حسن)، **أبجد العلوم**، ج2 **(السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم)**، تحقيق: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978.

❖ **كافي** (منصور)، **علـم القراءات: مفهومه، نشأته، مصدره، أقسامه، ومدارسه**، دار العلوم، عنابة، 2008.

❖ **الكتاني** (محمد عبد الحي)، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق: إحسان عباس، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982.

❖ **الكتاني** (يوسف)، **مدرسة الإمام البخاري في المغرب**، ج1، دار لسان العرب، بيروت، (دت).

❖ **كرد** (علي)، **غابر الأندلس وحاضرها**، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1923.

❖ **الكعاك** (عثمان)، **موجز التّاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة، أبو القاسم سعد الله و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003.

❖ **كنون** (عبد الله)، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، دون دار نشر ومكان نشر، ط2، 1961.

❖ **لعرج** (عبد العزيز محمود)، **مدينة المنصورة بتلمسان دراسة تاريخية وأثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها**، مكتبة زهراء المشرق، القاهرة، ط1، 2006.

❖ **لقبال** (موسى)، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها**، الشركة الوطنية، الجزائر، ط1، 1971.

❖ **لوبون** (غوستاف)، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

❖ **ماسينيون** و**مصطفى** (عبد الرزاق)، **التصوف**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1984.

❖ **المامي** (محمد المختار محمد)، **المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2002.

❖ **محاسنة** (محمد حسين)، **أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين**، دار الكتاب الجامعي، العين، 2001.

❖ **محمود** (اسماعيل)، **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991.

❖ **محمود** (عبد الحليم)، **أبو مدين الغوث: حياته ومعراجه إلى الله**، دار المعارف، القاهرة، 1985.

❖ **محيسن** (محمد سالم)، **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**، ج1، دار الجيل ومكتبة الكليات الأزهرية، بيروت، القاهرة، ط2، 1988.

❖ **مخلوف** (محمد بن محمد بن عمر ت1360هـ/1941م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

❖ **المراغي** (عبد الله مصطفى)، **الفتـح المبين في طبقـات الأصوليين**، ج2، نشره: محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية، دون مكان نشر، 1947.

❖ **مرتاض** (محمد)، **من أعلام تلمسان مقاربة تاريخية - فنية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.

❖ **مرحبا** (محمد عبد الرحمن)، **المرجع في تاريخ العلوم عند العرب**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988.

❖ **مرسي** (محمد منير)، **التّربية الإسلاميّة أصولها وتطوّرها في البلاد العربيّة**، عالم الكتب، القاهرة، 2000.

❖ **المزاري** (إسماعيل بن عودة)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا حتى أواخر القرن التاسع عشر**، ج1، تحقيق: يحى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990.

❖ **مصطفى** (إبراهيم) وآخرون، **المعجم الوسيط**، مطبعة الشروق الدولية، دون مكان نشر، ط4، 2004.

❖ **معروف** (أحمد)، **من أصول الفقــه الإسلامـي**، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2008.

❖ **معروف** (بالحاج)، **العمارة الإسلامية مساجد مزاب مصلياته الجنائزية**، دار قرطبة ، ط1، 2007.

❖ **المعهد التطويري لتنمية المواد البشرية، المدخـل لعلم السياسة**، دار المعمورة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بغداد، (دت).

❖ **مقدم** (مبروك)، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.

❖ **مقدم** (مبروك)، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، خلال القرن التاسع للهجرة الخمس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (دت).

❖ **مقلاتي** (ابراهيم)، **الدلالة في تاريخ علماء امشدالة**، ط2، الجزائر، 2005.

❖ **الملا** (أحمد علي)، **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1981.

❖ **المنونـــي** (محمد):

✓ **تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصر**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1991.

✓ **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2000.

✓ **المصادر العربية لتاريخه المغرب من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الحديث**، ج1، مؤسسة بنشره للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1983.

✓ **دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1985.

❖ **مؤنس** (حسين)، **المساجد**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981.

❖ **الميلي** (مبارك)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، تحقيق: محمد الميلي، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ط3، 1993.

❖ **الميلي** (محمد مبارك) **وشريط**(عبد الله)، **مختصر تاريخ الجزائر السّياسي والثّقافي والاجتماعي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985.

❖ **النجار** (عبد المجيد)، **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983.

❖ **نسيب** (محمد)، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، دمشق، الجزائر، (دت).

❖ **النشار** (السيد)، **تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1993.

❖ **نصر** (عبد الكريم محمد)، **علوم العرب والمسلمين وأثرها في حضارة المغرب**، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2012.

❖ **نقابة للنشاط السياحي، تلمسان لمحات عن عاصمة بني زيان**، دون دار نشر، (دت).

❖ **نواب** (عواطف محمد يوسف)، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة**، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1996.

❖ **نويهض** (عادل):

✓ **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض للثّقافة، بيروت، ط2، 1980.

✓ **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ج1، مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1988.

❖ **الهاشمي** (أحمد)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت، (دت).

❖ **الوافي** (إبراهيم)، **الدراســات القرآنية بالمغـرب خلال القران الرابع عشر الهجري**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999.

❖ **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية**، ج1، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ط2، 1983.

❖ **ولد أباه** (محمد المختار)، **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، مطبعة بني ازناسن، المملكة المغربية، 2001.

❖ **يزبك** (قاسم)، **التاريخ ومنهج البحث التاريخي**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990.

❖ **يعقوب** (طاهر محمود محمد)، **أسباب الخطأ في التفسير: دراسة تأصيلية**، ج1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ.

❖ **اليوسي** (أبو المواهب الحسن بن مسعود)، **القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**، تحقيق: حميد حماني، مطبعة شالة، الرباط، ط1، 1998.

4- الرســـائل الجامعيـــة:

❖ **ابن أحمد** (الصّالح)، **بجاية في العهد الحفصي (748-628هـ/1230-1347م)**، دبلوم الدّراسات المعمّقة في التّاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1978.

❖ **أبو الخيل** (سليمان بن عبد الله)، **الوقف في الشريعة الإسلامية: حكمه وحكمته وأبعاده الدينية والاجتماعية**، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، 2008.

❖ **البابا** (مؤمن أنيس عبد الله)، **البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (1-656هـ/622-1258م)**، رسالة ماجستير في التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية، غزة (فلسطين)، 2009.

❖ **بالأعرج** (عبد الرّحمن)، **العلاقات الثّقافيّة بين دولة بني زيّان و المماليك**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التّاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007.

❖ **بركات** (إسماعيل)، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكرياء يحى بن موسى بن عيسى بن يحى المغيلي المازوني (ت833هـ/1478م) ج1، دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط تخصص المخطوط العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

❖ **بلحاج** (محمد)، **مخطوط النجم الثّاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، ج1، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008.

❖ **بلحسن** (إبراهيم)، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن (7-9هـ/13-15م)**، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005.

❖ **بن داود** (نصر الدين)، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010.

❖ **بوحسون** (عبد القادر):

✓ **الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية (635-897هـ/1238-1492م)**، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013.

✓ **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008.

❖ **بوداود** (عبيد)، **انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م)، ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2005-2006.

❖ **بودواية** (مبخوت)، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005-2006.

❖ **بوشقيف** (عائشة)، **الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي لإقليمي توات والسودان الغربي خلال القرن 09هـ/15م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.

❖ **بوشقيف** (محمد):

✓ **العلوم الدّينيّة في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (9هـ/15م)**، رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، كلّية العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلاميّة، قسم التّاريخ، جامعة وهران، 2004/2003.

✓ **تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.

❖ **حاج أحمد** (نور الدين)، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بثها للملوك والأمراء والعلماء**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية، قسم أصول الدين، فرع دعوة وإعلام، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011.

❖ **الحارثي** (عبد الله بن خضران)، **الرحلة في طلب العلم عند بعض المربين المسلمين في العصر العباسي وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430-1431هـ.

❖ **الحساني** (مشهور بن دخيل بن داخل)، **كتاب الوقف للامام يوسف بن حسين الكرماستي الحنفي المتوفى سنة 906هـ دراسة وتحقيقا**، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.

❖ **خالدي** (رشيد)، **دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنيين (7-8هـ/13-14م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.

❖ **زردومي** (إسماعيل)، **فن الرحلة في الأدب المغربي القديم**، رسالة دكتوراه في الأدب القديم، جامعة الحاج الأخضر، باتنة، 2005.

❖ **زكري** (لامعة)، **الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنيين (7-9هـ/13-15م)**، رسالة ماجستير في التاريخ السياسي والثقافي للمغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010.

❖ **الزين** (محمد)، **العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين: الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر (دراسة تاريخية وفنية)**، رسالة ماجستير من قسم الثقافة الشعبية فرع الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002-2003.

❖ **سالمي** (زينب)، **الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 8-10هـ**، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012.

❖ **سكاكو** (مريم)، **مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية يقاس ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012.

❖ **سلام** (أيمن شاهين)، **المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة طانطا، مصر، 1999.

❖ **شقدان** (بسام كامل عبد الرزاق)، **تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة النجاح، فلسطين، 2002.

❖ **شنافة** (الجيلالي)، **العلاقات الخارجيّة للمرينيين منذ قيام الدّولة حتّى نهاية عهد السّلطان أبي الحسن**، رسالة لنيل شهادة الدّراسات المعمّقة في التّاريخ، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، (دت).

❖ **عبدلـــــي** (الأخضر):

✓ **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1555م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005.

✓ **مملكة تلمسان في عهد بني زيّان**، أطروحة شهادة التّعمّق في البحث (مرقونة)، كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، تونس، 1986.

❖ **عزوزي** (عبد الصمد)، **أدب الرحالة الجزائريين في الخمسية الهجرية الثانية**، رسالة ماجستير في شعبة الأدب المغربي القديم، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2003.

❖ **عولمي** (محمد لخضر)، **الزخرفة المعمارية في عهد المرينيين والزيانيين (دراسة تحليلية ومقارنة)**، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013.

❖ **فلاق** (محمد)، **اظهار صدق المودة في شرح البردة لأبي عبد الله بن مرزوق الحفيد التلمساني: دراسة وتحقيق**، رسالة ماجسيتر من كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم الأدب العربي تخصص اللغة والأدب العربي، فرع نقد وبلاغة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2009-2010.

❖ **مجاهدي** (صباح) ، **المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية لابي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد العجيسي (766-842هـ) تحقيق ودراسة**، رسالة دكتوراه في العلوم العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014-2015.

❖ **مزدور** (سمية)، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009.

❖ **مصبح** (معتز محمد)، **دور الوقف الخيري في التنمية الاقتصادية (دراسة تطبيقية لقطاع غزة)**، رسالة ماجستير في اقتصاديات التنمية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

❖ **مطروح** (أم الخير)، **تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين: دراسة تاريخية وأثرية**، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1993/1994.

❖ **المكي** (جلول)، **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من (635-1263هـ/1234-1847م)**، رسالة ماجستير معهد التّاريخ، جامعة الجزائر، 1993.

❖ **مكيوي** (محمد)، **العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-1236م/737هـ-1337م)**، رسالة دكتوراه في الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007.

❖ **منزل** (الطاهر)، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق للجزء الثامن**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط الإسلامي علم المخطوط العربي، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 2011-2012.

❖ **نقادي** (سيدي محمد)، **إسهامات الإمام الآبلي في الحياة الفكرية بالمغرب الكبير تلمسان نموذجا**، رسالة دكتوراه في الثقافة الشعبية شعبة الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009-2010.

❖ **هاشمي** (مريم)، **العلاقات الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال القرن (7-9هـ/13-15م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.

5- الدوريات والمجلات:

❖ **بدوي** (جلول)، "**تلمسان موطن السحر والشعر**"، **مجلة الأصالة**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، السّنة 4، العدد 26، 1975.

❖ **بسكر** (محمد)، "**الحركة الفكرية في تلمسان أواخر القرن التاسع محمد بن يوسف السنوسي انموذجا**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 4/3، افريل/ماي 2011.

❖ **بعيون** (سهى محمود)، "**كتابة المصاحف في الأندلس**"، **مجلة البحوث والدراسات القرآنية**، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السنة4، العدد7، 1432هـ/2011م.

❖ **بلحميسي** (مولاي):

✓ "**بجاية في حدائق الكتب**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19 (خاص ببجاية)، السنة4، 1974.

✓ "**في تاريخ جامع مستغانم العتيق**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة 3، العدد12، 1973.

✓ "**نهاية دولة بني زيّان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد26، السنة4، 1975.

❖ **بلعربي** (خالد):

✓ "**ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن (8هـ/14م)**"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، العدد2، 2002/2003.

✓ "**تطور الحركة الفكرية بتلمسان في عهد يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)**"، **مجلة الحوار الفكري**، الجزائر، السنة 5، العدد 7، 2005.

✓ "**المجـــاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-745هـ/1299-1442م)**"، **دورية كان التاريخية**، العدد4، 2009.

❖ **بلغيث** (محمد الأمين):

✓ "**أبو حمو موسى وكتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 3-4، افريل – ماي 2011.

✓ "**الرباط والمرابطة ونظام الرهبانيّة والدّيريّة المسيحيّة (دراسة تاريخيّة مقارنة)**"، **حوليّة المؤرّخ**، الجزائر، العدد2، 2002.

❖ **بلميهوب** (حفيظة)، "**العلماء المرازقة**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، افريل-ماي 2011.

❖ **بن قربة** (صالح): "**العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر**"، **مجلة سيرتا**، قسنطينة، السنة 2، العدد 3، 1980.

❖ **بوباية** (عبد القادر)، "**إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن (7هـ/13م)**"، **مجلة عصور الجديدة**، مختبر البحث العلمي، جامعة وهران، العدد2، 2011.

❖ **بوداود** (عبيد)، "**تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية**"، **مجلة عصور**، جامعة وهران، العدد6-7، جوان- ديسمبر 2005.

❖ **بورحلة** (عبد العزيز)، "**ابنا الإمام: ابو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3-4، افريل – ماي، 2011.

❖ **بورويبة** (رشيد)، "**جولة عبر مساجد تلمسان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة 4، العدد 26، 1975.

❖ **بوزيدي** (سليم)، "**جماليات التوازي في التراكيب الشعرية عند أبي حمو موسى الزياني مقاربة في أسلوبية التركيب الشعري**"، **مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري**، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، 2013.

❖ **بوسلاح** (فايزة)، "**المدارس العلمية بتلمسان على عهد بني زيان: إشعاع فكري وحضاري**"، **مجلة عصور الجديدة**، ، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد2، 2011.

❖ **بوشريط** (محمد)، "**الشريف التلمساني واسهاماته الثقافية**"، **مجلة عصور الجديدة**، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد2 (خاص بتلمسان)، 2011.

❖ **البوعبدلي** (المهدي):

✓ "**الرّباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السّنة 3، العدد 13، 1973.

✓ "**أهم الأحداث الفكريّة بتلمسان عبر التّاريخ ونبذ مجهولة من تاريخ بعض أعلامها**"، **مجلّة الأصالة**، الجزائر، السّنة 4، العدد 26، 1975.

✓ "**تراجـــم بعض مشاهير علماء زواوة القبائل الصغرى والكبرى**، **مجلة الأصالة**"، الجزائر، السنة الثالثة، العدد 14-15، 1973.

❖ **بوعزيز** (يحى)، "**المراحل والأدوار التّاريخيّة لدولة بني عبد الواد الزّيانيّة 1236-1554**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة4، العدد26، 1975.

❖ **بوعياد** (محمد)، "**من آثارنا المغمورة: بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد لأبي زكرياء يحى بن خلدون**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة3، العدد13، 1973.

❖ **بوقلي** حسن (جمال الدين)، "**تشخيص مهمة ابن يوسف السنوسي كمدخل الى فكره**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، افريل-ماي، 2011.

❖ **بونار** (رابح):

✓ "**بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19 (خاص ببجاية)، السنة4، 1974.

✓ "**عبقرية المشذاليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19، السنة 4، 1974.

❖ **البياتي** (صدام جاسم محمد)، "**الوزير نظام الملك وأثره في تقدم الحركة العلمية في المشرق الإسلامي**"، **مجلة ديـالي**، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، العراق، العدد53، 2011.

❖ **بيشي** (محمد عبد الحليم)، "**الإمام ابن زكريا التلمساني وآثاره العلمية** "، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، افريل – ماي، 2011.

❖ **الجيلالي** (عبد الرحمن): "**الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا**"، **مجلة الأصالة**، السنة 2، العدد 8، 1972.

❖ **حاجيات** (عبد الحميد):

✓ "**الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة4، العدد26، 1975.

✓ "**العلاقات بين تلمسان وغرناطة**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، 2011.

✓ "**سيدي محمد الهواري شخصيته وتصوفه**"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، السنة15، العدد88، 1985.

❖ **حركات** (إبراهيم)، "**الصِّلات الفكريّة بين تلمسان والمغرب**"، **مجلّة الأصالة**، الجزائر، السّنة 4، العدد 26، 1975.

❖ **حماني** (أحمد)، "**عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد19 (خاص ببجاية)، 1974.

❖ **خالدي** (عبد الحميد)، "**الحياة التعليمية ببجاية الحمادية**"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، السنة24، العدد119، 1999.

❖ **خلادي** (عبد القادر)، "**أبو مدين غوث دفين تلمسان 520-594هـ/ 1126-1197**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد 26، السنة 4، 1975.

❖ **خياطي** (مصطفى)، "**الطب والأطباء في تلمسان**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3-4، أفريل – ماي، 2011.

❖ **دبوب** (محمد)، "**دور حركة صوفيّة المغرب الإسلامي في الحياة الثّقافيّة والفكريّة، وتفاعلاتها بالمشرق الإسلامي**"، **حوليّة المؤرّخ**، الجزائر، العدد 2، 2002.

❖ **الدراجي** (محمد)، "**من إعلام المفسرين التلمسانيين في الماضي والحاضر**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3- 4، أفريل- ماي2011.

❖ **الذاكري** (محمد فؤاد):

✓ "**الصناعة الطبية وأجور الأطباء في القرن السابع الهجري**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، السنة4، العدد15 ، ديسمبر 1996.

✓ "**وثيقة من التعليم الطبي في الحضارة الإسلامية**" **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، السنة4، العدد 13، 1996.

❖ **رزمامة** (عبد القادر)، "**أثر فريد لأبي عبد الله المقري: الحقائق والرقائق**"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، السنة4، العدد9، جوان1966.

❖ **زايد** (مصطفى)، "**من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، الكُتّاب: دراسة سوسيو- أنثروبولوجية**"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، السنة 16، العدد 93، 1986.

❖ **زبادية** (عبد القادر):

✓ "**التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض أثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد 26، 1975.

✓ "**نشأة المدارس الفقهية في الإسلام**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، السنة1، العدد1، 1971.

❖ **زناتي** (أنور محمود)، "**الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية ودوره في النهضة العلمية – الأندلس نموذجا–**"، **دورية كان التاريخية**، مجلة رقمية الكترونية، السنة 5، العدد16، 2012.

❖ **سبع** (قادة)، "**لفظة التاريخ جذورها وتطور دلالاتها الاصطلاحية في التراث العربي الاسلامي**"، **دورية كان التاريخية**، مجلة الكترونية، السنة 5، العدد16، 2012.

❖ **سعد الدين** (منير)، "**المدرسة عند المسلمين**"، **مجلة التراث العرب**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، السنة 12، العدد48، يوليو 1992.

❖ **السويسي** (محمد)، "**عالم رياضي أندلسي تونسي (القلصادي)**"، **مجلة للبحث العلمي**، جامعة تونس، العدد9، 1972.

❖ **سيدي موسى** (محمد الشريف)، "**التّربية والتّعليم بالجزائر في العصر الوسيط (بجاية نموذجا)**"، **حوليّة المؤرّخ**، الجزائر، العدد2، 2002.

❖ **الصديقي** (أحمد)، "**صنّاع الكتب في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط مساهمة في دراسة أوضاعهم الاجتماعية الاقتصادية**"، **دورية كان التاريخية الكترونية**، السنة6، العدد22، 2013.

❖ **طالبي** (عمار)، "**المؤلفات العلمية في تلمسان من خلال البستان**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد 3-4، 2011.

❖ **الطالبي** (محمد الأمين)، "**الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، العدد26، السنة4، 1975.

❖ **طاهر حكيم** (محمد)، "**دور الوقف في تعزيز التقدم الفكري**"، **المؤتمر الثالث للأوقاف: الوقف الإسلامي" اقتصاد وإدارة وبناء حضارة**"، بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، 2009.

❖ **طــه** (مصطفى محمد)، "**تراث المسلمين في علم الفلك**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، السنة6، العدد22-23، أكتوبر 1998.

❖ **عبد الجبار** (عمر فلاح)، "**الوزير السلجوقي نظام الملك إصلاحاته الإدارية وإسهاماته الفكرية**"، **مجلة الجامعة العراقية**، العراق، العدد 24، 2012.

❖ **عبد القادر** (أحمد عبد القادر)، "**السنوسي التلمساني الجامع بين علوم الباطن والظاهر: مصنفاته المخطوطة وأماكن وجودها**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، السنة السادسة، العدد22-23، 1998.

❖ **عصام سليمان** (موسى)، "**الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة**"، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد27، العدد3-4، 2011.

❖ **علي محمد** (مختار)، "**دور المسجد في الإسلام**"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، السنة2، العدد14، 1402هـ.

❖ **عنان** (عبد الله)، "**مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط**"، **مجلة الأصالة**، العدد13، السنة الثالثة، الجزائر، 1974.

❖ **فكاير** (عبد القادر)، "**الأوضاع السياسية للجزائر خلال القرن (9هـ/15م)**"، **حولية المؤرخ**، الجزائر، العدد2، 2002.

❖ **فيلالي** (عبد العزيز)، "**تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية 2011**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج (4-3)، 2011.

❖ **قرقــور** (يوسف):

✓ "**العالــم الريــاضي السعيـــد العقبــــاني التلمســـاني (ت811هـ/1408م)**"، **مجلة الوعـــي**، دار الوعـــي، الجزائر، العدد المزدوج (4-3)، افريـــل – ماي، 2011.

✓ "**مبادئ السالكين في شرح رجز ابن الياسمين لابن قنفذ القسنطيني رياضي مغاربي من القرن (8هـ/14م)**"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، السنة17، العدد67، اكتوبر 2009.

❖ **الكتاني** (محمد عبد الحي)، "**الملاجئ الخيرية الإسلامية في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية**"، **المجلة الزيتونية**، المطبعة التونسية، تونس، العدد7، ج5، المجلد 3، ماي1939.

❖ **كربوع** (سعيد)، "**كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي: المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا**"، **مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة بسكرة، العدد9، مارس 2014.

❖ **كريم** (عبد الكريم)، "**تلمسان من خلال كتاب الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم**"، **مجلة عصور الجديدة**، العدد2، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، 2011.

❖ **لعرج** (عبد العزيز):

✓ "**المدارس الإسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها- القسم الأول-**"، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة الجزائر، العدد1، 2001.

✓ "**تلمسان عمرانها وعمارتها الدينية**"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، 2011.

❖ **مجاني** (بوبة)، "**المدارس الحفصية: نظامها ومواردها**"، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد12، 1999.

❖ **محمدي** (محمد)، "**المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي**"، **مجلة حوليات التراث**، جامعة مستغانم، العدد13، 2013.

❖ **مشنان** (محمد)، "**المؤسسات العلميّة الثقافية في تلمسان الزيانية**"، **رسالة المسجد**، مجلة الكترونية، العدد صفر، 2003.

❖ **معروف** (بالحاج)، "**مدينة المنصورة الأثرية: ظروف نشأتها وعمرانها**"، **مجلة عصور الجديدة**، العدد2: عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية2011م/1432هـ، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، 2011.

❖ **مهداد** (الزبير)، "ابن العربي رائدا للتربية المقارنة"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، السنة 4، العدد 25-26، يوليو، 1999.

❖ **ميقاري** (عيسى)، "سيد العارفين شيخ المشايخ: ابو مدين شعيب بن الحسن"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، افريل- ماي، 2011.

❖ **نصير** (عبد المجيد)، "تطور علم الجبر في الحضارة العربية الإسلامية"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، السنة6، العدد24، 1999.

❖ **هلال** (عمار)، "**العلماء الجزائريون في تونس فيما بين القرنيين الرابع والرابع عشر للهجرة والعشرين للميلاد**"، **مجلة الدراسات التاريخية**، جامعة الجزائر، العدد المزدوج، 11-12، 2000.

❖ **يحياوي** (جمال)، "أثار الهجرة الأندلسية على تلمسان"، **مجلة الوعي**، دار الوعي، الجزائر، العدد3-4، 2011.

❖ **يسري** (عبد الغني عبد الله)، "**من تاريخ المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية: المكتبات الخاصة**"، **دورية كان التاريخية**، مجلة الكترونية، السنة 5، العدد16، 2012.

6- المراجع باللّغة الأجنبية:

❖ Barges (l,j ,l),**complément de l’histoire des BENI-ZEIYAN rois de Tlemcen**, Ernest Leroux libraire éditeur, paris, 1887.

❖ **Belhamissi-**(M), **Histoire du Mostaganem, les origines à l’occupation Française**, SNED, Alger, 1976.

❖ Bénali (El Hassar), **Abou Madyan Choaib Al Ansari, un mystique andalou du 12 em siécle**, in livre Telemcen dans les textes …Op-cit.

❖ benblal (Rachid) **, histoire des Idrissides (172-337h/788-948m)** ,editions dar el gharb ,oran,2004.

❖ **Bouali** (Sid Ahmed) :

✓ **Les deux grands sièges de Tlemcen, dans l’histoire et la légende**, ENAL, Alger, 1984.

✓ "**Les Démêles Mernides –Abd El Wadides-à la veille du grand siège de Tlemcen**", **Bullten de la société de géographie et d’Archéologie d’Oran**, L’imprimerie Ibn Khaldoun, Tlemcen, 1980.

❖ **Bourouiba**-(R):
✓ **Ibn Tumart**, SNED, Alger, 1982.
✓ **l'art religieux musulman en Algérie**, SNED , Alger, 2eme Edition, 1983.
❖ **Brosselard**-(Ch):
✓ "Les inscriptions … : Mosquée Oualed El Imam", **Revue Africaine**, Alger, N°13, 3ème Année, Octobre, 1858.
✓ "les inscriptions … : Mosquée et Tombeau de Sidi el- Haloui", **in Revue Africaine**, 4ème Année, N°21, Fevrier 1860.
✓ "Les inscriptions Arabes de Tlemcen, **Revue Africaine**, Alger, N°14, 3ème Année, Décembre, 1858.
✓ "Les inscriptions... : Mosquée de sidi Zakri ", **in Revue Africaine**, 5ème Année, N°27 Mai, 1864.
✓ "Les inscriptions… : III Mosquée Abou L'Hacen ou Bel Hacen", **Revue Africaine**, Alger, N°15, 5ème Année, Février 1859.
✓ "Les inscriptions… : Mosquée du Mechouar", **in Revue Africaine**, 4ème Année, N°22 , Mai, 1860.
✓ "les inscriptions… : Mosquée et medersa de sidi boumedin", **in Revue Africaine**, 3ème Année, N°18, Aout 1859.
✓ Chiekh Momamed Benyoussef ES-Senouci (15é siécle), dans :**Tlemcen dans les textes**, ENAG Editions , Alger , 2011.
✓ Sidi Abou Madyan un pole du soufisme maghirébin saint-savant (1126-1197), dans **:Tlemcen dans les textes**, ENAG Editions , Alger , 2011.
❖ **Dhina**-(A), **Le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er, et d'Abou Tachfine 1er**, OPU/ENAL, Alger, 1985.
❖ El Hassar Bénali, La Citadelle du Méchouar (13ème) un lieu sumbolique du régne des Zianides , dans :**Tlemcen dans les textes**, ENAG Editions , Alger , 2011.
❖ **Kaddache**-(M), **L'Algérie des Algériens de la préhistoire à 1954**, Edition Méditeranée, Paris, 2003.
❖ Marçais (G) et William **, Les monuments arabes de Tlemcen , Fontemoing, Paris, 1905.**
❖ **Marçais**-(G) :
✓ **les villes d'Art célèbres Tlemcen**, Edition du Tell, Algérie, 2003.
✓ **Sur la Grand Mosquée de Tlemcen**, A.I.E.O, 1949-1950.
❖ R.p.g thèry,o.p, **Tlemcen capitale musulmane l'Idrissisme**, dans : **Tlemcen dans les textes**, ENAG Editions , Alger , 2011.





قائمــة الفهــارس:



قائمـــة الفهـــارس:

1- فهــــرس الأعـــــلام:

"أ"

"و"

"ي"

2- فهرس أسمــــاء الأمــــاكن:

"أ"

"ك"

"م"

"ن"

"و"

3- فهـــــرس المؤسســـات التعليميـــة:

"ج"

"ز"

قائمـــة الفهـــارس:

4- فهـــــرس القبائــــــل:

"ب"

"ت"

"ح"

"ث"

"ذ"

"ز"

"س"

"ص"

"م"

5- فهــــرس الكتــــــب:

"أ"

"ن"





فهـرس الموضوعـات:



قائمـــة الفهـــارس:

الموضـــــوع الصفحة

قائمـــة الفهـــارس: